ابداعية النص الأدبي



الدكتورة

سعاد جبر سعيد

باحثة أكاديمية في الدراسات السيكولوجية

عالم الكتب الحديث

٢٠١٥

ابداعية

النص الادبي

الدكتورة

سعاد جبر سعيد

باحثة أكاديمية في الدراسات السيكولوجية

عالم الكتب الحديث

Modern Books' World

إربد- الأردن

2015

الكتاب

ابداعية النص الادبي

تأليف

سعاد جبر

الطبعة

الأولى، 2015

عدد الصفحات: 420

القياس: 17×24

رقم الإيداع لدى المكتبة الوطنية

(2014/7/3244)

ISBN 978-9957-70-892-4

الناشر

عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع

إربد- شارع الجامعة

تلفون: (00962 -27272272)

خلوي: 0785459343

فاكس: 00962 -27269909

صندوق البريد: (3469) الرمزي البريدي: (21110)

E-mail: almalktob@yahoo.com

almalktob@hotmail.com

almalktob@gmail.com

الفرع الثاني

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع

الأردن- العبدلي- تلفون: 079 /5264363

مكتب بيروت

روضة الغدير- بناية بزي- هاتف: 00961 1 471357

فاكس: 00961 1 475905

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن
ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ٢
وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ٣ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ
ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ٤ ﴾

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الإهـــداء

إلى نبض قلب منيب إلى ربه

مسافر من عوالم المادة إلى الروح

يستشرف الآخرة

ويحلق مع طيور مسافرة من اللاوجود إلى الحياة

ومن اللاحقيقة إلى الحقيقة في الحب والسلام

المقدمة

تتنوع الموضوعات الأدبية في طروحاتها، بين الماضي والحاضر، بين اختلاف واتفاق، وجدليات ومحاورات، ورؤى نقدية متنوعة، تتناول المبدع والنص، وانعكاساته على القارئ، في طروحات متنوعة، ومدارس نقدية مختلفة، ولكل مشربه في الرؤية والتناول النقدي، وربما كان هناك اهتماماً مبكراً في موضوع المشاعر وانعكاساتها على النص، بأعتبارها ركناً مهما من اركان بناء النص الأدبي، وربما كانت الرؤية في بدايات هذا الأمر في الحركة الأدبية، هي رؤى شخصية، تتلمسها الفطرة، والذوق، بعيداً عن التنظير، او انخراطها في ضوء مدرسة نقدية سيكولوجية، وربما تلك الرؤية السيكولوجية المنضبطة، المؤطرة بنظريات نفسية محددة، نفتقدها في الكتابات النقدية، ومشارب المدارس النقدية، وربما كانت تلك الرؤى متناثرة في الكتابات النقدية، ولم تصل إلى حد لملمتها في اطار نقدي جامع، في ضوء عمل ادبي ونقدي، ينطلق من نظريات نفسية محددة، تستند إلى نظريات التحليل النفسي، وتتناول اتجاهاته في ضوء الحركة الأدبية الألكترونية، التي اجتاحت الأفاق، وساعدت على اللقيا الأدبية بين كافة مشارب الأدباء وتطلعاتهم، بإختلاف بلدانهم، في عالمنا العربي.

فهذا الكتاب في ضوء فصوله يتناول بعمق واكاديمية علمية موضوع سيكولوجيا الأدب، ويحدد مفهومه واتجاهاته، ويقدم نصوص منشورة على شبكة الأنترنت، ويجري عليها تطبيقات عملية في ضوء سيكولوجية الأدب كماهية، وسيكولوجية المبدع، وسيكولوجية النص، وسيكولوجية الأدب في عوالم القصة القصيرة والسياسة وقضايا المجتمع وعوالم المرأة وقضايا الثقافة المتنوعة وروائع الأدب العالمي، متضمنا دراسات تحليلية نقدية في هذا الصدد في ضوء نصوص شعرية وقصصية وكتابات سياسية واجتماعية واوجه ارتباطها بالحركة الأدبية، ويتضمن ندوات ثقافية تعالج موضوعات الكتاب، تم تنظيمها وادارتها في اثناء عملي الصحفي مع المركز الأكاديمي للدراسات الأعلامية وتواصل الثقافات في النمسا، ومقالات نقدية في ضوءسيكولوجيا الأدب تم نشرها عبر رحلة ست اعوام على شبكة الأنترنت منذ بداية الألفية على عالمنا الجميل المتناقض معاً.

فمـا يتـضمنه الكـتاب هو حصيلة تلك المقالات التي تم نشرها في تلك الفترة الزمنية من (٢٠٠٠- ٢٠٠٦) على شبكة الأنترنت، في اطر مؤسسات اعلامية الكترونية، وقد نالت استحسانا وقبولا طيبا حسنا من القارئ على الشبكة، ومكنتني من تحصيل مكانة ادبية في مجتمع الأدباء، يخترق المسافات والحدود، من الشرق إلى الغرب ومن كافة انحاء الكرة الأرضية، وهذا بفضل الله تعالى وكرمه علي، وقد حصلت في اطار تلك الرحلة على شهادات تقديرية في مجال الأبداع في عوالم القصة القصيرة كتابة ونقدا، في اطار مدرسة سيكولوجية الأدب التي تخترق حدود النفس الأنسانية، واسقاطات المبدع على الطبيعة، وخلجات انفعالات الحروف على السطور.

ومن وجهة نظري المتواضعة، يشكل هذا الكتاب مبادرة ادبية جادة، لخدمة الحركة الأدبية الألكترونية، والتواصل مع الطاقات الادبية التي تتفتح اكمامها ابداعا في وجود الحركة الأدبية عبر مساحات الأدب فيما بعد الألفية.

ويشكل الكتاب مادة علمية لرصد الحركة الأدبية العربية سواء كانت في العالم العربي او من الأدباء العرب في العالم الغربي، عبر شبكة الأنترنت، ومادة تاريخية للمستقبل القادم، بحيث يرصد واقع الحركة الأدبية فيما بين الأعوام الستة الأولى للالفية، وهي بداية انطلاق الحركة الأدبية الألكترونية.

ومن الجدير بالذكر ان من مميزات هذا العمل الأدبي الضخم، انه مادة غنية وثرية تتضمن رؤى نقدية تجديدية تتحرر من لغة الماضوية الأدبية، وتتفاعل مع تيارات ما بعد الحداثة، وتتناول الأدب بلغة تمتزج بين العلمية والأمتاع الأدبي في تماوجات واحدة، وتشكل تؤامة بين الرؤى النقدية ومادتها التطبيقية عبر النصوص، وتقوم بمخاطبة تلك النصوص في ضوء تلك الرؤى النقدية، بحيث تصبح المادة النقدية مادة سهلة ممتعة، وتتسم بالوضوح من جهة وعدم التعقيد والغموض من جهة اخرى.

ويتناول الكتاب مساحات تشكل مقاربة بين الأدب واتجاهات متنوعة، ربما لم تنل العناية والأهتمام الكافي من قبل النقاد، وبالأخص مجال المقاربة بين سيكولوجيا السياسة وسيكولوجيا الأدب، وكذلك المحاورة في اطر سيكولوجيا الأدب مع روائع الأدب العالمي،

بحيث يتجاوز الكتاب مساحات النصوص في اطر الحركة الأدبية العربية، إلى النصوص العالمية.

ويلامس الكتاب قضايا ثقافية، منها الثقافة والأبداع والأنسنة وواقع العولمة وصدام الحضارات من خلال السخرية بالإسلام، وموقف الحركة الأدبية من ذلك عبر نصوص مختارة، ويناقش قضايا ثقافية تشكل جدليات في الثقافة والأدب عبر ندوات ادبية ثقافية تلامس تلك القضايا وهموم تعتصر الأديب والمثقف العربي.

ويختتم الكتاب محاوراته النقدية عبر نصوص ادبية من كتاباتي في مجال القصة والنثر الفني في ضوء سيكولوجيا الأدب، تشكل مادة اضافية في مساحات رحلة قلمي في سيكولوجيا الأدب، ونافذة ترنو اعماقي فيها لتقديم رسالة ادبية عبرها من جهة، والأمتاع الأدبي من جهة أخرى.

الفصل الأول

سيكولوجيا الأدب

المفهوم والجدليات

الفصل الأول

سيكولوجيا الأدب

المفهوم والجدليات

سيكولوجيا الأدب: المفهوم والجدليات

يشكل علم النفس عالما ممتداً، وميداناً خصباً للدراسات النفسية في كافة الأبعاد المتعلقة بالذات والمجتمع والثقافة والسياسة والأدب والفن، وربما نالت الذات البؤرة المركزية في دراسات وتوجهات هذا العلم، وثقل معارفة ونظريات وجدلياته، ولم تنل سائر الموضوعات الأخرى الأهتمام المنشود، وربما نالت الحركة الفنية في الفن التشكيلي جزئية ما في الأهتمام، بفضل المدرسة التعبيرية الفرنسية، التي اولت انعكاسات النفس وخلجاتها اثرا في تشكيلة المنتج الفني وبنائه.

وهناك عدة تساؤلات مطروحة في علم نفس الأدب، بشأن مواطن بوصلة هذا العلم، وموضوعات بحثه، فهل يتناول سيكولوجيا المبدع في اطر نفسيته واسقاطاتها على النص، او حلقات عملية الأبداع التي انتجت النص، او سيكولوجيا ما قبل بناء النص، او انعكاسات النص على القارئ وسيكولوجية ذلك الأنعكاس.

وفي هذا الصدد ارجح التعريف الآتي لعلم نفس الأدب:

هو العلم الذي يدرس الأديب من خلال عمليات إبداعه وأسلوبه في العمل، وظروف تربيته، وخصائصه النفسية، ويبحث في الناتج الإبداعي، القصة الرواية، المسودات والجوانب الأسلوبية وعلاقتها بالمبدع والبيئة التي ينتمي إليها ويتناول المتلقي سواء أكان قارئ الأدب أو الناقد أو الجمهور عامة ودراسة استجاباته وتفضيلاته، في إطار عمل مبدع واحد وقراءة نقدية تحليلية للنصوص.

ولذلك من وجهة نظري، ان قصر مساحات سيكولوجيا الأدب في سيكولوجيا المبدع فحسب، لايكفي لأن هناك نظريات ادبية رصينة تتبنى وحدة النص، المبدع في جانب

ووحدة الفكرة، العاطفة، الأخيلة في النص، في جانب آخر، وكذلك ليس النص الأدبي هو الذي بين أيدينا، بل هو مملكة بناء تحمل مخاضات بناء سابقة في البنية الشعورية والفكرية، فلا بد من تجلية النقاب حولها، وبث مكنوناتها وانعكاساتها على النص، وهناك نظريات ادبية يجب توليتها الأهتمام ومفادها اعتبار ثلاثية الكاتب، النص، القارئ في فهم تركيبة النص، فكل من هؤلاء يشكل النص ومادته الألهامية وولادته من جديد في ايدلوجية القارئ واستلهماته وبنيته الفكرية، فيغدو ميلاد نص ابداعي جديد.

وفي ميدان دراسة سيكولوجيا الأدب ومخاضات نظرياته الجدلية، ينبغي الإشارة إلى المساحات التاريخية في ولادة هذا العلم بمادته المرهفة الرقيقة، وهنا يشير المتخصصون في مجال سيكولوجيا الأدب إلى أن العلاقة بين علم النفس والأدب تاريخية، ومن ذلك دراسات عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الأعجاز وابن قتيبه في الشعر والشعراء وهناك إشارات كثيرة لدى ابن سينا في الإدراك والصور الذهنية و الخيال والإبداع وفي مرحلة تاريخية لاحقة نجد دراسات طه حسين عن أبي العلاء المعري وحافظ شوقي والمتنبي وابن الرومي وكذلك دراسات العقاد وإبداعات مصطفى الرافعي في سيكولوجية الأدب المتمحورة حول المرأة في أبعاد ذاتها المتضادة سيكولوجيا.

وهنا يجب التنبية، إلى انه لابد من النهوض بالأدب ودراساته السيكولوجية في اطرها التاريخية التراثية أو بالأحرى الخروج من كهف التاريخ ومادته، للولوج إلى عصر الرقمية في النشر الألكتروني، والإبداع الأدبي، لأن الأدب صورة عن الواقع والحضارة، وقد عهد عن دراساته النقدية طابع الجمود والماضوية، فنحن في الدراسات الأكاديمية الجامعية والمؤسسات الأدبية النقدية في عالمنا العربي، نتعاطي مع صورة الناقد التقليدي الماضوي، الذي ما زال في قوقعة الماضي النقدي ونظرياته، وهنا انا انادي بميلاد الناقد الرقمي، لأنني في ضوء توقعاتي ان مهمة الناقد الرقمي، تتطلب مواكبة الواقع التقني، وما الت اليه المادة الأدبية من خلال متابعة المادة الألكترونية، ودراستها نقديا في اطار سيكولوجيا الأدب، لاستخلاص مفرزات العصر بأبعاد العولمة، وعوالم القطب الواحد في السياسة، وربما كانت تلك المجالات هي ميدان عملي وتكاثف دراساتي حوله، وربما يسلط كتابي هذا الضوء حول تلك المعطيات،

في اطـر دراسـات نقديـة سـيكولوجية للمـواد الأدبـية الألكترونـية على الشبكة العنكبوتية، واتوقـع ان هـذا هـو المستقبل النقدي الرقمي الذي نطمح اليه، في استثمار تقنيات الحضارة، وعكسها على الحركة الأدبية ومتعلقاتها النقدية.

وتلعـب نظـريات نفـسية عـدة، في الـرؤية النقدية للنصوص الأدبية، وربما مدرستي الـنقدية تتركـز في اعـتماد نظـرية التحلـيل النفـسي واسقاطات الأنا اللاشعورية على النص والزمان والمكان والشخوص والأحداث، فنطرية التحليل النفسي لها دورا هاما في الدراسات الـنقدية في مجـال سـيكولوجيا الأدب ولهـا بـصماتها مـن وجهة نظري، واعتبر ان لها دينامية خاصـة في مجـال القـراءة الـسيكولوجية للإبـداع الـشعري أو اعمـال ادبـية في مجـال الرواية اوالقصة القصيرة او العمل المسرحي او الدراما التلفزيونية والسينمائية.

وربمـا اؤكـد هـنا في مجـال توظيف ما ذكرته مسبقا، انه تناولت منظومة دراساتي في مجـال سـيكولوجيا الأدب موضـوعات عـدة في هذا الميدان، ومن ذلك تناول نظريات جدلية عـدة مـثيرة في عوالمه، ثنائية العبقرية والجنون في الإبداعية الأدبية، حيث تم دراسةانعكاسات االأزمـات النفـسية في تـشكيل المبدع وعبقريته الأدبية كما هو في ظاهرة الشاعر المصري عبد الحمـيد الكاتب، وأثر الإبداع وتجلياته في إيصال الأديب إلى الجنون والعزلة النفسية كما هي في ظاهرة إبداع الأدبية مي زيادة، وما آلت إليه من مأساوية لمبدعة نادرة من نوعها، ويتضمن هذا الكتاب نشر لتلك الدراسات والمفردات بكثافة وعمق معاً.

ماهية الحياة في الرؤية السيكولوجية للأدب

نـسجت الحـياة ردائها على الوجود واحتارت في ماهيتها العقول، وتنوعت المدارس الفكـرية في تدفـق انفعالات التعبير حولها، بين لغات مثالية وواقعية وتعبيرية، ولكنها مقرونة في بعـد المدرسـة الـسيكولوجية في لغـة المدرسة التعبيرية، التي تكسر القيود وتعلن انسيابات الأنـا الكامنة، وترتسـم عليها بجمال اسقاطات المكان والزمان، في لغة تتجاوز الواقع، وتسافر في آفـاق لغـة الـذات بين نشوة التعبير والم الإحساس، في الأشكال الأدبية المتنوعة وفي عوالم الفـن التـشكيلي، وترتكـز المدرسـية السيكولوجية في التحليل الأدبي في كافة أشكاله الفنية،

على معادلة (الأنا، الآن، هناك) وعلى انعكاسات المدرسة التعبيرية في الأدب والفن التي تعتبر الوجود كله امتداد لروح الأديب او الفنان ونفسيته، والأديب والفنان في مرجعية تلك المدرسة يعتبر مركز الكون والكون نابع منه، وهنا تعتبر الأنعكاسات الأدبية والفنية ليست موضوعية وتسجيلية بحته للواقع، بل ذاتية ترتسم بتحليق حر جميل، لذا فهي تخالف الانطباعية التي هي موضوعية قبل كل شئ، ومن ثم إذا كان الأديب او الفنان حزيناً او بائساً فالوجود كله قاتم الألوان في انسيابات اليراع وتشكلات الأنا عليه في اسقاطات وانكسارات الزمان والمكان على الصفحات، والقول ذاته في فرشاة الألوان وتشكلها على اللوحة في ألوان قاتمة وانسيابات تعبيرية حزينة في الشعر او النثر او القص وغير ذلك حتى لوكانت الشمس ساطعة وتنثر ضحكاتها على الوجود، وهذا هو لب المدرسة التعبيرية التي تستقي من معين سيكولوجيا الذات و ترتسم انعكاساتها على النص او اللوحة بلغة اللاشعور الدفين المختزن في الأعماق، وربما هذا هو مصدر ضعفها عند بعض النقاد ولكنه أيضا مصدر قوتها وجمالها بل وروعتها الساحرة في الأسقاطات، وكما يقول أحد الفنانين في الغرب في هذا الصدد (بدلا من أن أحاول أن انقل ما أمام عيني بحذافيره فأنني استخدم اللون أستخداماً جائراً حتى اعبر عن نفسي بقوة اكبر).

ويجدر بالذكر هنا أن لغة استيعاب الأنا والوجود ومنظومة اسقاطاتهما لا تتشكل لتوها عند تشكل الحروف على السطور او رقصات الفرشاة مع الألوان، بل تكون قد اخترقت مرحلة الإشباع في ذبذبات التماهي في الأنا والوجود، التي تخلق معها الحروف وانسيابات الألوان، فتغدو الصورة الفنية التعبيرية في الأدب واللوحة الفنية في تماهي مبدع، تشكلت مادته من لوحة الواقع واسقاطاتها وتماهيات الأنا وتعرجاتها في الشعور وانعكاسات الزمان والمكان الذي تختزنه مشاعر الأديب والفنان فتنصهر في بؤرة أيدلوجيته وكنه أفكاره، فتخلق مادة ابداعية في حلة سيكولوجية مرهفة، تتجاوز القيود والأسوار وتسافر بعيدا في عوالم اللامالوف وارتسامات العاطفة بانسياب تحت مظلة حرة لاتقيدها الأسوار والحدود. وبذلك لاتكون الصورة الفنية نقلاً للواقع الخارجي بل هي شحنات عاطفية متولدة من انصهار الوجود في مخيلته ثم افراغة على المادة الأدبية او الفنية التي تشكل

تؤامة روحية مع انعكاسات الأنا في ذاته الدفينة في عوالم اللاشعور الدفين لا جزءاً من الواقع الموضوعي المحيط به.

والسؤال المطروح هنا حول ماهية الحياة؟ وهل هي ذاتها في الدراما المتشكلة في المسرح في كافة اشكالة او لغة القص والرواية اوانسكابات الشعر في اللذة والألم او لغة الفن التشكيلي في كافة خطوطها، ومن وجهة نظري أن السؤال المطروح بهذه الصيغة عند الكثيرين يقتضي تعديل الصياغة فيه في بعد مدرسة سيكولوجيا الأدب ليدور حول هل الحياة تتشكل في تلك الفنون جميعا في المدرسة المثالية او الواقعية او التعبيرية، وهل تتحقق ماهيتها في ظل المدرسة الكلاسيكية المحافظة في قيودها الصارمة أم المدرسة التعبيرية الحرة في التعبير، أم لا بد من حالة تماهي تتوسط بينهما فتشكل ماهية الحياة.

وتبقى في نهاية المطاف سيمفونية الحياة مفردة احتار فيها الفلاسفة وتغني بها الجميع وتاهت في موائد التنظير عند علماء النفس، وكل بذل ما في وسعة في تحديد جوهرها وكنهها الدفين، وبقيت عصية على كشف ردائها الأرجواني الذي يخبئ جمالا وجوديا ماسيا خاصا في الوجود وبقيت ظلالا فحسب تتشكل اشراقاتها النورانية على السطور، وستبقى شعورا ذاتيا ينعكس في ظلال الأنا بكافة الوانها، وانعكاسات ازمان في كافة اطيافه، وإسقاطات المكان في كافة تناثراته، وستبقى شحنات متماوجة بين هدير هائج وانسياب هادئ وبين أسوار مغلقة وأفاق حرة شاسعة تخترق الحدود في لغة الوجود.

وعلى حد قول الشاعر الفرنسي رونسار:

يا صغيرتي هيا نرى الوردة
هل أسقطت هذا المساء
طيات فستانها الأرجواني
ولونها صنو بشرتك الجميلة؟
واحسرتاه ! انظري في هذا الوقت القصير
يا صغيرتي، قد ألقت الوردة على التراب

واسفاة ! كل جمالها
يا للطبيعة القاسية!
آه لتلك الوردة الجميلة التي لاتعيش
إلا بين صباح ومساء
صدقيني إذاً يا صغيرتي
أنت في زهرة العمر
وفي خضرته المتجددة
اقطفي شبابك قبل أن يأتي عليه العمر
كما تقضي على الوردة الناضرة

وكما يجسدها الشاعر الفرنسي دي بولليه:

لـو أن عمرنا ليس إلا نهارا واحدا بالنسبة للخلود ن لو أن السنة التي تدور تذهب بأيامنا دون رجعة،

لو أن الأنسان مصيره الفناء..
يا أيتها الروح الحبيسة، ففيم الفكر اذاً؟
لم تفضلين ظلمة العيش.
وأنت تمتلكين أجنحة.
تقودك، لو أردت، إلى بلاد النور؟
هناك الخير الذي تصبو إليه كل نفس..
هناك الراحة التي تتوق إليها..
هناك الحب والهناء.
هناك، يا أيتها الروح، ستحلقين إلى العلا،
وستلتقين بالله.
الذي أعشق هنا صورته ...[1]

وارجو في نهاية مطاف إطلالة مقالتي على ماهية الحياة في لغة سيكولوجيا الأدب، أرجو أن أكون قد وقفت في تلك الإطلالة وحققت إضاءة مشرقة في ذلك الصدد وبلغت زبدة المقال في التعبير، وإلى لقاء مستجد في اقتطاف ثمار الأدب والتواصل على مائدة العلم والنقد معا.

ندوة سيكولوجيا الأدب: الماهية والواقع
برعاية صحيفة المرصد الإعلامي الحر
الصادرة عن المركز الأكاديمي للدراسات
الإعلامية وتواصل الثقافات/ فينا – النمسا
إعداد الكاتبة: سعاد جبر

يعد الأدب رسالة حضارية خالدة إلى الإنسانية جمعاء في أقطار الأرض المتباينة، وعبر جميع الأزمنة. ولعل الخلود قد كتب للأدب والفلسفة وحدهما دون العلم، لأن العلم يجب بعضه بعضاً خلافاً للفلسفة والأدب اللذين لايخضعان للتقادم، ولايلحق بهما الذبول أو التهافت. ولذلك يحمل الأدب عبر منجزاته الحضارية مؤثرات وجدانية تسيح في سماءات التذوق العلية، فنحن عندما نقرأ ادباً كتبه صينيون أو يونان أو رومان فأننا نتأثر بما كتبوه ولو كانوا من عوالم بعيدة عنا وزمان غابر، لأننا نحس بالتفاعل فيما بين ما نحمله من قدرات أدبية وبين ما نتطبع به من تلك الآداب، بحيث يتأتي عن ذلك التأثر قوام أدبي جديد لدينا. يتجاوز الزمان والمكان وكل المقيدات، ولذلك يعد الأدب رسالة حضارية بكل ما تعنيه الكلمة من معان، ولكن في الوقت ذاته هناك مواصفات إبداعية في رحلة خلود الأدب على مر الزمن، تتضمن حمل تلك الرسالة مضمونا أدبياً له ذوزنه وقيمته، فكلما كان الأدب اكثر أصالة ورونقاً وبهاء كانت قيمته بالتالي كبيرة خالدة، فالأدباء الذين خلدت أسماؤهم في سجل الأدب هم أولئك الذين استطاعوا أن يقنعوا الإنسانية بقيمة ما دونوه وبقيمة ما كتبوه للأجيال المتعاقبة عبر المكان والزمان جميعاً. فنحن إلى اليوم ما زلنا نقرأ ما كتبه شكسبير ودالتون وابن المقفع والجاحظ وجبران و الرافعي والعقاد وغيرهم من الأدباء المبدعين عبر

رحلة الإنسانية في ازمانها المتعاقبة. وتلك مؤشرات تعكس ماهية سيكولوجية خاصة في رسالتهم الأدبية وبصمتها الحضارية، في آفاق(النص، المبدع، الزمان، المكان) مما يقتضي تكاتف الدراسات في سبر تلك الماهيات في لغة الزمن الغابر والآن الحاضر واستشرافها في الآن المنتظر، وتلاقح الأفكار فيما تثير من تساؤلات حائرة وجدليات حادة، لأن تلك الماهية السيكولوجية تفتح آفاق النص على مسرح الحياة، وذاتية المبدع، و تكشف انشطارات اسقاطات الأنا اللاشعورية على النص، فيغدو النص في رفرفة أستار منفتحة ماتعة، تسهم في تقديم رؤية نقدية سابرة للإبداعية الأدبية في جهاتها الأربع، وذلك مانفتقده في واقع الحركة النقدية في عالمنا العربي، وما تحمله من حذاء إسمنتي في رحلتها النقدية لايتيح لها الحراك الحر الإبداعي، ووقوفها عند منظومة تراكيب جامدة لا تتجاوز مكانها وتختلط فيما بينها في ماهية تركيبية عاجية تتسم بالتعقيد وعدم المرونة، والإمتاع في تساميات لغة التذوق الأدبي وغير ذلك من همومنا الممتدة في واقع الحركة النقدية الأدبية في عالمنا العربي. وانطلاقا من أهمية حضور البعد السيكولوجي في لغة تناول النص نقديا ورحلة الإمتاع في التذوق الأدبي، واثرها في الأرتقاء في النص، تشكلت مبررات عقد هذه الندوة الأدبية، من خلال تناولها محاور متعددة تغطي ما أمكن من لغة الحضور السيكولوجي في النص ودراسته في ضوء رؤية شاملة سابرة لرباعية(النص، المبدع، الزمان، المكان) في العمل الأدبي المبدع.

وفي ظل تلاقح الأفكار في أطيافها المتنوعة نفتتح ندوتنا الأدبية سيكولوجيا الأدب: الماهية والواقع، ونرحب بضيوفنا الكرام، في تواصلنا الثقافي المثمر علما وحكمة ونضجا، إذ يشكلوا لونا جميلا في نخبتنا الثقافية المتنورة في عالمنا العربي، وسنحظى في امسيتنا الثقافية هذه بارائهم الثرية في ظل عوالم سيكولوجيا الأدب ومنظومة جدلياتها في التناول والنقد ونستهل تواصلنا معهم بالتعريف بهم وبمكانتهم الثقافية في عالمنا العربي:

- الأستاذ صبري يوسف/ كاتب وشاعر سوري/ السويد.
- الأستاذ صلاح أبو عجينة/ كاتب وشاعر ليبي ورئيس رابطة الأدباء والكتاب الليبيين في مدينة الزاوية/ ليبيا.

- الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عدس/ أكاديمي متخصص في قسم علم النفس/ جامعة عمان العربية للدراسات العليا/ الأردن.

وتدور فعاليات ندوة سيكولوجيا الأدب: الماهية والواقع ضمن هذه الأمسية الثقافية في الأبعاد الآتية:

- مناقشة مساحات أوسع في أبعاد سيكولوجيا الأدب والعثرات التي تحول دون تنامي وتطور هذا العلم وكيفيات تجاوزها على الساحة الأدبية وفق وجهات نظر ضيوفنا الكرام.
- مناقشة البعد التاريخي لعلم نفس الأدب ومقترحات نخبتنا المثقفة في كيفية الأرتقاء بهذا العلم في ظل عصر الرقمية والانفجار المعرفي.
- تحديد العلاقة بين سيكولوجيا الأدب و نظريات التحليل النفسي في تناول رباعيات (النص، المبدع، الزمان، المكان) وهل هذه العلاقة حتمية أم أن هناك مجالات لنظريات نفسية أخرى يمكن تفعيلها في علم سيكولوجيا الأدب.
- تناول جدلية العبقرية، الجنون في الإبداعية الأدبية ووجهات نظر ضيوفنا الكرام في تلك الجدليه على وجه التحديد.

وفي ظل مساحات أوسع لعوالم سيكولوجيا الأدب وماهية وجهات النظر بشأن العثرات التي تحول دون تنامي علم سيكولوجيا الأدب وكيفية تجاوزها، طرح التساؤل الآتي على ضيوفنا الكرام:

يقال أن علم نفس الأدب ما زال مجالا خصبا للدراسات النفسية ولم تسبر أغواره لاعتبارات عدة منها: اعتبار الأدب مادة مرهفة ومراوغة لا تخضع للإحصاء والقياس بالإضافة إلى النظرة السلبية لعلم النفس وحصره فقط في مجال التحليل النفسي وكذلك صعوبة تناول المادة الأدبية بشكل موضوعي دقيق في حين تم تناول مواد فنية كالرسم والتصوير في رؤية سيكولوجية ويقال أن حركة تنامي الوعي وتوسع حدود علم النفس

تقتضي الاهتمام بدراسة سيكولوجية الأدب وتجاوز تلك العثرات في تنامي وتطور ذلك العلم، أين تقف رؤاكم الثقافية في هذا الصدد؟

وكانت إجابات أساتذتنا الكرام على النحو الآتي:

❖ الأستاذ صبري يوسف:

إنَّ لعلم النفس واحة فسيحة مفتوحة تشمل كل مناحي الإبداع خاصّة الأدب بكلّ تفرعاته وتحليقاته، لأنّ المبدع هو مرآة عاكسة لأدقّ خصوصياته وطاقاته النفسيّة والحياتية، فهو يعكس نصّه بما يختلج في ذهنه من آهات وآلام وأحزان وأفراح وحالات نفسيّة لا حصر لها، لهذا أستطيع القول أن لعلم نفس الأدب مجالاً خصباً، خصباً جدّاً! لأنَّ الأدب له من العناقات والتداخلات النفسيّة في بواطن النفس الإنسانية ربما أكثر بكثير من العوالم الإبداعية الأخرى، لأنَّ المبدع - الكاتب، الشاعر الخ... نجده يكتب نصّاً ربما كانت حيثياته وأفكاره قابعة في اللاشعور الضمني منذ زمنٍ بعيد فنراه يتدفّق ويحلّق في عوالم جامحة منبعثة من خصوبة جوانب نفسية متجذّرة في أعماق نفسه منذ زمنٍ بعيد ولم ولن يستطيع التخلّص منها إلا عبر تدفُّقاتها على نصاعة الورقة بعد مرورها على ساحات الذهن، هذا المرور المتأتي من الذاكرة البعيدة الغافية بين تجاعيد النفس، الغافية في ظلال اللاشعور، ولا يمكن لهذه الظلال الخفيّة أن تختفي فلا بدّ لها أن تظهر في فترة ما عبر حالات إبداعيّة، والأدب أكثر المجالات الإبداعية خصوبة لظهور وإبراز هذه التراكمات النفسيّة الخلاقة وعلى علم نفس الأدب إعطاء أولوية كبيرة لهذا الجانب لما له من أهمية سيكولوجيّة حيث من خلال التحليل النفسي العميق نستطيع أن نصل إلى أعماق المبدع خاصّةً إذا كانت دراساتنا قائمة على أسس موضوعية دقيقة وتحاليل عميقة، فأنا أرى أنَّ المبدع يعيش هذه اللحظات عبر مراحل الكتابة، ويعكس ما كان يعتمره في فترة ما ويعكس الكثير من خصوبة النفس -الرُّوح، المسترخية في بواطن الذاكرة البعيدة، العالقة بين عوالم الطفولة والمراهقة ومراحل أخرى من العمر والكثير من هذه الحالات ترتبط إرتباطاً وثيق الصلة بالجوانب النفسية وهي أصلاً الخبز اللذيذ لحبق الكتابة وهي الحبر الصافي لكتابة حروفنا من أعماق النفس، نفس الإنسان،

وكلّما كانت الكتابة منبعثة من هذه الظلال الخفيّة، كانت إبداعية خالصة لأنها تأتي صادقة وملتحمة مع حميميات الكاتب، ويستطيع الناقد اللبيب المتخصِّص في هذا المجال أن يكتشف زيف الكاتب ومصداقيته من خلال التوافقات الموضوعية والعفويّة المتناغمة مع شخصية الكاتب النفسانية من خلال دراسة شخصيته عبر مراحل الطفولة والمراهقة والشباب والخ.. صحيح أنه ليس من الضروري أن يعكس الكاتب رؤاه في الكتابة بكلّ ما يعتريه في زمنٍ ما أو عبر مراحل عمرية معينة، لأنّه ربّما يكتب من محض خياله نصّاً ما، لكن مع هذا تتداخل خصوصيته النفسيّة وشخصيته المتشكّلة من مراحل عمره الفسيح وخاصة طفولته وتعكس من خلال خياله جانباً من شخصيته فهو ابن ماضيه، فمثلاً كاتب ما عاش في ريف مفتوح على برارٍ فسيحة، لا يستطيع أن يتوغّل في فضاءات مفتوحة ريفية رحبة عندما يكتب رواية في مستقبل الأيام حتى ولو كانت الرواية منبعثة من محض خياله لأن الخيال بالذات يتبلور ويتشكل ويتفتّح من خلال طفولة ومراهقة وبيئة وعناصر حياتية عديدة وبالتالي كل هذا يصبّ في أهمية دور علم نفس الأدب كي يتوغّل في أعماق الكاتب المبدع، وكلّما كان الكاتب صادقاً مع مشاعره، كانت الدراسة مفيدة ومثمرة ومصداقية أكثر، وهنا ممكن أن يخرج الناقد في مجال سيكولوجيا الأدب بنتائج مفيدة للغاية تتجلّى في النتائج التي يتوصّل إليها ومدى اقترابها من خصوصية عوالم الكاتب وبالتالي يستطيع أن يستنتج الكثير من المعطيات والحيثيات وأسباب انبعاث الإبداع والتحليقات التي تخصّ هذا الكاتب ولا تخصّ ذاك الكاتب وهكذا يكون علم نفس الأدب بمثابة البوّابة الرحبة للوصول إلى أعماق جوهر الإبداع والمبدع معاً!

❖ الأستاذ صلاح عجينة:

مجال علم نفس الأدب الذي يتحرك نحو دراسة نفسية للمبدع وعملية الإبداع المنتجة للنص لديه، وكذلك دراسة العلاقات والبُنى التي تؤسس للنص، وسيكولوجية الأدب تطال بالدراسة حتى الأثر الافتراضي على جمهور المتلقين فيما يعرف بـ [سيكولوجية الجمهور]، علم شائك غير قابل في نظري لارتياده فقط بطريق الموهبة المجتهدة، بقدر ما هو

مران في تجسيد تطبيقات عملية للنظريات واشتقاقاتها التي أسست لهذا العلم على النصوص.

ورقي هذا العلم مرهون في اجتهاد الأكاديميين المشتغلين في حقل علم النفس، وهو عبء على عاتقهم هم، أكثر مما هو على عاتق المبدع الفنان الذي يمارس مكابداته في نص على خلفية موهبته الفطرية التلقائية المتدفقة. والبحث من منطلق سيكولوجية الأدب يعمّق الإحساس بالمدركات الجمالية للنفس البشرية المجسّدة عبر النصوص.

فمثلا حينما يشير إليوت أن [الفنان أكثر بدائية كما هو أكثر تمدنا من معاصريه] فهو يقول بأن نفس الفنان المجسّدة للنصوص إنما هي مركز شعورات إنسانية تبدأ منذ الطفولة راصدةً في آنٍ بما قد يتجاوز حتى عصره فيما يتماس بشخصية المتنبي. لهذا الانصهار ماضٍ سحيق يترك علاماته في نفس الأديب، وحاضر له خواص الاستشراف هو أبجدية ذاكرة المبدع الفنان التي تؤلف لنصوص ذات عمقٍ ورؤية وعبر اختلال توازنها في محيطها الاجتماعي أحيانا.

❖ الأستاذ عبد الرحمن عدس:

صحيح أن علم نفس الأدب لايزال مجالا خصبا للدراسات النفسية، لأن ما يصدر عن الأدباء من كتابات سواء كانت نثرية أو شعرية هي عبارة عن انعكاسات لأحساسهم ومشاعرهم الذاتية وبذلك يمكن من خلال دراسة وتحليل ما يصدر عن الأدباء من كتابات نثرية أم شعرية الوصول إلى أعماق نفوسهم والوقوف على الأشياء التي يفكرون بها وتستحوذ على اهتمامهم.

وتناولت الندوة استطلاع أراء اساتذتنا الكرام بشأن الطرق المرجحة من قبلهم للأهتمام في مجال سيكولوجيا الأدب، واين تتوجه تلك الرؤى على وجه التحديد، من خلال طرح التساؤل الآتي:

ما هي الطرق المرجحة من قبلكم للاهتمام في مجال سيكولوجيا الأدب، هل تقتصر على دراسة الأديب من خلال عمليات إبداعه وأسلوبه في العمل، وظروف تربيته، خصائصه النفسية، أم دراسة الناتج الإبداعي، القصة الرواية، المسودات والجوانب الأسلوبية وعلاقتها

بالمبدع والبيئة التي ينتمي إليها أم دراسة المتلقي سواء أكان قارئ الأدب أو الناقد أو الجمهور عامة ودراسة استجاباته وتفضيلاته، أم هي تتناول الجميع بلا استثناء في عمل مبدع واحد وقراءة نقدية تحليلية للنصوص؟؟؟؟؟

وكانت اجابات ضيوفنا الكرام على النحو الآتي:

❖ **<u>الأستاذ صبري يوسف:</u>**

إنَّ الطرق المرجَّحة للاهتمام في مجال سيكولوجيا الأدب هي كلّ هذه الجوانب التي عرضتينها في سياق السؤال، لكن هناك جانب أهم من جانب آخر، فمن الأهميّة بمكان دراسة الأديب دراسة معمّقة من خلال الوقوف عند كافّة مراحل عمله الإبداعي والوقوف ملياً عند ظروفه ونشأته وخصائصه النفسية، لأنَّ كلّ هذا ينعكس عبر الكتابة ويظهر جلياً في النصّ الذي يكتبه، كما أنَّ دراسة الناتج الإبداعي، من قصّة ورواية وشعر ومسرح وجوانب حياتيّة وإبداعيّة أخرى تتعلّق بالمبدع وبيئته التي ينتمي إليها.. كلّ هذه الحيثيات لها من الأهمية الشيء الكثير في الولوج إلى أعماق جوحاته الإبداعية وبالتالي تساعدنا للوصول إلى أخصب وأعمق النتائج فائدةً، من جهتي لا أرى لاستجابة القارئ والناقد والجمهور أهمية كبيرة بقدر ما هي إحدى متمّمات وتعزيزات الدراسة، لأنه من الممكن أن تكون إنطباعات القارئ كائناً من كان بعيدة عمّا كان يقصده المبدع أحياناً، صحيح أنَّ للمتلقي دوراً لا يستهان به، لكنّي أرى أن الدراسة السيكولوجية لعوالم نصّه وبيئته وعوالمه الرحبة بعيداً عن إنطباعات المتلقي أفضل من أن نقارنها بإنطباعات ورؤى المتلقّي، كي تأتي الدراسة حياديّة موضوعية غير متأثرة بعوامل خارجية، لأن رؤى النقّاد والقرّاء والمتلقّين تؤثر على تشكيل رؤية أو تعزيز موقف ما ربّما يكون بعيداً عمّا كان يراود الكاتب، وبالتالي يكون الإعتماد على هذا الجانب هو نوع من الإبتعاد عن جادة الصواب، ناهيك عن أنّ المتلقي سواء كان قارئاً أم ناقداً، ممكن أن يكون إنطباعه سلباً أو إيجاباً مبالغاً فيه، ففي كلتا الحالتين تؤثر رؤاه سلباً على حيثيات موضوعيّة الدراسة، لكني بنفس الوقت لا أقلّل من أهمية رؤى القرّاء

والنقّاد بعيداً عن خصوصية هذه الدراسة وبنفس الوقت ممكن أن تأتي أهميتها في الدراسة كآخر مرحلة من حيث الأهمية في تحليل أبعادها!

ونخرج بوجهة نظر ورؤية مفادها، أنّنا لو تناولنا كلّ هذه الأسباب مركِّزين على الجانب الأوّل والثاني ويأتي الجانب الثالث أيّ رأي المتلقّي كتحصيل حاصل، وعندما نأخذ كلّ هذه العوامل والمراحل الثلاثة في ترجيح تقييم ودراسة سيكولوجيا الأدب مهمّة شريطة أن نكون حذرين من الجانب الأخير ولا نتعاطف ونتأثر به بحيث يجعلنا نبتعد عن جوهر مصداقية التحليل، فكلما كنّا دقيقين في دراسة الأديب عبر مادته الإبداعية وعبر مراحل تشكيل شخصيته ودراسة بيئته وعوالمه الرحبة كنّا قد حقّقنا الهدف المطلوب، وعندما تأتي إنطباعات المتلقّي متطابقة مع تحليلاتنا كانت موضوعية ولو ابتعد المتلقّي عن حيثيات النتائج التي توصّلنا إليها كان من الضروري أن نعيد النظر في هذا الجانب اي الأخير، لأنه من الممكن أن يكون المتلقّي غير عميق الرؤية والتحليل، والناقد ربما يكون ناقداً بعيداً عن المدرسة التي يكتب عبرها أو نحوها المبدع وبالتالي تصبح دراسة وتقييم الناقد بعيدة وغير موضوعية، لهذا كلّه علينا أن نعطي لكلّ مرحلة حقّها بما فيه رأي النقّاد والقرّاء، حتّى أننا من الضروري أن نحلّل ونقيم وندقّق راي المتلقين انفسهم، وندرس استجاباتهم وكأنها نصّ أدبي يحتاج أيضاً إلى دراسة سيكولوجية ممحّصة، لنرى مدى مصداقية وإقتراب رؤى القرّاء والنقّاد إلى النتائج التي توصّلنا إليها.

أودُّ هنا أن أشير إلى أنّ السّاحة الأدبية تفتقر كثيراً إلى نقّادٍ يواكبون كتابات ونتاجات العصر، فللأسف الشديد لا أرى في السّاحة سوى بعض النقّاد، وهم قلّة قليلة، لا يغطّون سوى جزء يسير مما يتم كتابته في وقتنا الراهن، فمن الضروري أن ينبثق في عالمنا نقّاد متخصّصون في الكثير من مجالات الإبداع، كي يتمُّ تغطية فعاليات ما يتم تقديمه بشكل يليق بمبدعنا الحالي ومبدعنا المخضرم وما سيأتينا من مبدعين في مستقبل الأيّام، ومن هذا المنظور أرى أنّ المبدع ـ الكاتب، مهمّش جداً جداً فلا اجد إهتماماً به لا عبر منابر الثقافة ولا عبر وزارات الثقافة ولا عبر الصحف والمجلات ولا عبر أقرب المقربين إليه وهم الكتّاب، فأغلب الكتّاب تحوّلوا إلى حالة شلليّة أشبه ما تكون شلليات سياسية سقيمة ومريرة، فإذا لم يكن

الكاتب منفتحاً على زميله الكاتب وعلى الناقد، والناقد منفتحاً على ما يجري من إبداعات وما لم تهتم المنابر الثقافية بالمبدع، فمَنْ سيهتم بهذا المبدع الذي يفني حياته لقلمه ولا حياة لمن ينادي؟!

من جهتي أرى أنَّ هناك ضعفاً واضحاً في موضوعيّة وجوهر التواصل الثقافي على الساحة والدليل على مصداقية هذا الانطباع هو أنه في طول العالم العربي وعرضه وارتفاعه وانخفاضه! لا يستطيع أي شاعر أن يطبع أكثر من ألف إلى ألفين نسخة من دواوينه حتى ولو كان من أشهر شعراء العرب ودور النشر هي أشبه ما تكون دور نشر الرقاب، تنشر رقاب الكتّاب بالمنشار، أكثر من نشر الكتاب! لهذا يتوجّب أن يضع المهتمّون بالإبداع والدراسات الأدبية السيكولوجية كلّ هذه الأمور بعين الاعتبار لرفع سوية الإبداع والمبدع معاً وإلا سيلجأ المبدع إلى دنيا الغرب، إلى دنيا غير دنياه، كما نرى الآن، حيث أنَّ أغلب مبدعينا المخضرمين في دنيا الغرب وعلى أرض غريبة، بعيدة عن مسقط الرأس، وبعيدة عن التاريخ واللغة والبيئة والخبز والملح والماء! كي يكتب نصّه بعيداً عن مقصّات الرقيب ومقصّات النشر ومقصّات آخر زمن!

❖ الأستاذ صلاح عجينة:

أعتقد بأن كل جزئية متاح الانطلاق منها لدراسة الأثر الإبداعي، فشخصية الموناليزا، وهي تبتسم في عذريةٍ وسمو للفنان ليوناردو دافنشي يمكن قراءتها انطلاقا من أن دافنشي ولد بطريقة غير شرعية، وهو بالتالي محروم الأب، بذا ظل يؤكد عذرية وسمو الأنثى بوصفها الأم العظيمة، طاردا معنى الجنس منها، ويمكن أن نبحث العلاقة التي جعلت من الروائي إبراهيم الكوني يعظّم في شخصية التارقي، خالعا عليه معاني الشهامة والكرم إلخ.. مميزا إياه عن أبناء الواحة، الذين ينعتهم باختلال ممارساتهم الإنسانية، وهو بهذا يذهب ليؤكد عظمة عرقه، الذي ظلّ في نطاق الأقلية التي اتخذت من الصحراء نقطة الفرار الأبدي، وهذا ما يذهب إليه النفسانيون، الذين يقولون بأن اتصال المبدع يظل مفتوحا بينه وبين تكوينه الطفولي، وما صاحب فترات نموه من أحداث وظروف..في هذا الصدد يشير

يونغ مثلا: [تحت اللاشعور الفردي – الفضالة المتخلفة – من ماضينا، وبخاصة صبانا وطفولتنا يكمن -اللاشعور الجمعي- ، الذاكرة المغلقة لماضينا العرقي، وحتى ماضينا ما قبل الإنساني..].

❖ الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عدس:

الطرق المرجحة لدراسة الأدب هو الغوص في كتابات الأديب المعني والوقوف على الأمور التي تجذب اهتماماتهم وتوجه كتاباته. فإذا كانت هنالك تكرا لهذه الكتابات من حيث الأفكار أو القضايا أو الأحاسيس وما غيرها، فيمكن من خلال ذلك الوقوف على طبيعة النفس البشرية التي يحملها ذلك الأديب أو الكاتب. ولايخفى أن المزيد من المعرفة عن الكاتب نفسه من حيث نشأته وظروف معيشته يساعد كثيرا في فهم ما يصدر عنه من كتابات واعمال أدبية.

وأشارت الندوة طبيعة العلاقة بين علم النفس والأدب في ظل الرؤية والشواهد التاريخية، ووجهات نظر أساتذتنا الكرام بشأن الأرتقاء بعلم سيكولوجيا الأدب في عصر الرقمية والانفتاح المعرفي من خلال طرح التساؤل الأتي:

يشير المتخصصون في مجال سيكولوجيا الأدب إلى أن العلاقة بين علم النفس والأدب تاريخية، ومن ذلك دراسات عبد القاهر الجرجاني في أسرار البلاغة ودلائل الأعجاز وابن قتيبه في الشعر والشعراء وهناك إشارات كثيرة لدى ابن سينا في الإدراك والصور الذهنية و الخيال والإبداع وفي مرحلة تاريخية لاحقة نجد دراسات طه حسين عن أبى العلاء المعري وحافظ شوقي والمتنبي وابن الرومي وكذلك دراسات العقاد وإبداعات مصطفى الرافعي في سيكولوجية الأدب المتمحورة حول المرأة في أبعاد ذاتها المتضادة سيكولوجيا، هل تعد تلك الجذور التاريخية كما يذكره المتخصصون نوعا من التكلف في بيان نشأة هذا العلم أم أنها حقيقية واقعية تقتضي تناولها في البحث والدراسات، وما هي المقترحات التي تتبنوها للارتقاء بهذا العلم في ظل عصر الرقمية واعتبار الكون قرية واحدة؟؟

وكانت وجهات نظر أساتذتنا الكرام على النحو الآتي:

❖ الأستاذ صبري يوسف:

نعم، كـان للمتخصّصين في مجال سيكولوجيا الأدب الحقّ كلّ الحقّ في تبنّي تاريخيّة العلاقـة بـين علـم الـنفس والأدب، هذا صحيح تماماً، فالعلاقة بينهما تاريخية منذ زمنٍ بعيد جـداً، فالجـذور التاريخـية بين علم النفس والأدب ليست متكلّفة وليست مصطنعة هي ذات بعـد تاريخـي عميق، وطـيدة الصلة بالبعد التحليلي للدراسات السيكولوجية الأدبية التي تمّ تقـديمها في هـذا الإطـار، فتاريخـيّة أيّ علم من العلوم موجودة على امتدادِ التاريخ البشري، والعلـوم بـشكل عـام هـي مجموعة تراكمات علميّة عبر مجريات ومراحل التاريخ الإنساني، وكلّمـا كان علم ما يستند إلى جذور تاريخية سابقة عنه، كان أعمق في التحليل وأكثر رحباً في التطوير، لأنّ الظواهر العلميّة والنظريات وكلّ الدراسات هي نتاج تطوُّر بشري تاريخي، ولا يمكن للمرء على هذا الكوكب أن يتطوّر ما لم يحفظ ويؤرشف تاريخيّة العلوم وتراكماتها عبر مـراحلها المتعاقـبة، فـنحن نتاج تطوّر بشري منذ عصر الرعي والصيد إلى عصر غزو الفضاء والوصـول إلى أقـصى أقاصي السّماء! لهذا أرى من المفيد والمهم بمكان أن نولي أهمية كبرى للمتخصّـصين بالجـذور التاريخية في مجال سيكولوجيا الأدب لأنّ هذه العلاقة عميقة ومفيدة للغاية.

حـول هـذا الأمـر أرى مـن الـضروري أن نـتابع أحـدث النظـريات والدراسـات والـبحوث الـتي توصّـل إلـيها المتخصّصون في هذا المجال كي نستفيد من تجارب الآخرين في شـتّى بقـاعِ العـالم، لأنّـه مـن المفـيد جـداً أن نـواكبَ مـا توصّلت إليه الدراسات والتحاليل والـبحوث في هـذا المجـال لأنّ الكـون أصبح فعلاً بمثابة قرية صغيرة وما علينا إلا أن نرحّب بهـذه القـرية الكونـية ونستفيد من إيجابياتها ودراساتها وبحوثها التي تخدمنا وتمنحنا المزيد من الانفـتاح والتحـضّر والـتطوّر والارتقـاء وإلا بقينا في ذيل حضارة وعلى هامش مستجدات العصر!

❖ الأستاذ صلاح عجينة:

لا بد أن هؤلاء الذين أشرت إليهم قد تعرضوا ولو تلقائيا لأفكارٍ تغذي هذا المنهج وتدعمه، انطلاقا من أن العلوم الاجتماعية الإنسانية مجموعة مباحث تنطلق من دورقٍ واحد قابلة سوائله للتفاعل فيما بينها منتجة مركبات مختلفة، حسب – طبعا – إجراءات التفاعل، هذا الدورق يمثل النفس البشرية..لكنني هنا أحب أن أضع إشارة استفهام صغيرة، وهي لماذا دائما نحن نؤصل في حين الآخر يقنن وينطلق؟!!..خذ مثلا حينما انطلقت سوزان برنارد في رسالتها الجامعية واضعة رؤية نقدية مرجعية لقصيدة النثر، ومستندة على نصوص نثرية لشعراء من أمثال رامبو وغيرهم، خضنا نحن في البحث عن شرعية هذه القصيدة، وإبرام صلح معها أحيانا عن طريق إيجاد استشراف قديم لها من أدبنا العربي من سجع الكهان إلى نثر الصوفيين وإلى ما لا نهاية من النقاش التنظيري، الذي لا يصاحبه اشتغال نقدي تطبيقي مقنن، هذا أولا، وثانيا أن الأدب العربي لا يقدم تلك الفُسح الإبداعية الكبرى التي يمكن أن تقوم عليها أسئلة سيكولوجية الأدب المعقدة والمتشابكة، فعقدة أوديب لسوفكليس وهاملت لشكسبير والأخوة كارامازوف لديستوفسكي-حسب فرويد- تناقش جميعها قتل الأب بدافع المنافسة على المرأة – هذا الموضوع مثلا منجم بحثٍ لهذا العلم، في حين أن الأدب العربي يفتقر لتعرضات قاسية من هذا النوع من الممارسات الإنسانية من خلال الآثار الأدبية العربية التي لطالما تكون منشأها أصلا أخلاقي بالمعنى التعبوي، والتصويري بمعنى الذوق الجمعي الذي فضاؤه الطبيعي الإلهام الشعري، وأعتقد- ومنهجي هنا طبعا شعري- أن لحظة الشعر / العبقرية أو العملية الإبداعية المرتكز الأكثر انشغالا لأسئلة النقد العربي على حساب بقية المرتكزات الأخرى التي يعتمد عليها علم نفس الأدب، ومشكلة هذا المرتكز عصي وغامض عن الدرس والتحليل حتى عند فرويد الذي أشار صراحة في كتابه حياتي والتحليل النفسي بقوله [التحليل النفسي لا يملك أن يكشف عن طبيعة الموهبة الفنية ولا هو يستطيع أن يبين الوسيلة التي يستخدمها الفنان-أي الأسلوب الفني.]، ولما كانت عبقرية الأدب العربي تدور في أسئلة العبقرية الشعرية التي لا تتيح أكثر من النقطة العصية لسيكولوجية الأدب من أن يرتادها. لذا ظل الحيز الذي يشتغل فيه هذا العلم في واقع أدبنا

محدودا، ولا يضطلع بإماطة اللثام عن أسئلة كبيرة.

وبشأن المقترحات التي يمكن لها من أن ترتقي بهذا العلم في واقعنا الثقافي هي حسب وجهة نظري الصغيرة والطارئة على هذا الموضوع..أن يمتلك الأكاديميون في حقول علم النفس والاجتماع قدرة التدخل في واقعنا الثقافي نقديا عبر مناهج علمية منتجة في بيئات البحث الأكاديمي العالمي، قدرة كما تملك قوة معرفة اشتغال الآخر، وتجليات نتائجه تملك أيضا الطموح في إنتاج أسئلة تنهض بهذا العلم كرافد نقدي له أسئلته وخصوصيته في واقعنا الثقافي العربي، قدرة المواجهة والتكيف حينما يتعلق الاشتغال النقدي بالذات المبدعة العربية، فنحن نشتغل أدبا في الخيال ونقدا عموميا في المطلق، ونؤرخ سيرنا الذاتية في مثاليات سماوية منزلة، هذا الواقع في حد ذاته أحد أهم معوقات الدراسات المعاصرة لنصوص معاصرة. فكما أشرت الحياة العربية قائمة على العاطفة ومبشرة بمثالية الدين السماوي ومتكئة على نماذج الخير الزاخر بها تاريخها لا تملك فرصة تكسير هذه الرتابة، لا تملك امتدادا حيا لفن البوح في معناه البشري، بذا يظل المشتغل في سيكولوجية أدب عربي مؤطر في خطوط طول وعرض، ولا يمكنه تجاوزها مادام يملك طموح البقاء على الكرة الأرضية العربية، قلت أيضا لا يمكنه تجاوزها لأن النصوص التي يشتغل عليها لا تمنحه صدق الحياة الواقعية بقدر ما تمنحه فنا مزوّرا مكانه الحقيقي مخيالات أصحاب العقائد السياسية والدينية والسلطوية عموما.

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عدس:

هي حقيقة واقعية يجب تناولها في البحث والدراسات، لأن الأدب لايصنع في بيئة جوفاء بحيث لاتكون له هوية معينة، وانما البيئة المحيطة بالكاتب ونوع الحياة التي يحياها من حيث ظروفها واملاءاتها لها تأثيرها على نوعية ما يصدر عنه من كتابات.

وتناولت الندوة طبيعة العلاقة بين علم سيكولوجيا الأدب ونظريات التحليل النفسي، وهل يمكن لعلم سيكولوجيا الأدب أن يتجاوز تلك النظريات إلى أبعاد سيكولوجية أخرى، وطرح في هذا الصدد التساؤل الآتي:

إن المتتبع لدراسات علم النفس في مجال سيكولوجيا الأدب سواء في مجال الإبداع الشعري أو في مجال الرواية والمسرحية والقصة القصيرة والدراما التلفزيونية ودراسات الأطباء النفسيين وغيرهم، يبرز لدية أن التحليل النفسي لعب دورا هاما في تلك الدراسات، إذ تبرز بصماته الواضحة واعتباره دينامية تلك الدراسات في اللغة والتوجيه، ما هو تعليقكم الأكاديمي على ارتباط الدراسات النفسية في مجال الأدب في ضوء نظريات التحليل النفسي دون غيرها، وما هي رؤاكم التقيمية والأثرائية في مجال تناول أبعاد أخرى سيكولوجية في القراءات النقدية للنصوص الأدبية؟؟

وكانت اجابات اساتذتنا الكرام هي على النحو الآتي:-

❖ **الأستاذ صبري يوسف:.**

نعم هناك ارتباط عميق للدراسات النفسيّة في مجال الأدب المستندة لنظريات التحليل النفسي، لأن هذه النظريات تسلّط الضوء على الأسباب التي تشكل وتكوّن نصوص المبدع وتدرس الظواهر وحيثيات مراحل ولادات النصوص بطريقة سيكولوجية دقيقة بحيث يصل المحلّل النفسي إلى أعماق خوالج المبدع عبر مراحل تبلور النصّ وتبرز لنا الدراسات التحليلية كيفية إنبعاث النصّ إلى النُّور، فالدراسات النفسية المتخصِّصة في مجالات الأدب، لها دور كبير وفعّال في تعميق الدلالات والأهداف التي كان يتوخّاها المبدع، وكلّما يتمكّن الناقد والمحلّل لنصٍّ ما أن يتوغّل في حميميات عوالم المبدع وتفاصيل شخصيته الباطنية، كان أكثر ناجحاً ومتوغّلاً بدقّة أكثر إلى دوافع النصّ الكامنة من وراء كتابته للنصّ، والكاتب عندما يكتب نصّاً ما لا يعي بدقة وبوضوح الأسباب التي دفعته لكتابة هذه الفكرة أو تلكَ فهي تنبعث أحياناً من اللاشعور المبدع، وهي نتاج تراكمات نفسية طويلة وفسيحة، فنادراً ما يجد الكاتب بشكل واضح الأسباب التي دفعته لكتابة التجلّيات المنبعثة من وهج المخيلة، لأنه في لحظة الكتابة لا يهمّه سوى كتابة هذا الغليان الشعري أو القصصي أو المسرحي الذي ربما كان مرافقا له سنيناً طوال وجاءت اللحظة عبر شرارة ما فجّرت به هذا الكمون الضمني كي يخرج ما في أعماقه من طاقات كامنة، لأن العمليّة الإبداعية لا تخضع

لقوانين وحسابات رقميّة ولا يمكن تكهّنها وتوقّعها من قبل الكاتب ولا من قبل المتلقّي ويحتاج الناقد والمحلّل إلى المزيد من الدراسات السيكولوجية والتحليلات الدقيقة والعودة إلى عوالم المبدع وخاصّة طفولته والوقوف عند كل مرحلة من مراحل العمر كي يستنبط أسباب تنامي وظهور تلكَ الفكرة وعدم ظهور غيرها، آنذاك يجد المبدع نفسه أمام معادلات إبداعية كان هو نفسه بعيداً عنها من حيث الاستيعاب، لأنّها ولدت معه عفو الخاطر أو بطريقة لاشعورية، إنبعثت من بواطنه اللاشعورية، لهذا عندما يربط المحلّل النفسي هذه العلائق اللاشعورية بعوالم الشرارات التي كانت سبباً في تفجير ولادات النصوص يرى المبدع أن هذه الكوامن كانت مخزّنة في أعماقه الحميمة وإنبعثت عبر شرارة كي توقظ المتراكمات التي كانت تقبع في أعماقه الدفينة! ومن هذا المنظور أرى أنّ المحلّل والناقد الّذي يدرس سيكولوجية الأدب ويقرأ النصّ قراءة نقديّة دقيقة، عليه قبل كلّ شيء أن يلمّ بالأبعاد العميقة لعوالم المبدع، أحلامه وطموحاته التي لم يحقّقها فاغلب نصوص المبدعين هي نتاج ثمرة إحباطات وفشل في تحقيق الأهداف فتبقى في اللاشعور تغلي وتغلي إلى أن تحين الفرصة لظهورها، فتأتي على شاكلة قصّة أو رواية أو قصيدة أو مسرحية فنجد الفشل الذي تمّ في حياة الكاتب يتحوّل إلى نجاح عبر النصّ فما لم يستطعْ أن يحقّقه في الواقع نراه محقّقاً عبر النصّ ويحقّق عبر نصّه نوعاً من التوازن ما بين إخفاقه في زمنٍ ما ونجاحه في زمنٍ آخر! هذه العملية التوازنية مهمّة جداً لأنها تخلق متعة وإنتشاء وتوازن وراحة كبيرة للمبدع، وهو لا يعي ولا يلمس أسباب الإمتاع والتوازن، كل ما يلمسه أنّ النصّ يحقّق له نشوة جامحة ولذّة غير مسبوقة لأن حالة الولادة تمحق وتزيل المترسّبات الكامنة في لاشعوره وبالتالي تحقّق له متعة غريبة ولذيذة لما تقدّم له من توهُّجات فرحية خالصة لأنها تأتي في لحظات عفوية، كان يحتاج أن يحقّقَها منذ زمن، وأنا أرى أنّه لولا وجود هذه التراكمات والإخفاقات والفشل والحزن والأسى والظروف القمعية والأهداف والطموحات المتنحّية لما وُلِدَ في لاشعور المبدع هذا التوق إلى ولادة هذه الحالة وهذا النصّ وهذا الوهج المتأجّج في باطنه دون أن يرى أجيجه فسرعان ما يتفجّر من خلال موقف ما أو شرارة ما فتوقظ كوامنه وتراكماته الجاثمة فوق روحه وكيانه فيكتب ويكتبُ، ومن خلال الكتابة نجده يزيح هذه المرارات والإخفاقات كي يفرش نجاحاً

والقاً فنجده يشعر بنشوة غريبة ولذيذة ومتعة لا يعلادلها أية متعة أخرى، لأنه يخلق حالة إنسانية راقية عبر تجلّياته، ومن هذا المنظور أرى أنَّ متعة الإبداع هي من ألذّ متع الحياة، والمسألة عميقة وجامحة ولا تخضع لأية قوانين في لحظات الكتابة، لأن الإبداع لا يخضع لأي قانون رقمي بقدر ما يخضع إلى قانون الذات الهائجة التي تبحث عن خصوبات شهقة الحرف المندلقة من خاصرة الحنين إلى لواعج لم تتحقق يوماً ما، ولهذا نجد أن المبدع الذي يبحث من خلال لاشعوره المبدع إلى حالة إبداعية مسترخية في العقل الباطن، ولا يستطيع أن ينبش هذه البواطن الغافية في لاشعوره غالباً ما يصل إلى حالة احباطيّة غير متوازنة مع ذاته المتشظّية، فالإخفاقات تظل تغلي بين الحين والآخر وهو لا يجد الشرارة التي يطلقها من أعماقه فتبقى حبيسة في بواطنه إلى أن يصل إلى مرحلة الإخفاق وأحياناً يصل إلى حافات الجنون عندما لا يفجّر ما في كينونته من غليانات حبيسة على مرِّ السنين، وهذا ما سنأتي على بعض تفاصيله في البند الأخير من محاورِ هذه الندوة!

الأستاذ صلاح عجينة:

التحليل النفسي الذي نهض به فرويد وتلامذته، الذين ما انفكّ بعضهم حتى عارضه في العديد من الأفكار النظرية التي بشّر بها لعب دورا اثرائيا نحو دراسة وتشخيص النزوات البشرية، والأدب بوصفه مرآة للحياة الاجتماعية منجم شكّل للتحليل النفسي الوثيقة النفسية التي تختزل النزاعات البشرية المتباينة. نظرية التحليل النفسي –حسب فرويد- تقول بالشعورات اللاواعية وبنظرية المقاومة والكبت وبمحورية الحياة الجنسية وبعقدة أوديب في الحياة الإنسانية، هذه النقاط تشكل المدخل لمعرفة الطاقة النفسية المرتبطة بالنزوات الجنسية، والتي عرّفها فرويد بالليبيدو، وأن تعبيرا إبداعيا لا واعيا، لابد أن ينطلق من هذه المرتكزات، وأن نقدا من ثم يشتغل من هذه المنطلقات كفيلا للتعرض الحقيقي لأي اشتغال إبداعي تؤسس له نفسية ما. وفرويد لا يتردد في أن مرتكزات نظريته أساس الغوص في كنه الإبداع والخلق والحياة، إذ يقول مثلا في هذا الصدد[بمقدوري القول بأننا بحاجة إلى معرفة عقدة أوديب لمعرفة بداية الدين والأخلاق والمجتمع والدين]، ومن إشتغالات فرويد

الإجرائية على النصوص مثلا استنهاضه لشخصية ديستوفسكي، إذ يرى أنه لم يكن يعاني من حالة صرع عضوي كما هو شائع عنه، بل يعاني من حالة صرع وجداني، والذي لا ينجم عن خلل عضوي في المخ، بل من اضطرابات في حياته العقلية، وميكانزم الصرع الوجداني -حسب فرويد- نوبة هستيرية بمثابة عقاب للذات على رغبة القتل ضد أبٍ مكروه، والتي لم يسلم منها ديستوفسكي والذي لم يتحرر أبدا من شعوره بالذنب الذي كان نتاجا لنيته في قتل أبيه وهو طفلٌ..هذا الاعتمال النفسي الذي كشفته روايته الأخوة كارامازوف.

هكذا يكشف التحليل النفسي عن الحوار الداخلي المعتمل في نفس المبدع، وما تنطوي عليه من أعماق لا شعوره من رغبات مكبرتة، ونزوات ونزاعات وأفكار، وبالنسبة لي أعتقد أن المباحث التي يقدمها التحليل النفسي على النص الأدبي الإبداعي بها الإثراء الضروري للحياة الإبداعية، ولها الكشف الضروري أيضا لكل مشتغل إبداعي بما تتيحه من مطالعات على مكامن باطنية للمبدع، وهذا الرأي الذي أسجله هنا ليس من طموحه أن يكون رأيا أكاديميا بقدر ما هو تهميش صغير لمرتاد النص الإبداعي كتابةً، والرأي الأقدم حتما يكون من الخارج/ الاشتغال النقدي والتحليل، إلى الداخل/ الإبداعي.

الأستاذ الدكتور عبد الرحمن عدس:

علم النفس هو علم له أساليبه المختلفة وهو يرى أن كل ما يصدر عن الفرد هو انعكاس لما يشعر به ويدور في نفسه ولذلك يحاول أن يربط بين محتوى الأعمال الأدبية والجوانب النفسية الخاصة بها من خلال المفاهيم المختلفة لنظريات التحليل النفسي، لأن مثل هذه المفاهيم هي عبارة عن منارات على طريق الدراسات الأدبية من مفهوم نفسي. ولما كانت نظريات التحليل النفسي لحد الآن غير مكتملة، فإنه لايوجد ما يمنع من استخدام وسائل نفسية أخرى في دراسة النواتج الأدبية وأثارت الندوة جدلية العبقرية، الجنون في الإبداعية الأدبية واستطلاع رأي ضيوفنا الكرام حولها من خلال طرح التساؤل الآتي:

تناولت الدراسات النفسية الأدبية ثنائية العبقرية والجنون في الإبداعية الأدبية ودراسات لها حولها تساؤلات، حول أثر الانحراف النفسي والأخلاقي في تشكيل المبدع وعبقريته الأدبية كما هو في ظاهرة الشاعر المصري عبد الحميد الكاتب، وأثر الإبداع وتجلياته في إيصال الأديب إلى الجنون والعزلة النفسية كما هي في ظاهرة إبداع الأدبية مي زيادة، وما آلت إليه من مأساوية لمبدعة نادرة من نوعها، والسؤال المطروح هنا أين تقف رؤاكم التحليلية النقدية في ظل ثنائية العبقرية والجنون في الإبداعية الأدبية؟

وكانت إجابات لخبتنا المثقفة على النحو الآتي:

❖ الأستاذ صبري يوسف:.

للإجابة عن هذا السؤال لابدّ من الوقوف جليّاً عند خصوصية المبدع وماهية الإبداع، فالمبدع بحدّ ذاته إنسان شديد الحساسية ومرهف جدّاً جدّاً، ولو لم يكُن متميّزاً بهذه الخصوصية لما أصبح مبدعاً أصلاً، وليس سرّاً أن نقول أن كلّ مبدع فيه شطحات خارقة في لحظات إبداعية أشبه ما تكون على حافات الجنون، وقيل أن ما بين العبقرية والجنون شعرة! لكن هذا المثل ليس دقيقاً لكنه يصب في رحاب ثنائة العبقرية، الجنون في الحالة الإبداعية الأدبية، وهنا لا بدّ أن نشير إلى أنّ للإنحراف النفسي والأخلاقي دوراً في تشكيل المبدع وعبقريته الأدبية ليس دقيقاً في كلّ الأحوال، فما حصل مع الشاعر المصري عبد الحميد الكاتب، ما هو إلا حالة فرديّة لا يمكن تعميمها كحالة نموذجية يماثلها شخصيات أخرى لو تمرُّ بنفس الحالة، لأنّ الإبداع بحدِّ ذاته حالة خارقة غير طبيعيّة، والعبقرية نتاج تراكمات ثقافية وطاقات فكرية كبيرة ومزاجية أحياناً أخرى، فما حصل مع الشاعر عبد الحميد الكاتب لا يمكن أن ينسحب على غيره فيما إذا طبّقوا طريقته وأسلوب نهجه في الإبداع فالمبدع ممكن أن يبدع في ظروف عبدالحميد الكاتب أو في ظروف وحالات مناقضة لحالاته ولكل مبدع خصوصيته وظروفه وحيثيات إبداعه، ولو درسنا ظروف العباقرة المبدعين لوجدناها تختلف من حالة إلى أخرى لكن تصب الحالة الإبداعيّة في واحة رحبة أن الشخصية المبدعة، شخصية فريدة من نوعها، تحبّ العزلة والتأمّل ومتمرّدة على

الإعوجاجات التي تصادفها في مراحل عمرها وهي أي الشخصية المبدعة مرهفة جداً ومعرّضة في أية مرحلة من مراحل العمر إلى إنتكاسات نفسية سواء كانت الشخصية في أرقى تجليات الإبداع في فترة ما ثم تتحوّل إلى شخصية إنعزالية مأساوية تصب في واحات الجنون، أو كانت شخصية طبيعية خالصة ثمّ تتحوّل إلى شخصية منتكسة وبالتالي تتعرّض إلى حالات من العزلة والجنون، ففي كلتا الحالتين، حالة عبدالحميد الكاتب، ومي زيادة، لا يمكن تعميم حالتيهما فهما حالتان فرديتان لا يمكن تعميمهما إطلاقاً، لكن من الضروري أن نشير إلى أنّ المبدع معرّض ربّما أكثر من غيره إلى مرافئ الجنون، لأنّه شديد الحساسية ومفرط في تأثّره بالحياة التي يعيشها فهو يصطدم صدمات أقوى وأبلغ مما يصطدمه الإنسان العادي لهذا فهو يحتاج إلى حالات إبداعية كي يفرّغ هذه الصدمات وإلا ستبقى هذه الصدمات التي يتلقّاها في أعماقه إلى أن تخلخل بواطنه الشفيفة، لهذا أرى أن أفضل دواء للمبدعين للتخلّص من هاوية الجنون هو هذا التفريغ الإبداعي عبر نصوصهم الفسيحة التي كانت تتلاطم في أعماقهم فخرجت من أعماق اللاشعور كي تحقّق لهم التوازن الروحي والنفسي، وكلّما ظل الكاتب حبيساً لأفكاره ومكبوتاً لما يعتريه، كان معرّضاً لهزات نفسية إلى أن يصل إلى دهاليز ومنعرجات الجنون، وليس من الضروري أن يتعرّض كل مبدع لا يفرّغ ما في بواطنه اللاشعورية العميقة عبر نصٍّ ما إلى حالات نفسية وإنتكاسية، لا طبعاً، لأنّ هذا الأمر يتعلّق بمدى الطاقات النفسية والصحّة النفسية التي يتمتّع بها المبدع نفسه فهناك من لديه طاقة صحّية نفسية عالية وراقية والمكبوتات وضغوطات الحياة وتراكمات الآهات والخ من منغصات الحياة لا تؤثّر عليه كل هذا التأثير السلبي لأنه يعالجها عبر طرق أخرى سواء ظهرت كحالات إبداعية أو عبر صياغة فكرية ما فإن المبدع يعرف كيف يتفادى هكذا جراح قابعة في بواطنه الخفيّة، لهذا فالقضية هنا نسبية وما ينسحب عن المبدع وثنائية العبقرية والجنون ممكن أن ينسحب على الكثير من بني البشر، حتّى ولو لم يكُنْ مبدعاً! لأن الإنسان كانسان به طاقات إبداعية سواء أبدعها أو لم يبدعها وكل كائن حي لديه طاقات إبداعية، فبعض المبدعين تظهر إبداعاتهم وبعضهم الآخر تضمر ولا تظهر، وفي كل الأحوال تظلّ مسألة ثنائية العبقرية والجنون مسألة نسبية، لكن اعود مؤكّداً على أنّ المبدع أكثر تعرّضاً من

غـيره في هـذه الثنائية لأنّه إنسان شديد الحساسية ومفرط في تواصله مع الحياة، لهذا أدعو إلى ضـرورة أن يفرّغ المبدع طاقاته الكامنة بحرّية مفتوحة كي يرتاح من هذا الحمل الطويل الذي يحملـه عبر محطات الحياة، ويشعر المبدع بنشوة عميقة عندما تولد نصوصه متجلّية في حالات وهّاجـة ويشعر بمتعة عميقة لأنه يحقّق توازناً نفسياً راقياً مع مكبوتاته الدفينة التي خرجت إلى الـنُور بطـريقة متوهّجة وكما يتمنّاها هو لا كما كانت مكبوتة في أعماقه اللاشعورية وعندما تظهـر إلى الـنوّر، يـشعر وكـأنَّ سمـوماً سمـيكة انجـرفت وانقـشعتْ من بين واحات الروح والقلب وتطهّرَ من تلكَ السموم من خلال ولادات النصوص، وعندما تظلّ تلكَ التراكمات المكـبوتة طـويلا فـربما مـع مـرورِ الأيام تفجّر فيه حالات إنعزالية مريرة ومريضة وتقوده إلى حـالات الجنون وربما تظل جاهزة لإندلاع حالة إبداعية في مرحلة من مراحل العمر، وهكذا نرى أنَّ الأمر يتوقّف على طبيعة الشخصية الإبداعية ومدى قدرة هذه الشخصية على تجاوز هـذه الحالـة أو تلـك، وأحـياناً ممكـن أن يصاب المبدع في أية مرحلة من مراحل العمر، بحالة مرضـية في الـدماغ مـثله مـثل أي كـائن حي ويصاب بأمراض الإنفصام أو الاكتئاب أو أي مرض عقلي وربّما يكون ناجماً عن خللٍ ما في الطاقة الذهنية أو في الدماغ او لأسباب عديدة أخـرى مـثله مثل أي مريض ممكن أن يتعرّض لمثل هذه الأمراض، فنحن البشر بالنتيجة بشر نتعرّض للكثير مما لا نتوقعه، لكن يبقى السؤال مفتوحاً، كيف قدّم العبقري الفلاني كل هذه العبقريات ثم تعرّض للجنون، وكيف المنعزل الفلاني المنحرف قدّم كل هذه العبقرية وهو في حالة إنعزال وإنحراف؟!

هـنا أودّ أن أسلّط الضّوء على أنَّ الانعزالي والمفرط حتّى في انعزاله لا يعني انّه غير سـوي، وغـير طبيعـي أو هو منحرف، فهو غير قادر على الكيّف مع المحيط الذي حوله لأنه يجـد نفـسه غـريباً عـن محيطه ولديـه الكـثير ممـا يـريد أن يقوله فلا يجد أفضل من الانعزال والتواصـل مـع أفكـاره وتجلّـياته ورؤاه وينـسج أفكاره بعيداً عن ضجيج المحيط الذي يغلفه فارشـاً آفاقه الرحبة فوق جدار الزمن، وعندما نقرأ ما أبدعه نندهش ونتساءل قائلين ما هذه العبقـرية الـتي تفـتّقت من كل تلكَ الشخصية الانعزالية والمنحرفة؟ هنا لو نراجع أنفسنا نجد أنّنا ما كنّا قادرين على تفهّم خصوصيّة هذه الشخصية وما كان يعتري في صدرها الفسيح،

وإلا كيف تفتّقت عبقريته ما لم تكن في أعلى تجلياته وهو بعيد عن ضجيج هذا العالم!

ختاماً بقي أن أشير أن من أهم شروط الإبداع توفّر بيئة وهدوء وانعزال وتجلّي كي يتوحّدَ وينصهر المبدع مع عوالمه وكي يتمكن من ترجمة مشاعره في أية لحظة وإلا فإن البيئة الضجيجية ستكون عائقا في طريق المبدع والإبداع! علماً أنّه من الممكن أن تولد أفكار المبدع وهو يتمشّى في أزقّةِ الحيّ أو في محطة القطار أو في الطائرة أو في موقف من مواقف الحياة، لكن عندما يسترخي كي يدخل في تفاصيل بهجة الإبداع لا بدّ له من جوّ منعزل بعيد عن ضجيج هذا العالم متوحّداً بهدوءٍ عميق مع عوالمه الشفيفة كي يحلّق عالياً ويهطل رذاذات إبداعه مثل المطر، متعانقاً بتجلياته مع نجيماتِ الصباح بعيداً عن منغصّات ورجرجات الحياة!

❖ الأستاذ صلاح عجينة:

تقف رؤيتي بخصوص ثنائية العبقرية والجنون في الإبداعية الأدبية عند الحدود التالية:

- إن الجنون حالة تفارق الحياة الاعتيادية الطبيعية تعتري الفنان المبدع لتعود به إلى واقعة كنوبة كما هي العبقرية التي لا تخلو من تجليات خارج السلوك النمطي للإنسان العادي المجرد.
- حالة الغموض المسترسلة التي تكتنف المبدع العبقري أو المبدع المجنون هي حالة الإبداع الحقيقي والتي من تجلياتها انبعاث الأدب السريالي.
- في التعريف القديم للعبقرية هي حالة سكون للآلهة أو قوة الروح الإلهية في الإنسان لتحفظه من الشرور التي تحاصره، وهذا الإنسان الذي تحل فيه هذه القوة يكون متميزا بالضرورة عن غيره وله التأثير المعنوي على محيطه. وفي التعريف القديم للجنون هو حالة حلول أو اقتحام للروح الشريرة أو الشياطين لإفساد السلوك الطبيعي للفرد الذي يوجب علاجه بكل الوسائل وعلى رأسها الضرب، في ظل

هاذين التعريفين يتجلى استقامة الاتصال الغيبي بالإنسان العبقري أو المجنون، وهو الاتصال الذي يصنع أدبياته عند الفنان المبدع بخلاف التنظير له. فشعر ابن عربي أو الحلاج نتاج اتصال رباني وجوهري إثر حالة حلول لها مقاماتها وأحوالها وكشوفها من بريد الذوق الإلهي إلى صاحبها، وبالتالي يعاني هذا المتصوف حالة من المكابدات والمشاق لمعانقة ذوق إلهي يتجلى في إبداعات فيوضية غير نمطية، ولتحليلها نقديا نحتاج إلى مناهج استسرارية عرفانية لدراستها، بالمقابل نجد حالة مثل جان جنيه الذي -حسب رأيه- يستضيف قوة الشر المكبوتة لديه منطلقا بها ومنها منتجا تجليات نصه الإبداعي. إذن يمكن القول بأن العبقرية والجنون على حد السواء هما القوة الكامنة المحفزة لانطلاق شرر الإبداعي من كوامن الفنان المبدع، وإبداعاته هي بمثابة تجليات للنفس المحتضنة لقوى الخير أو الشر.

ومنذ القدم ربطت العرب الإبداع بما هو غيبي ولطالما نعتت الشعراء بأن لهم جنون يأخذون عنهم على غرار لولا هبيد ما كان عبيد إلخ..وبالرجوع أيضا إلى بدايات الشعر العربي نجد التأريخ لأبياته الأولى على يد الجن!! اعتقد أن الانكفاء أو اللجوء إلى المناهج الغيبية عند تناول العملية الإبداعية أصله يكمن في كون العملية الإبداعية ظلت عملية غيبية غير منفتحة على ذهن المفسرين لها من نقاد ونفسانيين.والجنون عموما في الحقل الإبداعي صار وكأنه رديفٌ للإلهام وتحوّل من مفهوم سلبي للحياة إلى مفهوم رأي، فيه بعض المبدعين محجّة لهم، حتى أن بعضهم هاجم وانتقد الطب النفسي الذي له وجهة نظر علاجية وتصنيفية للجنون.

إن النقطة الغيبية الدقيقة التي تفصل العبقرية بوصفها الإبداعي، والجنون بوصفه ردة فعل للحياة المضطربة/ بخروقاته الخارجة عن المألوف، وبهستيرية هي ذات النقطة التي ظلت تفصل بين الثنائيات الكبرى في حياة الإنسان كالتصوف والوثنية..إلخ.

❖ **الأستاذ عبد الرحمن عدس:**

أنـا لـست مع مبدأ ثنائية العبقرية، الجنون، حيث أن الإبداع في الإنتاج الأدبي ليس مـن الـضروري أن يكـون ناتجاً عن انحراف نفسي أو أخلاقي، وبالطبع فالكاتب المبدع أمامه مجال واسع لأن يتخيل ويبني أفكاره ومن ثم أن يحاول تصويرها بطريقته التي يراها.

وفي نهايـة مطـاف أمـسيتنا الثقافية الماتعة السابرة، نتقدم لأساتذتنا الكرام بكل تحايا الـشكر الماسي علـى مـا حظينا به من زاد المعرفة الثرية وجميل الحديث المشوق واناقة الثقافة العالـية ونـرجو أن نكـون قـد حققـنا مـا نصبو به إليه من أهداف راقية في ظل هذه الأمسية الثقافـية وان نكـون قـد شيدنا جـسرا بناءا في لغة التواصل الثقافي بين مثقفينا العرب في العالم العربـي وبـلاد المهجـر مـن خـلال مظلـة صـحيفة المرصد الإعلامي الحر، وإلى لقاء مستجد متواصـل مـع قـراءنا في أمـسيات ثقافية قادمة ورؤى نقدية تتناول مفاهيم مستجدة في عوالم الأدب، الثقافة، الحضارة، زفي عالمنا العربي الممتد وحركة الأنفتاح المعرفي في اللانهايات..

الفصل الثاني

سيكولوجيا الأدب والإبداعية الأدبية

"رؤى نقدية"

الفصل الثاني

سيكولوجيا الأدب والأبداعية الأدبية

"رؤى نقدية"

الإبداع الأدبي بين الماهية والواقع

تكاثفت التعريفات لدى نخبة المتخصصين في العلوم المتنوعة في تحديد ماهية الإبداع، وما زالت رحى التضادات دائرة في هذا الصدد، ولذلك تفاوتت التعاريف في تحديد كنه الإبداع وماهيته، إذ أن هذا الوليد مازالت أيدي متنوعة تسعى جاهدة لاحتضانه وتناوله عنصرا رئسا في بعدها المعرفي سواء في علم الاجتماع أو علم نفس الشخصية أو علم النفس التربوي او علم الإدارة، وهناك وشيجة ارتباط لا تغفل بين ماهية ولادة الإبداع والصنعة الأدبية في سحر الكلمة، وارتأى اعتماد هذه النخبة من التعاريف الإجرائية في دراستي هذه من بين منظومة تعاريف الإبداع لغايات دراسة الإبداع الأدبي بين الماهية والواقع الأدبي للكتابة

فيعرف "ولك" الإبداع بأنه "التميز في العمل والإنجاز بصورة تشكل إضافة إلى الحدود المعروفة في ميدان معين" Wallach ,١٩٨٥.

ويعرفه "جيلفورد" بأنه سمات استعدادية تضم الطلاقة في التفكير والمرونة والأصالة والحساسية للمشكلات وأعادة تعريف المشكلة وإيضاحها بالتفصيلات والإسهاب .Guilford,١٩٨٦

ويعرفه "ويرتيمر" بأنه إعادة دمج أو ترجمة المعارف والأفكار بشكل جديد

أما مدرسة التحليل النفسي "فتعتمد تعريفها الأتي:

إن الإبداع هو محصلة لتفاعل ثلاثة متغيرات للشخصية هي الأنا والأنا الأعلى والهو، وإن تحقق الإبداع مرهون بكبت الأنا حتى تبرز على السطح محتويات اللاشعور أو ما قبل الشعور

وتنحى الدراسات الأدبية في تحليقها في مجال الإبداع من خلال دراسة معطيات الرسالة الأدبية في منظومة إشكالها التعبيرية اللفظية المتنوعة في لغة النثر والشعر على سبيل التحديد وغيرها من أشكال الكتابة على وجه العموم، وتلتزم في دراستها على التأكيد على بعد ولادة الإبداع وماهية تكون جيناته في مخيلة الأديب.

وانطلاقاً مما سبق فانه لا بد لنا من تحديد مقومات العملية الإبداعية في العمل الأدبي، وهي تتشكل في أول سماتها في الحساسية الشديدة في إدراك الأديب ومشاعره المرهفة التي تثمر تفاعلاً حاراً قزحي الأمواج في ذاته الحساسة لرسم الأبداع فتثمر منتجه الإبداعي وتتنوع أبعاد استقاء تلك الحساسية من البيئة المحيطة وخارطة مفرداتها اللامتناهية في التفاعل والتأثير في إحساس الأديب سواء في منظومة المواقف وبعد الإنسان ولوحة الوجود ودوائر السلب والإيجاب التي تتقاطع عند مشاعر الأديب المرهف، إذ يحرك ذلك مادة حياة تتدفق في عمل الأديب وتدور في فنيات الأدب والتعبير الساحر الخلاق في ملكات الموهبة الزاخرة بحيث تبث عوالم اللاشعور في اختزانها الفني المحتبس لمنظومة تفاعلات مؤثرة مستقاة من البعد الخارجي بحيث تتفاعل مع تراكم مختزن في ذاته لا يعرف أبعاد الزمان والمكان في أجواء تفاعل متوتر متحرك مشحون يتشكل منه جنين يثبت ماهيته شيئا فشيئا في رحم ولادة الأبداع، إذ أن المبدعا في دينامية اختزان تمتص المؤثرات وتتفاعل معها وتخزنها في منظومتها الوجدانية التي تعكس عليها جينات أيدلوجية تلك الذات المبدعة في ماهية فكرها ونظرتها للحياة. وكنه الوجود في المادة والأنام وتقاطعات المجتمع والقيم في الحياة.وسلة أسرار ماهية الجمال في الأشياء.

بحيث ينشا لدينا في لوحة الأبداع تركيبات جديدة مستحدثة من المقومات المختزنة بنقش مستجد مبدع بغير أن ينفذ المخزون وكلما حصل الفنان على مقومات خبرية جديدة اتسعت رقعة التوافيق والتبادلات التفاعلية الممكنة في سلة رسمها الخلاق وإضافاته الإبداعية في المتنج الأدبي.

ومن المقومات الهامة في إبداعية الفنان بعد النقد الذاتي وما ينشأ عنه من تعديلات مستمرة بحيث يلغي النمنمات التي لا تعجبه في أعماله السابقة ويعدل في عملية ارتقاء

إبداعي متسامية ولعل هذا النقد الذاتي هو المولد لآليات النمو المتصاعد لدية، وبالمناسبة فإن آليات النمو الإبداعية في الأديب هي نسيج ملتحم تتأتى من الإضافات التي يمتصها من الخارج ومن عملية التخزين المتفاعلة والنقد الذاتي واعتمالها بإيجابية في ذاته المبدعة، فهذه المولدات تشكل عملية الخلق والجدة في لوحته بحيث تنعكس عليها ثالوث مؤثر في أيدلوجية العمل وشحناته الانفعالية وهي تتحدد بثقافة الأديب وماهية المجتمع ومرآته العاكسة ونبع وجدانه الفياض.

وتشكل النظرية الأسترسالية بعدا هاما في إبداعية الفنان وهي تتكاثف في بعد التعبير الإبداعي الحر دون لجام أو ضبط أو مقاومة ولكن نبل الرسالة الأدبية تقتضي ان تنطبع تلك الحرية التعبيرية في ضوء أخلاقيات العمل الأدبي وإنسانيته النبيلة وهنا بعد فني لا بد من التنويه بأهميته في ضوء العملية الأسترسالية الإبداعية وهو أن حرية الاسترسال مرتبطة بقوالب فنية في التعبير تحدد شكل الكتابة الأدبية وهي اللبنات الجاهزة التي هي أركان ثابتة في العمل الأدبي بحسب جنس ذلك العمل الأدبي من لوحة شعرية أو نثرية أو بعد القص أو الرواية بحيث لا يكسرها المبدع تحت دعوى الإبداع وهي لا تحد من حرية الاسترسال بل هي أداة بناء في العمل الأدبي وتشكل نكهته المبدعة في كنه التكوين وتحديد جنسه بين أشكال الرسم الأدبي ومن هنا نفند دعوى الأبداع بالخروج المطلقة من قواعد الكتابة الأدبية وقوالبها الفنية الثابتة إذ أن تلك القوالب الفنية لا تجعل الأديب مقلدا للأخر كما يدعي البعض إذ يبرروا من خلال هذه المقولة دعوى نقض تلك القوالب وعدم الالتزام بها لغايات الأبداع الأدبي.

والإجابة العلمية عن تلك الدعوى الزائفة اوجزها بأن ماهية الأبداع تتشكل في جوهر حقيقتها ليس من خلال لعبة القوالب الفنية وشحن التعبير من خلالها أو الخروج المطلق عنها بل تتشكل ماهيته الحقيقة في الصنعة الأدبية الساحرة في تنويع مصادره الخبرية في استقاء تفاعلاته الحارة وانفعالاته الوجدانية المشحونة التي يشكلها بإبداع في تلك القوالب الفنية وفق مهاراته الفنية في التعبير واتكاءه الموهوب على عصا موسى في النقش على السطور وكلما تنوعت مصادره الخبرية في التخزين وتماوجت تفاعلاتها القزحية في ركام

انفعالاتـه المـشحونة تشكلت لدينا بلورات جمالية في التعبير مسبكة في قوالبها الفنية بإشراقة شمـس الأبـداع مـن عـين الـسطور، بحيث تسهم تلك المصادر الخبرية في تشكيل الإحساس والإدراك ورسم مخيلة خصبة في سمات صور ذهنية متحركة بزخم في وجدان الأديب تحاكي الواقـع بلغـة الأديـب المختـزنة في عوالم اللاشعور لديه، فيرسمها في ضوء عمليات اسقاطية فتـشكل نـسيجا مـن نكهـة أخرى للصورة المرئية في عين الحقيقة، إذ تتولد في ضوء إحساس الأديـب ومخيلـته الخـصبة ومـشاعره المـرهفة في منظومة التضادات بين عين الواقع وذبذبات اللاشـعور المـشخونة الـتي تتساقط على النص المنتج في ماهية الجدة والخلق في الصورة الفنية وكـنه التعبير ومؤثرات الجاذبية في تشكيل وحدة لامتناهية مع القارئ في بث شحنات منجزه الإبداعـي في خلجاتـه بحيث تتشكل صورة الأبداع في وجهها الأخر من لغة التاثير والوقوف برشاقة منسابة في قوام الوجود المتألق بثبات على الـسطور.

وبـناءً علـى مـا سبق فانه من اليسير بمكان تحديد ماهية الأبداع في النص الأدبي بناء عـل تـرتبات المقومات العملية لإبداعية الأديب في النص ولذا يمكننا تقويم الآراء التي تدعي الأبـداع وهـي متحـررة مـن قوالبه الفنية ومن مادة التعبير الخلاقة فيها الناشئة من الحساسية للواقـع في التأثر والتأثير في علاقة تبادلية تكاملية عضوية، وكذلك بإمكاننا تحرير الأبداع من مقـولات زائفـة في وحـي استفاضـة الشهرة إذ لا ترتبط إطلاقاً مع الإبداع فتكاتف المنظومة الإعلامـية لتلميع أديب لا تعني صناعة مبدع ولا ترتبط بأي تأثير منظومة تحديد الأبعاد وفق معـايير الجنس (ادب ذكوري، ادب انثوي) وترتبه في العمل الأدبي فتلك الفرضيات الـسابقة الذكـر تـتهاوى مـع بنية التقويم العلمي ومناقشتها في بعد الأبداع ومقوماته، إذ تخضع ولادة الأديـب لمقـومات خاصـة بعـيدة كـل الـبعد عمـا سبق ذكره لأنها حرة من بصمات تشكيل الأخـرين لها عنوة عبر التلميع والأعلام وكثافة النشر فهي لا تتولد بالقصر ولا ترتبط بماهية تحديـد بـشرية إنهـا ماهـية خلـق ابتكارية تجديديـة حـرة مادتها الذات وحوارها مع الواقع وانـدفاعها لمحـو تـيار الحياة في الأبـداع فكلما تدفق شحنات ذلك الشعور في الذات المبدعة تـشكلت معهـا مـنطومة متـزاحمة مـتدافعة من الإبداعات، ويجدر بالإشارة ان ما تم ذكره من أبعـاد دراسـتي العلمية الموضوعية هذه ينسحب على العمل الفني أيضاً بكافة أشكاله كما هو

في العمل الأدبي إذ كلاهما في مادة الخلق والماهية توأمان ولكن مادة الظهور الإبداعية هي المتفاوتة فقد تكون لوحة رسام مبدع أو قصيدة شعر جذابة أو رواية خلاقة أو قصة مؤثرة مبدعة.

ويرنو بي الأمل أن يتجدد معكم اللقاء في حلقات إبداعية قادمة تتحدث عن أبعاد أخرى متجددة لإبداعية الأديب وتكثيف الحديث عن جوانبها الخلاقة ومن ذلك مولدات الصنعة الإبداعية من التشجيع أو المعاندة التي تستنهض المقاومة في خلق الأبداع، وشخصية المبدع هل هي إيجابية مطلقة أم سلبية مطلقة أم كلاهما معا.

أودعكم على الحب والقاكم عليه في لقاء مستجد فياض بسميفونية العلم الموضوعي المغردة بجمال مع سحر الإمتاع في التعبير.

إعادة صياغة الوجود في الإبداعية الأدبية

دراسة سيكولوجية في نص "قلم رصاص" للشاعر يوسف الديك

تجتاح عوالم الإبداعية عامة موجات متنوعة في تحديد ماهية المبدع وسيكولوجيته، ولا يخفى اثر عوالم الإبداعية وتصاعداتها في العمل الفني واللغة الأدبية، لما تقتضية من طاقات إحساس مرهفة خلاقة مقارنة مع المساحات الإبداعية الأخرى المتنوعة في الحياة، وتشكل تلك الطاقة الإبداعية اكسجين الإبداع ووقود بلا نهايات لماهية انصهار تلك الطاقة وانشطارها في تناثرات إبداعية نورانية، ذات فيوضات خاصة، تشكل ما نسمية المنجز الإبداعي في اللوحة الفنية المتفردة أو الإبداعية الأدبية على السطور.

والمتتبع لتلك الماهية الإبداعية في لوحة فنية أو نص شعري أو سرد أو رواية وغير ذلك، يبرز له طاقة إبداعية محركة دافعة واحدة، وأنشودة حالمة تجتاحها جميعا في لغة تؤامية واحدة، تنبعث من لغة تصييغ الوجود، وتشكيله في رؤى حالمة من عين ماء ابداعية واحدة، فيها نقاوة الفجر، وتساميات الروح، وعشق الحضارة في عين حقيقتها لا بهرج قشورها.

وتباعاً لما سبق فأن الأديب هو الشخص الذي يحاول إعادة صياغة الوجود، بيد أن هذه المحاولة لاتتاتى من فراغ، بل تتأتى نتاج مخاض ما يحدث في دخيلته من توتر في اللغة السيكولوجيه أو غليان الرفض في لغة الواقع، إذ تنبثق عنها التساميات الإبداعية، وفي الاصطلاح السيكولوجي؛ هناك تفسيرات متعددة لحالة التوتر التي تنبثق عنها الحالة الإبداعية، منها تمثله لقيم ومثل عليا تتعلق بما ينبغي أن يكون عليه الوجود الواقع من حوله، وما يقع أمامه فيصدمه من منظومة تناقضات تعشش بين عينيه، ومن هناك تتشكل طاقة صياغة الوجود من خلال تصوراته الذهنية، وطبيعي انه عندما يحس بضرورة إعادة صياغة الوجود؛ فأنه بالتأكيد لا يكون راضيا عن الصيغ الموجودة والمتحققة بالفعل في الواقع الآني والحاضر المتحقق من حوله، ولذلك يعد الإحساس بعدم الرضى طاقة خلاقة في الإبداعية

الأدبية، وينبوعا طاهرا في سخاء المبدع على لوحة الوجود؛ بصياغات إبداعية حالمة ورافضة في الآن ذاته، ويتشكل حلمها الوردي في عين نارية اشتعالات الرفض من حروفها.

لذلك يعد الأديب امتداد خالص ونقى إلى ابعد درجة ممكنة للطبيعة، وهو يحاول من خلال منجزه الإبداعي أن يجذب تيار الحضارة نحو الطريق التي تنهجه الطبيعة في محض الطبيعة، لتعديل مسار الحضارة نحو جادة الصوب ومسارات ابنائها الذين لايتوانون عن تشويه وجه الطبيعة بما يستحدثونه من أفكار مسمومة ووحشية سلوكية ومتضادات مستعرة في هستريا سادية مطلقة، وانتهاشات أرواح خبيثة في الوجود، تفسد جمال الطبيعة ومرآى الإنسانية في الوجود، حيث تتهاوى الطبيعة من روابي الجمال إلى حضيض متتاليات تعذيب للضحية في مسارات سوداوية، فتؤجج تلك الواقعية المريرة مشاعر المبدع المرهفة في أتون طاقة الرفض وطاقة متصاعدة ملهمة نحو إعادة صياغة الوجود في رحم الصورة الذهنية التي تسكن أعماقه الجريحة، فتؤول إلى ولادة حروف رافضة بحاثة عن الحقيقة في أتون الصفحات في الإبداعية الأدبية وامتطاءات ريشة الألوان على اللوحة القريبة البعيدة في الآن ذاته في لغة الإبداعية الفنية.

ويطل علينا من تلك النافذة الإبداعية العليّة نص "قلم... رصاص" للشاعر يوسف الدويك، في توأمة شعرية فنية، تتشكل فيها حالة اقتران ابداعية إعلامية، تدور في ذات التماهيات الرافضة في رمزية قلم رصاص الذي يسبح في فلك ثلاثية (الإبداع، الأعلام، الواقع)، حيث تجذبهما خيوط مغناطيسية فضائية تتشكل في تماهيات تغيير الواقع، واعادة تصييغ الوجود في الرؤية الإبداعية المرهفة الملهمة؛ التي تتصاعد من رحم تصورات ذهنية حالمة رافضة للوحة الواقع، حيث تعبث بها المتضادات، وتشكل بالمناظرة خيوط مغناطيسية لاسعة في استلاب الأنا، الآن، الزمان، المكان في تشكيل الواقع في عين الواقع، لا في عين الحقيقة وحلم المبدع.

ويبرز في النص صورة الواقع في لغة الأمس القريب، حيث تتشكل فيها خيبة الأمل على ركام الدمار والانتكاسات "هي أمّة خجلى بحجم دمارها ونثارها نامت على وجع الخصوبةِ من مساء الطائرات حتى صباح الأغنيات... العاهرة".

وتبرز في النص حالة المقاربة في صيغة الوجود المرفوضة في ذلك الأمس القريب والحاضر المشين، التي تبلغ حد السخرية المطلقة في ظل ذلك الواقع المنخور حتى الموت، حيث تطل من خلاله روح المبدع البحاثة عن صياغة كريمة لذلك الواقع، بعيدا عن الاستلاب المهين من خلف أستار النص الحزينة.

وتنطلق في النص تنفسات حارة في ظل الجراح المنهكة، وتنبعث من تلك الأنفاس الطاهرة لغة تؤامية في ظل ابداعية ادبية واعلامية؛ تتولدان من ذات المخاضات الرافضة، وتتكئ كلا المفردتين على صياغة وجودية تؤامية لوجه الحقيقة في عين الحقيقة لا سرابها الخادع.

يـا أيها القنديـل !!! يكفينا، أضأت جراحنا وهكذا تواليك تتواتر شحنات تلك الروح المرهفة الرافضة لواقعها حيث تنتابها قشعريرة الارتباك من مرأى متضادته في لغة وجودية مطلقة أقلقتنا فتستلبها ماهية حزينة في غيماتها الدامية، والتي تعد مصدر وقود الإبداعية والنسق العام لها في لغة تولد روحها على النصوص، وتتشكل في الحان تلك المفردة الحزينة هالات حزينة مطلقة، تتقطع أنفاسها في البدء ولا تنتهي في لغة الواقع الرمادي المتضاد .... أبكيتنا !!

فتؤول تلك الحالات الحزينة إلى ماهية يقظة تتفتح أكمامها في ذاكرة (أنا) الشاعر، حيث تتولد منها تمايلات حروف حزينة على أوتار انصهارات الكلمات على السطور.

وتركت فينا يقظة الحسرات في نزق الحروف النافرة

وتتشكل في النص رمزية قلم الرصاص، وتفتح أشرعة قلبها في الإفصاح والبث، في لغة الألم واعاصيرها النارية الحادة التي تستوعب انا (الشاعر) وإسقاطاتها على الوجود في ماهية (المكان، الزمان)

قلمٌ..... رصـاصٌ طلقةٌ في الصدر من كلّ الجهات وغصّة في الحنجرة وتنفسح المساحات أمام (انا) الشاعر لتشكيل صيغتها الوجودية من خلال رمزية قلم الرصاص ما تبقّى من غدٍ كي نلتقي نتبادل البسَمات و القسَمات نرسمها .... ونصلب ظلّـنا عل جدار المقبرة.

وتنكشف تلك الماهية لذلك التصييغ في رمادية حزينة، تعزف أوتارها أجواء حزينة قاتمة، ولايخفى أن الحزن في تماوجاته وانعكاساته يشكل طاقة ملهمة ابداعية للكثير من روائع المبدعين على مر الزمان، حيث يعد مصدرا وقوديا لتوليد ابداعاتهم على انشطارات الألم والرفض ولغة احتراقها.

ما تبقّى من غدٍ كي نلتقي نتبادل البسَمات و القسَمات نرسمها.... ونصلب ظلّنا عل جدار المقبرة.

وتتبدى في المقاطع الأخيرة للنص لوحة المتضادات في عين الواقع، وغياب الحقيقة في ظل هالات حالمة تنتشي بها (انا) الشاعر على النص ومولدات وقودها ف ي(الليبدو) الساكن في أعماق اللاوعي

يا سيّدي أنا متعبٌ............ حد الصراخ المرّ عارٍ بصحة طعنتي، عن صحتّي وعن الحقيقة والندى الفضّي والذكرى وبوح العاشق المنسّي في ألقِ النجوم الساهرة.

وتتوالى اشراقات النص في تشكيل ماهية لوحة الوجود الحالمة في (انا) الشاعر بحيث لاتصل إلى حد الكمال في انتشاءاتها وتصاعداتها الحالمة.

كلّ الذي قلناه لا يكفي؟؟

وتسيطر هنا على النص مشاعر الرفض على (انا) الشاعر في لحظة ارتسامه ظلال الوجود الحالم في عينيه، إذ تبقى رمزية قلم الرصاص حاضرة في النزف الدامي، وتتماهى عرائس الحلم البهي في زرقة حيفا، وقداسة الناصرة هل نستعيد سماءنا الزرقاء بحر حيفا؟؟؟ حلمنا في الناصرة؟؟؟

ويعانق النص سماءات الإبداع في تراكيب مقطع ماسي من النص، يشكل لفته ابداعية متفردة في بعد سيكولوجيا النص، وتتناثر في انقطاعات(الأنا) عن البث وضياع الحروف والكلمات وسيطرة مساحات الفراغ على النص، التي تحمل رمزية تماهيات لاتنتهي في تصييغ الوجود في الكل والجزء؛ وفي مساحات لا تسعها لغة الحروف والكلمات، ولاتحتمل ناريتها نبضات (انا) الشاعر والذات الملهمة في النص، لتؤول تلك المساحات المفتوحة في النص، إلى صياغة مطلقة رمزية في استعادة الذاكرة في الأنا (الجسد، الوطن،

الأمة، الإنسانية) معا على لوحة الوجود

اني وانك يا صديقي همّـــنا.............أن

١:..........

٢:.........

٣..........

أو... نستعيد الذاكرة !!!.

وفي نهاية مطاف تلك الدراسة السيكولوجية في نص قلم رصاص، تتشكل لنا لوحة صياغة الوجود من خلال سيمفونية مبدعنا: يوسف الديك الشعرية، وما تترع فيه من احساسات مرهفة تئن من لوحة متضادات المثل في أعماق الأديب، وماهية الحقيقة ولوحة الطبيعة وقد عبثت بها يد العابثين، وصورة الواقع وقد اتخمتها المتضادات، ونخرتها لغة الإستلاب فيما يخطر على بالنا من تماهيات استلاب وما لايخطر على بالنا في الحال والمآل.

وازجي عبر هذه المساحة التواصلية مع نص قلم... رصاص كل تحايا زهرات الإبداع على روابي تجليات الكلمات من خلف حقول الأفكار اليانعة وتساميات ربيع الحروف المترعة بطاقات إبداع خلاقة لاتنتهي إلى مبدعنا المتألق: يوسف الديك، بما اتحفنا به من سيمفونية ادبية تتسم بروائع ابداعية ستخلدها الأيام، وصديقه الملهم: حمدي قنديل مهندس الحقيقة على ساحة الأعلام، وكلاهما تنتثر من إبداعه نسيج قطرات ندى متراصة في صياغة وجودية غائبة عن الواقع وحاضرة بين أجنحة إبداعهما وكل إبداع والإبداع انتما.

انعكاسات ثلاثية "الإبداع الأدبي، الإعلام، الواقع" على المشهد الثقافي الأدبي

"دراسة سيكولوجية نقدية"

تمهيد:

يمتد العالم بين أعيننا بإتساع اكبر مع تسارعات الانفجار المعرفي، ويشكل العالم قرية واحدة في لغة الاتصال وتتشكل في تلك المساحات البعيدة القريبة ثلاثية الإبداع الأدبي، الأعلام، الواقع) في تبادلات مؤثرة ومتأثرة، فكلٍ يشكل بصماته على الآخر، وإن كان الواقع هو الحلقة الأقوى في تلك الثلاثية في لغة التأثير وبردود التأثر.

ويتشكل الأعلام في تلك الثلاثية في سلبية التعاطي مع الإبداعية الأدبية والتي تشكل بدورها مثير عالي الوتيرة، إذ يستفز المبدع في إنتاج خصب غزير لغاية لعب دورة في التأثير الإيجابي المطلق على ثنائية (الإعلام، الواقع) في رحلة تحقيق ماهية الواقع الذي ينشده، وإن كان الأعلام يشكل في رحلة غزارة إنتاج المبدع طعنة دامية في صدره؛ انطلاقا من صورة السلبية المتضادة والجشعة أحياناً فضلا عن سلبية معطيات الواقع في تضخيم تراكمات اللاشعور لديه، مما ينعكس على سيكولوجية المبدع وماهية إنتاجه الأدبي، ومخزونه الثقافي المتخم بلغة الرفض وكشف ماهية المتناقضات التي تعج في واقعنا الهش في الخنوع والاستسلام.

وتتناول هذه الدراسة ماهية الرؤية النقدية لواقعنا في ظل معادلة الإبداع، وتحديد العلاقة بين الإبداعية الأدبية ومفرزات الواقع في لغة التغيير وتطبيقات سيكولوجية لتلك الثلاثيات في ثلاثة نصوص شعرية تدور حول حادثة مؤلمة التقطتها الكاميرا في استشهاد الطفولة الفلسطينية على الملأ والعالم اجمع.

حيث تشكل تلك النصوص ثلاث مدارس متنوعة في الإبداعية الأدبية، حيث يتركز نص محمد للشاعر محمود درويش على ماهية الحراك السيكولوجي، في ظل مشهد الجريمة

البشعة، ومترتبات الألم، وتدفقات مشاعر الخوف والرفض معا في النص، وتوجه نص محمد أو رامي للشاعر العشماوي إلى إثبات حكم الإطلاق للحادثة في الرفض، واخراجها من مشهدها الجزئي إلى كلية الحقيقة والمبدأ والتصور في الاحتفاظ بالأرض والكرامة وماهية الحرية، وتوجه نص لا تسأليني للشاعر ايمن اللبدي إلى هالات إبداعية في لغة التساؤلات التي تسيج في لغة الرفض والألم والحيرة؛ حيث لاقيمة للسؤال في ظل فظاعة الجريمة المعلنة على الملأ، والأجابات معلنة في ماهية اختبائها خلف الكواليس ودنيا الحقيقة، وتلتقي النصوص جميعا هنا في حرارة العاطفة ومساحات لغة الرفض وشفافية الأحساس، مع مشهد الكاميرا الصامتة المعلنة، في نص محمد ونص محمد أو رامي، وتختبئ مشاهد الكاميرا، وتغدو لغة ضمنية في رحم الحروف في نص لا تسأليني. وادرج محاور الدراسة على النحو الآتي:

- رؤية نقدية لواقع الأعلام العربي في ظل معادلة الإبداع.
- الإبداعية الأدبية وتغيير الواقع.
- تطبيقات سيكولوجية لنصوص إبداعية أدبية في ظل ثنائية الأعلام، الواقع.

أولا: رؤية نقدية لواقع الإعلام العربي في ظل متطلبات معادلة الإبداع:

تتشكل الهموم الثقافية في البني المعرفية للمثقف من حالة التضاد بين وحي البنى المعرفية في لغة الحقيقة ورمادية الواقع في لغة الصدمة، وهي المسافة الفاصلة بين اشراقات الأمنيات وسوداوية الواقع.

فحالة التناغم بينهما في إعدام المسافات الفاصلة وتلاقيهما في جوهر واحد، يشكل نشوة الرؤية الحقيقة للوحة الواقع، إذ تعكس بصدق تلك التجليات المعرفية في تراقصها المفكر في لغة الفكر.

ويبدو أن تلك الحالة المتناغمة في حالة وأد مستشرية في عالمنا العربي، ويتشكل وأدها في سلم لاينتهي من لغة المتضادات التي تعصف بالمشهد الثقافي في عالمنا العربي، وتترتب تلك المتضادات في تماهيات تتفاوت في تصاعدها بحسب أهميتها عند النخبة المثقفة من جهة، وفي البنى المعرفية لكل مثقف على حدا.

ويلعب البعد التخصصي والمهني دورا هاما في تحديد اولوياتها في الهم والمعالجة، وتتشكل في أعماقي -المعتصرة ألماً على الواقع الثقافي لأمتنا العربية- تباعاً لما سبق في واقع الإبداعية وتجلياتها الحقيقية في المنجز الإبداعي واشراقاته والمشهد الإعلامي الهش في مقبرة ثقافة الصمت تجاه الحقيقة..الإبداع..النهوض بالواقع. فالمتتبع في رؤية تحليلية ناقدة لواقع الأعلام العربي بكافة صورة، يلمح هشاشته وشكليته المتجردة من الإبداع الحقيقي، واتكائه على كوادر تلمع من بهرجة الدعاية الإعلامية لا وحي اشراقات الإبداع، فضلا عن عاجية الأسماء وأضواء الشهرة، من اثر توابع الرؤية بعين واحدة والسير في قدم واحدة في موكب الحضارة والانفجار المعرفي. في مشهد رث مبتذل مقزم ثقافيا، إذ ما زال المشهد الإعلامي العربي يعاني من عزلة حقيقية تجاه الثقافة وجوهر قضاياها المتأزمة، وربما يبحث المرء عن عزاء له عبر الإعلام الإلكتروني، لكنه يجد أن الحقيقة لاتتعدد، فكل صور إعلامنا العربي هي ذات الجوهر والمضمون الشكلي الزائف ثقافياً، فما بالنا ونحن نحاكمها في لغة الإبداع ومقتضياتها.

وهكذا يغدو إعلامنا العربي في غيبوبة عن البعد العلمي الأكاديمي في الطرح ونراه يتهاوى في تلقائية متهورة بلا مضمون، أو المؤدلج بلا نزاهة علمية، فنراه يتساقط في ادعاء الحقيقة بلا حقيقة، وتجهض روعة الإبداع الحقيقي في رحمة قبل الميلاد، وتعلن للحياة عاجية الأسماء تحت مسميات إبداعية، تتكئ على مظلة الشهرة دون مضمون حقيقي للإبداع. وغدت مفردة الإبداع تدنس قداستها في سذاجة المضامين ولغة الجسد واستعار النزوات. وتماليات الثمالى في أثير الأضواء وتناثرات الحروف على السطور.

وهذا يعكس حقيقة أن المشهد الإعلامي غدا شاشة لمضمون اللاشئ من الأشياء، ومحض أشباح صور، تتشكل فيها خفافيش الظلام، التي ترسم لنا بجدارة الواقع الهش الهزيل لأعلامنا، وتعلن اضمحلاله في المضمون وضآلة قيمة الرسالة الإعلامية التي يبثها ليل نهار، وهذا يشكل خطورة وأزمة حقيقية في معادلة الأنفاق المالي عليه والقيمة الإعلامية العائدة منه، واثرها في حركة الاستنهاض الثقافي والتقني، ومواجهة العولمة الإعلامية في ضوء الانفتاح الحضاري والحفاظ عل الخصوصيات الثقافية دون التهاوي في أحضان الأمعيات

والتقليد الببغاوي الساذج، وبذلك نجسد صورة واقعية ذات فاعلية على غرار التجربة اليابانية في التطور الحضاري.

ولعلنا لانختلف في أن اللغة الإعلامية بكافة مفرداتها وابجدياتها تشكل سفرا رائعا للحضارة والثقافة في أبهة الطلة أو واقعا مزريا في رمادية الحال البائس في هشاشته واضمحلال مضمونه، واعلامنا العربي بلا جدارة يتكئ على جدران الواقع المزري بعين وقدم واحدة، ولسان ببغاوي مؤدلج، وهذا الواقع يزداد تهاويا وفي لغة السقوط الثقافي وانكشاف لعبته السياسية المؤدلجة، ويقتضي تكاتف جهود علمية أكاديمية تتبوئ مهمة الإصلاح، تحمل روح الانتماء لحضارتها وامتها أولاً.

وتتطلب الرؤية العلاجية لهذا الواقع المزري، الخروج في الفعل والإمكان من بعد الطبقية الثقافية بكافة صورها واطيافها السوداوية في عنصرية اللغة والمكان والزمان واطياف الشهرة المسعورة، وغير ذلك من مفردات الاستبداد الثقافي الخاوية من روح الإبداع.

وهنا تتبدى أهمية اجتثاث جذور الأمعيات والأدلجة المترامية في أحضان الأستبداد بكافة صوره وازيز السذاجات، وتوجيه اهتماماته نحو الإبداع الحقيقي وصورة كيفما كانت وحيثما حلت، بغض النظر عن ماهية الذوات وتماهيات المكان وبدون مشنقة الشروط الإعدامية المسبقة، ولغة التعامل العاجية تجاه الإبداعية في عين شمسها، واللغة المدللة المتساقطة تجاه منظومة ادعاءات إبداع في اللاشئ من الأشياء.

فضلا عن أهمية توفير قيادات إعلامية في كافية صورة تتسم بالبعد العلمي الأكاديمي في التخطيط والإنجاز، وتتشكل لغة تفكيرها في لوحة إبداعية من تجليات وعشق المنجز الأبتكاري في لغة الإعلام. وتتفاني في تقديس الحرية والمصداقية معا في كل أبجدياتها في عين إنسانية تنبذ مفردات الأستبداد وتعشق حرف الإبداع كيفما كان وأينما حل.

وربما دارت مركزية حديثنا هنا حول القيادات الإعلامية وفي توقعاتي هي اخطر ركن في المشهد الإعلامي، فهو ربان السفينة، الذي يجب أن تتشكل (الأنا) في أعماقه في بعد الطهارة العلمية والسلوكية، لا أن تستبد به المتضادات والأوبئة النفسية في اللاشعور وانعكاساتها تباعا في الأنا والأنا العليا، فيغدو في تماهيات سلوكية مرضية تتفاوت في

انعكاساتها على الرسالة الإعلامية حتى تبلغ السادية في أعلى مستوياتها،وهنا تبلغ المأساة اوجها وانعكاساتها التبعية على المشاهد والقارئ والمتابع (الضحية)، ولانملك هنا إلا مقولة تصبح على إعلام وحرية وتماهيات إبداع في مستقبل الأيام.

فلا غرابة بعدئذ أن يوسم الأعلام هنا بعين واحدة وقدم واحدة و (آنا) سادية مستعرة في التعاطي الفكري ولسان ببغاوي طلق في لغة الأمعيات، وهنا تتشكل لنا رباعيات تخلف وخماسيات وسباعيات إلى ما تحب من أرقام. وهنا تتشكل أهمية فكفكة تلك التركيبات المعقدة من لغة التخلف وثقافة الصمت التي تدق ناقوسها المشؤوم بيننا، وعند تراقصات الفكفكة ودقدقة انكسار زجاجها يولد الإبداع وتستلهم إشراقاته، ويؤذن له بالميلاد عبر السماءات، فيكون ماهية المسيح القادم من عنان السماء، وهنا ستجد الإعلام في رؤية حالمة وردية يحتفى بالمبدع أينما كان وحيثما حل، ويفتح ذراعية له، يشدو له: حييت آهلا ووطئت سهلا.

ثانياً: الإبداعية الأدبية وتغيير الواقع

يشكل الواقع تخوماً متضادة في البنى المعرفية للمبدع ومن آتون تضاداتها تنشأ لوحة الابتكار الذهنية المدمجة بين عين الواقع المرفوض والذاكرة المتخمة برفض المحرمات الثقافية.. الأيدلوجيد... الواقع، فضلا عن المخزون الثقافي الممتد في مساحات عاشقة رافضة في الآن ذاته.

ومن تلك البؤر المتوهجة تتشكل الإشراقات الإبداعية الأدبية في ثنائية التعبير، التفسير معا، لتشكل حضورا ابداعياً في رسم رمزية اللغة وحراكها الممتدة في ثلاثية الطلاقة والمرونة والأصالة التعبيرية المكللة بالإحساس المرهف وإدراك أبعاد لوحة الواقع الاستلهامية في إبداعية تعبيرية تتسم بالاتساق والاختزال معاً؛ في منجز إبداعي يتسم بالجدة والابتكار.

ومن هنا تشكل صورة الواقع الاستلهامية مادة ثرية لانسكاب الجمال الإبداعي عليها، في لوحة فنية منصهرة من أتونها ومتضاداتها، ولكنها تسافر بعيدا في لغة التعبير المفعمة بآهات الرفض وتشكيل العالم صورة اخرى؛ تشرق من قلب المبدع الذي يسيج العالم

بعقد عين شمس إبداعه الخاص؛ في تطلعاته الحالمة المنبعثة من أشراقات جمالية من ذبذبات اللاشعور الراقصة في أجواء مشحونة بالغضب والحب معا.

وفي هذا الصدد يقول: (وهبة، ١٩٩٧)[(١)] الواقع اياً كان ظرفه يقرر الأفكار الإبداعية الخلاقة التي هي اجتماعية؛ إذ يصوغها ويحدد معالمها تفاعل المبدع مع واقعه وحضوره في مواجهة ما هو كائن لبلوغ ما ينبغي أن يكون، ومن هنا كانت روائع دستيفسكي وتولستوي وواقعية جوركي وحكمة وشاعرية المتنبي واصالة ميكل انجلو وتفرد دافنشي واصالة مصرية محمود مختار.

وفي ظلال تلك المفارقة السيكولوجية بين المبدع والواقع، ادلل بحادثة دامية قشعرت لها قلوب العالم بأجمعه، وهي مشهد التقاط الكاميرا العالمية لصورة "محمد الدرة" المؤثرة، وهو يحاول الارتماء في حضن أبيه، خوفاً من أن تناله رصاص بندقية الاحتلال الصهيوني البشعة، وما اعقبها من حالة رفض عالمي لتلك الجريمة البشعة بحق كل معاني الإنسانية في الوجود، إذ لا يوجد مبرر عقلي.. انساني.. وجداني... قانوني دولي.. يبرر قتل طفل يحتمي بصدر والده، ويحمل شعار طفولته البريئة للعالم اجمع، ولايشهر سلاحاً إلا جسد طفولته العاشقة للحياة.. السلام.... لغة الإنسانية في الوجود.

وتدور تلك المقاربة السيكولوجية لتلك الحادثة المؤلمة الجارحة، في جسد الأمة العربية، من خلال نص "محمد" لمحمود درويش، حيث يحلق النص في ثنايا سيكولوجيا الصورة، وتتابعات حراك الكاميرا في لغة رافضة، تتسامى لتغيير ذلك الواقع المؤلم الدامي.، وتتناول تلك الرؤية السيكولوجية نص "محمد او رامي" الذي يحلق في لغة "المطلق" التي تنطلق من صورة الحادثة المصغرة في لغة الكاميرا، فتنحو من خلالها إبداعية "العشماوي" نحو رسالة النص المعلنة بلغة "المطلق" في ضوء صرخات مبثوثة، في فضاءات مطلقة، لتغيير الواقع برميته، في آتون أيدلوجياته الباردة، في التعاطي مع الحدث، والتي تصر على لغة خصوصية الصورة المصغرة في المفردات والرسالة والأبعاد، وتتناول تلك الرؤية السيكولوجية ابداعية نص "لا تسأليني" إذ تشكل في تماهيات الحوارت المعلنة في اجواء حادثة إعلامية، لاستشهاد ايمان حجو، وما اعقب ذلك من حالة الأسى والألم واجتراع مراراة تناقض الواقع وارتداء

السادي ثوب الأنسانية وحب السلام، في حادثة تشكل توأمة في الحال والمآل مع حادثة محمد الدرة.

ثالثا: التطبيقات السيكولوجية للإبداعية الأدبية في ظل ثنائية (الأعلام، الواقع)

انعكاسات الأعلام عليه في المزيد من الأزمة وتوسيع مساحات الفجوة بين المبدع والواقع والرسالة الإعلامية وما ينشأ عن ذلك من محبطات إعلامية في ظل ثقافة الصمت عن الحقيقة وإعلان قشور الادعاءات بعيدا عن الحقيقة وما يترتب عن ذلك من استفزاز لأبداعية الأديب وما ينشأ من انشطارية إبداعية ناشئة من المشهد الإعلامي الصامت، وادلل على تلك المساحات الإبداعية الخلاقة من خلال ادرج القراءات التفصيلية لنصوص ادبية مختارة في وقفات نقدية سيكولوجية وهي على النحو الأتي:

ـ: قراءة سيكولوجية في نص 'محمد'(٢) للشاعر محمود درويش.

يرصد نص 'محمد' للمبدع الشاعر محمود درويش صورة فنية تتسم بإبداعيات سبك شعري على النص لها خصوصياتها في لغة الجمال والتألق في موكب الأخيلة الشفافة المعبرة، وتتسم حيوتها بالحراك الفني على النص، مرتسمة بروح طائر صغير يعبر من زاوية صغيرة عند ركن جدار إلى الموت.

حيث تتجسد في المشهد تدفقات الخوف في الطفل الشهيد 'محمد الدرة' وتثير ارتسامات ظله- على شاشة الكاميرا الممتدة بلا مسافات ولالغة حدود- تساؤلات مبهمة حول مبررات الوأد في عمره الفتي النضر، وتساؤلات طفولة حائرة تشتاق إلى مهدها ومقعدها المدرسي، والتدرج الحر في معابر العمر في أزقة الحياة حيث لاعنوان ولاوطن، وقد دنت ظلال الموت والقت ستارها الرمادي عليه في مشهد جريمة بشعة تشهدها البشرية على شاشات الكاميرا الحزينة المعبرة.

وفي لحظة التقاط الصورة يعبر الحلم الدري المساحات الحاضرة الغائبة، وقد تشكلت بين عينيه الوطن..الحياة..الأفق الجريح النازف بالدماء.

ويرتسم في النص الخطوط الحزينة في لغة الحرمان من ارتشافات ماء الحياة الأخير وتبرز هنا في ظل إسقاطات تلك اللحظات أبجديات لغة فاصلة بين عالمين وكونين ومسافات بعيدة في الأفق المسافر، بين أماني محمد الوردية وواقع محمد الأحمر.

ويتسم النص بنكهة لها قداستها في التعبير عن حجم الجريمة البشعة في الحرمان، ووأد للطفولة في بشاعة جديده تشكلت في لغة "محمد الدرة" وانبعثت جسداً مبعثر من رحم تلك اللغة الحمراء الدامية.

وترتسم تلك الطفولة في النص في غيمات برئية على سماءات الأرواح، فتقطر عمراً للوطن ونبوة جديدة في لغة الحرية ومهداً متسامياً في لغة سلام الأرواح، فتستمد بجدارة عبير النبوات ولغة النهايات في عمر المسيح، وهذا النسق من الرسم الشعري في لغة القداسة، لايخفى أثرة في صقل عذوبة خاصة في تذوق النص والتفاعل الشعوري معه في لغة حرية الوطن والإنسان معا على ارض النبوات.

وهذا يضفي على رسالة النص آفاقا من تجدد التفاعل الشعوري معه ويؤجج لغة الرفض لتلك الدموية الفاشية في بشاعة الجريمة، وارتسامها مشهدا حيا احمرا على النص،وقد عاين القارئ في رحلة السطور؛ الضحية والروح السادية المتفشية نشازا سلوكيا على النص؛ في ذهنية التلذذ السادي في لغة التعذيب.

وتتشكل في النص لغة المفارقات جلية في النص من خلال تجسيد الجبروت الحيواني لفهد الغابة وظبي رضيع:

"وحينَ دنا مِنهُ شمَّ الحليبَ، فلم يفترِسهُ. كأنَّ الحليبَ يُروِّضُ وحشَ الفلاةِ. إذنْ، سوفَ أنجو -يقول الصبيُّ -".

وهنا تتشكل مملكة الحيوان في الإنسانيات المتجسدة رأفة في جسد الفهد في حين توأد الإنسانية في جسد ادمي ظالم بشع، فلم يبالي بارتعاشات الطفولة وضم جسدها قلباً إلى قلب الأب في حراك جسدٍ ملتحم وجزع؛ هارب من الحياة إلى الموت، وتؤجج تلك المشاعر الملتهبة في أعماق القارئ دقة التصوير الفني في النص:

مُحمَّـدْ، ملاكٌ فقيرٌ على قابِ قوسينِ مِنْ بندقيةِ صيَّادة البارِدِ الدمِ. من ساعةٍ ترصدُ الكاميرا حركات الصبي الذي يتوحَّدُ في ظلِّهٗ.

ويمضي الـنص في سـبر أغوار تلك الطفولة المنكمشة عند فوهة الموت، وقد اشرف محياها أمـام مرآى الوجود في لغة الواقع الضعيف المنكمش، حيث لغة الهوان والذل والظلم السرمدي اللاسع في النص، ولغة الغدر في سمت ذناب النهار كان في وسعِ صيَّادِهِ أن يُفكِّر بالأمرِ ثانيةً، ويقولَ: سـأتركُهُ ريثما يتهجَّى فلسطينية دون ما خطأ.. سوف أتركُهُ الآن رَهْنَ ضـميري وأقـتلُه، في غـدٍ، عـندما يتمـرَّدْ! وهكـذا تـنعكس الحياة في خطوط وجهها العابس الأحمـر، وتـدفقات مشاعرها المتجمدة خوفاً عند مقصلة الموت بلا ميعاد حيث تصبح أشرعة اللانهايـات في آفاقهـا المسافرة سرمداً بلا وجود حيث تتجسد النهايات في النص في تفتحات وردة حمـراء مـسافرة إلى وطـن حالم بلا عنوان، وطفولة تهاتف الزمان عبر مقصلة الموت إلى مالانهايـات، حيث ينبعث الوجود هنا من العدم،وتتشكل خطوط الوداع في حروفها الحمراء المتدفقة الما وعذابات في النص.

إلى سِدرة المُنْتَهى يا مُحمَّدْ!

ـــ: قـراءة سـيكولوجية في نص "هو رامي او محمد"[٣] للشاعر عبد الرحمن العشماوي.

يسافر نص "هو رامي او محمد" في المساحات المطلقة التي تنبعث من النص بلا حدود، ويعـبر النص عن مفردات "المطلق" في محمد الدرة وتواترات طفولة تؤد ليل نهار في أزقة الموت الجماعـي، ويعـبر ايـضا عـن أيدلوجـيا الـصراع بـين الظـالم المظلـوم المتـشكلة في العنجهـية الصهيونية والاستبداد الشار وني، وقضية شعب مستلب يذبح على مرآي الشاشات الجمعية في الليل والنهار.

وتـتوالى أهـات الـنص في تـشكيل صـورة الطفـولة الدامية وهـي ترتقي في مدارج الارتفـاع في سمت صفحات خالدة للقضية والأمة، وتعبر ببطولتها المساحات البعيدة القريبة في رحلـة استـشهادها المتواتـرة، معـبرة بجـلاء عن ذل مستشري يعتري الأمة العربية، وهوان

ينطلق في لغة الاستضعاف وثقافة الصمت إمام تلك السلسلة المتواترة إلى اللانهايات في جرائم القتل والبشاعة، إذ غدت في المرأى الجمعي الاعتيادي المطلق.

وتعبر لفظة المطلق كل مفردات النص وأهات المشاعر المتنهدة في لغة أيدلوجية تحمل معها ثنائية التعبير، التفسير معاً ويبرز في النص انقداح الفكرة في ظل الهرم الأدبي (الفكرة، العاطفة، مركب الأخيلة) ويتجسد في النص انفعالات حارة تتجاوز في المطلق مساحات النص إلى اللانهايات في لغة الرفض للواقع المزري لمعادلة الصراع بين الأجرام الصهيوني والوأد الجماعي في رحلة الدم الفلسطيني ويتجسد ذلك في: أنَّ إرهابَ بني صهيونَ. في صورته الكبرى تجسَّد أنَّ حسَّ العالَم المسكونِ بالوَهم تبلَّد وعلى نفس المسارات في لغة المطلق تتجمد المشاعر الرافضة للهوان المطلق في نفوس الأمة العربية المسلمة التي تشهد تلك الجريمة البشعة في إطلاقها في المرأى الجمعي الفضائي، حيث تكتفى بالقاء النظرة الأولى والأخيرة في برود قاتلك أنَّ جرحَ الأمةِ النازفَ منها لم يُضَمَّد أنَّ دَينَ المجد مازال علينا. لم يُسَدَّد وتتعالى في النص آهات الرفض في لغة إعصارية مطلقة في مفردات الزمان» (الأمس، الآن، الغد). ولامتناهيات المكان يا أعاصيرَ البطولاتِ احمليهم » ووراء البحر في مستنقع الذُّلِّ اقذفيهم وعن القدسِ وطُهر القِبلة الأولى خذيهم قرِّبيهم من مخازيهم وعنَّا أبعديهم وتتشكل لغة المفردات في هوية الأنام في نزف مؤلم، تعتصر منه السطور الما في لغة إطلاقها الحمراء هو رامي أو محمَّد هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومُرشَّد هي لُبنَى هي سُعدى وابتسامٌ وهيَ سارةْ هم بواكيرُ زهور المجد في عصر الإثارَةْ هم شموخٌ في زمانٍ أعلن الذلُّ انكسارة هم وقود العزم والإقدامِ عنوانُ الجَسَارة هم جميعاً جيلنا الشامخُ" وتسدل لغة النهايات ستارها في النص في لغة المفارقات ين تحليق الشهادة إلى عنان السماء في لغة المطلق وبين ذل الهوان إلى سفاسف الأمتهانات في لغة المطلق وهنا تطلق صيحات المجد أمام الذل في تغاريد طيور مسافرة حيث تبتدى الحياة من ميلاد الموت أيُّها الباكونَ من حزنٍ علينا. إنما يُبكَى الذي استسلمَ للذلِّ وأخلَد نحن لم نُقتل. ولكنَّا لقينا الموتَ أعلى همَّةً منكم وأمجد نحن لم نحزن ولكنا فرحنا ورضينا "وهنا تبدو حالة الوصل في جسد الأمة العربية المبعثر فافرحوا أنَّا غسلنَا عنكم الوهمَ الملبَّدْ «وهنا يرتسم النص في سماءات نضرة في لغة غائية

مطلقة في المسافات البعيدة القريبة طلّقوا أوهامكم،.» إنّا نرى الغايةَ أبعَد هو رامي أو محمّد هو سعدٌ وسعيدٌ ورشيدٌ ومرشّد ربّما تختلف الأسماءُ لكن هَدَفُ التحرير للأقصى موحّد.

وتعلن نهاية النص مفردتها المطلقة في توجيه الغاية المطلقة نحو تحرير الأقصى وبذل التضحيات في محمد ورامي وسعد وغيرهم نحو غاية مطلقة نبيلة.

-: إبداعية تماهي الحوارات في نص (لاتسألين)(٤) للشاعر ايمن اللبدي

يشكل نص (لاتسأليني) لوحة فسيفسائية حمراء، في الإبداعية الأدبية، وتنسدل منه استرة شفافة في الولاء للوطن، في رفرفات حزينة تملأ الكون عبقا واحساس مترع بالألم، وتتفتح فيه أكمام جريحة تشدو برسالة الخلود للشهداء والتذكار السرمدي لأرواحهم بيننا.

والمتدبر في سيكولوجية النص موضع الدراسة؛ يبرز لدية فنيات إبداعية في تصاعدات الأنفعالات المختلطة مع تماوجات الحوارات الحمراء، بحيث شكلت تلك التماوجات منظومة مركزية في سيكولوجية النص، ومصدر ماسي لإشراقاته في لغة التعبير، التي تتسلل منها انسام عبيريه في أعماق مشاعر القارئ.

إذ تحدث ماهية اتحاد مع النص، وروح الشهداء الساكنة فيه، فتتجسد الوحدة الأدمية والروحية في تصاعد الأرواح إلى عليين التساميات، عبر تجسد مطلق مع آهات الشاعر في تماهيات الحوارات النابضة في النص، وتواتر الارتقاء مع معارج متصاعدة على أجنحة لاتسأليني حيث نزف السؤال وكنه حيرة الجواب الحاضر الغائب، المعلن المختبئ في آتون ثقافة الصمت، المتخيل المرئي، الآن المر والمستقبل المنتظر.

وتتواتر موسيقى النص بين حدة الألم في وتيرتها المنكسرة في إضاءات خافته على النص، وطرقات التساميات في تعالى امواجها القزحية في النص من جهة أخرى، وكثافتها النورانية في لغة الانكشاف، التي لاتلبث أن تؤول إلى مساحة ضوئية في الزمان والمكان فتنكسر عندها الشمس، سجودا للحقيقة، التي تتصاعد في أثيرها أرواح حمراء دامية، تشكل رسما ملائكيا في بث الحقيقة وإعلان مادية الجريمة.

ويبدأ مسرح الحوارات الدامية في مساحة الحب والشوق مع روح ندية تعطر النص مسكا والأرض حرية، وتسكن عند نجمات السماء، حيث يتعالى صدى الروح في حدة التساؤلات من الروح الضحية، ويكشف النص عن مساءات في غيب الكلمات، في تماهيات حوار مع مداد الكلمات وقد آلت إلى سجن سرمدي على مسرح الحقيقة وضمادة لجرح رمادي خانق: . بُنَيَّتي..!! لا تسأليني واكتمي إنَّ الإجاباتِ الحزينةَ قد توقفَ حبرُها وغدت هناكَ حبيسةً بينَ الشفاهِ لعلها أمست تضمِّدُ جرحَ خيبتها وترفقُ مع خضابِ الموتِ زيتاً كي يطهِّرَ من خطيئتها النكوصَ المستباحَ ولحظةَ العارِ المروِّعِ والهزيمةَ واندفاعَ الوحلِ فوق جبهتها المسطَّرِ في ثناياها المواتْ...

ويمتطي النص زمامه في حدة المواجهة مع الحقيقة الحاضرة الغائية في لغة الواقع المنهكة والمنسحبة عن عزة الجسد وكرامة الروح وإباء الأجداد، حيث تشكلها (الأنا) الساكنة في روح إبهامان(أين): بُنَيَّتي !!... لا تسأليني أينَ سيفُ ابنِ العمومةِ والخؤولةِ والجوارِ وأينَ سيفُ اللهِ والخيلِ المحجَّلِ صوتُها الهدَّارُ أقوى من شظايا النارِ والرعدِ المدوي حينما هبَّت إلينا حيث تتشكل هنا عوالم الحقيقة في تماهيات (أين) على مسرح الأمنيات الحالمة في أن يتحقق المستحيل ولو حلما على مداد الكلمات الجريحة في الطريقِ، الرعدُ قادمُ يستشفُّ من الغبارِ الناشرِ الظلَّ على سحبِ الدخانِ إذا تغشَّاها الرعاشُ وحطها السيلُ المدوي من علٍ فوقَ انتشاراتِ التتارِ تردُّ عنكِ دويُّ قصفِ الغارباتِ وتنحني كي تصلحَ الشقَّ الطويلَ بظهركِ المستقبلِ اليومَ

وتتفتح أستار النص عن حوار متماهي مع القاتل المتجسد في قانون العدالة وسيمفونيات الحرية المخدرة، حيث يعلن على لسانه المبهم شعارات الحرية والسلام، في الآن الذي يقتل به الطفولة ويعيث فسادا في بساتيننا ويمارس الدمار على أجسادنا في لغة سادية تتلذذ بموت الضحية ألف مرة على مسرح الفناء المطلق: بُنَيَّتي..! لا تسأليني ما جرى بينَ السطورِ ودفةِ المخطوطةِ الحبلى بألفِ قصيدةٍ وموشَّحٍ ومقامِ مَنْ أخفى الوجوهَ وزيَّف اللونَ وسجَّلَ كلَّ ذكرى ضدَّ مجهولٍ يقيمُ على سفوحِ الوهمِ والكذبِ الرخيصِ على الغيارى والثكالى المعدمينَ من الوعودِ القادمِ اليومَ كتابُ طلاقها العذريُّ أجلى من خيوطِ

الـدَّمِ في جسدِ الضحيَّةِ والعذاباتِ الحيارى في المداراتِ الحزينة وتتعالى صرخات الألم في النص في لغة الحوار المتماهي مع (الأنا) الضحية والأنا الجسد والأنا الوطن في الآن ذاته في سؤال الذات للذات وحالة التسامي والارتقاء الطاهر نحو السماء صعودا على موكب المسيح من جديد حيث ينغرس القلب جذرا في الأرض والولاء وتحلق الروح نورسا في بساتين الشهداء على بساط السماء،.

حيث هناك تلاقي الحاضر الغائب، في معارج قدسية طاهرة، وهنا تتولد بلورة تماهي متصاعدة نورانية في النص، فتنسدل الحقيقة عند اشراقاتها المتماهية وكنه جوابها الأخير في رفض متتاليات أجوبة مبهمة متناثرة في الفراغات الخاوية، وانطلاقات أصوات موحشة في الدمار تبحث عن قطع (أنا) الوطن المتشرذمة في الأرض، في حضور مشتت للجسد وتصاعد معراج الروح تساميا مطلقا في عليين الفناءات في أتون اللحظات التي تدق أجراسها من على نورانية سلام الأرواح.

إذ لا يعد هناك مضمون لأدمية حروف الدنيا، وصيحاتها الباردة، فليس هناك إلا أجواء السماء الطاهرة، والتقاء الأرواح في مصاعد الميلاد الحر والعشق السرمدي في التماهي مع دماء الشهداء واشراقات اللامرئ في تصاعدات الأرواح إلى عليين الحياة في كنه الحياة، فهناك يشرق على محيا السماء الخالد وردة الحرية في يوم حالم ما، ولحظة منتشية ربما هي غيمة مكفهرة اليوم وبسمة مرتسمة على محيا الغد المرتقب، وإشراقة حرية بلا حدود، وعرسا خالدا في تذكار الشهداء وانتعاش الأباء، الشادية مع كل تفتحات روح تولد على ارض معارج الأطهار وبساتين الشهداء ومجد الاعتلاء، وقبلات الإياب على أعتاب قداسة أبواب الحرية الحمراء. والتقاء أرواح الشهداء: لكي تلاقي جثتينا في الترابِ المستعدِ إلى احتضانِ جراحكَ القدسيةَ النورِ الذي لن ينتظرها في السماءِ جوابَ أستلقي ولا خبرَ ارتقائكَ فلتدعهم ينبشونَ يفتشونَ هنا عظاميَ واحتراقيَ والبعيدةَ في الشقوقِ هناكَ بعدَ عامينِ ربما وصلوا إليها وانبرى أحدٌ يصيحُ: ها قد وجدنا أذرعكْ والوصيَّةُ سوفَ تبقى من جراحاتي الجليلةِ لا أريدُ جوابَها، دعها على نقشِ الترابِ هناكَ تحفرُ صمتها وتعالَ خذني في ذراعيكَ البعيدةِ أرتدي قبلتينِ واعتلي مجدي معكْ.....

وفي تلك التماهيات البلورية الحمراء يسدل النص نهاياته المؤلمة الحالمة معا، في حرارة الوجدان، وعذوبة الأنسياب في روح النص، وجمال مواكب أخيلته الشفافه، وإبداعية روح التماهيات في الحوارات الصامتة المعلنة، في كنه المتضادات، والأمنيات الحالمة.

وانطلاقاً من النصوص السابقة الذكر فنحن أمام حدث مؤلم دامي، صاغه تضادات الواقع في استبدادية القاتل وساديته واستباحة الضحية البريئة في ظلال ثورة الأعلام المرئي حيث غدت الصورة عبر الكاميرا مشهدا متواترا لواقع متواتر في السلبية والاستباحة، وفي ظل رمادية ذلك الواقع المستلب تنطلق شرارات الإبداع واشراقاته التي تنمو في ظل ذلك الأستلاب والتضادات فتصنع النص الإبداعي الخلاق بلوغا لنجمة مستلهمة يمتد عرشها في السماء، تحكي أسطورة تغيير حالمة مشرقة ماسية في عيون الأدباء والشعراء لرسم وهوية وجغرافيا وتاريخ اسمه الواقع بعينه، إذ انه الحلم الحاضر الغائب الساكن في الأنا اللاشعورية التي تسكن في أعماق الأديب والفنان وتعبر عن عوالم تضادات لواقع مرير لاينتهي، وتنطلق منها طاقات كامنة متسامية ترسم لنا لوحة اشرقات تشكل إبداعات لاتنتهي على السطور.

الخاتمة:

تستخلص الباحثة من الدراسة السابقة الذكر النتائج الأتية:

- تلعب الإبداعية الأدبية دورا بالغاً في بذل محاولات مستميتة لتغيير الواقع عبر إحساس المبدع المرهف.
- يشكل الأعلام أزمة المبدع في واقعنا المعاصر ومصدر مضخم لتراكمات متناقضات الواقع في أعماقه، وفي تناثرات اللاشعور على أوراقه الإبداعية، ويبلغ حد استفزاز المبدع، الذي يترتب عليه حالة التسامي الإبداعي.
- يشكل المشهد الإعلامي الصامت بلا رسالة، مصدرا للانشطارية الإبداعية في المشهد الثقافي الأدبي، في أوج صورة في لغة الرفض والبحث عن رحلة التغيير.
- تتلاقى الإبداعية الأدبية في رسالة التغيير وان اختلفت ايدلوجياتها الفكرية وماهية إبداعها على النص في صياغة الفكرة وتصاعدات انفعالاتها الوجدانية ة و طبيعة مواكب اخيلتها الشفافة.
- إبراز أبعاد ما وراء المعرفة في لغات التفكير عند المبدع عبر شهادة نصه الأدبي وتناثرات اللاشعور في وثيقته الأدبية عبر رحلة ابداعيتها التي ترنو إلى عالم حالم في الملائكية وشفافية التغيير.

الهوامش:

١- وهبة، مراد، وابو سنة، منى: (١٩٩٧). مفستو الأبداع في التعليم،دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

٢- http://www.alhaqaeq.net//.

٣- http://www.alshamsi.net/sh٣r/ashmawee/poem٥.html.

٤- اللبدي، ايمن: (٢٠٠٣) انتفاضيات ٣/ ١٣٣ـ١٣٦، مطبعة اليازجي، دمشق.

رصد لحظة التوهج في الإبداعية الأدبية

"قراءة سيكولوجية في نص منار للشاعر يوسف الديك"

هناك نشوة تتحرك في وجدان الأديب نحو إبداعية تتسامى في أتونها تلك النشوة، وتتشكل هالاتها من فيوضات توهجها على النص، فتستنهض الطاقة الكامنة في أعماقه المتوترة ذات الحس المرهف.؛ إذ هناك رصيد هائل في تلك النشوة أو الرغبة في زخم طاقات غير متبلورة تنتظر أن تتكون في سمت مولود جديد له صياغته التكوينية من ذات المبدع المرهف، وتلك الطاقات غير المتبلورة تشكل مرحلة ما قبل الاستنهاض، وهي حالة متواترة في الأديب المبدع لاينفك عنها، تجعله في حالة حراكها -كما الجنين يتحرك في بطن أمه- يحيا مع الناس بجسده لكن فكره ومنظومة مولدات طاقاته تتهيأ لحالة استنهاض نحو لحظة التوهج الإبداعي.

ومن اللافت للنظر أن هناك حالة تجاذب بين الواقع الموضوعي ـ العالم بين أعيننا ـ وحالةاللاشعور، حيث تتحرك حالة اللاشعور في أعماق الأديب المبدع والفنان في كافه صور الإبداع الفني، نحو لحظة التوهج بحالة عنها بلهفة إبداعية، في أعماق المبدع اللاواعية، بحيث تؤجج اللحظة المقتنصة من الواقع الموضوعي تلك الرغبة الهائجة في أعماق المبدع نحو صورة إبداعية مبتكرة. وتكسبه أريحية في إسقاط حالة الرفض على النص، لكنها أريحية مؤقتة لاتلبث أن تتداعى فيها حالات التهيؤ لمتاليات استنهاض لا تنتهي في ابداعية الأديب، لأن تلك الطاقة عير المتبلوة تنعكس على ذاتية المبدع بلغة سيكولوجية ترتسم بالتوتر وحيرة تستبد بالحياة الذهنية للمبدع، تنتظر أن يؤول مخاضها إلى مولود إبداعي على النص، وتتسم حالة العثور على اللحظة المقتنصة من الواقع الموضوعي التي تثير ولادة لحظة التوهج بارتفاع حالة الأنفعال لدي الأديب المبدع وسيطرة عاطفة تتدافع بقوة في أعماقه تسهم تلقائيا بتفريغ رغبته المحتدمة نحو لحظة التوهج، وهنا تؤول لحظة التوتر غير المنظمة ما قبل لحظة التوهج إلى

توتر يهندس المبدع شحناته بإبداعية مبتكرة، توظف لهدف معين، وهو ما نسمية رسالة الأدب أو ما أطلق عليها اديبنا الكبير توفيق الحكيم بالتفسير في لغة تعبير النص.

وهنا في تلك اللحظة الفاصلة تدور الجدليات حول ماهية الجنين المتولد، بين لغة التنقيح والمراجعة له، وبين تركه على ولادته ونسقه الطبيعي دون التدخل في خلقته بالتنقيح والتعديل، فهناك من يؤكد على أن العمل الإبداعي لا يقبل التنقيح في ماهية ولادته وتخلقه في البدء والكل، لأنه كالطفل الوليد الذي لا يجوز التدخل في خلقته بالتنقيح والتعديل وإلا فإن مثل ذلك التنقيح والتعديل يفسد ما فطر عليه ذلك الوليد من خلقة طبيعية، ولكن من المبدعين من يعتقد أن التنقيح والتعديل ضروريان طالما انهما لا يمتدان إلى جوهر العمل الأدبي وأساسياته وخطوطه العريضة، وطالما أن العمل لم يعرض على الملأ فأن للأديب الحق في تعديله وتنقيحه.

ونص "منار" للمبدع الشاعر يوسف الديك، يشكل تمثيلاً رائعا لولادة النص في آتون لحظة توهج نارية تتصاعد فيها طافات الرفض، والميزة الإبداعية فيه تتجاوز النظريات وتقعيدات الأشياء، لأنه هنا تتماهي النشوة مع التوهج مع اللحظة المقتنصة مع الواقع الموضوعي، بحيث تتشكل في لوحة ابداعية واحدة، تتشكل فيها مساحات عالية متصاعدة لطاقة الاستنهاض التي سبقت ولادة النص ومعطياتها في لغة حرارة الحدث ومترتباته اللاشعورية التي تتشكل فيها طاقة الجذب مع الحدث دون إمكانية تحديد تلك اللحظة الفاصلة بينهما زمنياً وإمكانية سبر لحظة التوهج بكل الوانها الحمراء الدامية التي تشكلت شيفراتها في مفردات النص، لأن حرارة النص تعطي انطباعات بولادة آنية له مع حرارة الحدث ن وتعطي مؤشرات لبلوغ لحظة التوهج مساحات اشراقات لامتناهية تتشكل في مفردات النص ولغته الرافضة في كل مقاطعة، والعاشقة في كل مقاطعة في ثنائية متضادة بين رفض الواقع، وعاشقة للغة التغيير التي يدور النص في تجلياتها الملائكية حيث تبلغ السماء وترتفع عن الأرض ومعطيات الاستلاب فيها في عنجهية لغة سادية صارخة.

ويشكل نص "منار" حالة انفتاح بين المساحة الشعرية ولغة القص المكثفة في كافة فنيات ابداعيتها، وتتكاتف تلك الفنيات في صقل هالات انطباع لحظة التوهج على النص،

وهندسة بنائها المحكم المكثف في التعبير، الذي تتكاثف فيها بنية الشكل الفني للنص ورسالة المضمون بتصاعدات الفكر فيه بحرارة، التي تتجاوب مع موسيقى النص بتصاعدات متناغمة مع تعاليات الفكرة واتساع مساحات إثارتها في النص، تحمل معها تراتيم أغصان شجرة مريم العذراء، في مقاطع انطلاقات الفرية على القديسة الطاهرة في النص -منار- في التقاءات رسالة السماء هناك في الزمان بالمحبة وهنا في لغة منار في الصعود إلى السماء، وهناك ميلاد المسيح في أبهة نتاج السماء، وهنا رسالة الوجود في أبهة نتاج آدمية ملائكية على الأرض.

وتبرز في النص في أبهة ثمرة توهجه لغة التصميم الكلية الحداثية، التي عبر عنها روبرت شولز في إطار لغة المفارقات، بين الواقع الذي يخوض افراداه في لغة القص والتداولات بشأن الحدث الأم في النص، وبين الرؤية التصممية الكلية في جوهر حقيقة القص ونهاياتها المثيرة في ظل لغة تشويق متعالية في استهلالة النص حتى نهايته.

ويفتح النص استرته على مصراعيها في لفتات ابداعية، تتسق مع موسيقى النص ولغته المكثفة المحكمة في أعلى درجاتها، وبين مضمون يتسع للرؤية السابرة والتأمل العميق في مفرداته، في كينونه ناعمة فسيفسائية صغيرة -في ظل مساحة النص في التراكيب- تسع الوجود بكل متضادته، في ظل واجهة يقدمها النص عبر لغة الحكي في ظل واقع شعبي عفوي، في الأحياء البسيطة حيث تبرز فيه لغة القيم واصدار الأحكام المتعجلة في ظل ذكورية الثقافة وتقاليد المجتمع، في تكوين رأي اسري، بشأن تفسير غياب منار عن البيت، ويدور ذلك الرأي في إلصاق تهمة العرض واستلابه ومترتباتها في لغة النبذ الاجتماعي، حيث يسلط النص إضاءات حول لغته الاجتماعية في ظل تماهيات إشاعات تتلقفها الألسن وتدخل في تفاصيل صورة ذهنية متوهمة في المتخيل العابث الهارب لديها من مواجهة واقعها، في استلاب حكايا وقصص في الوقت الذي ينتظر منها تصاعدات في ماهية الوجود والإنجاز ولغة الحرية وتسامياتها على الأرض.

ويشكل النص وثيقة لمسارات الانتفاضة مع غيره من النصوص الأدبية التي تتابع مسيرة النضال الفلسطيني ورحله كفاحها على الأرض، على أبواب الحرية الحمراء، وبلوغ

حالـة العـشق المتـسامية مع الوطن، حيث فناء الجسد واستحالته إلى مسك يعطر الروح وينثر طـيرا محلقـا في الـسماء، في رحلة خارقة، تنشطر من خلالها تساميات عشق للوطن في اقدس تجلـياتها الأنـثوية، حـيث تعكـس مؤشراً في تحولات رحلة الكفاح من تجلياتها الذكورية نحو آفـاق أنـثوية خالـصة، حـيث تكـسر تلـك التجليات الأنثوية تقاليد المجتمع وتتسامى في لغة الرفض، وتكاد تسمع مع قرع أجراسها الكفاحية كل ما نعي وما لانعي من مسميات حصار الثقافة والجسد. حيث تتصاعد الأرواح عشقا للحرية وكرامة الوطن في الجسد.

ويـبرز في نـص "منار" لفتة فنية في لغة القص، وتدور في لغة تناغم واتساق بين عنوان الـنص وماهـية الحـبكة ولغـة المفارقـات فـيه، حـيث يشكل العنوان إثارة بالغة في لغة التتبع والتـشويق، وتتـشكل ماهيـته وانشطارات نورانيته في ظل حبكة النص التي تتفتح أكمامها في تصاعدات الأرواح وانطلاق النور من الظلام وانطلاق الحرية من لغة الاستلاب والاستبداد في الأنـا اللاشـعورية والجـسد والـوطن والـزمان والمكـان، ولكـن ثمرة التوهج هنا لمنار في الماهـية هـي تـصاعدات الحـرية في بعـد قداسـتها الكفاحـية وخـصوصيتها الجمالية الفنية في تراكيب النص لأنه اتصاعدات الولاء للأرض في السماء وصوتا خالدا يردد لحنه قديسة بهية تـسكن في عليين الأرواح على بساط السماء، وتعلين حريتها هناك على قرع أجراس أعراس الأرواح في آتـون ثقافـة الـصمت الـتي تلـف عوالمـنا في كينونـتها الداخلية وكينونتها الممتدة بلاحـدود في لغـة الاسـتلاب، حـيث تتـشكل عوالمـنا في أتـون رفض لذواتنا في الأنا والكل وتـتلذذ في الانـسلاخ عـن ابجـديات حـريتها لترتمي حبا وتلذذا وتهالكا على مغريات موائد سـادية تنـشد مـن خلالها حرية واهمة وعمرا بهيا من الزمن في اللازمن وسلاما في اللاسلام ممـا يخطـر ببالـنا وما لايخطر ببالنا من مفردات حروفها الباهتة المقزمة لذواتنا في الجزء والكل بـلا تـوان، فعـند ناريـة تلك الأحداث في ظل واقعنا المر المستلب، تتشكل خوارق توهجات رحلـة منار إلى السماء، لتعلن الحقيقة في آبهة قداستها من السماء إلى سماءات القلوب الحرة الأبـية في الأرض، وتعلـن حكايـة خالـدة في الكفـاح، تـتوهج هـالات تلو هالات لها نكهة القداسة في نورانية منار في لغة التوهجات فالانشطارات فرحلة التغيير المتسامية على الارض حرية وكفاحا.

ولايسعني مع مقطوعة "منار" للشاعر يوسف الديك في لحن حروفها على أوتار الحرية، إلا أن أزجي له هالات تحية وتقدير زنبقية له، عبر فضاءات التواصل وسيفونيات توهجات الحرية وانشطارات الأرواح طيوراً إلى السماء, في رحلة الخلود السرمدية، فكل إبداع وانت متتاليات إبداع تتوهج نورانية وجمالاً وعذوبة هادئة منسابة على السطور بلا حدود، وتصبح على وطن وحرية ومملكة إبداع لا تنتهي.

رصد اهتزازت الشعور وانثلامات الوجدان في الإبداعية الأدبية

دراسة تطبيقية في نص "ترتيلة الرحيل" للكاتب صبري يوسف

تعد الأعمال الأدبية نتاجا حياً للفكر والإحساس ونتاجا لما يحس به الأديب من صدام بينه وبين الواقع، ومن هنا ينبغي أن نميز بين الواقع كما هو قائم في العالم الموضوعي؛ وبين الواقع كما يرتئيه الأديب، لأنه واقع يسمو على الواقع الراهن، إنه واقع لا يخضع للزمان، فلقد يكون الواقع الذي يحياه الأديب واقعاً حدث في الماضي، ولكنه ينبض بالحياة كأقوى ما يكون النبض في عقل ووجدان الأديب، ولاشك أن الأديب ليس مجرد اله تصوير أو شريط تسجيل لالتقاط الواقع ثم سرده كما هو، بل يعد الأساس في تلقي الواقع لديه هو ما يمكن أن نعبر عنه بهزة الشعور أو انثلام الوجدان ونزف جراحها على السطور، وحتى بالنسبة لحالة الفرح التي تهز مشاعر الفنان أو الأديب فإنها تكون في الواقع رد فعل لحزن سابق أو لانثلام وجداني قديم، ومعنى هذا أن ما يختزنه الأديب أو الفنان من أحزان ومن انثلام للمشاعر يشكل الركيزة التي ينبني عليها ما قد يحس به من هزة فرح ونشوة سرور في المواقف التي يستشعر فيها الفرح أو السرور، فالأصل في الإبداع الأدبي هو الحزن وليس الفرح. وهذا ما يفسر شيوع الحزن عند الأدباء لأنه مصدر الطاقة الإبداعية في لغة التسامي والرفض والأستلهامات، ولذلك فأن النجاح الذي قد يهز مشاعر الأديب/ الفنان إنما يكون قوياً ومؤثراً في حالات تصاعد تقدير ابداعيته من قبل الأخرين بعد مرارات المرات التي لاقى فيها الهوان واللامبالاة. وهناك شواهد على ارتباط الإبداعية بمؤثرات لغة الحزن ومعطياته إذ يقول احمد رامي: ـ يسرني جدا أن اقرأ شعري فيبكي من يسمعني، إن ألذ شيء عندي أن ابكي احب البكاء دائما، ومساحات الحياة تمتلئ بشواهد سيكولوجية تؤكد اختلاط لغة الفرح مع تداعيات لغة الحزن في مشاعر متماهية واحدة، واختلاط الحزن في لغة هستريا الفرح وتواليك، ولكن كلا المشهدين يؤكدان أن الفرح يرتمي في نهاية الأمر في

أحـضان الحـزن ولغـته التعـبيرية والأسقاطية، فالبكاء والضحك وجهان لعملة واحدة فهما صـنوان لايفترقـان، فهناك ثمة تداخلا بين البكاء والضحك، وفي نهاية المطاف يسكن الحزن في لغـة الإسـقاطات في كليهما على قمة استلهامات الأشراقات من خلال نوافذه السابرة في أعماق الحياة؛ حيث تنسكب من ماهيته النازفة المقهورة سيمفونيات روائع المبدعين.

ونـص تـرتيلة الرحيل إبداعية أدبية تختلط فيها مشاعر الفرح -المتراقصة مع هالات الفراشـات الماسـية في الـنص المنبعـثة مـن مشاعر الطفولة وانطلاقاتها الضاحكة وتساؤلاتها العميقة في الوجدان - مع مرارات الغربة واحتراق الروح على أزقتها المظلمة في عزف الحان الأشـتياق لـلأم في الأنـا والوطن، ويشكل ذلك المقطع الرومانسي في تركيبة النص -في بعد الفكـرة- الخـيط المغناطيـسي الذي يجذب كافة مقاطع النص تجاهها، بحيث تشكل تماوجات الفراشـات في الطبـيعة وتراقـصاتها مركـزية الـنص الـتي تنبعث منها اهتزاز المشاعر وانثلام الـوجدان في الألم والأحـتراحـات بشكل دائري يدور حول مركز النص في انبعاثات اشراقاته الإبداعـية، في ماهـية حـزينة فيها من التلوع وحرقة الأشتياق نحو الأمومة الحانية التي تشكل نقطـة مركـز الحـياة واستـشعار معانـي الفـرح والجمـال والطبيعة في عين حقيقتها من البهاء والنضرة.

ويـبلغ الـنص في تـدفقات الأنا اللاشعورية وإسقاطاتها ومسارات فراشات الطبيعة ومـشاعر الأمـومة ونبـضاتها في الحياة، كل ذلك يبلغ حد الأشتعال نحو الفناء المطلق ورحلة الـسفر البعـيد حيث تغيب ماهيات الذوات وتبقى حرقة تحنان التذكار. ويعبر عنها النص في استفهامات حائرة:

أتـساءل: هـل نحنُ الّذين عبرنا البحار وعبرنا الجسور وعبرنا بوّابات الشّعر والنصّ والقصّ والسَّردِ والعشقِ، عرفنا لماذا تحومُ الفراشات حول الضَّوءِ إلى حدّ الاشتعال؟!

وتنـساب في الـنص احـساسات مـرهفة نحـو الأم -في الأنـا والـوطن- المخـتلطة بعذابات الغربة، مما يزيد حرقة الألم ومساحات استشعار المرارة في الأعماق والوجود، وتصل في أعلى تصاعداتها عند لحظة فتح السماوات أبوابها لروح الأمومة المعطاءة وفي أعماقها كل التحـنان للابـن الـذي غـاب مـع اسـترة الغـربة ولم يعد حتى عند لحظة اقتراب رحلة الفناء

الأخير، فتصعد إلى سماءها الخالدة وهي مترعة النبض بالشوق إليه والتلهف لرؤياه. وهذه مساحة تعبيرية مؤثرة للغاية، واتسمت بجماليات تراكيبها في التعبير وامتلاكها فنيات بارعة في عكس تلك المؤثرات الحزينة في إضاءات خافته مؤلمة؛ تتجرع الألم والحسرة؛ وتشتعل فيها نار الغربة وعذاباتها.

ويرتسم في النص هالات رقيقة للغة التصوير الفني للفراشات، التي تجتاح مساحات الطفولة في لغة الذكريات الجميلة، وتنساب منها نحو أحضان الأمومة التي تشكل ماهية الوجود وبهجة الحياة، وتتوالى اشراقاتها على لغة الصداقة وتماهيات الورود في تجاذبات الفراشات، وتتشكل منها المفارقات المرة بين جماليات الطبيعة الخالدة في لغة الأم في الجسد والوجود وتماهيات مرارة الغربة واحتراق الروح في الأشتياق، وتتناثر إسقاطاتها في استفهامات ضبابية عاشقة للفرح في آتون أحزان مشتعلة:

"تعالي آيتها الفراشة التائهة في عوالم الحلم، في عوالم البحث عن الفرح الآفلِ، لماذا لا تبقى أفراحنا ساطعةً فوق خيوطِ الشّمس؟!"

وتتعالى إبداعية الأديب في متتاليات لغة مونولج حارة في النص، تتماوج معها انكسارات مشاعر الاشتياق واحتراقات الروح، لتبلغ حالة الخلاص وماهية المنتج الأبداعي الذي يعكس فيوضاته على الورق في رسالته الإبداعية.

"لا يستطيعُ أن ينتشلني من اِندِلاقِ هذه البراكين سوى قلمي؟ أهلاً بكَ يا قلمي، تعالَ كي أزرعَ رحيقكَ بين عشبةِ القلبِ وشهقةِ الرُّوحِ كي أرسمَ فوقَ بيادرِ غربتي ترتيلةً من لونِ المحبّة، من لونِ فراشةٍ موشومة فوق بسمةِ أمٍّ متعانقة مع هلالاتِ الرُّوحِ، مع صعودِ بخورِ القلم!

وهنا تبرز حلة هروب السارد نحو ميادين الفرح المنبعثة من أتون عذابات تعصف باللاشعور والجسد والوجود في عين السارد، في لغة التذكار وهستريا فرح تعبر عن زخم معاناة يحترق في أعماقه الواعية واللاواعية، تشفر في لغة الاغتراب، وهالات أحزان مستعرة ملتهبة في الأعماق مع اعراس الفراشات على السطور.

ولايسعني في نهاية رحلة التجليات مع الحروف البهية إلا أن أزجي تحايا التقدير الزنبقية لمبدعنا الألق: صبري يوسف على ما امتعنا به من حروف ربيعية مورقة ودام إبداعه فراشات انيقة متفردة في الحرف والروح على اثير الحبر الخالد.

فوب هانسون وتمرد الشفاه الحمراء

قراءة سيكولوجية في نص الشفاه المفقودة لفوب هانسون

يشكل نص "الشفاه المفقودة" لفوب هانسون* مادة إبداعية مترعة بانعكاسات سيكولوجية، وتعد من المواد الأدبية الثرية إبداعاً ورؤية ذاتية عميقة في إسقاطات الأنا والزمان والمكان، حيث تدور فيها محاورة حادة بي ن(الأنا العليا) المتمثلة بذاتية الشاعر و (الهو الدفين) في أعماق تلك الذات، الذي يكاد ينتفض من أسر الجسد، ويتفاني جلداً للخروج منه إلى أعماق الهروب ومساحات لا تنتهي من الإسقاطات.

ويشكل النص مادة إبداعية في التعبير عن حالة احتدام الصراع بين التقليدي المألوف واللاعادي الدفين، وتتشكل رمزيته من خلال الصراع بين (الأنا العليا) لذاتية الشاعر و (الهو) الدفين في أعماق اللاشعور، من خلال استرة تلك المحاورة الشعرية الحادة بينهما.

وتتفتح أكمام تلك المحاورة في عين شمسها في الهروب ولغة الإسقاطات من خلال حراك الشفتين في النص:

تهددني شفتاي بالهرب مني
وبالاختفاء دون أن تتركا أثراً
وبالسقوط من فمي إلى الأبد

وهنا تبرز حدة تلك المحاورة من خلال غضب الأنا العليا للشاعر بين ثنائية الرفض للانفصام وحرارة الاعتداد بالذات رغبة للبلوغ بهما إلى جسر التفاهم:

فاصرخ: انتظرا لا تتركاني
وأحاول أن اضربهما بإصبع احمر الشفاه
لأجعلهما تفهماني

وفي ظل تلك اللغة المنغمسة في الحدة والهروب والدعوة للرجوع معا، تتشكل آهات لغة التمرد المتعالية من قبل تماهيات الشفتان في أعماق الهو المتململ من اسر ذاتية الأنا العليا أمام رغباته الممتدة بلا حدود:

وتجيبان: اتركنا وشأننا
نريد أن نرحل عنك
إلى جو دافئ طوال الشتاء

وهنا يتجدد صخب الأنا العليا أمام تطلعات الهو الغارق في أعماق الهروب:

واصرخ اذهبا عني إذا
لتريا حالكما دوني

وعند ذلك المنعطف تتشكل أبعاد اعتداد الأنا العليا بممتلكاتها المادية حيث المال والسفر وزاد العمر بالحياة كما تراها الأنا العليا وترفضها الشفتان بلا توان:

وابحثا عن شخص يطعمكما
وتسافران جنوبا على نفقتي
وتقيدان على حسابي نفقات الفنادق ووجبات الطعام في فورت لودرديل
واثواب السباحة واثواب الاستراحة في بام سبرنغس

وتتابع الأنا العليا في الشاعر بث مساحات ما ينتظر الشفتان في رحلة الغربة البعيدة، حيث امتداد الرغبات المسعورة مع لغة العجرفة المقيتة:

وتعودان في آذار
مفعمتين بالحيوية، نحاسيتي اللون

وتثرثران كثيرا كثيرا
حتى للغرباء الذي تلتقيان بهم في المصاعد
والذين ينظرون إلى لوحات الطوابق في المصاعد
ويحاولون أن لاينتبهوا إلى أي شئ

وهنا تبرز في تلك اللوحة الشعرية مساحات استعار الرغبات لتلك الشفتان في رحلة الغربة البعيدة:

وتقبلان في ذلك الصف اكثر مما ينبغي بكثير
الكثير الكثير من الأفواه في ملاعب التنس وغرف إيداع المعاطف
ولكن لا أحد على ما يبدو يحملهما
على ترك عجرفتهما المخيفة

وينفلت عدوان السيطرة من قبل الأنا العليا ولغة رد الاعتبار عبر معاقبة تلك الشفتان المتمردتين من خلال تلك الشواهد:

وأحاول أن اتجاهلهما
فلم اعد أسيطر عليهما
ولم اطعمهما شيئا لشهور عديدة غير اللمعان

وهنا تتسع مساحات الهوه بين الأنا العليا والهو الدفين في الأعماق عبر تمرد الشفتان المتحركتين ويفتح ستار جديدة من الهروب والارتحال البعيد عن ذاتية الشاعر:

وترحلان عني في باص الجريها وند
وتعملان نادلتين: وتكلمان بغطرسة سائقي الشاحنات
الذين يشكون من كسوة فطائر الليمون بالمرنغ

وتبرز محاولة لأستئناف لغة الحب المنكشفة بين الأنا العليا والهو في محاولة لم الشمل والتوحد من جديد:

والحقهما بسيارتي الفولكسفاغن
واتوسلهما أن ترجعا
لتكملا المدرسة الثانوية

ولكن تبقى لغة الرفض والهروب هي المسيطرة على المشهد الفاصل بينهما:

لكنهما تعبسان وتقولان اتركنا وشأننا

وتبرز لغة الابتزاز من قبلهما، وان تنزل الأنا العليا عند رغبتهما طائعة لا تخالف أمرهما:

أعطينا غرفة خاصة بنا فيها تلفزيون ملون
وتوقف عن سؤالنا أين نقضي الليل
لعلنا عندها أن نرجع
وتحاول الأنا العليا لملمة الأمر وتغطية المشكل وتأجيله إلى حين ركوبهما معه:
وأقول لهما اركبا في السيارة
سنتحدث في هذا الأمر ونحن راكبون

وتبرز النهاية الحتمية في بقائهما غريبتين في الجسد وفي حالة احتدام الصراع بينهما، لأنها النهاية التي لابد منها في كل جسد وروح في الوجود:

وتتعانقان في المقعد الخلفي بشدة

وهذا مؤشر على بقاء لغة التمرد فيهما وتكاتفهما على مخالفة الأنا العليا، واستمرارية حالة احتدام تعاكس الرغبات سرمدا بين الأنا العليا والهو الدفين في أعماق اللاشعور:

عابستين مغمغمتين لاتبوحان بشيء

ويمكن تحديد السمات الآتية للنص:

- عبر النص عن تمادي رغبة الهو) الدفين في الأعماق نحو البهجة والرغبات المستعرة في عوالم الحظ والتحرر من لغة المسؤولية، في حين لايمكن للانا العليا إلا نهج العقلانية والمسؤولية، والرغبة الجامحة بالسيطرة على الهو ولملمته في ذاتية متسقة أمام الأخرين بغض النظر عما يدور في الداخل.
- عبر حالة الصراع بين الأنا العليا والهو الرومانتيكي الدفين عن حالة الانفصام بين الألتزام واللامسؤولية والعادي التقليدي وغير العادي المفتح والكبت والحرية وهذه في حسابات عوالم اللاشعور وان كانتا تبتدى في الظاهر انه بإمكانهما التعايش معا.
- شكل الشفتان رمزية خاصة للرغبات المستعرة بلا حدود وكسر الحدود وتتمثل الأنا العليا بالنص في اللغة العقلانية التي تلتزم العرف والمسؤولية والنسق الطبيعي المعتاد في الحياة.
- برز في النص اللغة العفوية الجذابة في إبداعية رمزية معبرة، وفكرة لامعة وعاطفة متقدة بالمشاعر، وانسيابية في الصور الرمزية تؤجج التشويق للمتابعة من قبل القارئ.

وفي نهاية تلك المحاور الحادة الجياشة عبر إبداعات فوب هانسون، احيي قارئ تلك اللوحة الشعرية السيكولوجية وكل مار عليها، وعلى الحب والسلام أودعك أيها القارئ العزيز وعليهما ألقاك في واحة أدبية مستجدة بلآلئ الإبداعات.

الهوامش:

* نشرت هذه القصيدة للشاعر فوب هانسون عام ١٩٧٤.

ذاتية الكاتب والنص الأدبي

قراءة سيكولوجية في نص "طائر الربيع" لمحمد سعيد الريحاني"

يتولد النص الأدبي من تماوجات الفكرة المتأججة في لحظة ما في ذاكرة الكاتب وواقعه المتخم بالأحداث، وهنا تتشكل إسقاطات الكاتب على تلك اللحظات والواقع المتخم، ويتولد النص بين اتون الأنا وتمردها وتسيجها بلغة رومانسية هادئة تخبئ من خلالها المكنون الرافض المتأجج في الأعماق، وهنا تغدو الطبيعة مسرحاً لأرتسامات فرشاة الألوان عليه فكرة وعاطفة وتطلعات تحمل في اعماقها الرفض والتغيير معاً، وبحسب تماوجات الطاقة الأنفعالية لتلك اللحظة يكون مستوى العاطفة المتأججة في النص، وارتسامها لغة تعبيرية عبر موكب الأخيلة التي تغلف الفكرة والعاطفة معاً على مسرح الطبيعة المتشكل لى الصفحات ويشكل طائر الربيع)* للمبدع د. سعيد الريحاني مادة تعبيرية لتلك الطاقة المكنونة المتأججة رفضاً، وقد ارتسمت في النص بلغة رومانسية هادئة معبرة، تمكن الكاتب من خلالها من ايصال رسالته التعبيرية بمساحات تفردية رائعة، واوجز معالم تلك اللغة التفردية في المحاور الأتية:

- شق الكلمة واعتبارها جسر التعبير وامتشاقة الربيع عبر ارتشافها شهداً على الصفحات، وهنا تشكل مساحات تلك الرسالة التعبيرية في الأجواء الربيعية الممتدة والمقهى الخاص وابريق الشاي المعطر بالنعناع ولغة التأمل التي تحاور مكنونات تلك الطبيعة الساكنة في النص.
- ستثمار لغة الألوان ومساحاتها التعبيرية لأعطاء نكهة خاصة بالنص، وتتركز الروعة في مساحات تلك اللغة سيكولوجيا من جهة وايدلوجيا في ثقافة الكاتب "عندما يحل الصيف وتكبر الشمس وتقترب تدب الحماسة في المتحفظين والحذرين وتستعل الروح في الأحياء وتنتفض الأجساد على جنبات البحار والأنهار والوديان،

انـذاك، احب اللون الأصفر، لون الطاقة والحيوية والتجدد واشعر بالأنتشاء....أحب اللـون الـبني لون لتغير اشعر بالتجدد... يتنبؤن بمحصول الزراعة ويقارونون الغلات الممكـنة بـالغلات الفائتة.. شعر معهم بالحرية....."تضحي الحياة خضرة على خضرة واشعر بالأنبعاث، بالولادة من جديد".

- سـاحات العاطفـة المـتأججة الرقـرافة في الـنص وتعلقهـا بلغـة الحـب الجمـيلة "وعندما يحل الربيع ثانية، يحل الجمال في كل مكان...كل يعانق حبيبه او تتودد لحبيب وتترجى ذرية. كل يلتحف بالخضرة ويتواصل بالأخضر مع الربيع".
- نعكاسـات ايدلوجـية الكاتـب مـن خـلال لغة خاصة ممتزجة بالجمال والحرية وروح عاشـقة تـصر علـى التغـيير والـتجديد، وكـأن الكاتب يسدل الستار من وراء الربيع والطـيور إلى دنـيا الواقـع المتخم بالأحـداث والأزمـات ولغة تواصل الأفكار بحرية المساحات دون تضاد لأن ذلك ناموس الكون والحياة.

"رسـل الحـرية والتغـيير تحلق في كل مكان، لايمكنك ابداً التكهن بأتجاه طيرانها، انها تـنطلق ذات الـيمين وذات الـشمال، تـسرع الأيقـاع وتبطـئ تغـير اتجاههـا كما تريد، فرحة بالأنـبعاث..." ويـؤكد الكاتـب علـى الحرية وجريمة انتهاكها بشأن الخطاف وتحريم صيدة او طـرده "والنتـيجة ان الخطاف يستمتع بالربيع حتى اخر ليلة، يحلق دون خوف، يطير دون قيود ويحـط علـى الأشـجار" وهناك تتفتح اكمام ورد لغة المبدع الريحاني الرائعة في ان نتاج الحرية اجـواء سـعيدة خالـية مـن ردود الفعـل الـسلبية مهمـا كانت سلبية الخطاف لأن الحرية لغة الطبيعة ومـسارها العفـوي ودنـيا الحقـيقة رغبـنا بـذلك ام ابيـنا "يطير دون قيود ويحط على الأشـجار، علـى حبال الغسيل، على الأسلاك الكهربائية، ويبصق على المارة ورواد المقاهي، علـى الـسطحية، تحـته ويظـل ينتظـر منهم رد فعل ما على نوع ما، لكن الناس تكتفي بمسح رؤسـها بأكفهـا وتبتـسم حـين تـرفع عـيونها إلى الأعلى وتتأكد ان الأمر لايعدو كونه بصق الخطـاف طائـر الـربيع وهكـذا فأن الحرية وطيورها عبر الأقلام، تترتب ضريبة من الصراحة ومـساحات واسـعة من التعبير؛ تقتضي الأستمتاع بها وان لانضيق بها ذرعاً، وان تكون لغة

التفاهم معها من جنس لغة الطبيعة من التجاوب والأتساق، مهما كانت حادة، لأن الخطاف ناموس الطبيعة ونكهة الربيع، و الحرية ناموس السعادة بين الأنام ونكهة ربيع الأستقرار فيها ولايسعني في نهاية محطتي النقدية هنا، إلا ان ازجي كل رفرفة بتونيا الربيع للمبدع د. محمد سعيد الريحاني، وكل ابداع والإبداع انت.

الهوامش:

* طائر الربيع، محمد سعيد الريحاني، نص مستقى من مجموعة قصصية للكاتب بعنوان "موسم الهجرة إلى اي مكان"، ٢٠٠٦.

الفصل الثالث

سيكولوجيا النص الأدبي

الفصل الثالث

سيكولوجيا النص الأدبي

ثنائية "وعي الذات، الرمز" في الأدب القصصي

صقلت التيارات النفسية الحديثة، حركة القص فيما بعد الحداثة، وعكست فيه بعد انفتاح النص القصصي على عوالم الوعي الساكنة في أعماق شخوص النص الدفينة، ومايستعور فيها من تضادات وتنهدات وبوح داخلي، وقد لعب تيار الوعي دوراً بالغاً في صقل هذا الاتجاه القصصي وعكسه بعمق في حركة الأدب القصصي، إذ يغوص فيها الراوي 'السارد' في أغوار عمق شخوصه ويستنطق ما في أعماقها قبل نطقها على مساحات الواقع، فيدير بمساراته السردية حورات داخلية تدور في جنبات تلك الذات ويوجه أدوات الكشف التصويرية على آتون أعماقها، وتعرجات خلجاتها في أمواج صراعاتها الداخلية، سعياً وراء كشف الذوات في النص السردي، من خلال لغة خاصة تحمل شيفرات سلوكية، مغلفة بالثوب الرمزي في القص.

وهنا ملتقى العلاقة الوثيقة بين النص المتفتق من بعد وعي الشخوص في نهج القص واللغة الرمزية في التعبير، وذلك يعود لفرضية موضوعية، مفادها أن خلجات أغوار النفس والمغامرة في كشف متعرجاتها، مرجانها، أمواجها المتصارعة، منظومة التضادات في آتون أنفاسها، لا يمكن أن تقوى على تلك الألتواءات ومطبات انحناءاتها وما يستعور في أغوارها الهائمة، لغة ذات رتابة عادية في الأدب، إذ لا يتناسب مع تلك الطاقات الفياضة المتدفقة في أغوار الذات وتقف عاجزة عن تشكيل اللوحة الذاتية في حوارها الداخلي وعوالم المونولوج المتدفقة منها، فأقتضى التلازم مع تلك الفرضية ومعطياتها في النص الأدبي أن تتشكل تؤامة بين تلك الثمرة القصصية المتولدة من أغوار الكينونة النفسية والكينونة الذهنية في التحامها العابر من الذاكرة وعوالم المخيلة إلى النص القصصي عبر فنيات اللغة الرمزية في التعبير، إذ تنطلق مساراتها في دواليب رؤى عميقة متدبرة ومعبرة بسحر فني عن عوالم تداعيات تلك

الذات وما يعتريها من انكسارات، متناقضات، في لغة تستنطق (الزمن) باعتباره يحمل في جوهره وشيجة ملتحمة مع تيار الوعي المعبر عن عوالم الوعي والشعور في الذات المتشكلة في النص القصصي إذ يعد أداة مهمة في المضي بتكثيف العرض مع الإضاءات المركزة الموجهة بانعكاس على الذات المخترقة للزمان في اسقاطاتها الشعورية، وكذلك عنصر المكان يشكل وحدة فنية في تشكيل سيمفونية لغة الوعي وتداعياتها في النص القصصي الدائر في منظومة تيار وعي الذات، وترجمته من خلال شيفرات سلوكية من النص القصصي.

وبذلك يسهم البعد النفسي في كشف الستار عن الشخوص المتحركة المتحركة بعنفوان وحراك نشط في النص ملتقيا في توأمة نجاح العمل القصصي مع سائر أدوات الكشف من عناصر العمل القصصي من المونولوج وفينات الحوار الداخلي وعنصر الزمان والمكان وما يحمل من اسقاطات شعورية وأدوات العبور من كينونة النفس، العقل إلى الذاكرة والمخيلة الخصبة في انسكاب النفس على النص في لغة رمزية تصهر الجميع في لوحة قصصية معبرة تتكاتف مع سائر أدوات العمل الفني في القص فيبدو لن النص القصصي في ألق العرض، وبهاء الطلة، وثراء الغوص في عوالم وعي الشخوص، وجمال البناء في السرد، في تراقص لغة رشيقة سلسة بين أعيننا، تستهوي الفكر والقلب معا، في مسيرة إثراء المنجز القصصي في لغة الجمال والإبداع.

أرجو ان أكون قد وفقت في هذه الإطلالة في عوالم تيارات وعي الذات وبرمجتها في المنجز القصصي، ورسمها بلغة موجزة موفية الغرض والهدف المنشود في عرضنها، حتى يتحقق ما أصبو إليه في إثراء الثقافة القصصية لدي كتاب القصة القصيرة والقاء الضوء على أبعادها المتنوعة في مسيرة تهدف إلى توأمة العمل القصصي مع الحركة النقدية الهادفة البناءة التي لا تنظر من بعد عاجي للعمل القصصي، بل تتبنى مدرسة النقد الحديثة التي ترنو نحو البناء الملتحم في بنية النص القصصي وما يتولد عنه من قراءات للنص تتشكل في منظومة جيناته في العرض بحيث تصبو إلى الإمتاع والإبداع معا في العمل القصصي والحركة النقدية.

ثنائية "التفرد، العمومية" في المشهد القصصي

يتولد النص القصصي في مشهده العام من تخوّم الرؤية الأيدلوجيه التي تحرك كاتب النص، وتنعكس في تماوجات خفية على السطور، تحرك أعصاب النص، ويتشكل من خلالها أبعاد الرؤية الفلسفية للكاتب في حيثيات النص، فيغدو النص صورة جزئية ينعكس منها الكل والعموم، لأن المشهد الأدبي في جوهره صورة نقشية استقرائية تعزفها أنامل لغة الأدب، بحيث تترتب الجزئيات في منظومة النص الأدبي ويشكل مجموعها البعد الأيدلوجي العام في آتون تلك اللحظة الفردية المحتبسة في المشهد القصصي. والتي انطبعت بتفرد الأديب في بث تلك اللحظة في منظومته التفردية في العرض. وان كانت في واقعها هي مستقاة من لوحة الواقع المتاحة للجميع في بعد العمومية. وان ركن الأديب إلى منصة العمومية في مظلتها العامة فأنه يضاد بذلك التوجه منصة الإبداعية المتفردة في الأدب، ويغدو بروح نشاز في مجتمعه الأدبي، ويحكم على عمله الأدبي بالانتحار قبل الميلاد، وهذه معضلة مسارات الحركة الأدبية في واقعنا المعاصر، إذ تتكاثف فيها نصوص تنتهج بعد الرؤية العمومية وتفتقد للتميز الفردي الإبداعي في العرض لها، وتغدو لوحة مسجلة ببغاوية للواقع وليست صوت صداح رقراق منتزع من بحار التفرد في عزف سيمفونيات الإبداع المتفرد على النص، لأن من سمات الإبداعية الأدبية بلوغ مقام التفرد الصياغي والتصويري في سبك الحروف على النص، بحيث يتم تجاوز الواقع الموضوعي الملموس إلى ظلال زاوية تجريدية ملتقطة منه، ومصهورة في بوتقة التفرد الإبداعي، فتسلط على بعد وحدة "الزمان، المكان" في نزعات ذلك التفرد، وتختال في أزقة "الأنا" ونداءاتها الخفية المبطنة في الأعماق فتنطبع على الشخوص، وفق مؤثرات ذلك التفرد عليها، في إطار العفوية وعدم التكلف في الحراك في متطلبات الإبداعية والجودة في النص القصصي.

وهنا تدور إشكالية "الصدق الأدبي" والصدق التاريخي في النص، فالنص القصصي قد يعكس بؤرة ضوئية تاريخية ولكنه ليس معنياً بالتتبع التاريخي لها على سبيل المثال،

والكلام ذاته يساق على مشهد الواقع، فليس مطلوبا من الرسالة الأدبية تصوير الواقع بعموميته على النص كما هو في أبجديات صدقه الواقعي، ولكن المطلوب هو عكس ظلال زاوية الأديب الذاتية عليها في تصويره المتفرد لذلك المشهد الملتقط من مسرح الحياة، فتبسط هنا "الفردانية" أجنحتها بقوة على النص فتتشكل أخيلته وإسقاطات ذاته وتعرجات أفكاره على جنبات الدراما المحركة للنص في بعد التفرد الإبداعي، وهنا تعاود إشكالية "الموضوعية، الذاتية" فرض حضورها في مواجهة النص القصصي، وترجح الكفة هنا للرؤية التفردية التي تعزز بعد الذاتية في التعاطي مع النص القصصي، مقابل الموضوعية التي تسلط الأضواء على الواقع المباشر في حيثياته في النص دون انطباع الذاتية فيه، وصقل إحساسها واخيلتها وتفردها في بث الفكرة بتجريد منساب على النص، والتي تولدت من احتباس لحظة من الواقع الموضوعي المباشر، ولكنها انصهرت في بوتقة التجريد الأبداعي المتفرد.

وانطلاقاً مما سبق؛ فأن الذاتية التفردية تحكم مسارات المشهد القصصي في الانطباع في ضوء معادلة "الأنا، الأن، هناك"، إذ قد تتكاثف الذاتية الفردية في حصر تجريدها في الأنا واسقاطاتها المبطنة في اللاشعور وتعرجاتها وصرخاتها الدفينة ونشوات لذتها المبطنة، وقد تحصر نفسها في تتبع الشخوص وهندسة تركيب اللاشعور في اسقاطات ذواتهم على المشهد القصصي، وقد تنطبع في تعرجات المكان وتفصيلات اخيلته في بعد إبداعي مثير، وقد تشكل إضاءتها في التلاعب مع اللغة المجردة في الزمان وتشكيلة الجسد في النص وهناك ذاتية تهوى التحليق في تساقطات غيمات الأيدلوجيا السياسية على النص في بعد "الزمان، المكان، الشخوص" وهناك نصوص تتلذذ ذاتيتها في تفتيت الذات في بعد انعكاسات السيكولوجيا على النص الأدبي فتغدو الحروف مختبر نفسي تجري فيها انعكاسات الإسقاط الفرويدية بين مملكة الباطن الدفينة بالمتناقضات و مملكة "الأنا" المحافظة على تماسك الظاهر و تجريدات الأنا العليا التي تحكم الواقع و لغة "الهو" في تهيج تصاعدها عالم الأخر، ونصوص في لغة المتناقضات بين ثنائيات العواطف المتضادة بين الأكتئاب والزهو او الممكن والمستحيل ولوحة انشطارات الذات المبهمة في عوالم اللانهايات في الأشياء او التعبير بلغة تجريدية فوضوية الحروف عن واقع مبهم من جنس تلك الحروف التائهة الضائعة في النص، ويطول

الاستطراد في مسارات تلك الذاتية المتفردة في إبداعاتها على النصوص.

وما سبق ذكره من تقرير لبعض مسارات تلك الذاتية المتشكلة في النصوص الإبداعية في المشهد القصصي ينقل القارئ المتدبر تباعا معنا إلى إثارة تلك الإشكالية في ثنايا حديثنا السابق ومفادها؛ هل نتعامل مع النص في ضوء نظرية موت مؤلف النص أم في ضوء حقيقة انبعاث الأنا من ذاكرة الكاتب إلى قوام النص في السرد، وتلك الجدلية النقدية تناولتها الموائد النقدية في البحث والإثارة وما زالت رحى التساؤلات فيها دائرة، وإن كنت لا أرى غضاضة في تشكل الذاتية في النص وانعكاسات الأنا عليه، ولكن بعفوية عذبة دون تكلف في سبك النص، لأن العفوية العذبة المنسابة تجذب القارئ من جنبات النص فيغدو في السطر الأول في عمق قلبه وأحشائه الدفينة، بعكس التكلف الذي ينفر القارئ من النص في بدء الوصل، ولكن هناك من يرجح بعد التوازن في تلك الإشكالية بين غياب ذات الكاتب عن النص وانعكاسات مؤثراته على النص في الآن ذاته في ضوء العفوية والابتعاد عن لغة التكلف والمباشرة التقريرية.

والخلاصة المستقاة مما سبق مناقشته الخصها على النحو الأتي:

- ضرورة التأكيد على أن الأديب يعكس مؤثراته الشعورية على الفرد، المبهمات، حادثة ما، حراكاً ما، مشهداً، لحظة ما، عوالم المتناقضات..الخ في مجتمعه لأبراز حقيقة ذاتية ما، يرسمها بريشته الأدبية على الملأ ويعلنها بنوع من التأكيد في تعرجات ريشته على لوحته الأدبية المترعة بألوان متباينة منتزعة من اسقاطات ذاتيته على مسرح مجتمعه.
- يشكل الأديب كينونة مستقلة وفريدة فهو عالم له بعده الذاتي المتسم بفردانية خاصة، وهي تتصاعد في الأديب المبدع بشكل تفنى معه الصورة الجمعية المرئية للأشياء.
- لا يعد المشهد الأدبي صورة تطابقية عن مسرح الواقع بل هو لوحة تجريدية انعكاسية له، تصقلها مؤثرات الإسقاط اللاشعوري، ومتطلبات المهارة الفنية في الأداء، التي تتفاوت ابداعيتها من أديب إلى آخر، لذا لايعد المشهد القصصي مشهدا تصويريا حرفيا للواقع، بل هو صورة تفردية لحيثيات ذلك المشهد في الكل والجزء في

ضوء المؤثرات الأسقاطية والرمزية والتجريدية ومتطلبات الأداء الفني في النص، وتلك المعطيات تشكل لغة ديناميكية في النص، وتلعب دورا في رسم مؤثراته بشكل فاعل إيجابي، بحيث يحمل في طياته طاقات القة نضرة في تشكيل تلك اللحظة المحتبسة في النص، في سمات ذكاء الفكرة ولغة الخلق التفردي الأبداعي في الإسقاط وتدفق العاطفة الصادقة وموكب الأخيلة الشفافة وفنيات السرد في التهنية والإغلاق واحكام العقدة في الربط الذهبي لقوام النص وانعكاسات اشراقات تفككها في النص في لغة جذابة ودراما محركة مشوقة منبعثة من سماءات لحظة شعورية مختزلة محتبسة في المشهد القصصي.

وفي نهاية تلك الدارسة النقدية لتلك الثنائية في ثلة لوحة الأدب وثنائياته، أرجو أن أكون قد وفقت في عرض تلك الثنائية في لغة علمية هادئة دافئة، تنساب بجاذبية في عرض ماس أفكارها، وأسدي كل تحايا المحبة الصادقة والتقدير لكل مار عليها من عوالم فضاءات الأثير الندية.

ثنائية "التعبير، التفسير" في لغة الأدب

تنوعت الآراء الأدبية في تحديد ماهية الأدب، وغاية هذه الصنعة المبدعة في الحبر الخالد على الورق الطاهر، وكلها تدور حول السجية الفنية والفطرة الخصبة التي تجعل من مجرد كلامه المرسل إرسال أشياء عالية القيمة، بحيث يدرك من خلال أثرها الأدبي الفني ما لا يدركه البشر بحواسهم وملكاتهم، وفق الرؤية الأدبية لتوفيق الحكيم، الذي يؤكد في منظومته الفكرية على ذاتية الفرد في تحقيق إبداعاته في العمل الأدبي، في حين يراه آخرون مثل الأديب أبو الحسن الندوي: إنني أتصور الأدب كائنا حيا، له قلب حنون، وله ضمير واع، وله نفس مرهفة الحس، وله عقيدة حازمة، وله هدف معين.

وعند هذا المنعطف من بوصلة الآراء المتنوعة في تحديد ماهية الأدب -التي أخذت بعضا منا للاستشهاد لا الحصر- فإنه لا مفر من انقداح تساؤلات غاية في الأهمية، وقد أثارها الأديب توفيق الحكيم في مؤلفاته عامة، وتدور حول مهمة الأديب: هل تنحصر في قولب التعبير في لغة الأدب، أم قولب التفسير ورسالة الحرف في الكلمة، أم هما في معادلة التوازن معا؟ كما يتبناها توفيق الحكيم، وإن كان لا يرى غضاضة في الاتكاء على منصة التعبير أكثر لأنها في توجهه هي سر صنعة الأدب وماهيته على بساط ولادة المنتج الأدبي في أسلوب رقصات الحرف وجمالياته الفنية في النص، أو كما يعبر عن ذلك محمد إقبال اثر عصا موسى في النص؛ إشارة إلى الصنعة الجمالية الإمتاعية في لغة الترميز والتلميح وعدم المباشرة في النص.

فبلوغ النص منصة المباشرة والسرد العقيم من التعبير خلل وتشويه لمادة الأدب وتحليق النص في سماءات لغة التعبير ورقصاتها الرشيقة دون رسالة أو غاية التفسير، الذي يوجز أبعادها توفيق الحكيم بإلقاء الضوء على موقفه الفكري والشعوري تجاه هذا العالم وخدمته عالم الزمان والمكان والحاضر والمستقبل والبيئة والمجتمع...

أيضا يشكل ولادة مشوهة للنص الأدبي والفني. فقوة التفسير تعد سرا كامنا في قوة النص وتحقيق مغناطيسية ذات نكهة خاصة له في الجذب، إذ تجعل له مضمونا ورسالة تحتويه

من خلال توازن بين تمكن الأديب من أدواته الفنية الجمالية في قوة التعبير وقوة التفسير في إيحاءات الرسالة الموجهة من جهة أخرى. وهنا نصل إلى منعطف هام حصل منه وفق تلك المعادلة نظرة موضوعية للأدب الإسلامي واهتمامه بغاية الرسالة الأدبية من خلال تكثيف فكر الحركة الأدبية الماضية والحديثة في ضرورة احتفاظه بتأثير أن من البيان لسحر بجانب نبل الرسالة؛ للحفاظ على مرتكز القيمة الجمالية الإمتاعية في النص في تناغم التحامها مع الرسالة النبيلة المستقاة أبعاد نظرة الإسلام (الكون، الإنسان، الحياة).

وفي نظرة متأملة لواقع الحركة الأدبية في منظومة النصوص المنتجة يبرز للباحث ظاهرة الانسحاب من الجذور ورسالة المجتمع وتطلعات الأمة وركلها باستخفاف تحت مسميات المنجز الإبداعي بحيث لا نجد سحر البيان ولا رسالة الأدب، بل نجد منتجا مشوها لا يمت إلى الأدب بصلة، بل هو هذيان في فراغ ان الأسماء المسميات عوالم الأشياء في لغة صارخة لتحقيق ذاتية الأنا المسعورة دون أن نجد قوة التعبير الرشيقة ولا قوة التفسير في غاية الرسالة التي يفترض منها تحقيق لغة اتصال مع المتلقي في أحداث تأثير على المتلقي في منظومة القيم النبيلة، أو على الأقل مجرد لغة إحساس جميلة تنعكس عذوبة على القارئ.

وخلاصة القول فإنه كما يؤكد الأدباء على عصا موسى في النص، فإن التأكيد على نبل غاية الحرف في الرسالة أمر غاية في الأهمية، لأنني لا أتصور قوام وجود لماهية الأدب وهو خال من نبل رسالة ما يكون أمامها الكاتب بحالة نشط في اقتناصها بفنيات جمالية يحلق في فضاءاتها بروعة احتباس اللحظات المنتمية لجنسها الواسع المفتوح.

فما الأدب إلا ماهية النبل في الأشياء وتواصل ملتحم مع تطلعات الأمة... رسالة المجتمع متلمسا آلامه، معاناته، صرخاته، ولغة اتصال مع الفرد في ذاته، همومه، أفراحه، انكساراته في طاحونة الزمان.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد أوفيت الموضوع حقه ووازنت في التتبع العلمي لآراء الأدباء، وأبلغت رسالة واضحة البيان في هذا الصدد وإلى ملتقى في تلاقح فكري أدبي مع أقلامكم.

ثنائية "الحبكة، التصميم" في الرؤية النقدية للنص القصصي

يتشكل النص القصصي من بؤرة لحظة مختزلة من الواقع في لغة التفرد القصصية في التقاط جيناتها وتولدها على النص في آلية القص والسرد، وتدور احداثها في ظل بنية قصصية منظمة من تشكل لغة التهيئة وارتسام الشخوص في مسارات احداث تحدد ماهية دلالات القص بين ثنائية "العقدة، الكشف" في النص والتي تنسحب معها خطوط القص حتي بلوغ نهايات التماوجات بين ثنائية "الإغلاق، الفتح" في سبك النهايات. وفي ظلال تلك اللوحة القصصية تدور ثنائية "الحبكة، التصميم" في ظلال الرؤية الجزئية التفصيلية للعمل القصصي وتناول مفردات تلك الرؤية الجزئية التفصيلية للعمل برتابة من البدء حتي النهايات في ظلال دينامية حراك الحبكة في التعقد حتي لحظة الكشف وبين الرؤية الكلية البنيوية للعمل في ظلال لغة التصميم الكلي للعمل القصصي في رؤية كلية بنيوية لتلك اللوحة القصصية وحراك ريشة القص فيها في ظلال الظاهر وبواطنه الخفية في مقاطع القص الكلية وكلا الرؤيتين للوحة القصصية تتعارضان في المسارات حيث تمضي لغة الحبكة من البدء حتى النهايات بالرتابة القصصية بينما تمضي لغة التصميم الكلي للعمل في رؤيتها الشاملة نحو مسارات متضادة وربما تمضي بمسارات متعاكسة من النهاية حتي البداية وربما تتوقف عند المقاطع الأولى وتسيج منظومة القص في حلقتها من خلال دلالات المقاطع المبطنة وما تحمل من استعارات وكوامن دلالية في كشف الحلقات المفقودة في القص وكنه لغة الحذف في المقاطع والحوارات وكشف منظومة لغة التكرارات في السرد وماهية الدلالة في ترتب المقاطع في لغة المجاورة فيما بينها من مؤشرات خفية نحو بواطن القص الدفينة فيما وراء السرد في لغة التضمين والسياق، فلغة الحبكة تدور في ماهية لغة الرموز في تحقيق ماهية الرسالة القصصية الموصلة للقارئ في ظل لغة الرتابة ومسارات عقدة القص بينما تمضي لغة التصميم الكلي للعمل في ظلال لغة ما وراء الرموز وكنه دلالتها في لغة السياق والتضمين ولغة الحذف والتكرارات ولغة الإيقاع الداخلي في النص بين حدة النبرات ونشوتها المستعرة في ظلال منظومة الشيفرات الرمزية في القص وما ينعكس عليها من إضافات تيار

الوعي في ذلك الصدد من تماوجات الأنا وتعرجات عوالم اللاشعور في النص وماهية لغة الأسقاطات في ظلال الزمان والمكان، ولايخفى هنا اثر تيار الوعي ومترتباته السيكولوجيه في تحقيق نضج في الرؤية النقدية للغة التصميم الكلي للوحة القصصية، وهنا تدور في السياق إشكالية الرؤية التقليدية في التعامل مع النص القصصي في ظلال الحبكة والرؤية البنيوية في التعامل معها في ظلال منجزات الحداثة، وهنا تتعاكس منظومة التشويق في النص بين كلا الرؤيتين ففي منهجية الحبكة تمضي مسارات التشويق بانتظام حتي الكشف في ظلال قرائن لفظية بينما في الرؤية البنيوية الكلية يف لغة التصميم تدور وتتشابك التساؤلات فيما بينها في لغة الكشف ونكهة المفاجآت المبطنة في اروقة إجاباتها المستبطنة في وحي الدلالات الصامتة في ظلال لفظية تحمل في أجوائها لغة منوعة أما إنها تدور في ماهية دلالات لغة التكرارات أو قرائن تجاور الفاظ معينة وترتبها على بعض أو دلالات الحذف في النص اوشيفرات دلالية خفية تمضي في ماورائيات اللفظية المعلنة في النص.

وهنا تتشكل لغة المفارقة بين الرؤية القصصية الجزئية في لغة الحبكة والرؤية القصصية الكلية في لغة التصميم والبنيوية وهنا يقول روبرت شولز- مؤلف البنيوية في الأدب- في كتابه عناصر القصة 'حين ننظر إلى اللوحة عن قرب شديد نستطيع ان نرى تفصيلاتها ومادة ضربات الريشة فيها بوضوح، ولكننا لانستطيع في الواقع ان نراها في كليتها، حتى إذا ابتعدنا عنها لم نعد ندرك هذه الخصائص الدقيقة بل اكتسبنا بهذا المنظور الجديد تصميمها)[1].

وفي نص آخر يشير إلى ترتبات المسارات بين التصميم والحبكة فيقول:

'وبوسعنا ان نفكر في البنية على أنها تلك العناصر التي تتيح لنا ان نرى النموذج ذا المعنى في العمل الكلي والبنية بهذا المعنى قريبة جدا من التصميم لأنه إذا كانت الحبكة تتعلق بالديناميات او الحركة في القصة فإن شأن التصميم ان يتعلق بالسكونيات في القصة ـ الطريقة التي نرى بها القصة الكلية بعد توقفنا عن التقدم فيها، وحين ندرك التصميم بالقراءة ويأخذ جزء من القصة بتذكيرنا بالأجزاء التي قرأناها من قبل، فإننا ننشغل حقاً بحركة تقاوم تقدمنا في القصة من البداية حتى النهاية، فالحبكة تريد ان تتقدم بنا؛ والتصميم يريد ان يؤخر هذا

التقدم، ان يجعلنا نتوقف ونرى. والتضاد بين هاتين القوتين هو من الأمور التي تثري خبرتنا في القصة (٢).

وانطلاقاً مما سبق فإن الإشكاليات النقدية تدور هنا في أي تلك الرؤى يلتزم الناقد في منهجيته التحليلية النقدية وأي تلك الرؤى يوجه مسارات التحليل النقدي برتابة الدقة والتنظيم وفطنة الوعي، والإجابة المنطقية في ذلك الصدد من وجهة نظري، يفترض ان لاتكون أحادية في ذلك الصدد وكما أشار روبرت شولز فأن طبيعة النص ومساراته هي التي تحدد الوجهة الإيجابية في ذلك الصدد فهناك أعمال قصصية تمضي معها لغة الحبكة بإنسياب وجمال هادئ في الانكشاف، وهناك نصوص قد لاترى عناصر القص فيها متوفرة للوهلة الأولى كما في نماذج القص الحداثي وما بعد الحداثة، فالرؤية البنيوية في لغة التصميم تناسب تلك الأشكال في المعالجة القصصية لها وتنكشف معها العناصر برتابة هادئة وتتشكل عقدة القص الخفية في بواطن دلالات النص وشيفراته اللاشعورية المترعة فيه بصمت.

وتباعاً لما سبق؛ فإن طبيعة القص ومساراته التي تتفاوت بين نص واخر تشكل كنه لغة القراءة النقدية التي تتناسب معه إما في إطار رتابة الحبكة او لغة التصميم الكلية، بحيث يتشكل من ذلك كله؛ القراءة النقدية المنشودة في إطار فطن يتحسس اللمسات الجمالية في القص ويتذوق تدفقات رهافة الحس فيه في أجواء قراءات تحليلية نقدية تتسم بالموضوعية والجمال.

الهوامش:

(١) روبرت شولز، عناصر القصة، ص ٥٤، ترجمة محمود الهاشمي.

(٢) روبرت شولز، عناصر القصة، ص ٥٧، ترجمة محمود الهاشمي.

ثنائية "العشق، الرفض" للمجتمع في المشهد الأدبي

تتشكل الصياغة الأدبية في مقومات ولادتها على النص في ضوء مخزون المصادر الخبرية المستقاة من وحي الواقع الاجتماعي وأجواء تشكل جيناتها في ضوء ملكات الكاتب الأدبية، وبصماته الثقافية على النص وتدور رحى حروفها في حتمية ثنائية التضاد في عكس معطيات مجتمعه على النص في ضوء شيفرات رمزية متنوعة تشكل مقطعاً ناطقاً من لغة المجتمع التي يتشكل فيها الجزء في الكل والكل في الجزء ومضمون ثنائية التضاد تدور في لغة (العشق، الرفض) لجسد المجتمع المتشكل في مرأى مخيلة الأديب، ولا يخفى أن المنتج الأدبي تتولد من زرع المجتمع في ضوء معادلة التضاد بين وحي الأصالة لذلك الزرع والترعرع في أتون أغصان أعرافه وقيمه ولغته الفنية أو في ضوء حالة الانفصام عن معطيات بيئته الاجتماعية فيأتي فنه الأدبي في ضوء امتداد لمجتمعات غريبة عن زرع أصالة المجتمع في رسمات لغة مبهمة يمكن تسميتها بلغة الترقيع الفني.

والجدة الأدبية في لغتها الإبداعية تقتضي التواصل بين سيفونيات رقصات زرع المجتمع الفنية في وحي الأصالة ورياشة الانطلاق والتحليق في أجواء اللانهايات في لغة التأثر والتأثير الفني في السبك الأدبي وتغاريده الجياشة على النص، في ضوء ثنائية متناغمة متعاضدة بين الأصالة والانفتاح في ولادة الحرف وتلمس روحه التعبيرية على أسرة الإبداع.

ومن جانب أخر يسهم المجتمع في مزية تربته الآمنة المشبعة في كفتي المال والمعنى في دفع شحنات البث الروحي المنعكسة في المنجز الأدبي السيال في الإنتاج مادة وجوهرا بين يدي المشهد الثقافي الاجتماعي، لأن الروح الأدبية هي بمثابة الطفل الوديع الذي يجب أن يحوط بأجواء التدليل والتسامح الاجتماعي من جهة وبأنسام روح التعبير الحرة التي لايختلجها أعاصير الكبت ومشنقة الصلب السادية المتنفذة؛ إذ أنها تنحر بهستريا مسعورة طاقات الإبداع على النص وتقوم باليات إفناء جيناتها في التخلق، فتلقى إبداعية الأدب وأدها المشهود في عوالم اللانهايات من ثقافة الصمت.

لـذا فـإن الإحساس بالخطر ولغة الطحن الأقتصادي وآفة الضجر والخوف من كافة لغـات الحـرمان، كل ذلك يشكل طاقات بركانية مختزنة تأكل الأخضر واليابس وتقوم بحركة (وأد) بـشعة للمنجـز الأدبـي وتـشكل روحـاً خبيـثة صـارمة ذات أنـياب بـشعة في التهديد والوعـيد المفـروض مـن النخـبة المتـنفذة في المجـتمع وبالتالـي يستحيل أن يتخلق معها أجنة الإبـداع بأريحية في النقش على النص والتغريد الحر على أغصان أصالة الإبداع السندسية في بحبحة البوح.

والجديـر بالذكـر أن جماليات تتبع لغة التضاد تتشكل في حقيقة اعتبار الأديب روحاً إنـسانية ملائكية الأنسام في التحليق إذ تسافر أناملها مع موكب حروفها الراقصة على أمواج بحـار لـوحاتها الهـادرة في إنشاد لغـة البحارة المسافرين إلى هضاب ومنحدرات وعوائق بحر المجتمع الشائك الثري بالمعضلات ولذائد اقتناص سفر المغامرات.

ومـن هنا في ضوء تلك الثنائية المتضادة فإن ثورة الأديب على مجتمعة واهات رفضه في لغـته الأدبـية في أشكالها المختلفة نثرا أو شعر أو سبك قصصي مختزل في إيحاءات اقتناصه لحظـة مـا أو تـسمراً في باحـة معابـد الروايات في سردها الناعس المسافر بعيدا في لغة الحكي والـبوح القـريب البعـيد. كـل ذلـك يـشكل ملحمة سردية عاشقة لذلك المجتمع في جوهرها العمـيق وان كـان نقـشها علـى الـنص يعكـس آهـات الضجر والتبرم والثورة الغاضبة، فلا خـلاف أن تلـك الـثورة الغاضـبة في صـيحات حروف الأديب واحتجاج سطوره هي دعوة نورانـية تحـث المجـتمع علـى الـنهوض مـن رقـاده الكهفي وتشكل تمنمات هرمية تتراكم من تـصدعات الحاضـر المـرفوض والغائـب المـشتهى لتـشكل في نهاية صيحاتها نقطة الوعي في انطلاقة التعبير ووشاح أنشودة عاشقة للمجتمع في وحي لغة الرفض والتضاد.

لـذا يعد من السلبية بمكان أن يتخذ الأديب موقف البرود الحيادي تجاه موكب القيم الـزائفة والظواهـر الـسادره ومـنظومة المتناقـضات اللامنطقـية والمصابات النازفة الما وسعار التلقائـية العابثة المنسحبة من برمجة التفكير الواعي، سواء تلك التي تشربها منذ نعومة إظفاره او تلـك الـتي تتـشكل وتطفـح علـى الـسطح فتثير الكدر ورمادية النقاء في انعكاس صفحة المجـتمع في مخـيلة الأديـب العاشـقة لمجـتمعه والتي ترنو لصفحة مبدعة في أبهة الجمال وروعة

القيم واصالة الجدة الإبداعية ويقظة الوعي في قوام النهوض في رقصات سيمفونيات حروفه المبدعة وموكب اخيلته الساحرة وشفافية حسه الراقص العاشق فساحة مسرح المجتمع وأدوات برمجته في أنظمته المختلفة وحراك ابنائة النخبة على ساحة العرض وجمهور الحضور في حراكهم المتشكل في لوحة فسيفسائية مبهمة معلومة؛ كل ذلك يقتضي أن يعكسه الأديب في روحه الإبداعية وفق منظومة رؤيته النقدية في لغة فرشاة نقشه على النص إذ لا خلاف أن الأدب يشكل مرآة عاكسة للمجتمع في لقمة خبزه وقيثارة حريته وخلجات عاطفته وهمسات فكره وطرقات إيقاع الساسة فيه في أنفاس مجتمعه الحاضرة الغائبة وسرمدية تولد هويته من متتاليات مشاهده الاجتماعية على مسرح الحياة.

ثنائية "موسيقى النص، تيار الوعي" في النص الأدبي

تنوعت الأشكال الأدبية، في نتاجها على الصفحات، في إرهاصات بلوغ المنجز الإبداعي في الطرح، وتواترت الكتابات الأدبية في تناول أبعاد موسيقى النص في البعد الشعري وأزمات أشكاله الأدبية في عوالم الحداثة في النص الشعري ومترتبات الجدليات النقدية الدائرة في ذلك السياق، وليس حديثي هنا في هذه الأبعاد وإشكاليات تلك الأزمات القديمة الجديدة، إنما هو في عوالم الموسيقى الداخلية في النص وأغواره العميقة في وجدان النص الأدبي في كافة أشكاله الأدبية، لاعتبارات عمومية ذلك السياق في النقد والدراسة، فهو أبعد من أن ينحصر في آفاق حيثيات شعرية بحتة وأجواء الجدليات النقدية الدائرة في ذلك الاتجاه الشعري الأحادي في التناول الأدبي كما هو دائر في الكتابات التراثية والكتابات النقدية الحديثة في ذلك المنحى الأدبي المستعر في كهفية عوالم الشعر الدفينة ولغة سجالها الممتدة إلى عوالم اللانهايات، فآن الأوان لأن تتسع أفاقة في التناول في كافة لغات الأجناس الأدبية لاعتبارات انه شأن هوية الحرف وتراقصاته المنسابة في كل جينات تخلقه في الذاكرة الأدبية في استلهمات التراث وإيحاءات الحداثة، لأنه شأن هوية في الحرف وعنوان إحساس متدفق على النص في كافة أطيافه الأدبية، وهو بعد عذب منساب تتحكم فيه منظومة مؤثرات تحمل معها علاقات تبادلية من شبكة الإيقاعات الداخلية وثمارها اليانعة في لغة شيفراتها السيكولوجية المنبعثة انساماً رائقة في النص ورسالة بوح خاصة في لغة الاتصال الرمزية المبرمجة من تراقصات الحرف في حدة سيمفونياتها الصوتية الصادحة وصفحات امواجه الهادرة في لغة الدلالة وتشكلات مركب الأخيلة الشفافة العذبة المتلاحمة مع بريق الإحساس المتدفق ويتبادلان في إطار تيار وعي الذات وتشكلات درره الدفينة في عوالم اللاشعور الدفينة في معادلة تدفق تلك الموسيقى الداخلية في أوج تماوجاتها على النص الأدبي في بنيوية تركيبية مترابطة – على نسق معادلة روبرت شولز في البنوية- تؤججها العفوية الفطرية في السبك العذب المنساب من أعماق تداخلات اللاشعور المنسابة بشيفرات

فسيفسائية على النص وأؤكد هنا على العفوية والفطرية المطلقة في تراقصات تلك المعادلة البنيوية في النص والتي تتحكم في مولدات تلك الموسيقى الداخلية المنبعثة من لغة الاتصال الرمزية المتآلفة فيما بينها في لغة أصوات الحروف وتداعيات تيار الوعي المنعكس عليها في لغة شيفرات اللاشعور المتولدة فيه وتماوجات الأخيلة الشفافة المنعكسة على بعد الأنا، الأن، هناك فترتسم بتلك الأبجديات التوليدية لحنها العذب الجياش على الصفحات. في أبعاد بنيوية متكاملة دون أن تنحصر في نبرات الصوت في لغة الجرس الموسيقي ومترتبات الوزن في الإيقاع كما هو متواتر في كتابات التراث الأدبي، إذ أن التناول البنيوي الكلي لمترتبات الإيقاع الداخلي في النص الذي يشكل سيفونيات موسيقاه الداخلية تلعب دورا كبيرا في توليدها بجمال في ظل تنفسات الحرف وتغريده في حنجرة الكلمات.بين لغة الرفض المكبوته ولغة النشوة الهائجة، اولغة الصعود المتسامي ولغة السقوط المتهاوية، او في تماوجات الروح بين هذا وذاك وكل تلك المتضادات تعبر في ثنائياتها عن لغة إيقاع داخلي واحدة في أجواء عوالم اللاشعور الدفينة، إذ أن (الرفض، القبول) او (الصعود، السقوط) كلاهما في هممات لغة الموسيقى الداخلية له نبرات تعبيرية واحدة وأن كان حدة جرسها يتفاوت بين الصعود والهبوط، ففي نص أشعل قنديلاً وامضي للمبدعة ريتا عودة، يبرز للمتذوق برهافة مقاطع النص حدة جرس موسيقى النص وهي تتهاوى الما وعذابات، فتؤججها روح التحدي المتسامية في النص، لتنقلهامن آتون الفناء إلى تساميات لغة الوجود، التي ما زالت تتناثر مقاطع نبراتها في النص في إرهاصات ميلاد الرحم من جديد، المختلطة بكدر احتمالات الفناء لامحالة.

ألقــــي القـــــنديلَ في زاويــــــة كهــــف الــــصّمت الفاضــــح.
أخـــــــــــــــرج إلى الــــــــــــــــنور.
تــــــــــــــــتهدّجُ أنفاســـــــــــــــــــي.
أتجهـــمُ.
أتــنهدُ.

تطاردنـــــــــي رائحـــــــــة عفــــــــونةقذرَة.
تـــــبللني رطـــــوبةوحل لـــــزج مـــــثير للاشمئـــــزاز.
ثُرانـــي
بـــــــــــــــــــــــــــــــــداتُ..........
اغـــــــــــــــــــــرقُ........... ؟!...............(1)

وفي ظـلال نـص "ساحاولك مرة أخرى" لريتا عودة يبرز للقارئ المتذوق ذلك الجنون المستعر ولغـة التحدي العامرة، ويستشعر بجمالية عذبة هممات موسيقى النص في تقطعاتها الحادة وهي تعبر المسافات في لغة العشق والإصرار عبر تراكمات اللاشعور في لغة الوجود عبرمساحات الأنا الأنثوية الممتدة في اللانهايات في النص إذ تقطع مسافات الذاكرة والوجود معا في لغة اشراقات الذات القريبة البعيدة

قـــــــــــــــــــــــــــــد آنَ الأوانُ أنْ...
أحـــاولـــَــكَ
مـــــــــــــــــــــرّةً أخــــــــــــــــــــــــرَى
لأحــــــــــــــــــــــاورَ فــــــــــــــيــــــــكَ
شـــــــــــــــــــــــــــــــــهريـــــاري
وقيـــسي
وابـــــــــــــــــــــــــنَ كـــــــــــــنعــــــــانِ
مـــــــــــــن اللـــــــــــيلةِ الألـــــــــــــف
للحكايـــة
وحتـــّـــى
مـَطـْلـَـــــــــــــــــــــــــــــــــــــعَ الآاااه
في أتـــــــونِ حـِـــــــرْمـــَانـــِكَ وحـِرمــــَانـــــِــــــي)(2)

ومما سبق يتبين اثر ترتب إيقاعات الحروف مع لغة اللاشعور واشرعتها المبحرة في لغة التصوير الفني في توليد الموسيقى الداخلية في النص وترتب تمناتها في أصداء إيقاعات داخلية تدور رحاها في نبرات الكلمات والمقاطع وحدة الأنعطافات في النص الأدبي في ظل بناء تركيبشي محكم كيفما كانت الأجناس الأدبية في البث والسرد وكيفما حلقت شيفرات اللاشعور في صعودها المتسامي وكيفما تهاوت في كهفية السقوط في أثير لغة الفناء والوجود معاً.

ثنائية "العبقرية، الجنون" في الأبداعية الأدبية

دراسة سيكولوجية في أدب عبد الحميد الديب

تعد الإبداعية الأدبية بلورة انعكاسية لأبعاد متنوعة في حياة الأديب، وفي الوقت ذاته ما زالت هناك تساؤلات ملحة تطرح على مائدة الإبداعية الأدبية؛ ومنها هل الموهبة هي التي تخلق الأديب أم أن الظروف العصبية الصعبة هي التي تكشف النقاب عن الموهبة الأدبية وتبعثها من رحمها، وهل عبقرية الأديب هي التي تدفع به إلى الانحراف النفسي والأخلاقي أم أن تلك الانحرافات النفسية عامل مولد تظهر العبقرية في إطاره؟ وهل تلك التساؤلات تبث على إطلاقها أم أن لكل حالة من الإبداعية نسقها النفسي وأجواءها المزاجية الخاصة؟ وهل الإبداعية الأدبية تتشكل في طيف قزحي من أطياف الجنون؟ أم أن حالة التمرد العقلي بعنفوانها تشكل بلورة العبقرية، فتتشكل في نسيج يراود أعين الناظرين في خيط رقيق بين ظلمة الليل وإسفار الفجر! في نمط غرائبي بين العبقرية والجنون في أن واحد. وفي مخاض تلك التساؤلات تبرز أهمية التناول النقدي الواعي لأبعاد سيكولوجيا الأديب في كافة أبعادها، لغاية تسليط الأضواء على النص المتشكل في دائرة المنجز الإبداعي، لإيجاد الوشائج بين المنجز الأدبي وسيكولوجية المبدع التي تنعكس آثارها على النص، وتتناول هذه الدراسة النقدية الرؤية السيكولوجية لأبعاد شخصية الأديب عبد الحميد الديب في تناول انعكاساتها على ذاتيته الأدبية ومعطياتها الشعرية واثر المجتمع في تقويض تلك الذاتية، بحيث تتبدى صورتها للمتأمل في سمت صورة أدبية غرائبية طريفة تنهج في مسارات عشوائية، رافضة، مخالفة للواقع الاعتيادي بالقوة والإمكان، في ظروف عصابية غير سوية، لاعتبارات تشكل تلك الذاتية في ظروف قاهرة من الفقر والحرمان في محضن الأسرة؛ اثر انتكاسة مالية اصابت تجارة والده،، فانعكست أثار الضائقة المالية الموحشة على مسارات حياته في إثناء تحصيله العلمي، الذي ترسب في ذاتيته، فأحدث فيه انكسارات مبكرة، فما أن انهي الثانوية حتى

ترنحت تلك الذاتية في آتون تعاطي المخدارات مما انعكس على عقله وجهازه العصبي بالاضطراب والفساد معا، واحدث كللا بارزا في عزيمته، وكسلا ومللا اعمل أثره الصعب في عمره كله، فخضع للعلاج في الخانكة -مستشفى الأمراض العقلية- وخرج منها هائما على وجهه، وانعكس تعاطيه للمخدرات على مروره بتجربة السجن، لاعتبارات تعاطية المخدارات، فارتسمت أثار سلبية قاتلة في مخزون ذلك الأديب من الهواجس والكواليس الذهنية والأفكار الجنونة العاقلة في الآن ذاته وفي ذلك الصدد يقول إخوان سجن قبحت وجوههم ... هموم توالي دائما خطوب فمنظرهم أضحوكة كلباسهم ... ومخبرهم في الحادثات رهيب لقد كنت فيهم يوسف السجن صالحا..أفسر أحلاما لهم وأصيب وقد عاش الديب في مجتمعة مذموما مرفوضا وقد أوصدت أبواب الرزق أمامه وفي ذلك الصدد يقول: بين النجوم أناس قد رفعتهمو ..... إلى السماء فسدوا باب أر زاقي يا أمة جهلتني وهي عالمة...... إن الكواكب من نوري واشراقي والمتتبع لحياة 'الديب' يبرز له حالة التنقل الدائمة له مع موكب أسفاره الشعري على قوارع الطرق ولمقاهي واندية الصحف بين ساخر ومعجب وقادم ومرتحل..بين كلمات اطراء او سيجارة تسد رمقه اوحالة ظفر بكأس او كوب شاي، او حالة افتراس من علية القوم في تماوجات السخرية والتندر بسمتة الرث واستغلال فقرة المدقع، فتتدافع ذهنيته الحائرة التائهة في التعاطي معهم بحسب ما يقدم له من مال زهيد بين المدح والهجاء، في حالة عصابية متضادة، يشكلها اللاشعور المنهك حتى الموت. الذي لم تحظى بتناثرته هذيه الشعري أي صحيفة انذاك في نشره او تسجيلها ضمن منجزات نخبة الشعراء، ويشير النقاد إلى اثر عليه القوم انذاك في تبذل ذات ذلك الأديب وازدياد سعار سيكولوجيته في أتون الجنون والعقلانية معا في منظرهم الهائم في الأرض ومنظره الرث المغبر، إذ كان بالإمكان إنقاذه من نيران الفقر وقوارع الطرق، وتخليصه من الأثنية المتضادة اللاشعورية التي أنهكته تحت نير ظروفه الصعبة، واستثمار طاقته الأدبية في مسارات إيجابية تتسم بالتكيف الاجتماعي الجاد، ولكن في المقابل يشير عدد من النقاد إلى تلذذ 'الديب' في انكسارات سيكولوجيته الهائمة،

ورفضه حالة الاستقرار السلوكي في عمل ما لاقتيات الرزق منها، إذ قد حصل على فرصة من هذا النوع فما كان منه بعد ساعة من العمل إلا وقد تناثرت الدماء في مكتب العمل اثر مشاجرة بينه وبين موظفين في المكتب، لاستهزائهم بمنظره الرث وحالته الغرائبية كموظف في مكتب عمل، وقيل انه حصل عملا حكوميا، وتم التداول بشأن توليته ذلك العمل واستمراره به ولكن بعد أن يقدم مؤهلاته العلمية، وإلا فصل من العمل وفي ذلك الصدد يقول: لقد هددوني بالمسوغ وانبرى.... يناوئني منهم وضيع واربد ويعبر الديب عن تذمره من حاله المعدم مالياً في الوظيفة الحكومية وحالة السعار الرافض في شخصيته واستواء الأمور والألوان عنده في الأن ذاته في ذاكرته العاقلة المجنونة معا بالأمس كنت مشرداً أهلياً ... واليوم صرت مشردا رسمياً.

وفي نهاية المطاف لاخلاف في موهبة الديب الغرائبية في قرض الشعر؛ في اتون تقلقات وتبعثرات ذاته في اتون الجنون وحالة التضاد في اللاشعور والذهنية الحائرة، والأنا المتنقلة في اللاستقرار في الشعور وانعكاسات الزمان والمكان عليها، ويشكل ذلك الشاهد مثالا تجسيدياً لحالة الإبداعية الأدبية في خفايا جوهر مادتها اللامعة في المنجز وبين جنون الجسد في حراكه المسعور، وتعاكسات المجتمع في تضاداته في ازدياد التأزم في الأنا وكسرها في كافة منعطفاتها اللاشعورية والزمانية والمكانية معا، وهنا تتشكل بين مخيلتنا التساؤلات في مسارات أكثر:

هل الموهبة تخلق الأديب؟

أم أن الظرف العصابية الصعبة هي التي تولد ابداعية الأدب؟

هل الإبداعية طيف من أطياف الجنون؟

أم أن التمرد العقلي الصارخ مادة ولادة العبقرية في جسد الأديب؟

وتبقى تلك التساؤلات تسلط اشكالياتها في موائد البحث العلمي بين التداول وتنوع الآراء وتباينها، ويبقى المسار مفتوحا بيننا للتلاقح الفكري في ذلك الصدد، وتبقى تلك الثلة من التساؤلات هي السؤال والجواب معا.

أودعكم على الحب والقاكم عليه في رحلة إمتاع أدبية قادمة في موكب أسفار الأدب وتناثرات عوالم السيكولوجيا في أثيره.

....

- عبد الحميد الكاتب: من مواليد عام ١٨٩٨ ومن أهالي مديرية المنوفية، يقال إن والده كان تاجرقطن فقد ثروته في كوارث التجارة، عاش فقيرا مذموما في المجتمع ومات على نفس الشاكلة.

منظومة الجدليات الفكرية وإشكاليات دلالتها "في نص" الأدب:

الذاكرة، الخطاب، في السياق العربي الإسلامي " للكاتب د . محمد اسليم

تمهيد:

يحمل نص الأدب: الذاكرة،، الخطاب" في السياق العربي الإسلامي * منظومة من الجدليات الدائرة في تخوم كهفية، متعرجة المنحدرات، تلين هضابها الصعبة في منحى، وتتعقد في مناحي عدة، إذ تحوي مضامينها الفكرية إشكاليات متأزمة تتقاطع مع انعكاسات ايدلوجيه في البنية الفكرية، فيجد الباحث الناقد نفسه في بؤرة ضوئية تخفت إضاءتها فيصعب المسير، وتسطع بؤرها بكثافة مطلقة مفاجئة، فتجرح القلب من ألم الرؤية لواقعنا الهش في عين الكاتب، في رحلة نقدية طريقها سالك بصعوبة.

وتدور الدراسة النقدية للنص في محاور عده أدرجها على النحو الأتي:

- معضلة الفكر العربي المعاصر بين جدلية "الماضوية، الحداثة" وبين تيار التوفيق بينهما بين ثنائية "الممكن، المستحيل".
- متطلبات التجاوب الحضاري بين ثنائية "الخصوصية الثقافية، العولمة" .
- هل الإبداعية الأدبية رسالة في ضوء جدلية "التعبير، التفسير" أم هي إشكالية تدور بين "الأسر، الانفلات".
- دراسة البعد الجنسي في الأدب بين ثنائية الالتزام وفق متطلبات النص الأدبي وبين الإباحية في العرض المنسحب من قواعد اللعبة الأدبية في الصياغة والسبك.

مضمون الدراسة:

انعكست في النص رؤى ثقافية متعددة، متولدة من البنية الفكرية للكاتب محمد اسليم، بحيث تشكلت رؤاه في ضوء الطرف الرافض للذاكرة الثقافية في بنيتها الماضوية،لإعتبارات الجمود واجترار ذاتها دون تجديد في البنية الثقافية الاجتماعية، ومنها

انطلق في كتابته، في تشكيل رؤاه الثقافية التي حملت في تعرجاتها شبكة من الجدليات الفكرية، الـتي مـا زالـت رحاها تدور في رحلة الفكر العربي المعاصر، وتضمنت تلك المنظومة الجدلية إشـكاليات لفظية في النص، وتبني وجهات نظر يمكن للباحث الموضوعي أن يعتبرها أحادية مـن جهة، ولكنها تتسق بتناغم مع بينة الكاتب الأيدلوجية، ومسارات انسكابها على النص، ولكنها تتقاطع في خطوط متعرجة مع نظرية غائبة عن النص، وهي تيار التوفيق بين الماضوية والحداثة بين جدلية الممكن والمستحيل، وبالتالي فإن النص مترع بمنظومة جدليات فكرية بين الحاضـر و الغائب،ومـا زالـت تـدور في تـأزم وحـدة في الخطـاب علـى مائدة الفكر العربي المعاصـر والذاكـرة الثقافية، وما زالت الآراء تتخذ في هذا الصدد في ضوء بعد أحادى إما في اتجـاه التحجـر والجمـود علـى أطـلال الماضـي في النمطـية اللفظـية ومـصادرة الرأي الآخر وشخـصنة الحقائـق ورفض الجدة والابتكار والانغلاق في منظور 'الأنا' ورفض الأخر وإلغائه مـن وجـه العملة الأخرى، او في ضوء مواكبة مستجدات العصر ومتغيراته التي تعتبر الثابت في منظومـتها هـو عنـصر الـتغير الـدائم على الإطلاق، والمنطقية العلمية المتبعة للاتجاهات، تـستقرئ اتجـاهين في ذلـك الـصدد الأول مـنهما يعـزز الـبعد الأحادي في النظرة وهو على الطرف النقيض للماضوية والطرف الثاني يخرج من حيز الأحادية ويلتزم التوفيق بينهما

الاتجـاه الأول: هـو اتجـاه الانطـلاق المسعور مع متغيرات العصر وسلخ الجسد عن ذاتـه وارتـداء الأخـر في الجـسد، وركـل خصوصياتنا الثقافية عرض الحائط، وإطلالتنا على الحـياة في تخلـق جـسد مـن جـين غريب عن الأخر في بنية النشأة والخلقة، يسايره في موكب الإمعـية التقليدية، ومنسلخ عن عش النشأة لايمت إلى خصوصيته الثقافية بصلة، بحيث يشهر سـيف إدانته لها بمناسبة ودون مناسبة، ويجتث جذورها من أغصان معاشه، ويصر على النظر بعـين حـادة إلى النـصف الفـارغ مـن الكـأس، فـلا يـرى إلا الكـدر في النبع فحسب، وبؤر الخلافات السوداء في السلوكات، وعصبية الفكر في القرارات، وسلبية القيم الموروثة في سلم التقالـيد والأعـراف، وسـطوة الجـسد في الحـراك، وعنجهـية الكلمة في الخطاب. واستنساخ الأجيال في الأجيال في ثقافة مكررة غير متجددة.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الغائب المغيب، عملياً على الساحة الفكرية المعاصرة، إذ لا يبرز توظيفه العملي إنما هو رذاذ مقالات ودراسات تدور في خط نظري بحت، وذلك الاتجاه يمكن وصفه باتجاه النخبة الفكرية الصامتة عملياً في مجتمعاتنا العربية، وذلك الاتجاه ينادى بضرورة التجاوب مع متطلبات الرحلة الحضارية، وتوظيف تقنياتها في حياتنا اليومية، والتعامل الجاد مع تلك الاتجاهات العالمية في التجديد والحداثة، والتعاطي مع العولمة في خطوط بوصلتها الدائرية لكن دون أن تمس بؤرة الخصوصية الثقافية لمجتمعاتنا العربية، وأصالتنا في بنية الذاكرة الثقافية، إذ يعد من متطلبات ثبات الذات الثقافية في معترك الثورة الكونية المعلوماتية، الاحتفاظ بخصوصية ذاتية، تحمل معها الذات هويتها، ولغة تمايزها واستقلاليتها عن الأخرين، ولكن في ضوء التحدي الواعي الذي يعمل الفكر، ويحرك أدوات السلوك للتفاعل الجاد المتسارع مع الحضارة ومتطلباته المدنية والتكنولوجية في ظل احترام الأخر، وتفعيل لغة البحث العلمي، وتوظيف آليات الحوار المتكافئ مع الآخر، واعتبار المعرفة استثمارا ذهبيا في الحياة العلمية الجادة المسؤولة، وتوظيفها في ضوء ذلك؛ للمضي قدما في تجديدها في إطار سلم بناء المعرفة وتطويرها. في ضوء نهج حضاري يحترم الخصوصية الثقافية لمجتمعاتنا ويبادر إلى نقلها بعقلانية ومنهجية الاستبصار في ظل رؤية الجزء في الكل ومعرفة العلاقات بين الأشياء ومعطيات قانون الأسباب والمسببات وبناء الفرضيات ومنهجية حل المشكلات دون التلقين العنجهي المصادر للأخر لأجيالنا في ظل منهجية موضوعية تستهدف تنضيج الصغار لا تطفيل الكبار.

ووجهة نظري ان ذلك الاتجاه البناء في التعاطي التجديدي ما زال حبراً على ورق، وما زال في بطون توصيات المؤتمرات، والملتقيات الفكرية، وأروقة منتدياتها العربية، ولا اظنني أكون قد جافيت الحقيقة، فهي أيضاً غدت بمقام قصيدة شعرية تردد على منابر الجامعات والمؤتمرات العلمية، دون أن تنال في الحد الأدنى حق الصدى في التجاوب معها من قبل المؤسسة السياسية والاجتماعية والدينية..الخ، في لغة التوظيف العملي، للخروج بمجتمعاتنا العربية من المأزق الحضاري، الذي ما زلنا نغوص في غوره الممتد العميق، في معادلة حضارية لا تعرف إلا لغة البقاء للأقوى في رحلة التسارع الحضاري، وخصوصيتنا

الثقافية إذا ما تمكنت من اللحوق بركب الحضارة _ وهذا مبدئيا في آننا هذا مستحيل في الحد المنطقي الواقعي ـ لا بد أن تضيف عنصر الأفضلية الحضارية لمعادلة البقاء للأقوى.

وانطلاقاً مما سبق تتداخل جدلية الماضوية والمعاصرة معاً والتي لا بد من احتوائهما من خلال إشباع الفراغ الحضاري في الماضي من خلال اندفاع الحاضر وحراك المعاصرة وحيوية المستجدات في لغة التراث بحيث تحمل مجتمعاتنا هوية الحضارة عمليا في انفتاح وجدة وإيجابية واصالة في الخصوصية الثقافية، فتوجه بوصلة الحضارة في منهجية عملية تمضي سماءاتها في ظل موكب منفتح مسؤول يجتاح بحر العولمة في ضوء الاستقلالية والتميز المبدع. وهذا السياق من العرض يفضي إلى تداخل جدلية أخرى مضمونها ثنائية "الممكن، المستحيل" في ضوء ذلك التنظير السابق ذكره في مسارات التيار التوفيقي بين الأصالة والغربنة، وبحسب البرمجة الفكرية يتم التعاطي مع تلك الثنائية، فالاتجاه العقلاني المستنير يتبنى بعد الإمكانية ولو بعد زمن طويل في ذلك الصدد، والاتجاه التغريبي يتبنى بعد الاستحالة والانتحار في ذلك الصدد، وبذلك يعود السياق إلى الإشكاليات الدلالية في تلك الجدليات اللفظية، والتي تشكل أيدلوجيات في المسار الحضاري، وترسم بنية المجتمع كله، في كفة واحدة، ولكن التلقائية الفكرية العربية، ما زالت تدور في كهنوت التفلسف في الألفاظ ومعطياتها في ظل التنظير المثالي، وتبتعد عن المساهمات العملية في حل تلك الإشكاليات، وفرضها واقعا على صفحات الحياة، في ضوء كفايات الإنجاز والأداء المبدع المتميز.

وفي الضفة الأخرى للسياق يطرح التساؤل الآتي:

هل الإبداعية الأدبية رسالة في ضوء جدلية "التعبير، التفسير" أم هي إشكالية تدور بين "الأسر، الانفلات" والسؤال المطروح هنا يمحور السياق من جديد في ضوء الجدليات ويعود به إلى ثنائية "التعبير، التفسير" في لغة الأدب، وقد أوردتها في مقالة منشورة في الموقع، وخلصت المقالة إلى اعتماد نظرية "توفيق الحكيم" في اتساق منظومة التعبير والتفسير معاً في السياق الأدبي، وبناءا على ما سبق، فإن الإبداعية الأدبية رسالة سامية، تتمتع بمادة الخلق الإبداعية في الجدة غير المألوفة والتي تتسع مساحاتها لخصوصيتنا الثقافية، ولا تركل ذاتها في مهب الريح، تحت دواعي الإبداع، وهنا اختلف مع تلك النظريات التي تعتبر المجتمع العربي

في واقعنا المعاصر مجتمع لفظي، يحيا في ظلال الشعر والأدب، والتركيبة اللغوية، ولا يفقه لغة الأبعاد الأخرى في الرسالة الحضارية كما يشير إلى ذلك ناصر الدين الأسد في كتاباته حول الثقافة واللغة العربية، إذ اعتبر مجتمعاتنا المعاصرة من وجهة نظري منسلخة من كلا البعدين معاً، فقد غدت الألفاظ ودلالتها وفنيات التأويل من منبع اللغة وتصاريف معانيها في مقبرة الانقراض في ظل هجمة اللغة الاستهلاكية على مجتمعات العوام من جانب ولغة المؤسسات بكافة أطيافها في الاصطلاح والبث من جهة أخرى، وهنا تبرز الإشكاليات التي أوردها النص الذي بين أيدينا في الدراسة النقدية والذي أشار إلى هجمات التكفير، في عوالم الأدباء.

وتقتضي المحاكمة المنطقية من وجهة نظري في هذا الصدد إلى التعاطي الموضوعي لتلك القضايا من خلال دراسة كلا طرفي المعادلة، أولا من قبل الأديب الكاتب، ولا اعتبره مبدعاً بل هو كاتب أديب في جنس أدبي ما، إذ فاته في رسالته الأدبية خصوصية التمايز والاستقلالية لخصوصيته الثقافية وفقه لغة مجتمعه المنقرضة عن حقيقة فن اللغة وابعاد مساراتها المستهلكة وفنيات التأويلات في إطارها الهش المنهك، ولو زود مخزونه الثقافي الأدبي بتلك المعطيات في الذكاء الاجتماعي لكان في منأى حذر من الوقوع في سلة حماقات: الصياد العابث في الماء العكر ، وهذه حكمة الفلاسفة في قواميس الفطنة، في تخصيص لغة الخطاب، وفقه لغة العوام كما يشير إلى ذلك الفيلسوف ابن رشد مرارا في كتاباته، وهذا نهج الفلاسفة في التراث، وذلك منحاً فاعلاً في حكمة الخطاب، ولا غضاضة من تفعيلة في منهجية الإبداعية الأدبية. وبذلك يحمى ذلك الجنس الأدبي من مشنقة الإعدام ومآل الوأد في الإبداع. انطلاقاً من نظرية التعاطي مع ثالوث الأدب المتمثل في ذكاء الفكرة وتدفق العاطفة وأخيلة الجمال في التصوير، وبالتالي فاته في مركبه الأدبي فيتامين النمو والاستمرارية المنحدر من ذكاء الفكرة، ويجب أن نتحرر من الركون اللفظي لشن التهم للآخر دون نقد للذات، إذ من المحال أن نحاسب مجتمع منسحب من آليات اللغة في فقه الدلالات وفنيات التأويل، ونطالبه بإقرار الإبداعية الأدبية للعمل ففاقد الشيء لايعطيه، والمنطقية تقتضي إعمال الفطنة الاجتماعية في منهجية الأديب في ضوء فقه لغة مجتمعه والقبول مرغما أم راضيا لعقليات العوام البسيطة، وهزالها في آليات التأويل الصحيحة

للنصوص، وفهمها وفق ردات الفعل، وتأجج جسدها دوماً نحو فكرة طعن الأخر لها، واستفزازها بهالة القداسة في عالمها، ولو وجه الأديب وعيه لأبعاد تلك الفطنة الاجتماعية، لحفظ أعماله الأدبية من الوأد والمشاكسات، ومضت في رحلة الثبات على الصفحات، واحتفظ باسمه نقياً ناصعاً من فيروسات الاتهام، وتلك حقيقة منطقية، قد تكون مفاجئة لمعاشر الأدباء، وعلى غير عادة النهج في التعاطي معها، في مجتمع الأدباء، ولكنها عين المنطق وفق وجهة نظري ولابد أن يطبع الأديب ذاته بها، وان يستجيب لها بعقلانية مستبصرة، وبالتالي يحفظ عمله من أن يمرغ بلغة المؤامرات والاتهامات من قبل الأخر، ويمنح مولوده الأدبي حقه في الحياة، من خلال لغة الذكاء الاجتماعي والوعي لتدني مستويات التأويل لدى الذهنية الجمعية المستهلكة في مجتمعاتنا، ويسهم بذلك في تجنيب أعماله الأدبية من أودية المهالك والمغامرة الخاسرة، والأفق الأدبي متسع لآفاق شاسعة بلا حدود في النقش ولغة التعبير. لذا فإني اوجه اللائمة للعديد من الأدباء الذين يترصدون تلك البؤر الملغمة بالتعمد والترصد، ليخرج علينا في وسام الإبداعية الأدبية، إذ غدت تلك الظاهرة تقليعة إدمانية في مجتمعاتنا الأدبية، واعدها من وجهة نظري حماقة أدبية، لأن الأديب فنان مرهف، وعالم اجتماع فطن، وسياسي محنك، وخبير نفسي ذو ذائقة أدبية عالية،، ويعلم بالضرورة في مشاكل حوادث المركبات أن اللائمة توضع على قائد المركبة لإعتبارات علمه بقواعد القيادة ومتطلباتها الفنية وليس على قاطع الطريق، وقياساً على ذلك يجب أن يبادر الأدباء إلى مظلة النقد الذاتي لحل تلك الإشكالية الناشئة من تهورهم وعدم وعيهم بأبعاد مجتمعاتهم، وترصدهم البؤر الخلاقية وهالات القداسة في لغة التعبير. وبذلك نخرج من تلك الحوادث المتكررة التي غدت أيضا قصيدة شعرية نرددها في منابرنا الأدبية ونبكي الثكالى فيها ونردد اسطوانات نظرية المؤامرة على ترانيمها.

وفي نفس البؤرة النقدية، تجتاح مساحاتنا الأدبية بكافة أجناسها، حركة مسعورة في العرض الجنسي على النص الأدبي وهنا تتداخل جدلية ألالتزام، الإباحية في النص الأدبي، واقصد بالالتزام هنا مراعاة قواعد البناء الأدبي في التركيب والصياغة، إذ يبرز للباحث حالة الخوض المباشر في عامة النصوص التي تبنى الجنس في لغة الرمز دون اعتماد ثالوث الأدب

في الصياغة فتجد الأديب يرسم معتركه الجنسي بمباشرة أدبية فظة دون بناء فكرة او تشكيل عاطفة محركة في النص تتسق مع فكرة ما وتسيجهم بتصوير مبدع يبطن العرض والفكرة والعاطفة معا، فيخرج النص الأدبي جنسا مشوها بأسلوب فج، لايحتكم لقواعد الإبداعية الأدبية في السبك والصياغة، او حتى يحدث جاذبية للقارئ في التشويق المنفعل بالفكرة لا من خلال إثارة الغريزة الجنسية الحيوانية، فغدا القارئ مع متضمنات النص في ظل تصفح مجلة جنسية عبر السطور، لا من خلال بناء رسم أدبي يشكل اسقاطاته الذكية على تلك المعادلة الأدبية في ضوء ثالوثها في البناء، ونماءه من السرد المشوق في النص، فغدا الأدب في لغته الواقعية في ظل موجات الوجبات السريعة المثيرة في العرض، وبمقام تقوع جنسي على النص، يثير الاشمئزاز في القارئ، وليس الاعتراض النقدي هنا على الرمزية الجنسية في النص،بل على منظومة البناء الأدبي في الصياغة لها في ظل لغة السرد، حتى لا يتسم النص بعرض جنسي فج منسحب من قواعد اللعبة الأدبية الإبداعية في العرض، إذ أن هذه النوعية من النصوص المخلة بتلك القواعد تنسحب على القارئ العادي لكنها لا تنسحب على القارئ الناقد البحاثة عن فكرة تتألق بجمال ورشاقة على النص كيفما كانت الفكرة في تجلياتها، فالمشكل هو في ثوبها بين الجمال والالتزام باركان النص الأدبي وبين الانسحاب والانفلات المسعور المطلق الذي لا يعرف ركنا ولا قاعدة في الصياغة الأدبية، فتغدو الرمزية في شاكلة تلك النصوص غاية في السخرية والسذاجة، فالأيدلوجية الفرويدية في الانعكاسات النفسية للنص لا تكفي لمن يعول عليها في بناء النص، إذ أن النظرية النقدية للنص الأدبي تعتمد متطلباته في الصياغة الأدبية، وليس مستلزمات النظرية النفسية في العرض، فالنظرية النفسية لوحدها لاتقوى على بناء نص أدبي، إذ أن للأدب جذوره التكوينية في الجينات وأركانه التأسيسية في البناء، ويعد بعد السيكولوجيا زاوية اسقاطية انعكاسية على النص وليس قاعدة بناء له، إذ يعتبر طيفا محركا له وليس محور بناء في الصياغة التركيبية للنص، ومن هنا تبرز إشكالية النص بين قواعده في البناء ومؤثرات انعكاساته في الإسقاط، فاجتماع معادلة البناء الأدبي في لغة الثالوث ومؤثرات الإسقاط السيكولوجية على سماءات 'الأنا، هنا، هناك' يشكل في صفحة النص الأدبي البناء الجمالي والانعكاس

الجذاب للرمزية كيفما كانت أبعادها في الجنس وغيره، ومن هنا تتشكل المغالطة الأدبية التي تعتمد النظرية النفسية في البناء الأدبي وتتنصل من قواعده الأدبية "ثالوث: الفكرة، العاطفة، التصوير" ومعادلته الصياغية في الإسقاط "الأنا، هنا، هناك" وقد مضت في أدغال تلك المغالطة الأدبية تقليعات القص والسرد بكثافة في الحركة الأدبية المعاصرة وبالأخص على شبكة الإنترنت من خلال رحلة تتبعي النقدي لها، ويجب انبراء النقاد لتلك الظاهرة بعلمية موضوعية من جهة ترجع القضايا إلى جذور مرجعياتها في البناء، و نصابها الصحيح في التوجيه، بدل الإصرار على الخوض في المغالطات والبناء عليها في تلقائية عشوائية محضة، وهذه واحدة من منظومة مرارات الواقع الأدبي في عالمنا المعاصر.

وفي نهاية مطاف حديثي الذي تتدافع محاورة في النقاش، في مجالات متسعة، أحاول لملمتها بصعوبة بالغة، في ظل قضايا بالغة الأهمية، يناقشها نص "الأدب، الذاكرة، الخطاب في السياق العربي الإسلامي" والنص جرئ في حد ذاته، ويلتزم أبعاد النقد الذاتي وهذا شئ جميل في حد ذاته ويسلط الأضواء على محاور فكرية يجب أن تخرج من كبوتها، وتخضع لدائرة المحاكمة العقلية، ويدعو النص إلى التجاوب الحضاري والوعي للغة الآخر، في منظومة الأنا والأخر المتكافئة ويتضمن النص أبعاداً خلافية ما زالت رحى الأفكار تدور في منظومة جدلية ألفاظها وإشكاليات دلالتها، وتمنيت لو أن كاتبنا: محمد اسليم حدد جميع الاتجاهات بكل حذافيرها في عرضه للرؤى الثقافية في التجاوب الحضاري، ولكن لا أتعجل الحكم هنا لاعتبارات أن الدراسة النقدية تناولت النص المبثوث على شبكة الإنترنت وليس النص الأصلي المطبوع للموضوع فربما هو على شبكة الإنترنت عرض مختصر للدراسة وليس النسخة الكاملة الحرفية له، وربما بنية الموضوع في منهجية المحاور اقتضت تضيق مجالات البحث في تلك الرؤى لإعتبارات منهجية بحثية تلتزم خط عنوان الدراسة في المحاور.

وتضمن النص توجيه لغة الرفض لظاهرة التكفير للأدباء في مجتمعاتنا الأدبية، وتشريح منظومة التضادات في منظومتنا الثقافية، وبؤرا نقدية متنوعة، حاولت تتبع عينات من منظومة الجدليات الفكرية والأدبية في مضامينها، وبذلت جهدي لمناقشتها في لغة هادئة متزنة تراعي وجهات نظر جميع الأطراف، وضمنتها وجهات نظري في الكل والجزء، و أرجو

أن أكون قد وفقت في تلك الدراسة النقدية وأعطيتها ما تستحقه من الدراسة والتأمل في ثنايا أفكارها وجدلياتها الفكرية، وكل تحايا التقدير لكاتبنا: د. محمد اسليم وإلى تواصل مستجد مع نوافذ ثقافية أدبية شاسعة بلا حدود في ظل موائد حروف مبدعة، تتألق بالرؤى الثقافية والأشراقات الأدبية.

تبعثرات الذات في زخم فوضى المتضادات

دراسة نقدية تحليلية في نص "قربانيات" للكاتب د. محمد اسليم

المقدمة:

يرصد نص "قربانيات" (١) الإضاءات اللاشعورية على تعرجات ذات في معابرها الوعرة في أتون المتناقضات بين شكلية رياشة الظاهر وأتون الباطن المستعر بالرغبات الدفينة والجنون المكبوت في حراك الجسد؛ في تيه فضفاض مشرع النوافذ نحو المجهول في عوالم ضجيج تصادم المتضادات في معركة تعلية الحق الزائف بألسنة الحجاج السوفسطائية وثبات حصانة الظاهر على جسد المتناقضات واللانهايات في لغة هستريا تساقط الأوراق الخريفية من رحم الواقع الضبابي المترع بأسطورة فناء اللون في اكسترا خلق الألوان على صفحة الحياة

ويتشكل للباحث الناقد الراصد للنص نقاط نقدية ثرية في هذا النص الرمزي المبدع ومن ذلك تتبع الذات المشكلة في بؤرة النص في السرد والتكثيف في لغات وجودها المتلاحمة في رمزية الحوارات وتسلسل الأحداث في النص، فماهية الذات في لغات وجودها المبثوثة في النص، وظلال المتضادات التي تسلط انعكاساتها عليها في زوايا منكسرة الأبعاد، وتتبع إيقاع فوضى هستريا تشكلات أنفاسها الشملة النهمة على النص، كل ذلك يشكل موضوعات الدراسة النقدية التحليلية المعدة في ذلك الصدد، وأرجو بلوغ منصة الإبداع وكفايات التحليل العالية ومهارات النقد الثاقبة في هذه الدراسة النقدية التحليلية لنص قربانيات.

أهمية الدراسة

تشكل تلك الدراسة بعدا نقدياً ذا أهمية بالغة بإعتبارها جسراً تواصلياً بين مدرسة النقد التقليدية في كفاياتها النقدية الصارمة المحددة والمدرسة النقدية الحديثة في إطار لغة التحليل السيكولوجي للنص الذي يعكس مسارات الذات وتعرجاتها وماهية انشطاراتها اللاشعورية على النص.

وهـذه مـزايا مدرسـة مـا بعد الحداثة في النقد، لذا تشكل هذه الدراسة مساهمة في حـركة تجديديـة لـرمادية الـنقد في خطـوطه التقلـيدية الجامـدة مـن جهـة وفـيها إثراء لقيمة النـصوص الـتي تدور في ضوء كتابات "تيار الوعي" الحداثي الذي يبحر في تعرجات الذات في بـساط اللغـة الرمـزية المشفرة في هـذا الـصدد، وتعـد كتابات د. محمد اسليم بعداً غاية في الأهمـية في هـذا الاتجـاه، ممـا يقتـضي توافر الأقلام النقدية على دراسة تلك التجربة الأدبية الـرائدة في مـادة نـصوصه الإبداعـية علـى وجـه العموم وتكثيف الحزم التحليلية من خلال كفايـات نقدية حداثية لغايات فك شيفرات الخارطة الفسيفسائية في تقاطع خطوطها النفسية والاجتماعـية علـى وجـه الخـصوص لذا فأن الإبداعية الأدبية ماهية ونصا هي بإيجاز جوهر كـتابات د. محمد اسليم الأدبية، وهذا بحد ذاته دافع جميل لارتياد أروقة إبداعات كاتبنا المبدع والإبحار الغواص في لآلئها الجميلة العذبة.

أهداف الدراسة

هـدفت الدراسة إلى كشف ماهية تبعثرات الذات في لغات وجودها المتنوعة في نص "قربانيات" من خلال الإجابة على السؤال الرئيس في الدراسة وهو على النحو الآتي:

١ ـ ما هي طبيعة تبعثرات الذات في نص قربانيات؟

وللإجابة على السؤال الرئيس؛ قامت الدراسة بالإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية

١ـ ما هي أشكال التبعثرات في لغات وجودها المتنوعة على النص؟

٢ـ مـا هي مساحات فوضى المتضادات في النص في احداثياتها النفسية والاجتماعية في النص؟

التعريفات الإجرائية

لغايات الدراسة يكون للمفردات الآتية الواردة في الدراسة المعاني الآتية:

تبعثرات الذات: خروج الذات عن قانون الطبيعة في شتات السلوك المستعر وفقدان مقادير التوازن بلذة نهمة والانسحاب الهستيري عن بؤرة الحقيقة ومقامها في الواقع والمطامح بآدمية هوى ثملة.

فوضى المتضادات: حالة تجريدية لانعكاسات بعثرة الذات على حيز الزمان والمكان في تؤامة الإسقاطات من خلال معادلة 'الأنا، الآن، هناك'

محددات الدراسة

اقتصرت الدراسة على تحديد ماهية تبعثرات الذات في زخم فوضى المتضادات في نص 'قربانيات' المختار من مجموع كتابات د. محمد اسليم المنشورة على شبكة الإنترنت في إطار دراسة نقدية تحليلية، ويرنو بي الأمل لتناول جميع كتابات مبدعنا في دراسات نقدية تحليلية قادمة حتى تتشكل الرؤية النقدية الشاملة لأعمال مبدعنا وتنال حقها من الدراسة والتمحيص الناقد.

منهجية الدراسة

انتهجت الباحثة الأسلوب التحليلي الناقد في تناول النص موضع الدراسة لغايات الكشف عن صدق فرضيات الدراسة وتحقيق أهدافها المتوخاة منها.

هيكلة الدراسة

تتناول الدراسة ماهية بعثرات الذات في زخم فوضى المتضادات من خلال تناول المحاور الفكرية الآتية:

- ماهية بعثرة الذات في النص.
- الأبعاد النفسية والاجتماعية لفوضى المتضادات في النص- مساحات فوضى المتضادات في النص.
- لغة الكاتب التعبيرية.
- نتائج الدراسة.

تبعثرات الذات ومساحات فوضاها

تتشكل الذات في نص "قربانيات" في أنماط متنوعة لكنها تلتصق جميعاً بجدار واحد، سواء كانت في لغة السارد أو المرأة القربانية أو المرأة العارية التي اخترقت الجميع في المركبة لغاية الجلوس أو الشاب الساكن في النص، في لغة كنه الصمت ومسرح الفرجة المجانية، أو ذلك السائق واسواره الشائكة التي ليس بينه وبين الانفضاض في تماهيات التضادات على شاكلة الجميع إلا بضع قشور زائفة ما زالت تعلق في الريق أو شيخ مكناس في أسطورة التضاد أو ثلة النساء القربانيات التي فتح النص في تجسد نهاياته مساحات واسعة لقدومها تترى في النص، وتشكل تلك الذوات في بعثرتها المتضادة على نسق وتيرة خطها العام في الحياة من جهة بواطن أمرها المكبوتة أو التضاد مع وتيرة ما تنتهج من ثياب تواصل في لغة القيم الدائرة في رحى المجتمع في الظاهر الزائف سواء في ظاهر الإيجاب كسائر شخوص النص أو في صفحة المعاندة كما في المرأة الشابة المتجردة في النص والتي انعكست صورتها في انعكاس الإيجاب في الرفض على الرغم من تضاد الظاهر في شكلية رياشة الحال وارتمائه في بؤرة معاكسة لسائر شخوص النص وإن كان الظاهر في سمته ومترتباته الشكلية ينجرف بإنسحاب متسارع لتشكيل نقطة ضوئية مع منظومة التضاد في شخوص النص جميعا في دائرة مركزية واحدة وعلى وتيرة تلك الإيقاعات،و يمكن تناول شخصية المرأة القربانية في لغة المقابلات والمفارقات في الان ذاته ولكن على وجه معاكس لتلك المرأة الشابة إذ تشكل على سطح النص ارتمائها في أحضان آدمية الهوى المكبوته في تضاد صارخ مع الظاهر في رياشة القداسة والعفة ولكنها تلتقي مع الكل في نقطة ضوئية ذات سمت خاص في التوهج الأنشطاري الذي ينفلت إثارة في الأجواء منتشيا بلحن الخطيئة في تجليات المتضادات على النص بحيث تعزز كل نقطة ضوينة تمثلها إحداثيات الشخوص في النص النقطة الأخرى وتنطلق منها وإليها وتفضي بتسارع مستباح منها واليها في هستريا مرور الشخوص على الأجساد في لغة الذات وانعكاساتها في منظومة المجتمع المتأزم المختنق في ضيق أزقة مسارات تلك الشخوص التي تشكل رسمه العام في مسرح الوجود، وتتبعثر تلك الذوات بانكشاف صارخ على بساط ذلك المسرح الوجودي الزئبقي في نمطيتها المتقلبة بالعشق والتنشي المعبر عن رمزية نصية مفادها البعثرة الجميعة عن بؤرة الحقيقة من جهة ولغة تناقضها مع ذاتها من

جهـة أخـرى وإصرارها على التزي بالقشور أمام جدران المكان والزمان كهوية ذاتية في معبر الحـياة الراكد الشائك ويشكل النص هوية اجتماعية ترصد الواقع بجوهر أزماته على صفحة الحقـيقة وان كانـت تلـك الـتأزمات محجـوبة عـن العيان ومغلفة بأستار كثيفة من لغة عرف المجـتمع ووتيرتـه المترهلـة في الحـياة، ويرنو النص إلى كشف الحقيقة في شيفرات لغته الرمزية الإيحائية وتحطيم التماثيل المتزية بهالة القداسة الزائفة والتي لاتمت إلى الحقيقة بأدنى صلة لأن القداسة تولد من رحم الحقيقة وتشرق من عينها بإنكشاف نوراني تحجب معه الأقنعة الزائفة وسوفسطائية هالاتها الاجتماعية الغارقة بعيدا في اوحل المتضادات والمسافرة سرمدا خريفيا عن نبع الحقيقة وبساتين احداثياتها المستقيمة في منطقة حقيقة تجانس الحقائق في الكل والجزء والـشكل والـباطن والفعل والكف في مقاربة نقطتين تشكلا خطاً متناغماً في مسارات الذات والمجـتمع ولغة الجوهر وصفحة الظاهر في إشراقة عين شمس الحقيقة في نبضها الصادق لا في حجـبها الـرمادية الزائفة في لغة المجتمع وادمية الهوى الهستيريه المتصاعدة في النص، لذا يمكن الـتعامل مـع تلـك الذوات المرصودة في النص في ضوء الرؤية النقدية في إطار اللغة الجمعية التي تعكس الفرد في الكل والكل في الفرد على وتيرة التضاد، ومن هذا المنطلق اعتبرت ذات جمعـية تنـشطر في لغـات وجـودية متنوعة، وتتـشكل في ماهـية مـسميات في الجنس والعمر والحـرفة وهالـة القداسـة وتلك عينات مرئية على شاشة النص وتعكس جمعية تأزمات تلك الـذوات وصـيرورة تقلباتها في معادلة (الأنا، الآن، هناك) سواء في الواقع أو تطلعات القادم بحكـم حتمية خلل البرمجة الذاتية الجمعية والفردية في مقادير الموازنات الذاتية المبحرة من نبع الحقـيقة لا تماهـيات الهالـة المعتـبرة في لغـة وتمـنطق الـسنة المجـتمع الخادعة في إدعاء حقيقة التوجـيه والإصرار على الموت صمودا على قرابين القشور الزائفة وكسوة الجسد جسداً آخر من طلاق الحقيقة و التماهي الشكلي في لغة الوجود على النص.

وتـتماوج تلـك الـذوات في الخـروج الـصارخ من قاعدة التمنطق في وحي الحقائق ويـتعالى في ذلـك الـتماوج المـسعور لغـة المونولـوج في النص في لغة خطاب ثنائي في حوار الذات لذاتها.

"وأنتَ؟ أنتَ أتحسب أنك سلطان العشق أم تظن أنك دون جوان النساء الزّاهدات؟ أتعتقد أنك من الوسامة بحيث ما من امرأة وقع بصرها عليك إلا ووقعت في حبال عشقك، وما من أخرى جلست بجانبك إلا وانحنت إجلالا وخشوعا لجمالك؟ لماذا لا تقلب الآية فتقول: «إني امرؤ شبق مريضٌ، أحمل عقلي بين فخذي». هه؟ لماذا؟ أجب أمهووسٌ بالنساء انت؟ أبك مسٌ منهنّ؟ أجب. لماذا هذا الصمت؟ أتخشى أن يعرف الآخرون ذلك؟ أعدك أني لن أسر بذلك لأحد. هيا، قل...»......."

ويشكل ذلك المونولوج وحدة اسقاطية في منتصف مقاطع جسد ذلك النص وتشكل مفصلاً قاطعاً تواصلياً في لغة السرد بين مقدمات النص وتجسدات نهاياته، ويشكل بلورة انعكاسية لمغزى شيفرات النص وانقداح لكنوز الفكرة المخبأة في بحار النص الهائجة المائجة في أتون آدمية الهوى وجنون العاطفة والخروج من الجسد في هستريا الأرواح المتمردة والالتصاق المتصادم في نزع الأجساد من الأجساد وتعرية الحقائق بتجريدية انكشافيه في النص.

ويعلي النص معادلة التماهيات في تؤامة التضاد في كينونة الذات الجمعية والفردية وانسلاخها من حزمها السلوكية المكثفة في خط السلب من المسارات بأسطورة العشق المهووس والإسقاط المؤنب للذات في جانب أخر والتحدي الهستيري في لغة الخطاب في طيف ثنائي في النص في لحن سادي من الفعل وعاشق في تماوجات ارتماء جسد ذات متعالية مستجيبة بجنون في شكلية ادعاء الكف على مسرح الأجساد واللغات وتصارع القيم ومادة القانون وتمنطق الأشياء وايدلوجيه الموجهات وقداسة البوصلات في الآن ذاته.

والنص موضع الدراسة تتعالى فيه وتيرة الخطاب السردي في كنه الإيحاءات الرمزية وتسلط إضاءاتها على حراك الذوات على ساح الواقع ومنظومة أدوات السيطرة الجمعية والفردية التي تخترق مقاطعه جميعا فينعكس الفرد في المجتمع ويشكل نقطته الضوئية فيها بألوان مجنونة تتصاعد إلى عرش الألوان فوق الحمراء في تذبذبات القولبة فيه والتشكيلات التجريدية الزائفة فيه ونقاط العطب المنفلتة منه بتسارع من مصدر إمداد طاقة الحقيقة وتمثله في الأجواء في سمت أمواج هوائية جوفاء تتماوج انسحابا يمنة وشمالا وتخادع ذاتها بقوة

الصرامة المتعالية وتكشف في عنفوان مداد قوتها عن انشطاراتها في تماهيات متباينة الأجساد ومتكافئة المسير وتتجسد نهايات لغة السرد في القص عن تلك التماهيات في تركز النقاط الضوئية السلبية بحزمها الكثيفة في الكشف عن زيف هالة قداسة الأجساد في ادعاءاتها وتشكل الذات الجميعة بقوة متدفقة في النص في ماهية بعثرتها العابثة وشتات أنفاسها في عوالم آدمية الهوى المسعورة

أسمع. سواء أكان اسمها ليلى أم كلثوم، هند أم نسرين، سواءً أكانت تحمل في وجهها سبورة أم محارة أم حجارة فها أنت تستعيدها فيَّ أنا الآن. أنا الآن بديلتها. أتدري ما اسمي؟ خمّن. ما اسمي أنا الجالسة بجانبك الآن أختلس منك لذة؟ من أنا؟

قال صَوتٌ من الليل:

- أنتنَّ القربانياتُ جميعاً!.

لغة الكاتب التعبيرية

يتشكل ثالوث اللغة الأدبية في هرم توازناتها في منصة الق الفكرة وتدفق العاطفة ومحراب الأخيلة ذات الحس المرهف في الشفافية، بحيث يتكوء النص بأريحية جمالية على ثنائية عصا موسى على النص في ظلال سحر التعبير والق الفكرة في التوجيه ويبرز للناقد المبحر في نص قربانيات انقداح الفكرة بقوة صارخة في النص إذ كانت مقاليد أشرعة مسارات النص البحرية تمضي في ظلال أمواجها العاتية والمتصارعة في الأجواء، مما مهد السبيل لاستسلام كاتبنا المبدع لبركان تدفقات مخزونه المصدري الخبري في إثارة توهج الفكرة من خلال توجيه الدمى المتحركة في النص، واحكم قبضته الفكرية عليها وقيد من عفوية حراكها على النص وتلقائية الحوارات في اثيرها مما خفف من أشرعة اللغة التعبيرية الشاعرية في سندباد الأخيلة الشفافة التي تضفي تالقاً بهيا في النص، وبالتالي قيد قلمه المبدع من التحرك ببوح تصويري فني شفاف في ذلك المنحى بحرية اكثر بحبحة وسعة في المسارات، ويبرز في النص أيضاً تدفق العاطفة في عوالمها اللاشعورية و التي تقع أيضاً في اسر قوة الفكرة الغالبة القاهرة في النص والتي أوشكت على نحر أخواتها ـ (العاطفة، الأخيلة) في ثالوث موازنات لغة الأدب.

وانطلاقاً مما سبق فقد كان مجال الكتابة في النص متجاوباً مع سمت المباشرة في لغة التعبير وأن خفف من وطأتها رمزية التصوير المشفر في النص، وقد أشرقت في النص طاقات تعبيرية عالية في التصوير الفني لدى كاتبنا المبدع لكنها تركزت في مقاطع قصيرة عابرة في النص وكان بإمكان كاتبنا المبدع تكثيف السير في ذلك المنحى ليضفي على عمله جمالاً نورانياً إضافياً وهمساً شاعرياً مرهفا في السبك السردي بحيث تتسع آفاقها في مساحات أوسع في النص مما هي عليه.

ويبرز في النص سلاسة الأفكار المنسابة برتابة في النص، لا تلبث أن تتعالى مع وتيرة تواكب احداثها إيقاعات ضجيج ناشئة من تقاطعات الحوارت مع لغة الشخوص في سمت حرارة الاحتكاك تارة ولغة الرفض تارة أخرى واسقاطات المونولوج الذي شكل مساحة حمراء في النص؛حيث يتولد من رحمها انعكاسات إضاءات كاشفة لما يختلج في أعماق اللاشعور من مكنونات بوح دفينة في تعرجات أغصان الحروف المتشابكة تعقيدا وضبابية غامضة في النص.

وبرع كاتبنا المبدع د. محمد اسليم في استثمار صياغة الأفعال المتنوعة للتعبير عن إيحاءات أفكاره سواء أكانت في انتهاجه لغة الأمر الصارمة:

"اخرجي واجلسي جهة النافذة، ثم اتركي الولد الآخر يجلس قرب هذا، فنحن لا نحب الاختلاط!"

أو في لغة الاستمرار في ديمومة التعبير عن مآل الحال والمقال "

" « . فتحتُ صفحة يدي. أطبقتُ كفي على كفها. استجابت لندائي بنداء أعمق: أحكمتْ إطباق يدها على يدي. اشتبكت الأصابع. كأننا سنعقد عهداً أو ميثاقاً »

ويمكن اعتبار التناص هنا في هذا الشاهد من النص، في سلة إيحاءات الرفض

" أخطأ المرء إذا ظنَّ الناسَ محرومين إلى هذه الدرجة. فالشوراع امتلأت رجالاً ونساء إلى أن صارت العين تحار في ما تختار. "

وكذلك رمزية البعد السردي في شيفرات العفة المرصودة في استثمار ارتباط هوية الأسماء بماهية ذواتها في لغة المحاكاة من خلال رمزية يوسف في النص، ووجهة نظري ان

الكاتب هنا لم يوفق في مادة الأستثمار وتشكيل سبكها برتابة نقش العفة في ميادين تماوج آدمية الهوى وتضاداتها في النص، وبالتالي جعل المقطع الحواري هنا شائكاً ويثير موضع اللبس والإبهام وتداول وجهات نظر متناقضة في تأويل مقطعه الحواري هنا، ومادة الخروج من هذا المأزق الذي قيد الكاتب به فكرته هنا - من وجهة نظري- هو الإشارة التعبيرية المباشرة أو الرمزية لانفصام هوية الأسم عن الذات ومتعلقاتها في بساتين الفضيلة خروجاً من اللبس والإبهام بإعتبار أن مادة الأدب بكافة أجناسها هي ملك القارئ بعد خروجها من يد الكاتب وصنعة انامله الأدبية، على نظرية موت المؤلف في التعاطي مع النص، فبالنتيجة هنا خرج النص من أدوات سيطرة الكاتب وهو ملك القارئ في مادة استلهمام القراءات وجينات ولادة النص من خلالها، وبالتالي أودع الكاتب عملته الأدبية هنا بضبابية غامضة شائكة تحمل تأويلات متنوعة من القراءة سواء في السلب المتعمد ربما أو الإيجابية المبررة أو بين وبين وفي كل الأحوال جميع مناطق النص الشائكة كانت في سدنة ملكية التعاطي الرمزي معها والخروج الآمن منها والتناغم بسميفونيات التلاقي الفكري الغواص مع الكاتب فيها ولكن هنا في تلك القطعة النقدية الشائكة من النص تباعدت فرص رمزية التعبير وذلك ناشئ من ماهية نقش الكاتب لمادة فكرتها فيها الموغلة في انفعالية حادة ذات أطياف قزحية متفاوتة النكهة في التعبير، فغدت تباعاً لذلك منطقة أدغال شائكة متشابكة الألوان في التأويل.

ويرصد لنا النص بجماليات رائعة ماهية الضمائر والاستفهامات الحاضرة الغائبة في ثنايا النص:

هل كنتِ في الموعد؟ نعم، كنتِ فيه وأخلفْتِهِ في آن. رأيتكِ؟ نعم، رأيتك دون أن أراك. التقيتُ بكِ؟ نعم التقيتُ بك دون أن ألقاك. لا ها أنتِ بجانبي. ها هو عمودك الرخامي يغازلني وساقك تتوسل لساقي بابتهالات خاشعة وديعة. آه! ما هذا؟ أساقك الندم إلي؟ بل ألأنت المرأة القربانية فعلا أم أنك امرأة أخرى ساقتها الصدفة إلى جانبي داخل سيارة اجرة أخرى؟

وتتجسد النهايات في النص في تصوير فني بليغ يحمل ايحاءات رمادية في ديمومة قانون التضادات على الأجساد وجدران المكان والزمان، فيتساقط الجميع في لغة الليل المدلهم

قال صَوتٌ من الليل:

- أنتنَّ القربانياتُ جميعا!.

نتائج الدراسة

توصلت الباحثة من خلال الدراسة التحليلية النقدية لنص "قربانيات" إلى النتائج الآتية:

- يشكل نص "قربانيات" بعداً مبدعاً في النقش الأدبي لأنعكاسات سيكولوجيا الذات في سلبها على لوحة المجتمع في بؤرة فسيفساء تناقضاته.
- يسلط النص على ماهية تبعثرات الذات الجمعية المنشطرة إلى أجنامس وأطياف واعمار وارواح ومادة ساكنة في لغة ما يسعه البال والحال وما لايسعه في متتاليات المتضادات في الأشياء وقاموس كينونة اللاشئ في الشئ.
- يعكس النص معادلة "الأنا، الآن، هناك" لغايات كشف تلك التماهيات في تلك البعثرة الوجودية الجمعية الفردية في الآن ذاته، في أتون انشطاراتها الحوارية المشكلة في لغة المونولوج الدائرة بحدة في النص على قرع إيقاعات أحداث متحركة لاتعرف الاستقرار في إيحاء رمزي لمسرح المركبة التي تقل الراكبين وتبث لنا لغة سرد حواراتهم على صفحة النص.
- يبرز في النص لغة الكبت المتعالية في أنين الذات التي تتفجر بركانا في حالة انكشاف الأجساد في ظلال شيفرات رمزية لحالة التماهي مع الضد في أعلى لغات الحوار الثنائي الذاتي في البث.
- يرصد نص "قربانيات" مفردة (القربانية) في ماهيتها الفردية والجمعية في معادلة اعتبارها عملة فكرية رمزية تم تداولها في لغة التشفير الرمزي لإرساء منصة الفكرة المختزنة بعمق في النص لإثبات تضاد الذات مع الذات وجلدها ذاتها في أتون

الأسقاطات بجدة التعرجات وعكسها ذلك في إطار قانون الجذب على الآخر في كافة تماهيات آدمية هواه المستعر وإيقاعات بعثرة قطعه الجسدية على النص.

- تألق في النص انقداح الفكرة التي تماوجت في غلبة الحال على تدفق العاطفة ومحراب الأخيلة في لغة التعبير، وبرع كاتبنا المبدع في تطويع اللغة في صياغاتها المتنوعة في بث مفرداته الرمزية وتشكيل الفكرة على النص.
- تقدم الدراسة توصيات بدراسة محور تبعثرات الذات وفوضي تضاداتها ومحاور فكرية أخرى مثل (تساميات الحرية،ثنايئة أيدلوجية الفكرة وسيكولوجية الذات، الثقافة والسيكولوجيا في لغة الحوارات، ثالوث الأسقاطات، ماهية الأسطورة، ثنايئة وعي الذات، الرمز، ضجيج انكسارات القيم، التناص، ثنائية الفكرة وانكسارات الإيقاعات) في نصوص أخرى لكاتبنا المبدع ولعله يحالفني الحظ في تناول ذلك جميعا في كتابات مبدعنا د. محمد اسليم ولا خلاف أن في ذلك التناول النقدي إثراء لمنصة البحث لخصوصية كتابات مبدعنا التي تفتح الأفاق لتناول تلك الخصوصيات البحثية التي لا يتسنى تناولها في كتابات الكثير من أدبائنا المشاهير في رحلة التراث والواقع، وكل ذلك يعزز تحصيل نتائج علمية موضوعية تبتعد عن النقد العشوائي الذاتي وتحقق تأكيد وجود المدرسة السيكولوجيه في النص التي تسلط الرؤى على الذوات في سيكولوجيا حراكها ولغة اسقاطاتها على مسرح المجتمع في أغلفة جدرانه المكانية والزمانية في إطار مدرسة النقد البنائية وسيكولوجيا التحليل الأدبي للنص التي يعد كل منهما مرجعيات أساسية في لغة النقد المتجاوبة مع تلك الأطياف التحليلية في الرؤية النقدية.

وفي نهاية مطاف دراستي لايسعنى إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والتقدير لكاتبنا المبدع د. محمد اسليم على حسن ضيافته لي في موقعه الكريم وعلى إتاحة الفرصة لي لتناول نصوصه الأدبية في منظومة دراساتي النقدية فدام إبداعه البهي النضر جمالاً ودامت بحور الإبداع مدرارة معطاءة في بساتين حروفه السندسية على الصفحات المتلالئة نورانية في الفكر وسحرا في الق التعبير.

ماهية استلاب الأنا في نص كوابيس

تدور تماهيات بين نص (كوابيس) للقاص د. عبد الرحمن يونس وحكمة قديمة مفادها انسحاب حالة التلذذ وفناءها المطلق بلا عودة أمام تفاحة نضرة تتناولها يد خائف أو جائع، فالخائف لا يحسن التذوق، لأنه يخاف أن يفقد التفاحة مثلا، فيلتهمها بسرعة، والجائع لا يحسن التذوق،لأنه مدفوع بالشوق والغريزة؛ ليملأ الوعاء وكلاهما في حالة فناء في تلذذ الطبيعة في أبجدياتها في الحياة، وجمالها في اكتمال النضج.

وكذلك إذا تربت الشعوب على الحرمان أمام متطلبات الطبيعة فلا بد أن يغالبها إحساس الفقدان والضياع في المادة والروح، وإذا تحرك فيها مارد الجوع المادي والروحي؛ في اقتصاد منهك منهار، وفكر هش؛ يقدم لها كوجبات سريعة للتناول، فلا بد أن تؤول إلى تؤامة مع نهاية استلاب لاتنتهي.

فهنا تفقد الشعوب إنسانيتها ومادية أدميتها وإحساسها بالحياة ابتداءً والجمال تباعا، وليس موطن حديثي هنا عن أزمة الاستلاب الجمعي في لغة الشعوب المنهكة في الحرمان؛ ابتداءً من حق الحياة، ووصولا إلى خبز الحرية، وانتهاءً بالإحساس بالجمال.

إنما موطن حديثي في البعد الدامي في لغة (الأنا) الفردية التي يغالبها الحرمان الجمعي، فتغدو في سوداوية مطلقة وجمود جسدي وارق متصاعد حتى الموت، وهي التي يسلط النص برمزيته على أبعادها المتماهية، إذ تغدو في قانون جذب مأساوي للنكبات، فإن كان لها النجاة من مشنقة الإعدام البشرية، فلا بد أن تجتذبها الأيام السوداء، واللحظات الدامية في لغة الناموس الكوني، ولو نالها تفلت من قبضة مساحة مكانية في مقاطع الكون الممتد جذبتها قطعة كونية أخرى لتودي بها إلى ذات النهايات المؤلمة حيث الفناء في الجسد وخلود الأنا في لغة الحرمان الفردية والجمعية.

ويبعثر نص (كوابيس) الذات إلى مقاطع على مسرح مشنقة الإعدام في كل تماهياتها ابتداءً من لغة آدمية البشر التي تدمر الأيام والحضارات في اللغة الجمعية، ولغة الفرد وقد جثم على قلبها سطوة استبدادية أحالتها إلى مسرح النزع الأخير حيث الذكريات في تحنانها

المنكسر إلى لحظة الميلاد الخالدة من رحم الأمومة المتمثلة في قلب الذكريات، وما يبتعث هناك من أنين التذكار في لوعة التحنان في تماهيات الفرد حيث السطوة والطغيان المستبد، فهنا ينشكف وجه الواقع في رماديته وتنتقل الروح إلى عالم الفناء والتماهي مع لغة الأرواح المسافرة بعيدا عن مأزق الحياة وجور آدميتها، وهنا تنقطع سبل النجاة بكل معانيها الروحية والمادية في إصلاح الفساد ونشر الحرية والجمال لأنها في استلاب آخر جمعي ينتظر لحظاته الأخيرة.

وتتجسد الماهية ذاتها في كابوس آخر ولكنه يعبر عن ثلاثية (الحياة، المتعة، الامتداد) حيث لاتتخلق على الأجساد في أجواء الاستلاب الفردي والجمعي، الذي تعيث فيه يد عابثة في التعالي والبطش، فتبعثر تلك الأجساد إلى قطع متسمرة في أرجاء الغرفة المكفهرة، فتغدو على قارعة أخبار الزمان، وتتشرذم هناك المتعة في قطع جسدية مستلبة دامية، حيث لامكان للجدية والعبث وكل التماهيات في ظل ذلك استلاب الأنا في الجزء (الفرد) والكل (المجتمع)، وتفتح صفحات الكابوس الثالث عن هستريا المادة في وأد الإنسانية، والوصول بها إلى ذات أودية المهالك حيث الفناء الأخير في استلاب يدور بين سادية وضحية والضحايا معا في مسرب النهايات المفجعة.

ويعبر النص في كابوسه الرابع عن اجتذاب (الأنا) المستلبة للأقدار المؤلمة فتغدو في ثنائية (عشق، رفض) تغالبهما حالة الالتقاء في الفناء فتكون النهايات المؤسفة في الوداع حيث لاعودة للروح والأجساد على مسرح الحياة في الاستلاب، وموطن مركزية النص يشير إلى التقاء الكوابيس الأربعة في لغة الفناء الدامية. ويتجسد قانون الجذب المتأصل في حالة استلاب الأنا بمساحات واسعة في الكابوس الرابع ومفاده مغادرة مكان ينتظر مخاض إعصار جمعي في الطوفان، وتبرز حالة الاستلاب في لغة الهروب في المشهد الكوني، والحال ذاته على تؤامة النسق في حالة الطوفان الاستبدادي حيث الهروب الجمعي في طاعة الطاغية، فتتوالى أعاصير الاستبداد حتى الموت عشقا على حالة الاستلاب في الكل والجزء، في لغة الغرق الجمعية في قانون جذب للاستبداد في كل مقاطع الزمان والمكان، والحال ذاته في قانون اجتذاب الخبرات المؤلمة والكوارث بكافة معطياتها، وهذه هي الشيفرة الرمزية السيكولوجية

لحالة الهروب من الإعصار ووصولا إلى الغرق في قانون جذب بين الجسد وناموس الكون في لغة الأقدار المؤلمة السوداوية، حيث تنتهي الحياة، وتبدأ مشنقة الموت في لغة سطوة البشر وحرمان الحرية ومتعة الحياة والميلاد على الحياة في الآن ذاته أو في سطوة المادة والدمار حيث تنتهي الحياة في البدء قبل النهايات أو سطوة جذب سلبية الأنا للخبرات المؤلمة وسوداوية المآل في تماهيات استلابها وتؤامتها مع الأقدار المؤلمة تباعا في نهايات النهايات المؤسفة.

والنص موضع الدراسة، مادة ثرية للاستلهامات وتحديد زوايا الاستلاب في الأنا الفردية والجمعية، ويعبر عبر فنيات القص فيه عن لمسات سيكولوجية غاية في الروعة ودقة التوجيه، وندرة المعاني الجامعة التي تمس الفرد والمجتمع والواقع معا، ويعكس ذكاء التشفير في يراع مبدعها، وتعالى وتيرة التشويق في إبداعية المخيلة القصصية وتفاصيل جزئياتها الدقيقة، في مزية تتسم بالمحافظة على جوهر الفكرة وعدم تبعثرها في النص، وهذه اجمالا سمات إبداعية القص التي تفرد فيها د. عبد الرحمن يونس، وتشكل لمسات مميزة في القصة السورية الحديثة، ولايسعني في نهاية مطاف النص إلا أن أزجي لحروف مبدعنا البنفسجية كل تحايا الإبداع والتقدير، ولتصبح كلماتك دوما على إبداع وعطاء وفي سلامة من كوابيس الملمات.

الفصل الرابـع

سيكولوجيا الأدب وعوالم القصة القصيرة

الفصل الرابع

سيكولوجيا الأدب وعوالم القصة القصيرة

القصة القصيرة: الميلاد والتساؤلات

ولدت القصة في كونها الجميل، ولكن لا أحد يمكن له تحديد كنه جغرافية الرحم الذي نبتت فيه وانطلقت في ربوعه ورودها الأولى، وذلك لالتصاقها بمادة الحكي المنبعثة من أعماق الإنسانية في هيئة سفارة التواصل اللغوي بين الناس. والمستقرئ لأحول نشأتها يلحظ ظاهرة تأثر الحضارات وانفتاحها على بعضها البعض وتلونها بأطياف بعضها البعض في رحلة الحضارات وما حملت في أحشائها من أنشطة إنسانية شتى، ومنها عوالم القصة والأساطير التي حفلت بها المخيلة الحالمة في تراثها الأدبي.

ويبرز في رحلة البحاثة الموضوعي في هذا الصدد على وجه الخصوص أثر التراث الأدبي العربي العريق في المجال القصصي في وضع بصماته اللامعة ولمساته في الشخصيات والأحداث في رحلة القصة الحضارية، إذ سكبت مادة الأصل العربية في قوالب متجددة في قصص الأمم الأخرى، لكن بقيت في عبقها نكهة عطر القصة العربية في أصالتها وأطياف أجوائها.

لذا لا مجال لإغفال أثر التراث الأدبي العربي في إثارة ظاهرة الاستلهام عند كتّاب القصة الغربية، لذا جاء السبك القصصي عندهم يعبر في أعماقه عن جذور القصة العربية والمحاكاة لها والاستلهام الممتد لشخصياتها، لذا يثير موضوع (القصة في الأدب العربي) قضية فاعلية هذه القصة ودورها في تطور فن القص، ليس على مستوى الأدب العربي فحسب، وإنما على مستوى الأدب العالمي أيضاً. ويعطي بعض الباحثين القصة العربية على هذا المستوى دوراً أساسياً، فيرى المستشرق ميكائيل أن أوروبا مدينة بقصصها للعرب. ويرى المستشرق البارون كارادفو في بحثه المطول في الحكايات العربية أنه لم يسبق الأدب العربي أي أدب آخر في نوع الأقاصيص، ومن الأمثلة التي يقدمها الباحثون في هذا الصدد، ما ينقله

موسى سليمان إلى ما يقتبسه عن جب قوله: ولم يقف إعجاب الأوروبيين بألف ليلة وليلة عند هذا الحد، بل قام رجال التربية فيهم يعملون على جمع الحكايات الطريفة في حوادثها، الشيقة في مفاجآتها، المليئة بألوان الشرق، تلك الحكايات الخصبة الخيال التي توافق روح الأحداث، فطبعوها على عدة طبعات جميلة ووضعوها بين أيدي أحداثهم وطلاب مدارسهم.

وإذ ندرك تأثير هذه القصص في الأجيال الجديدة نستطيع تقدير دورها في تطور فن القص الأوروبي الذي عرف في مرحلة تالية. ولم يقتصر التأثير على (ألف ليلة وليلة)، وإنما تعداه إلى كتب أخرى، مثل(كليلة ودمنة) التي تركت آثرا واضحا في الأدب الغربي. فهناك آثار لاتينية كثيرة وتراجم إنكليزية متعددة، كما يقول جب استمدت من هذا الكتاب، فاستفاد منها كتاب الغرب وشعراؤه وقصصيوه، وفي مقدمتهم: ماسنجر الإنكليزي ولافونتين الفرنسي.

وقد أشار مؤرخو الأدب الأسباني إلى إمكان تأثير فن المقامات العربية في مولد فن جديد في الأدب الأسباني، المعروف باسم القصة البيكارسية، وهو تعبير تصعب ترجمته بدقة، وإن كان أقرب ما يقابله بالعربية هو قصص الشطار.

والنماذج في هذا المجال متعددة، وليس المجال هنا حصرها؛ وإنما ذكرت لغاية الاستشهاد فقط، وهذه النماذج تعكس عمق الأثر الذي تركته التراث الأدبي العربي في القصة الغربية في جميع أبعادها وسبك أحداثها وسمات شخصياتها. وذلك يعود لأصالة القصة العربية في رحلتها الحضارية الطويلة، إذ عكست أصالة القيم العربية ودفء العاطفة، وكان في معييتها استصحاب جذور التاريخ في معية شخصياتها الأخاذة والمنبعثة من وحي المخيلة العاشقة لأصالة الماضي وفروسيته الآلقة ورسالة تبليغ القيم وترسيبها في التحام جيل في السبك القصصي. والنماذج في ذلك متعددة ومتلاحمة في إبراز أصالة القيمة وعزة الماضي وترفيه النفس وبث العبرة التربوية.

وفي محطات استقراء ميلاد القصة الحديثة عبر رحلة التتبع التاريخي يلحظ الباحث تشكل ذلك الجنين الجديد وخروجه للوجود في الأجواء الأوروبية عينا وقلبا، فكان مرتعه

وارتقـاءه المـشبع في الوجـود الصحفي وزواياه الممتدة، فامتد قلم ذلك المولود الطائر الجديد القـديم ليرتقـي في أجنحته ويكون له صولات وجولات في الأجواء العربية، فاكتسب أصالة الـنكهة وارتقـي في سـلالم الإبـداع الأدبـي والانطـلاق المتسارع في جماليات العرض وجوهر فكـرة الرسـالة، فكان أن انطلق من رحم تلك الأجواء صورة أصيلة للقصة العربية القصيرة في انطلاقـة تـنافس فـيها القـصة الأم في مـيلادها الغربـي وتمـدد أغصانها في الأجواء بثبات ورسـوخ وتطلـع ذكـي فطـن في مسيرة الإبداع الأدبي، وما زالت تمضي في ذلك الدرب نحو نبل الغايات الساكنة في رسالة الأدب ونبل الأفكار.

الأدب القصصي بين الحداثة والواقع

إن عملـية الـتطور هي عملية مستمرة تتأتى عبر التحدر السلالي والانتقال من جيل إلى آخـر فالـتطور قانـون مـن قـوانين الطبيعة المتشكلة في الكون، فالثقافات نموذج من نماذج الـتطور في مـسارات الحـياة عـبر أبعادهـا الـزمانية المنصرمة والمتعاقبة، لأنها انعكاس لتطور المجتمعات، الفكر، أساليب الحياة، ارتقاء وتحضر الذات نفسها.

والأدب القصـصي هـو جزئية متشكلة في منظومة جزئيات يشكل مجموعها اللوحة الثقافـية في المجـتمعات، وتعـبر عـن فـيض الانعكاسـات لهـا في النـاتجات الأدبية فضلاً عن بـصمات الإبـداع الفـردي المؤثـرة فـيها، والمتفاعلة في الآن نفسـه مع آليات التطور في أبعاده المتـنوعة، فلغـة التطور الثقافي تحاكي بعدين ملتحمين في آن واحد وهما: انعكاسات الارتقاء في المجـتمعات في كافـة أطـيافها القـزحية وبـصمات التفـرد الإبداعـي المتـشكل في المنجزات الإبداعـية الذاتـية المـستلهمة من وحي العبقرية الفردية التي تشكل عصب الحياة في الثقافات علـى الـدوام وتـتخذ ألـوانا متنوعة مـتطورة ذات بعـد اسـتقلالي في رحلة تطور الثقافة في المجتمعات.

وانطلاقـاً ممـا سبق فإن الأشكال الحداثية ومتعلقاتها في قانون استمرارية التطور لا تـشكل رحمـاً عقـيماً مـشوهاً للمنتج القصـصي ولـن يكـون بأي حال من الأحوال خارطة فـراغات في رسـم الإبـداع الـثقافي، لاعتـبارات عـدة منها: إن مضمون الحداثةهو مفرزات

أفكار ورؤى ذات أبعاد متنوعة منصهرة في بوتقة الحداثة وتحمل معها انعكاسات بلورية لتطور المجتمعات ووحي استلهمام عبقرية الفرد وإبداعه، لذا لا خلاف أن فيها التنوع والأطياف المتضادة والرؤى ذات المساحات الواسعة في وحدة الفكرة وتداخل معطيات الفكر في مخاضات ولادة رؤى تنفتق عن عن قوانين نقدية ورؤى فكرية مستجدة وتلاحم نظريات متعددة في بعد رؤية واحدة، وربما تتشكل في مرونة اكثر ورؤية ذاتية اكثر إبداعا بحسب المخزون الثقافي وطاقات الانبعاث الأدبي عن المتلقي الناقد ذا الرؤية الثاقبة في التمحيص والتلقي والتعامل المرن معها، والمهارات العالية في استثمارها في رحلة الإبحاروالتتبع والغوص في النصوص الأدبية، ومجموع ذلك منطقيا يشكل إضافات أدبية تطورية متفاعلة في الآن ذاته مع معطيات الحداثة في الفكر والرؤى والنظريات، وبذلك تستمر المسيرة الأدبية في ظلال التطور ومعطياته في الارتقاء وولادة المنجز الإبداعي في النتاجات الأدبية

والسؤال الذي يطرح ذاته ـ في جولات المحاورة والتواصل العلمي مع معطيات الحداثة- لا يختص بقوانين التطور وابعاد مسيرة سننه في الثقافات وإنما في المنتج الأدبي ومدى تفاعله الحي مع هذه القوانين وقاموس الحداثة ومساحات انطلاقته الوثابه في أطرها المرنة المفتوحة، فنحن في صدد التعامل مع نتاجات أدبية وليس منجزات إبداعية فما زال الأدب القصصي في عالمنا العربي يدور في محض التلقائية والفطرة في التعامل مع النص في ظلال الوحي والاستلهام ويأتي بعيدا عن آليات التطور في النص بكل أبعاده ومتعلقات آلياته من السرد وإحكام البناء وتوجيه الدلالات في إطار الإيحاءات والشيفرات الذكية التي تحيل القارئ إلى عنصر متحد مع النص بحيث يغيب ثالوث الفن (الكاتب، النص، القارئ) ويبقى الطيف الأحادي الملتحم المتشكل من الثالوث في مولود آخر ولغة قصصية واحدة بحيث ينأى العمل الفني عن النص التقليدي في التعبير وتشكل العقد والنهايات في قوالب جامدة اعتيادية، ورسم الشخصيات في سرد مباشر غير خلاق في العرض بحيث نفتقد آليات الغوص السردي المبحر في العوالم الشعورية في آتون ملذاتها والمها ويومياتها في قلم إبداعي يسعي إلى تقديم إسهامات وإضافات إبداعية في عوالم الارتقاء في الأدب القصصي الذي

يقدم مساحات مفتوحة الآفاق للقارئ، ليشكلها في ظلال رسمها المفتوح الملحتم من نتاج رؤى الكاتب في النص ونتاجات النص في القراءات ذات الأطياف المتنوعة في التلقي والاحتواء بحيث نتجاوز البعثرة في التعاطي مع آليات القص والمشاعر الرومانسية التي تجسد التبذل في العرض لذات العرض لا لغاية الإبداع وربما استطرادة بعيدة نوعا ما عن إطار سلاسة الحديث في نقاشي هنا وتتعلق بظاهرة مستعرة مبتذلة في الأدب القصصي الدائر في واقع الحركة القصصية وتتشكل في اختصار المرأة في الجسد ومتعلقاته متوهما المرسل هنا انه في إطار آلية قص إبداعي في نهج رحلة تقديم المنجز الإبداعي وهو في الواقع مخلوقا أدبياً مشوها يتجلى فيه التعاطي غير الواعي مع معطيات الحداثة، فالانفتاح مع الحداثة امراً ذا أهمية بالغة ولكنه في إطار واعي ناضج وليس في الهذيان الأمعي في التقليد، فليس من متطلبات الحداثة إلغاء الماضوية والإنسلاخ من الجذور الثقافية بل إن القاعدة المنطقية تشير إلى ضرورة استيعاب الحداثة في ظلال التفاعل مع الماضوية والارتقاء بها نحو رسالة أدبية تتسم بالتحضر والتطور والارتقاء النبيل في تحقيق قفزات مستهدفة تتشكل في رحلة الانتقال من المنتج الأدبي إلى المنجز الإبداعي.

وفي ختام مقالتي هذه أرجو أن أكون قد وفقت في العرض ومناقشة وضعية الأدب القصصي بين الحداثة والواقع وان تكون مقالتي هذه انس استمتاع وتلاقح فكري مع أقلامكم وأفكاركم.

ضبط الكاتب لمسارات حراك شخوصه في النص القصصي

دراسة تطبيقية في نص "ستة ألوان لمدينة منسية" للكاتبة ابتسام الترسي

تعاضدت الدراسات المتنوعة في التأكيد على أن حقيقة مادة القصة القصيرة تعود لحالة احتباس للحظة ما، شكلت أطياف انفعالاتها في الكاتب، فنشا عنها احتباس ما لها، شكلته أنامل إبداع الكتاب، في روائعهم الأدبية، فالشخوص المتحركة في تلك اللحظة المحتبسة، هم دمى حروف ترتدي ثوب آدمية الحراك في النص القصصي، فتبرز هنا في تلك المساحات خلافات النقاد الحادة في نظريات متعددة فهل أبوة النص تعود للكاتب؟

ما دوره في النص، وهل يعبر عن تفاعلات ذاته في تلك اللحظة المحتبسة؟ أم انه عنصر محايد، باعتباره الراوي الذي يتعامل معنا ضمن كواليس لغة السرد فحسب؟

هل يعد من ميراث النص القراءات الأخرى للنص في ولادة نص جديد منفعل من الأول في إضاءات القلم النقدي؟ فيعد هو والنص وجهان لعملة واحدة؟

وهل مسارات الشخوص في النص تتشكل بتلقائية أم أن الكاتب يوجهها، وهل التوجيه محدود أم مفتوح الأبعاد،وهل انفلات ضبط مسارات الشخوص يعد خروجا بالنص عن دائرة الجدة والإبداع، وسمت مؤاخذة وخلل في العمل الفني القصصي.

تلك التساؤلات ما زالت متأججة في عوالم النقد الأدبي، وما زالت مساحات الاختلاف فيها مفتوحة الأبعاد، وعند منعطفاتها، تبرز اللغة النقدية في التتبع ومحاكمة الكاتب في بناءه السردي، فكم من مشاهير الأدب في فن الرواية والقص، وقعوا في مطبات من هذا النوع، وعلى سبيل المثال لا الحصر، فإن أسطورة الإبداع الأدبي المتشكلة في شخصية الكاتبة غادة السمان، يؤخذ عليها تحكمها البارز في بعض مناحي السلوك والتبعير والحراك لشخصياتها في توجهاتها، بحيث تحلق وتدور لتخبرنا عن أعماق غادة الدفينة في نفسها لكن شكلتها في شخصية ما للقصة ومنحتها أوصاف تجعل القارئ يستبعد إيحاءات ذات غادة من خلالها لكن بواطن البوح، ثقافة النص، التوجهات في التعبير، جرأة التعاطي

معهـا، كلـها تعبر عن الذات الجوهر المختبئة في غادة وتعبر عنها بكل انشكاف سردي متعالى الـصرخات، وهـنا يحـدث تـيه الكاتب ومنظومة التناقضات في قلمه، إذ يفترض أن يتناسب ثـوب الشخـصية مـع ملكاتهـا الفكـرية في التعـبير والتعاطي مع الأحداث، وهنا تتشكل لنا عقلـية غـادة العالـية في مخـزونها الـثقافي مقارنة مع شخصياتها المتنوعة المختارة في قصصها، لأنهـا لـن تكون بأي حال تلك الدمى القصصية بقدر ثقافة الكاتبة وتأجج انفعالاتها في لغة رفضها لواقعها الجريح

وهـنا نعـود لطـرح ذات الـسؤال، ما المساحة المنضبطة لحرية حراك الشخوص، وما المـسافة المتاحة للكاتـب في الخـروج عـن طور دميته القصـصية للتعبير عن ذاته الدفينة، دون تناقـضات وإحداث خلل في البناء التركيبي للشخوص القصة، ولا يخفى أن تلك التساؤلات مازالـت في ملفـات موائد البحث النقدي، وتحتاج لمن يكشف النقاب عن بضع جسد ما من الحقـيقة المخـبأة في تلك الإشكالية النقدية، ودراستي التطبيقية في هذا الصدد وفي ضوء تلك الإشـكالية، في محاولـة جـادة لنفض الركام عنها، من خلال تلك الإطلالة النقدية على قصة ' ستة ألوان لمدينة منسية([1]) للكاتبة ابتسام التريسي

' سـتة ألـوان منـسية ' لـوحات قصـصية جياشـة، ذات أطـياف ألوان متضادة،تنتقل تواليـك مـن أتـون الـنص، مـرجاناً حيا متحركاً بألوان متنوعة، لا تلبث أن تبث انعكاسات بلـورية قصـصية عـند كـل سـيمفونية تعـزف ملتحمة مع صدى الألوان المتأججة في النص، ويـبرز في الـنص وتـيرة التـشويق المتـصاعدة، وجاذبـية العـرض لـشخوص القصة، وبراعة مسارات السرد الوصفي الغواص في أثير بقع ضويئة متنوعة الألوان، تتحرك ملتوية في زاويا منحنيات ألوان القصة، في عفوية حراك شخوص الألوان المتضادة، ويلحظ المتأمل في النص، مـرونة قلم كاتبتنا المبدعة في بث مسرح حروف نصها القصصي بين يدي القارئ، إذ تتحرك الشخوص بعفوية فياضة بتدفق المشاعر في انعكاسات السلب والإيجاب، والتواءات مسارات الجـسد في المكـان بحيـث تتشكل معها عقدة القصة بتدرج إيقاعات تأزمها وفكها بأناة، وهنا تـبرز سمـة إبـداع في النص وتعود لبراعة الكاتبة في منح شخوص نصها جواز سفر في حرية الحـراك داخـل زوايـا الـنص وعفـوية سـردية في وصف حراك جسدها، وخارطة دماغها في

التعاطـي مـع الأشـياء، بمزايا متنوعة للشخوص منها عفوية الحس، واقعية تشخيص السلوك والـف يـاء الواقـع المقهـور، وفي الـوقت ذاتـه برزت براعة الكاتبة في امتلاك مهارات ضبط مـسارات القصة وحراك شخوصها دون أن تفلت منها وتفقد أدوات السيطرة عليها، وبذلك تـصبح الشخوص في منأى عن انطباعات ذات الكاتب وتحكمه فيها، وميزة البراعة هنا تعود لطبـيعة أجواء النص القصصي هنا، إ انه يعود في نسبته إلى سمت النصوص التي تتأجج فيها انفعـالات مـتدفقة ثائـرة..غاضـبة تـبحث عـن رمق الحياة، ففي تلك الأجواء يصعب ضبط أدوات الـسيطرة في الـنص، لكـن كاتبتنا المبدعة تمكنت من تحقيق تلك الثنايئة القصصية بين ضبط مسارات القصة وفتح الأجواء لتحليق عاطفة التدفق الشعوري عند الكاتب في تحريكه لـشخوص مادتـه القصـصية بعفـوية وذكـاء تعبيري دون فقدان لأدوات السيطرة في النص، ودون أن يقـع في مـواطن التـضادات بـين البـناء للدمي القصصية التي تختلط مع ذاته فتضيع الدمـية ولا نـرى الـنص بـل الكاتـب من وراء الزجاج فينسحب النص في الذوبان المطلق، فيغيب معه العمل الفني الأدبي،ويغدو في أدراج الرياح..

وقفة نقدية في القص القصير جدا

طـرأت تقلـيعة إدمانـية علـى القـص القـصير جـدا لـدى كتابـنا في إطار التجريب الإبداعـي في منهجيـتهم القصـصية، وغـدت موضة دارجة في النشر، وبالأخص على شبكة الإنترنـت، لـذا كان لا بد من تسليط الأضواء حول تلك الظاهرة ومعالجتها في ضوء المنطقية المنسجمة مع خط الواقعية في الإبداعية الأدبية.

في الواقـع مـا زالـت الآراء تطـارح نفـسها في عوالم (ق.ج.ج) بين متبنّ لها ومدافع مـستميت عـنها، وبـين رافـض مقاوم لها، وكل له وجهته في الطرح وأدلته في تحري الإقناع. والمنطقـية العلمـية تقتضي المحاكمة الموضوعية لهذا الجنس الأدبي من القص بين أبعاد إبداعه وأثـره في المنجز الأدبي وتحقيق رسالته، وبين ضبطه من خلال منظومة الأركان التي تـسهم في جعله يقف ببناء قصصي مقنع على الصفحات. وستبقى الآراء متضاربة في هذا الجين الأدبي الجديـد على ساحتنا الأدبية، والزمن في أفاق رحلته البعيدة مازال متاحا له ليكشف عن ذاته

وإمكانياته في البقاء وتحقيق ماهية الإبداع في تكوينه الجيني، باعتبار أن ما سينفع الناس سيمكث في الأرض.

ووجهة نظري أن من أهم السلبيات والمعضلات القاهرة التي لا يقوى ذلك النوع من القص على مواجهتها وردها، هو مسألة الاستسهال والغرابة الطريفة فيه، وهي موضع الحرب الشعواء عليه. وفي هذا الصدد يطل علينا نص لنبيل جديد تحت عنوان "حياة مواطن"، إذ يقول فيه: حاضر سيدي. فهذا النص يعاني حالة ضمور في كافة عناصر التكوين الأدبي، فضلا عن الوضعية الخطرة التي يخلفنا فيه الناشئة من استسهاله وإخراجه من دائرة الموهبة الإبداعية. فالاستسهال هنا نابع من قصر النص وإمكانية كتابة عدد كبير على غراره، فأين مغزى الإبداع في هوية ذلك الجين القصصي المتشكل في هذا النص؟ وبناء على تلك المنصة من القص سيخرج علينا من يتبوأ مقام القص، فيجد فيها من لا هواية له سوقاً لابتذال بضاعة القص في خلل يشكل انتحار للإبداعية الأدبية في المشهد القصصي العربي.

وعلى كلّ ستبقى وجهات النظر متفاوتة، وأصر على اعتبار أن الزمن هو الحكم الكفيل في كشف الحجاب عن هذا النوع من القص وإثبات جوهر مادته في الصمود وإثبات عضويته الدائمة في شجرة عائلة الأدب كغصن إبداعي له مقامه في هوية القبول الوجودي في المسرح الأدبي، باعتبار أن البقاء في ذلك المسرح للأبقى في المهارة الإبداعية والأنفع في الرسالة التوجيهية.

وتوقعاتي الذاتية ترجح أن سر الامتعاض من هذا النوع من القص في الغالب لا تعود لجوهرة بقدر ما تعود للمحاولات القصصية التي ما زالت عفوية تلقائية لا تقوى على الاصطباغ والتشبع المترع بأركانه وماهية عناصره في القص، إذ مازالت مبعثرة ومجتزأة وتعتمد على الاستسهال، فضلا عن عدم وضوح هوية القص المختلطة مع أجناس أدبية أخرى، مثل القصيدة النثرية وغيرها، وهذا من وجهة نظري هو لب الحرب السجال على هذا النوع من القص، باستثناء بعض الأقلام المبدعة وهي نخبة نادرة لا تفي في تحقيق هوية القبول الطيب الحسن لهذا الجين الغرائبي من القص في الرؤية النقدية المتعضة منه.

نماذج نقدية في القص القصير جدا :

النموذج الأول: "القناع" نص ودراسة

"القناع" للكاتب فوزي المغربي :

كان اللقاء في مكان مقفر. كنا وحدنا، فكان الحب ثالثنا: أحسسنا بالامتلاء، فآثرنا البوح الهامس والإنصات إلى إيقاع قلبينا وإلى حديث عيوننا... فجأة، وبحركة خفيفة، انتزعت طاقم أسنانها كاشفة عن وجهها الآخر. بدت تشبه كائنا خرافيا. اختلط كل شيء في رأسي، فأمسكت الأرض. صاحت بفم أدرد: إيه، فين الغزال؟ فعدوت هاربا مثل حيوان صغير استشعر خطراً وشيكاً.

قراءة تحليلية نقدية في نص "القناع" :

يمثل نص القناع لوحة قصصية مقتطفة باختزال من مشهد الطبيعة المفتوح، وتتشكل فيها مهارات الأخيلة الخصبة في تركيب بنائي إنشائي، حيث تعد المحرك المولد لفنيات ومؤثرات النص، إذ تكسو شخوصها جسد وجودها في بقعة مقفرة مقتطعة من فصول الحياة المفتوحة في مسرح الحياة، وتوظف تلك الأخيلة في تغذية رمزية للغة البث المجسدة لهم، بحيث تستدعيهم من عوالم المجهول إلى دقات الحاضر المشهودة في النص، حيث تلتقي الفكرة الغائرة في العمق مع شحن عاطفي متدفق في بدء استهلالة النص، إذ لا يلبث أن يؤول إلى ميكانيكا حركية مسعورة تغادر آدمية الجسد في لغة المفارقات، حيث تنكشف هنا الحقيقة بوجهها المفتوح الملون بأطياف منوعة بحسب منظومة القارئ الفكرية الخاصة، ومزايا المؤثرات التي تخالجه في لحظة التحامه مع النص.

ويجرد كاتبنا النص هنا الحقيقة التي تحتضن ببراعة مركزية جماليات النص في ماهية التعبير الرمزية، ولا خلاف أن من بديهيات إبداعية الأدب أن تشكل الحقيقة بقداستها الرمزية رحماً خصباً لماهية جمال النص في لغة التعبير. لذا تشكلت هنا ماهية الفكرة في غور حقيقة تتجرد في النص في مساحات الإطلاق إمكاناً وطاقاته الدافعة فعلاً، وهذا يشكل بعداً

إبداعياً في النص لتوفر عنصر الفكرة الدقيقة المتجردة بمهارات التصوير الفني، وحاضنة الحس المرهف الشفاف، وتدفق شعور الذات في لذة التلاقي ومواجهة الخطب في لغة الهروب. واستطرد هنا وأؤكد بأنه لا خلاف في المدرسة البنائية على أن النص الفارغ من فكرة أو فساد الفكرة يقتل جماليات النص وسحره في التعبير، لذا نجد نصوصا قصصية ذات سحر جذاب في التعبير، لكنها في مادة المضمون تعاني من عقم رحمها في لغة الفكرة وبريق الحقيقة الساطع من السطور، لذا فإنها تعد ساقطة أدبياً لاعتبارات خلل الفكرة في المحتوى وتميع بضاعتها وعبثيتها في النقش الفارغ، بحيث يئد كاتبها بجداره نصه في قبره المبكر خداشا مشوها من أول حرف يسطره على الصفحات.

والنص الذي بين أيدينا موضع الدراسة، تتشكل عناصر الإبداعية الأدبية في تناغم الفكرة مع خطاب الذات، والآخر في تجلي متضاد بين رومانسية التلذذ وانتفاضة قشعريرية في حس المفاجأة، وديناميـة تعزف لحنها الأخير في لغة الهروب والانسحاب الخارق من الصفحات، بحيث تتشكل في منظومة تركيبية بنائية تؤثر وتتأثر في نسيج مرهف مادة الفسيفسائية مكونة من عنصر الأخيلة الخصبة الذهنية المتولدة من مصادرها الخبرية التي تعبر بمهارة إلى الذاكرة في رحمها الرمزي المرهف نبضا وتدفقا في وجدان السارد، فتتشكل ماساً مسبوكاً بفنيات عالية في محبسها الورقي القصصي. ويسطع بذوقية نصية في شفافية البث ورومانسية الشحنات الشعورية في البدء التي يتعقبها سياحة الذات في هروبها الأخير من الجسد، حيث لا عودة لها في لغة تلاقي الأجساد على ضفاف مقطع الطبيعة الحي، المترع ببث مؤثراته الإنسية والخرافية في الإيحاش، في صياغة سردية تختزل شيفراتها في ثنائية إيقاع هادئ رائق يعقبه فوضى صاخبة تعم النص كله بأزيز دينامية المفاجآت.

وإلى هنا أسدل الستار في قراءاتي التحليلية التجريدية في بعد القص البنائي الذي أخذت بعدا منه يتناول الفكرة والأخيلة والشعور والذائقة في النص في ظل منظومة المؤثرات على النص وتجريد لغة الأنا والآخر في لغة الخطاب والمواجهة المتراقصة مع بعد الزمان والمكان وتداخلات لغة الإيقاع في النص المنطبعة في نكهة تنويرية تجريدية لشيفرات النص المتناثرة في ثناياه.

النموذج الثاني: "الشفق الأبيض" نص ودراسة:

"الشفق الأبيض" للكاتب فوزي الحداد:

في محيط واسع ولدت موجة لم يعتن بها أحد، لم يهتم أحد لشأنها، فنشأت يتيمة. تعلمت القسوة طريقاً للبقاء، فكبرت وامتدت وعرفت معنى القوة وتحطيم الآخرين. كانت كلما ازدادت قوة وجبروتاً ترنو إلى البعيد، إلى حيث الشفق الأبيض، فتراه حلما كالأمل بعيدا كالسراب، فتؤمن أكثر بضرورة الوصول. في طريقها الطويل أغرقت جزراً وأساطيل ورأت عوالم عديدة: أسراب المهاجرين في السماء والصيادين في ليل البحر، وفي الأعماق كان كل شيء غامضاً، كانت ترى قناديل البحر تضيء أماكن صغيرة في عالم المحيط الغامض، تتعجب من صبرها، لكنها لا تتوقف، تمضي بكل الصلف والهيمنة إلى الغاية الحلم. عانقت الشفق الأبيض بكل الشوق واللهفة، احتواها في هدوء، وامتص عظمتها في لحظات. الموجة لم تعرف بعد، أكانت تلك البداية أم النهاية.

قراءة تحليلية نقدية في نص "الشفق الأبيض" للكاتب فوزي الحداد:

يشكل نص الشفق الأبيض بعدا تطبيقيا لقضايا نقدية شائكة على مائدة البحث النقدي ومثيرا لها في ساحة البوح والبحث، وذلك نابع من أن النص يعد تطبيقا وإجابة مستفيضة لتلك التساؤلات، أو على أقل حد مثيرا لها، وذلك بحد ذاته تميز مبدع للنص وتطبيق فاعل لها في القراءات المتولدة من النص والبحاثة عن آليات القص ومزايا إبداعاته في النص.

فالنص يعتمد آلية الاختزال الوافية في العرض، ويدور في أتون آهات ذات تتولد بقوة من أعاصير الرفض والتحدي التي تؤول بها في ظل أجيج الرفض إلى سلب مطلق في تجاوز الآخر وكسره قطعا منثورة في عظمة التواصل مع ألق التحدي البعيد القريب، الغائب الحاضر في تلك الذات المتصدعة المتحركة بقوة من أثير الطاقات الكامنة، بقوة من متتاليات خلجات ذلك التصدع المحرك في سلبه وإيجابه في الآن ذاته.

ولكن كاتبنا المبدع هنا يضبط اتقاد مشاعره في النص من الانفلات ويحافظ على بينته في القص فيشعل شمعات مضيئة تأملية في أعماق غموض تلك الذات التي تشحنها الآفاق بإثارة أبجديات تساؤلات مبهمة يقينية في الآن ذاته.

ويدور النص في آفاق مفتوحة الأبعاد، حيث التوأمة مع لغة تلك الذات التي تشرع نوافذها في الامتداد، حيث اللانهايات، وعند بلوغها تبدأ متتاليات البدايات في رحلة العمر اللامتناهي في النهايات. ويتشكل في النص لغة المطامح في شاعرية الحس المتدفقة عذوبة في النص، وتؤطر شاعرية اللغة النص كله في عبق وردي يعطر النص كله.

ويعد النص نموذجاً لثنائية البراعة لدي الكاتب في الغوص المختزل الوافي لتلك الذات التي تشكل بؤرة النص ومداراته في لغة القص، بحيث أبدع الكاتب في الرمزية التي تقاسمتها ثنائية التعبير لتلك المتضادات في تلك الذات بين عنفوان قوتها العاصف وخلجات ضعفها المتناهية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى بروز التوأمة الثنائية في إسقاط تلك الرمزية على لغة المكان والزمان في رسم هذه اللوحة القصصية المبدعة لتلك الذات لما يتعرج فيها من انحناءات لولبية في تلك الذات المتضادة التي يمتد عنفوانها لتكسر قشور السطور والحروف، فيبلغ القارئ معها إلى تلك الشعب المرجانية المعقدة المتداخلة في بوحها الذاتي ومدارات وعيها بذاتها اللاوعي.

ويتشكل في النص سمات إبداعية في لغة الغموض التي تكتنه عنوان النص فيتدرج النص بجاذبية العرض وشاعرية الحس المتدفق حتى يبلغ لحظة المفاجأة والكشف النوراني الممتد بلا نهايات لتلك الذات الدائرة بفوضى وهدوء في الآن نفسه.

"عانقت الشفق الأبيض بكل الشوق واللهفة، احتواها في هدوء، امتص عظمتها في لحظات".

وتسدل النهايات في بصمة إبداعية مؤثرة تخلف أثرها السحري الجذاب في مشاعر القارئ المرهف.

"الموجه لم تعرف بعد، أكانت تلك البداية أم النهاية".

ويثير النص منظومة تساؤلات ما زالت رحاها تدور في قضايا البحث على مائدة النقد وأوجزها على النحو الآتي:

- ما مدى الحد الفاصل بين كاتب النص والذات الدائرة في النص؟ هل هي توأمة التلاقي أم أحادية البث في السرد على السطور المنفصمة عن ذات المبدع؟ أم هي التوأمة المختلطة في شحناتها الشعورية في موج هائج لا بزرخ بينهما المنفصم عن أطروحات الأحادية والفصل بين الذات المبدعة للنص والدائرة في أتون النص؟.
- إلى أي حد وفق كاتب النص في التعبير عن خلجات الذات المبحرة بقوة في النص؟ وإلى أي مدى وافق رسم النص مع متطلبات الحدث الدائرة في النص لغة وتعبيرا وعفوية وتعقيدا؟
- ما مضامين التوأمة بين الذات والمكان في النص؟ وأيهما طغى على الآخر؟ أم كلاهما احتوى الآخر بحيث اختلط الليل مع النهار في لحظة محتبسة عابرة؟ وهذا الطرح يولد تساؤلا آخر في لغة الزمان الدائرة في النص؟ إذ احتوت الجميع في عالمها العلوي الطاهر؟ وهذا يعزز ثالوثا إسقاطياً في النص التحم في أحادية واحدة. وهذا بحد ذاته إبداع في النص وميزة تجديدية في آليات القص.

كل تلك المنظومة من التساؤلات المنبعثة من النص تشكل دلالة مشرقة على البناء الإبداعي في النص وفيوضاته المتألقة في التعبير نصا ولغة ونقشا للحدث وجاذبية شاعرية دافئة في البث.

وفي نهاية المطاف أرجو أن أكون قد وفقت في العرض وأعطيت لموضوع الدراسة النقدية هنا ما يستحقه من الجهد البحثي الغواص وجليت الأضواء حول القص القصير جدا في النظرة الواقعية وبعد المستقبل الذي ينتظره، وكشفت بعضا من ثناياه من خلال نماذج تطبيقية تحليلية تدور في فلكه.

ندوة القصة والرواية في الأدب العربي المعاصر

برعاية مجلة عالم الغد الثقافية الصادرة عن المركز الأكاديمي للدراسات الإعلامية وتواصل الثقافات/ فينا

إعداد الكاتبة: سعاد جبر

حققت حركة الأدب المعاصر خطوات متقدمة في التجديد الأدبي، عبر حركة ما بعد الحداثة، ومعطياتها في تطور كافة أشكال الأجناس الأدبية، متزامنة مع حركة النقد الأدبي، وتطوراتها في الحركة الأدبية الغربية، لكنها ما زالت تراوح مكانها في عالمنا العربي، وقد أقضت مضاجعها حالة الخلاف المحتدمة بين النقاد، والرؤية النقدية التقليدية والتي ما تزال تسيطر على الساحة النقدية.

وما زالت حركة استشراف المستقبل الأدبي معطلة في ملتقياتنا الثقافية، وتلك أزمة أخرى في عوالم التجديد الأدبي الذي تحقق قفزات هائلة في الأدب الغربي، وقوقعة وخلافات محتدمة في الساحة الأدبية العربية، وهنا تبرز أهمية تكاتف الجهود الثقافية الأدبية المعطاءة في هذا الصدد عبر كافة أجناس العمل الأدبي، نحو مأسسة ثقافية نقدية عربية، في ظل حركة نشطة من الملتقيات التفافية الأدبية، والمحاورات الجادة لوضع النقاط على الحروف، وحل الأشكالات النقدية ومتابعة حركة الإبداع الأدبي خصوصاً في الأجيال الصاعدة، في ظل حركة نقدية أدبية متوازنة، تنفتح على الاتجاهات الحداثية في الأدب مع المحافظة على أصالة الأدب العربي دون أن تنسلخ منه وتتعمد تهميشه.

وتتنوع الاتجاهات الحداثية بين حركة انفتاح الأجناس الأدبية على بعضها البعض والرؤية السيكولوجية للنص، والرؤية العفوية للشخوص في ظل إبداع أدبي بعيداً عن التكلف وتضخم انا السارد في النص، ولغة الكشف لمساحات المسكوت عنه والمقموع في التعاطي الأدبي عبر ابداعيته الأدبية، وحالة المفارقة بين اللغة الورقية في الأدب واللغة الإلكترونية ومعطياتها على العمل الأدبي وانتشاره عالمياً.

وتلامس أمسيتنا الثقافية منظومة هموم ثقافية تعتصر الحركة الثقافية الأدبية في واقعنا المعاصر، في ظل تلاقح ثقافي أدبي، يجمع نخبة من مثقفينا العرب الأدباء، وتهدف أمسيتنا الثقافية إلى محاورة القضايا الآتية في عوالم القصة والرواية في الأدب العربي المعاصر:

- مناقشة ظاهرة تضخم الذات في الرواية العربية، وانسحاب السيطرة على النص من قبل الكاتب مع شخوصه/ الروائي الأستاذ الدكتور زهدي الداوودي/ المانيا.
- تقييم واقع القصة العربية القصيرة في ظل ثلاثية معادلة تكون النص الأدبي. الأستاذ الدكتور احمد أبو مطر/ كاتب وناقد/ أوسلو.
- نقد ظاهرة الانفتاح ما بعد الحداثية في العوالم الأدبية وانعكاساتها على النص الأدبي. القاصة الأستاذة تركيا الواعر/ ليبيا.

وناقشت الندوة ظاهرة تضخم الأنا في الرواية العربية عبر تاريخها الثقافي والواقع المعاصر، وفي ظل تلك الأبعاد طرح التساؤل الآتي على الأستاذ الدكتور زهدي الداودي:

يقول ت. س اليوت في مجال تضخم الذات في النص الأدبي "المسألة تنازل دائم من جانب الفنان، فهو يتنازل عن نفسه كما هي في تلك اللحظة المعينة لشيء أقيم منه، والطريق الذي يتقدم فيه الفنان هو طريق التضحية المتواصلة بالذات والاستبعاد الدائم للذات" والمتتبع لعوالم الرواية العربية القديمة والحديثة يجد أنها تعاني من مشكلة تضخم الذات؛ التي تجعل الأديب عاجزاً عن الالتحام بواقعه والاقتراب منه، مشغولا بحياته الخاصة ومشاكله الذاتية في عمله الروائي، ويمكن متابعة ذلك في روايات "زينب" هيكل و "سارة" للعقاد و "إبراهيم القاضي" للمازني و "عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، والشواهد في الرواية الحديثة كثيرة لا تحصر، ما هي انطباعات ضيفنا الكريم تجاه مسألة تضخم الذات في الروايات العربية القديمة والحديثة؟

وكانت إجابته على هذا المحور على النحو الأتي:

الأستاذ الدكتور زهدي الداودي

ظاهرة تضخم الذات ليست سمة خاصة تتصف بها الرواية العربية فحسب، بل سمة تشمل الرواية أو القصة في كل مكان، وفي كل عصر، ولكن بهذا القدر أو ذاك. ولها علاقة مباشرة بخبرة وتجارب الكاتب. إذ أحيانا تكون الظاهرة طاغية وأخرى طفيفة. وحيث يجري التأكيد في صيغة طرح السؤال على روايات "زينب" لهيكل و"سارة" للعقاد و"إبراهيم.." للمازني و"عصفور من الشرق" لتوفيق الحكيم، فلأن السبب هو أن هذه الأعمال الكبيرة في حينها، كانت بمثابة الباكورة التي قدمها أولئك الكتاب وظلت هذه الباكورة في المهد دون أن ينصرف مبدعوها إلى مواصلة العمل الروائي وتجاوز أنفسهم مثلما واصله نجيب محفوظ.

ولهذه الظاهرة أيضا علاقة مباشرة بمدى سيطرة الكاتب على تقنية فنه الروائي، تلك التقنية التي لا يمكن تطويرها إلا بالممارسة والمرآن، حيث يتحكم الروائي في سلسلة أفكاره ويوجهها بالمسار الذي يتطلبه التكنيك الروائي والشخوص. إن المسالة إذن تكمن في كيفية إدارة الصراع الدائر بين الفن الروائي ومشاعر وتقديرات الكاتب الذاتية. ولهذا فنحن إلى جانب رأي اليوت الذي يؤكد بأن "المسالة تنازل دائم من جانب الفنان..الخ". ولا يمكننا هنا نسيان دور الوعي الذي يلتزم به الكاتب في التعامل مع نصه الروائي.

إن وجود بصمات الكاتب في العمل الروائي، ليس عيبا طالما أنه يتحرك ضمن التقنية الروائية الصحيحة، بيد أن إلقاء ظل الذات على مجمل الرواية يخرجها من كونها رواية نموذجية متكاملة، بل يحولها إلى سيرة ذاتية، يمكن أن نطلق عليها رواية من نوع جديد أو عمل إبداعي من طراز آخر. المهم أنه يشد القارئ إلى عالم الكاتب ويثير فيه الروح الجمالية، إذ أن الرواية ساحة واسعة بلا حدود وحلم عميق بلا ضفاف. المهم هو أن لا يثير الروائي ملل القارئ، وإلا فإن أتعابه تذهب سدى.

وتكمن المشكلة التي يعاني منها الكاتب، في مدى حياده بين نفسه وشخوصه، وحول هذه المسالة يقول الروائي الألماني غونتر غراس، الذي عانى هو الآخر من ظاهرة تضخم الذات، أنه يحاول دوما أن يتجرد من ذاته ويتحول إلى دودة تزحف إلى داخل أبطاله ليرى الأشياء ويتلمسها مثلما يرونها ويتلمسونها هم.

في "ذكريات بيت الموتى" لدستويفسكي و "ذكريات قرب قرية ديكانكا" لغوغول و "بطل من هذا الزمان" لليرمونتوف و "لمن تقرع الأجراس" لهمنغوي وفي غيرها من الروايات الكلاسيكية، نجد ظاهرة تضخم الذات تنسحب على النص دون أن تشكل خللا أو إساءة إلى العمل الأدبي، بل بالعكس تمنحها القوة والتأثير والحيوية والمعاصرة، فأين يكمن السر يا ترى؟ أهو في التعبير عن المشاعر الإنسانية بجمل قوية، ملموسة وصادقة؟ أم في رص و إطلاق كلمات هائمة بلا جذور؟

السحر، كل السحر يكمن في مدى قوة الكاتب في شد القارئ إلى جزيرته بألف خيط غير مرئي.

وحاورت الندوة الأستاذ احمد أبو مطر في ظل معادلة ولادة النص الأدبي ومساحات مراعاتها في العمل الأدبي في ظل المتابعات الأدبية لكتابات الأدباء، وقد طرح التساؤل الأتي في ظل هذا المحور على أستاذنا الكريم:

إن المتتبع لعوالم القص في عالمنا العربي، يجدها تعاني من حالة قصور فنية، في أبعاد معادلة تكون النص الأدبي في ظل ثلاثية(الفكرة المعبرة، والعاطفة الجياشة والأخيلة المبدعة) وقلما تجد تلك المعادلة الثلاثية تكتمل في نصوص القص إجمالاً، فربما تجد فكرة لامعة في ظل سرد يفتقر إلى إبداعية وروح التصوير الفني في النص أو نص مرهف في ظل عاطفة منفعلة جياشة ومواكب أخيلة شفافة في ظل سرد منسحب من فكره مشفرة هادفة وهكذا تبرز لنا النصوص في سردية ذاتية عبثية تفتقر إلى فنيات القص في لغة التشكيل والتعبير. ما هي وجهات نظر ضيفنا الكريم في هذا الصدد على وجه التحديد؟

وكانت إجابته على النحو الأتي:

الأستاذ الدكتور احمد أبو مطر

كثيرون الذين يكتبون الرواية في الوطن العربي، ولا يخلو أي قطر عربي من عشرات الأسماء التي تقدم ما تسميه(رواية)، سواء إستمرت في هذا الميدان أو توقفت بعد العمل الأول، ومن بين هذه الأسماء الكثيرة قلة الذين يكتبون الرواية وهم يدركون أنها فن له أسسه و ضوابطه الفاصلة ينه وبين فنون النثر الأخرى، المختلطة به والقريبة منه، أي أن

يلمـوا بقـوانين وقـيود هـذا الفن، ويعرفوا بوعي دراسي مسبق أن الرواية تحتاج من الكاتب لـيس إلى مـران فحـسب بـل لدراسـة لا تقل عما تحتاجه البحوث الاجتماعية والإقتصادية، وتحديـدا لـدى الكاتـب الـذي يتبنـى الفهم القائل بأن الروائي هو المبدع الوحيد القادر على القـيام بـأدوار عديدة، فهو وروايته يقومان بدور الكاهن المعرّف والمشرف السياسي وخادمة الأطفـال وصـحفي الوقائـع اليومية والرائد ومعلم الفلسفة، وهو من خلال ذلك يقدم لكل جماعـة فكـرية أو لكل تكتل بشري القوت الفكري المناسب، في كافة تحولات النفس البشرية مـن الفـرح إلى الحـزن أو مـن الجـد إلى التـسلية، خاصة الكاتب الذي يعالج فانتازيا الواقع، حـيث يجـد أي قـارىء في هـذه المعالجة شريطا من واقعه بتنويعاته وتحولاته المختلفة. الرواية مـنذ سـنوات تطمح لوراثة الفنون كلها، فهي تستطيع التعبير عما لا يستطيعه الشعر والقصة القـصيرة، وهـذا مـا يفـسر أنه من بين عشرات الأسماء المحسوبة على فن الرواية في الأقطار العـربية، لا يـصمد في الأذهان والمكتبات والسوق سوى قلة معدودة من الأسماء، هذه القلة هـي الـتي تـدرك البديهـيات والتوصيفات السابقة لفن الرواية، فتخدم عملها الروائي بشكل جـيد ومـدروس مـن خـلال ثلاثية(الفكرة المعبرة والعاطفة الجياشة والأخيلة المبدعة). هذه الثلاثـية غـير متوفـرة في العديـد مـن الأعمـال الـتي تـزدحم بهـا المكتبات العربية و يقدمها أصـحابها علـى أنهـا أعمـال روائـية، لأن الغالبـية من هؤلاء لم يدركوا الضوابط الفنية لهذه المعادلة الثلاثية وضرورة تحققها في أعمالهم الكتابية قبل أن يطلقوا عليها أسم(رواية)، وهذا يعـود إلى العـشوائية الـتي هـي سمـة مـن سمات الحياة العربية وفي الفنون والإبداع تحديدا، وبـسبب تـساهل الـنقد والـنقاد في عملـهم، وتغلـيب طابـع المجاملـة والشللية على حساب الـشروط الفنـية للعمـل الإبداعـي،و هـذا مـا يفـسر مـئات الكتابات التي يدعي كتابها أنها (رواية)، وهي في الواقع لا علاقة لها بفن الرواية.

الفكـرة المعبرة: تزدحم عقول البشر بالأفكار، ولا يخلو عقل أي إنسان من الأفكار الخاصـة والعامـة، وهـنا تـتفاوت قـدرات البشر الفكرية، والروائي المقتدر هو الذي يستطيع الـتجوال في عقلـيات البـشر ونفـسياتهم، لإختـيار الأفكـار الـتي يمكن إستنطاقها من خلال شخـصياته المنـتقاة لتعـبر عـن الـسائد والمتطلع إليه من غالبية البشر الذين يخاطبهم الروائي،

وهـذا ما عبر عنه جورج لوكاتش في قوله (تستطيع الرواية وحدها أن تعطي شكلا لحياة هذا العـالم المجـزأة)، وهـذا مـا يفـسر شـهرة روائـيين كغابـرييل جارسـيا ماركيز و نجيب محفوظ مـثلا...فـربما يفهـم القـارئ العربي سبب شهرة نجيب محفوظ ككاتب عربي من خلال قدرته علـى التعـبير عـن أفكـار مجـتمعه الـتي تتفاعل داخله بحثا عن مستقبل يقفز على ألم الحاضر مستعيدا ألق الماضي، في مجتمعات حنينها لماضيها هو التعويض عن ضياع وخسارات الحاضر المتعددة، أمـا الكولـومبي ماركيـز فتعود شهرته إلى عوامل عديدة منها ما يتعلق بالأفكار أي قدرتـه علـى تقـديم الأفكـار التي إستقاها من واقعه المحلي، لكن قدرته الفنية الفائقة جعلت منها أفكارا عالمية تهم القارئ العربي والصيني مثلا بنفس أهميتها لقارئه الكولومبي، وهذا ما يفسر قولنا عن بعض الروايات أنها مجرد سرد وثرثرة. هناك في نفس كل إنسان حكاية ينبغي أن تـروى، ولكـن لا يـستطيع كـل إنـسان أن يعطـي حكايته الطابع الروائي الشمولي الذي يـضمن تفاعـل القـراء معهـا وإحتضانهم لها كما أنها روايتهم أو هم الذين كتبوها، وهذا لا يتوفر إلا لمبدع قادر على توظيف عنصري العاطفة والخيال ليكملا عنصر الفكرة.

العاطفـة الجياشـة: هـي مـا يمكـن التعـبير عنه بمدى عمق إحساس الكاتب وحماسه للأفكـار الـتي يطـرحها علـى لسان الشخوص التي تتحرك في فضاء عالمه الروائي، ويستطيع القـارئ أن يـشعر بـذلك من خلال قدرة الكاتب أو فشله في رسم و تقديم تلك الشخوص لـتكون قـادرة علـى نقـل تلـك الأفكـار أو فشلها في ذلك، وهذا ما أستدعى في نقد الرواية التمييـز بـين شخـصيات هامـشية و شخـصيات رئيـسية، ويعـود ذلـك إلى حجـم الأفكـار والمـسؤولية الـتي تـتحملها كـل شخـصية، مما نتج عنها أيضا ما نسميه الشخصية المركزية أو الشخـصية صـاحبة الـبطولة المطلقـة في العمـل الروائي، فهي تتحرك في ذلك الفضاء عرضا وطولا مؤثرة في كل ما حولها تاركة بصماتها في الأمكنة والشخوص. إن فقدان هذه العاطفة أي الإحـساس العمـيق بكافة جوانب نفسيات الشخوص ومعايشة تفكيرهم وهمومهم، هو مـا يعـبر عـنه بعـدم حمـاس القـارئ لإكمـال قـراءة روايـة مـا، لأن عدم تفاعل الكاتب مع شخوصـه وأحداثـه الـروائيه، لـن ينـتج عـنه سوى عدم تفاعل القارئ، لأنه لا يجد نفسه أو محيطه في الـرواية، فلمـاذا الاسـتمرار في القراءة، لأن البشر لا يقرأون لتمضية الوقت فقط،

ولكـن للبحث عن ذواتهم المأزومة غالبا في شكل من أشكال التعبير وغالبا الفن الروائي هو القادر على ذلك، من هنا بشّر بعض النقاد بأن الرواية هي المؤهلة لوراثة بقية فنون الإبداع.

الأخيلة المبدعة: هـي العنـصر الحاسـم في إكساب العنصرين السابقين التحليق في الفـضاء الروائي، لأن الفكرة والعاطفة وحدهما ليست قادرتان على خلق عالم روائي يجعلنا نخـرج مـن عالمـنا الفـردي المحـدود إلى عـالم بشري غير محدود الآفاق، نجد فيه نفسنا ونفوس الآخـرين، روايتـنا ورواية غيرنا، لذلك لاقت رواية الكولومبي ماركيز عن(الجنرال) صداها في العـالم العربـي لأنـه نفـس الجنـرال العربي بظلمه وقمعه، وأهمية الخيال المبدع تبدو فائقة التأثير عندما تغلف أحداثا واقعية، فيهيم القارئ بين واقع خيالي وخيال واقعي، فإذا الرواية تعـيد خلقـه مـن جديـد عـبر تقنـياتها الفنـية التي لا يجيدها إلا الروائيون الذين يتعبون على عملـهم الروائـي عـبر خلق الشخوص القادرة على نقل مافي وجدان وعقل الروائي ليصبح واقعا حقيقيا أو واقعا متخيلا، لكنه هو ما يدور في نفس المتلقي، وعبر هذه التقنيات يستطيع الروائـي المـبدع علـى جعـل العديـدين من القراء أن يشعروا أن ماكتبه الروائي هي روايتهم الخاصة، وربما يلتبس الموقف على قارىء متمرس فيعتقد أنه هو كاتب الرواية.

في عالم القص العربي، عالم الرواية العربية، تختلط الأمور كثيرا، عبر التساهل المفرط في توصيف ما يكتبه الكتاب، فنسبة عالية ممن يطلق عليه أصحابه تسمية(رواية) لا علاقة له بالمواصـفات الفنـية للـرواية، فـلا معـرفة بخلق الشخوص وتطويرها حسب الظرف الزماني والمكانـي، لتصبح قادرة على محاكاة التمثيل البشري بشكل عام، لكنه خلاق وآسر..... وقد أسـهم الـنقد والنقاد العرب في هذا التضليل عبر المجاملات الشخصية، فإذا رواية لا تستحق صـفة (روايـة) تـسلط علـيها الأضـواء لتـصبح ذائعـة الـصيت، بينما رواية فنية بمواصفات التوصـيف الروائـي الحقيقـي، يـتم إهمالها لأن كاتبها خارج شلل النقد والنقاد. فمثلا رواية (بيـضة النعامة) للكاتب السوداني رؤوف مسعد، كتبت عنها كتابات مديح ومجاملة لا علاقة لهـا بعـالم نقـد الـرواية، ممـا يجعل كاتب مثلي يحتاج إلى جرأة إنتحارية ليخترق هذا التواطىء النقدي، ويقول أنها مجرد سرد لذكريات شخصية عادية لم يتمكن الكاتب من إعطائها الذروة الفنـية الـتي تجعلـها تـصمد في عـالم الـرواية، وربما يكون ما أدهش النقاد فيها فقط هو جرأة

الكاتب على البوح الجنسي الذي من التابوات شبه الممنوعة في الأدب العربي، وربما هذا ماجعل الطاهربن حلون يقول عنها(هذه كتابة نادرة في الأدب العربي الحديث وكاتبها مجنون بالنساء والحياة)، كتابة وليست رواية كما وصفها الطاهر بن جلون. هذا في حين أن رواية رائعة بالمواصفات الفنية المعتمدة للرواية، وهي رواية (حسيبة) للكاتب السوري خيري الدين الذهبي، لم يحتفل بها النقد والنقاد العرب، رغم أنها قدمت فترة زمنية بكل أبعادها وتناقضاتها الاجتماعية والسياسية والإقتصادية، وعبر شخوص سيكون لها حضورها الدائم في أذهان القراء، فقد استطاع الكاتب أن يخلق من (حسيبة) المرأة العادية شاهدا على شام العشرينات وما بعدها حتى الخمسينات. حسيبة عند خير الدين الذهبي امرأة مدهشة رغم محدودية معلوماتها وجهلها التعليمي، إلا أنها أمسكت بخيط التحولات التي بدأ عصرها يعيشها فأدركت إما مواكبة التحول أو الموت والانقراض، فإذا السيدة حسيبة شاهد على عصر مضى و مؤشر على عصر قادم.

نقطة أخيرة فاقعة في عالم القص العربي، وهي جبن النقد العربي إزاء كل ما يكتبه المنتمون لفلسطين، فالنقاد عمموا قدسية القضية على ما يكتبه المنتمين لجنسية فلسطين، فإذا عشرات..عشرات الخربشات على الورق تطبع على أنها (رواية)، وهي حقيقة لا علاقة لها بالثلاثية التي كتبنا عن حضورها وغيابها في عالم القص العربي. الرواية التي يرشحها النقاد منذ سنوات لوراثة الفنون كلها، تحتاج لكاتب يأخذ أو يرث العديد من الدارسين والعلماء والمؤرخين، لتصبح كتابته (رواية) بمعنى التوصيف الفني وتقوم بدورها الذي حدده النقاد الكبار.

واثارت الندوة معطيات حركة ما بعد الحداثة على النص الأدبي، في مجال انفتاح النصوص الأدبية على بعضها البعض، من خلال محاورة مع الأستاذة القاصة تركيا الواعر وقد طرح عليها التساؤل الأتي في هذا الصدد:

تتواكب حركة الانفتاح ما بعد الحداثية في انعكاساتها على النصوص الأدبية، في إطلاق دعوة انفتاح النصوص على بعضها البعض وإلغاء الحدود بينها، في ظل انصهار الأجناس معا، من القص والشعر والنثر وغير ذلك من الأجناس الأدبية في ظل بوتقة واحدة

وسرد واحد بلا حدود فاصلة ولا هوية مميزة لكل نوع عن الأخر؟ ما هي رؤى ضيفتنا الكريمة النقدية لتلك الأبعاد الحداثية في الأدب العربي المعاصر؟

وكانت إجابة الأستاذة القاصة تركيا الواعر على النحو الأتي:

- **الأستاذة القاصة تركيا الواعر**

كما هو معروف فإن أول ظهور لمصطلح ما بعد الحداثة كان في الأدب والفن والعمارة، ثم تسرب إلى التراث السوسيولوجي، ولن أتناول هنا تاريخ هذا المصطلح، بل سأكتفي بإيراد رؤية عالم الاجتماع دانيال بل (١٩٧٦) عن الثقافة الما بعد الحداثية، إذ قال "هي مجرد توجه استمتاعي قائم على قيم الاستهلاك وتحتاج إلى أن تفهم على أنها تطور متطرف للحداثة، وأنها تحل محل القيم التقليدية البرجوازية". وهذا التوجه فيه تحجيم لدور الثقافة، إذ سطحها حتى أنها لم تعد المجرد توجه استمتاعي، وهذا ما اصبحنا نلمسه في بعض النصوص الما بعد الحداثية، إذ أصبحت اللغة مكونة من استعارات لا تكشف الواقع وانما تحجبه. ويحضرنا هنا تشبيه جميل وضعه عبد الوهاب المسيري لتلك اللغة؛ إذ وصفها بالقول "إنها كالزجاج المعشق تحاولا أن ترى ما وراءه ، فيشغلك بألوانه عن ذلك". آي أن متلقي النص ما بعد الحداثي ينشغل بالدوال عن المدلول، اذ هناك انفصال مابين الدوال والمدلولات.... لغة يغلب عليها الاستعارات والمجازيات وتختفي خلف رموز قد لا يكون لها أي معنى. ومن هنا فهي بعيدة عن الواقع، ولكنها منفتحة على النصوص الأخرى. وأنا ككاتبة لا أمانع في ان يكون هناك انصهار للأجناس الأدبية المختلفة في نص واحد، طالما هناك فكرة وهدف ، يتحقق للكاتب من خلالها التواصل مع المتلقي، ولكني اشترط فهم المتلقي لما قرأ، فأنا عندما أكتب لا أفكر كيف أكتب، فهي حالة تنتابني وأنا أعيش تجربة ما، أو اشهد مشهدا ما، فأكتب. فالكتابة...كوة للتنفس،هي اداة للتعبير عن الذات، عن الاخرين، عن كل ما يحيط بنا في الحياة. لاني اؤمن بان العصر الذي نعيشه يترك آثاره التي لا تخفى عندما نكتب، فالفوضى الفكرية، والاطروحات الفلسفية حول نهاية العالم وموت الانسان، وانهيار القيم، والانومية، وظهور مبدأ الفردانية ، قد تكون سمات عصر ما بعد الحداثة، التى ستؤثر في الانتاج الادبي والفكري. اذ سيكون مرآة عاكسة لما يحدث في بيئة

الكاتب التي يعيش فيها، اوفي بيئة اخرى يطمح في الوصول اليها. وان كان في سرد خيالي مغرق في الرمزية، ولكنه - في الوقت نفسه - منفتح على كل الاتجاهات، لانه لا ينتمي الى جنس ادبي بعينه، ولهذا فليست ثمة ايدلوجيا تحكمه او تملي عليه ما تريد.

هنا يلح على ذاكرتنا سؤال، يجب علينا ان نسأله لا نفسنا، هو: هل وصلنا نحن العرب الى مرحلة الحداثة حتى ننشغل بمرحلة ما بعد الحداثة؟ فنحن وان ادت ميكانزمات التحديث دورها، وامكن رصد وقياس مؤشرات التحديث، الا أن تحديثنا المادي لم يقدنا الى مرحلة اخرى لاحقة على التحديث الا وهي الحداثة على مستوى الشخصية. وهذا ينطبق على أغلب مجتمعاتنا العربية، وقد يكون ذلك بسبب ان ما نعيشه الآن هو مرحلة انتقالية مابين البينين ، وفيها يتجاور التقليد مع الحديث، وهذا التجاور فيه تصارع وتصالح، وقد تكون هذه الحالة انتجت مجتمعا له بعض سمات المجتمع الما بعد الحداثي، لاسيما في ما يخص فقط الفوضى الفكرية والانومية، وكل المشاكل التي يعاني منها ذلك المجتمع. على اعتبار ان ما بعد الحداثة هو ضد كل ما هو حديث، ويدعو الى التحرر من القديم وتسعى لافكار وخطابات جديدة، وبالتالي - وحسب رؤيتي هذه - فاننا قفزنا قفزة قوية تخطينا بها المجتمع الحديث الصناعي' واصبحنا مابين فكي كماشة: هما التقليدية وما بعد الحداثية. وهو بلا شك سيترك آثاره على نظم المجتمع وانساقه بل وبنائه، وثقافته ايضاً. وهنا اشدد على اهمية دور الثقافة من خلال الخطاب الثقافي الواعي، بتجاور الاصالة مع الحداثة، واحب ان انهي حديثي معكم بمثل ليبي يقول: 'اللي ماعنده قديم ما عنده جديد'.

وفي ظل تلك الهموم الثقافية ووجهات نظر ضيوفنا الكرام تجاهها معالجة ومحاورة، نسدل ستائر أمسيتنا الثقافية هذه، مع كل الشكر والتقدير لضيوفنا الكرام، ويحدونا الأمل والرجاء في ملتقى ثقافي أخر نلتقي به معكم على شواطئ الحب والفكر وزقزقات طيور الثقافة والحرية في أمسيات ثقافية قادمة تحمل الأمل واستشراف المستقبل، والثقافة الواعية الناضجة سرمدا أبدا.

الفصل الخامس

منظـومة اتجاهـات

في عوالم سيكولوجيا الأدب

الفصل الخامس

منظومة اتجاهات في عوالم سيكولوجيا الأدب

سيكولوجيا الأدب والسياسة

تماهيات الأدب في لغة السياسة

قراءة نقدية في نص (إياك... ثم... إياك) للكاتب نضال نعيسه

تدور تساؤلات حائرة حول لغة السياسة في المقالات النقدية والأدب في لوحاته المشفرة التي تعكس الواقع برمته، والسياسة خط ما من هذا الواقع المكفهر، والسؤال المطروح هنا، هل هناك التقاء بينهما في خط واحد؟ ضمن معطيات مرحلة ما بعد الحداثة في النص الأدبي وانفتاح الأجناس الأدبية على بعضها، وعدم تحدد نمطية ثابتة للأجناس الأدبية على مختلف أنواعها، بحيث تتيح تلك الحالة الالتحامية بين الأدب في أجناسه المتنوعة والسياسة في خط السرد النقدي، فيغدو خطا ما في اللوحة الفسيفسائية المتناثرة للأدب في خطوطها المتعرجة المتنوعة، فيغدو الأدب وجها للسياسة والسياسة وجها للأدب، وهل يمكن لتلك الثنائية في الإطلالة مع مرحلة ما بعد الحداثة من كسر ثلاثية المحرمات (الدين، الجنس، السياسة، عبر رحلة التاريخ، وهنا يدور حديثي حول السياسة على وجه التحديد مع تحفظاتي بشأن الدين والجنس، لأن بؤرة التداول النقدي هنا يتركز حول خط السياسة من تلك الثلاثية، ولا يخفى أهمية إحالة مفردة السياسة من الضبابية إلى بعد اشراقات النص، في نقد ثقافة الصمت وحرمات الشعوب وكبت الحريات، فيلتقي النص الأدبي مع الرؤية السياسية النقدية في كينونة واحدة، تعكس لغة المثقف الناقد الحر الذي لاتقيده الحدود، ويسيح في الكون ورحلة التغيير نورسا يقاوم الحواجز الأثيرية ومعتقلات اسر الكلمة، ليعلن حريته حرا في كافة تجليات انشطارات الكلمة على مسرح الواقع، في لغة التغيير وأبجديات الخطاب في نسقها الحداثي المنفتح على المشهد الأدبي السياسي.

وهنا تتشكل تماهيات الأدب والسياسة وماهية المثقف بين ذلك كله، وزخم حراك رؤاه النقدية على مسرح الأحداث ولغة اسقاطاتها اللاشعورية، ويطرح ذلك تساؤلات بشأن قدرة تلك الألتحامات الأدبية السياسية من تجاوز فلسفة المسافة، لأن تلك الفلسفة تجعلالكاتب فوق هموم ولغة القارئ، مما يحيل القارئ إلى متلقٍ مستسلم للنص، ضمن مساحات الفجوة بينه وبين الكاتب في لغة النص، ويغدو النص ترفاً لا يلامس هموم القارئ وتداعيات واقعه، بحيث يغدو صدى لتداعيات المثاليات التلقينية الجامدة من جديد في كافة أبعاد السياسة، التربية، الأدب وغيرها من الأبعاد، التي تدور في ثنائية محتكر للمعرفة ومتلق جامد ساكن ملقن، في ظل فجوة تتسع دوما بينهما، وتنقطع من خلالها أطراف تفاعل الاتصال الواعي الثقافي بينهما، مما يجعل القارئ يرتد خانعا لمساحات الخضوع والقبول لخطاب الكاتب على قاعدة اللاتكافؤ في الخطاب، وتأزم فلسفة المسافة بينهما.

وما سبق ذكره يؤكد أهمية ذلك التماهي بين السياسة والأدب في تجسيرخط الالتحام لهذه الفجوات، وتجاوز فلسفة المسافة، وإحداث تكافؤ واعي بين الكاتب والقارئ، الذي يلامس آهاته وجروح تفاحته الحمراء الأسيرة، وزخم حراكه نحو لذة الحرية، وتلك التماهيات تعد قاعدة للثقافة الحرة التي تتجاوز الحدود، وتكسر القيود، وتسيح بحاثةعن الحقيقة الموضوعية في ظل رؤى نقدية تعبيرية للواقع، تلتحم فيها السياسة مع الأدب في جنس نقدي مفتوح يكسر حرفية التقسيمات في لغة الثقافة وتنظيرات الأدب وجمود التقعيد في السياسة والأدب، ليغدو صوتا للحقيقة ومنبرا للحرية وكسرا للمنوعات في خط السياسة، في ظل تجاوز خط فلسفة المسافة بين الكاتب والقارئ، وفي ظل خطوط التحام النص بين السياسة والأدب.

ويشكل نص (إياك..ثم...إياك) صورة تطبيقية واقعية للإطار النظري السابق ذكره، في التحامات السياسة في خطوط رؤاها النقدية مع الأدب في ظل أجناسه المفتوحة، في لغة السرد، حيث يتناول النص مقاطع نقدية للواقع برمته في ظل خطوطه السياسة، واسقاطات اللاشعور المنسكبة فيه، في استلاب الأنا الناطقة، وظلال لغة كبت الحريات، حيث تؤول لغة

السرد في نقدها السياسي إلى نقطة رمادية في الواقع ومفادها؛ حرمان الذوات من الشعور بالسلام والأمان في ظل واقع مدلهم مكفهر أحادي صارم

"على شفير الهاويات السحيقات، والداهيات الغائرات، والنازلات الدانيات، وفي خضم هذه العواصف والأمواج الهائجات المتلاطمات العاتيات، وفي غمرة هذا الأوار المحتدم، والبركان المنفجر، والجحيم المستعر، وهذه النيران المتقدة، والألسنة، والأدخنة والأبخرة والشرر الذي يتطاير من كل مكان، وفي غابة السكاكين والمدى والخناجر والرماح المشرعات، ومع زعيق، وصراخ، وزئير وجعير الناعقين الكبار، ومع حشرجات النزع الأخيروصعود الأرواح، إياك أن تشعر ولو للحظة واحدة بأنك في سلام وأمان".

وتبرز لغة الموت التي تواجه المرء حتما في ظل واقع رمادي جالس على حافة الفناء الأخير دمارا وعذابات "وبعيد عن لظى النيران، ولو كنت مليارديرا، أو "مهيب أركان بملايين الأوسمة والنياشين، وجبروت الصولجان، أو امبراطور الزمان، أو فقيرا معدما ومديونيراً مزمناً، أو عابر سبيل على الطرقات في هذه الجغرافيات المفخخات والمليئة بالألغام والمطبات والعبوات الناسفات، فأنت على كف عفريت، والكل سواسية في سيرك الموت والهلاك وحقول التفخيخ والمخاطر والألغام، وكل الويلات والمصائب والأهوال تنتظرك ولك معها، يوما، ميعاد".

وفي ظل اختناقات لغة الحرية ووأدها في أودية الحياة السحيقة استبداداً وتسلطاً، تتواكب لغة السرد بالآتي:

فأياك أن تسير في الطرقات، وتخرق حظر التجول وأحكام الطوارئ، والإغلاق فالعسس، والعسكر والجلادون، والجندرما، والجلاوزة، والثكنات، والبنادق، والحراب تتمترس في الشوارع والزواريب والحارات.س.

وفي مساحات لغة تراكمات الجمود الفكري وامتناع دماء الحرية من اختراق جسد الذاكرة في لغة الخطاب والتعبير، تبرز لغة الخطاب السياسي الأدبي في مسارات سخرية لاذعة متهكمة؛ تتواكب لغة الأنسحاق الأخير لتبلغ الأحلام وانقلاب انتشاءات الطموح إلى رحلة الفناء الأخير حيث وأد الأحلام قبل ميلادها في ظل واقع رمادي مكفهر، يحمل

خنجره الموقوت موتا في كل لحظة:

إياك أن تصبح رجل أعمال ناجحاً، وعاشقاً للأوطان، ومحباً للفقراء، وتحمل لهم الملايين، والمشاريع، والدولارات، والأحلام فأطنان الديناميت تنتظرك في الشوارع، وتحولك لأشلاء، ويهرس لحمك ونخاعك ويستقر على الجدران، ولن يتعرف عندها عليك والداك، ولا تقنية الحامض السنووي بعد أن تتحول لرماد، وتدفن باسم آخر مستعار.

ويكشف النص برؤاه النقدية ماهية ساخرة للواقع الإعلامي برمته، في ظل المتناقضات، وسلبية رسائل تحطيم الذوات، وسذاجة المقال الذي يحملها للقارئ في كل مكان، وفشل رسالته في الوجود قبل تخلقها في لغة المقال، لدواعي الترهل والفساد الذي يئن فيه، وانعكاسات الواقع المتردي الهش عليه:

إياك أن تتفرج على فضائيات الاستهبال، وتتابع، فصول القتل ومشاهد الانفجارات والأهوال، والجثث المتفحمة، ونوافيرالدماء، وبكاء الأطفال، وتصريحات الجهابذة وأساطين الإعلام، وبياعي الكلام، فستصاب بالجلطة وارتفاع ضغط الدم، هذا إن بقي لديك دماء لم تسفح على إسفلت العربان.

وتتسع مساحات النص في رؤاه النقدية لتبلغ فسحة بوح المشاعر واتقادها في آتون القلوبابتسامة واستبشاراً ومصافحة، لأن هناك منصات إنزال الأحكام الفورية الألغائية للوجود في الوجود، وفي مقدمتها حق الحرية والتعددية السياسية في المجتمع، ويؤكد النص هنا على متناقضات آليات الفهم لدى السلطة، إذ تفهملغات عشق الوطن بشتى أطيافها في الحرية ومنصة الديمقراطية، محض خيانة تستحق الفناء في العذابات:

إياك أن تحب، وتفتح قلبك للحياة، وتعشق الخير!، وتبتسم، وتتفاءل، وتكتب القصائد والأشعار، وتمد يدك للمصافحات..... إياك أن تنتسب للأحزاب، والجمعيات، وتتحلى بالإنسانية، وتدعو للتجمع والوئام، وتحضر الأعراس والأفراح وتجاهر بحب وطنك أمام الخصيان، والزبانية وجلساء السلطان، فستفتح لك الأقبية والظلمات، ويستقبلك السفاحون والقتلة القساة، وتُنسى مع الجرذان والصراصير .والفئران، وتحسب

مع الأموات.

ويؤكد النص على سياسة الكبت وتجهيل الشعوب حتى لا تطالب بأبجديات حقوقها الإنسانية، وترضي بالذل والهوان في ظل أزقة واقع مستبد، تتحرك فيه لغة العصا لا لغة الحضارات.

إياك أن تتعلم شيئا، وتفتح عينك، وتلتفت إلى أي من الاتجاهات، فالمخطط لك وقدرك أن تبقى مع القطيع السائر إلى المجاهيل والأدغال، حيث يعيش الوحوش والذئاب والحيتان، ويحل الظلام، وحين ترفع رأسك فالحجاج صاح- والحمد لله- لا ينام.

ويعبر السرد أزقته المتقاطعة ليعلن حالة تواصل بين السلطة ومشتقات لغة الظلام في كبت الشعوب المضطهدةوممارسة الاستبداد عليها، لأن ذلك هو القدر الحتمي الواجب تأطيرها فيه؛ في ظل كهفية الصمت، وعشق الاستبداد ظلاما لا يعقبه نهار:

إياك أن تفتح فمك، أو تحرك لسانك، أو تنبس ببنت شفا أو تشنف آذانك للقيل والقال، وتغتاب القديسين الطهراء،أو تصحو لوهلة عابرة من هذا السبات، والشلل، وهذا المنام.

إياك أن تشعل شمعة وتلعن الظلام كما أوصى الفلاسفة والحكماء، فالكل عاشق للظلمة والعتمة والإغلاق، ويحبون الليل ويرتدون لباس الحداد.

وتتداخل في النص لغة المفارقات بين حق الوجود في البناء والأمل الذي تهده معاول الدمار كل آن، ومسرح اختيال رحلة الجهل في أثواب خادعة تدعي الحضارة بلا توان:

إياك أن تبني شيئا، وتضع حجرة فوق حجرة، ولبنة فوق لبنة، وتدعو للخير والازدهار، فكل شيء آيل للسقوط،.... إياك أن تزرع الأشجار والورود، والزنبق، والفل، والسوسن، والياسمين، وتتغزل بشقائق النعمان، فكله سيتعرض للذبول، ولليباس في بيادر القحط والخواء، والمد الصحراوي الأصفر يجتاح الآفاق، والتصحر قادم لا محال.... إياك أن تعتقد أنك في الألفية الثالثة وغادرت عصر حقب الديناصورات

والجاهلية السوداء، وأن عصر اليانكي في غيبوبة وغافل عن الأنام.

ويسدل النص ستاره حول لغة الممنوعات واسترتها على صفحات الواقع، في الانكشاف، فالأصل هو الاحتجاب ومنع الحقيقة، وحصرها في منافذ القوة الطاغية، واستبداداً لسلطة في لغة إصدار الأحكام والقرارات.

وأخيرا إياك أن تقرأ هذا المقال، أو زيارة أي من المواقع الممنوعة، وبؤر النور والإشعاع المحجوبات.... ولا تقرأ سوى الجرائد الرسمية التي تتغزل بسجايا، وخصائل، وكرامات وأخبار الدوتشي والفوهرر، والماريشالات، وأباطرة الطغيان، وإلا فستجرجرك دوريات المخابرات إلى الأقبية والزنازين الجرداء، وتتعرض للشرشحة، والمرمطة، والبهدلة، والسؤال والجواب، وتصبح عندها من المغضوبين الأشقياء، وأعذر من أنذر ياشباب.

ولا يسعني في نهاية مطاف تلك المقاربة النقدية بين الأدب والسياسة إلا أن أزجي كل تحايا إبداع والتقدير للمبدع الألق: نضال نعيسة، ودام إبداعه نورساً حراً في أصالة الكلمة ولحن الحرية في ظل ثقافة الصمت التي تئن في مجتمعاتنا استبداداً وعذابات.

المسكوت عنه والمقموع في النص الأدبي

دراسة تطبيقية في نص شهاب للكاتب إبراهيم الداقوقي

يعد النص القصصي، مساحة واسعة الإسقاطات الأديب اللاشعورية على النص، وعوالم واسعة لبث المكبوتات، ولغة المسكوت عنه والمقموع، وهنا يرتقي النص الأدبي في لغة التعبير ضمن مساحات أوسع من لغة الثقافة المباشرة، وتدور تباعاً فنيات الوصف القصصي في إبداعية التعبير عن المسكوت عنه والمقموع، وملحمة صراع الخير والشر في الحياة، و تتشكل في أتونها عمومية الأيدلوجية من اللوحة التفكيكية للواقع في تناثرات لغاتها الجزئية على النص في ظلال التفرد إبداعي، وتسليط الأضواء على الخاص، في اختزالات الأديب للحظات مقتنصة من لوحة الواقع، وتتنوع صورتها الفنية بين مساحاتالمتخيلفي الماضي البعيد أو القريب أو الآن الحاضر، وهنا تنبعث جذورها في ظل رؤى ايدلوجية للكاتب في الوجود والإنسان والحياة، بحيث تتشكل في لوحة فنية إبداعية، تصقل جمالياتها إبداعية التصوير الفني، والمتتبع للروائع الأدبية يجد خطوطاً متنوعة في فنيات التصوير الفني في القص، التيتنقل القارئ ببراعة إلىمساحات الحدث المتخيلواستشعار كافة حراك اللحظات هناك، في مقطع جزئي من لوحة المجتمع، ولاتعد تلك الفنيات المبذولة لتشكيل تلك اللحظة حياة على النص مسألة عبثية، وانما تعد مسألة جوهرية في النص و تحمل جذور رمزية في لغة التعبير، وبالأخص في تشكيل لوحة المسكوت عنه في النص، لذلك نجد شارلز ديكنز في قصصه يأخذ القارئ إلى وصف دقائق الموقف بحيث لا يترك جرة ملقاة على الأرض أو قطة كانت منكمشة إلى جانب أحد السجناء، بل انه يصف للقارئ نكهة الرائحة في الأزقة بحيث تنتقل معه إلى جو قصصه بجاذبية مطلقة وليس ذلك لغاية الحياة في النص فحسب، بل لرؤى مخبأة يسعى الكاتب لإظهارها عبر المكان والشخوص وربما ما لانعيره اهتماماً في حياتنا، في حين أن تولستوي يتسارع مع القارئعلى هدير موجات بحرية متلاحقة، فيجري بك جريا في وصفه، فهو لا يكاد يقف بك في مكان واحد، ولعله يسارع إلى وصف أنماط من البشرية يمثل لها ببعض الشخصيات، ويهمه أن يصف لك ما يتعلق بالشخصيات

اكثـر مـن اهـتمامه بوصف الأماكن، وفي كلا الخطين هنا جوهرة واحدة تتناغم بينهما، وهي الـتقاط الخـاص من العام، في رؤية تفردية إبداعية، ولكن جذورها الكلية تعبر عن ايدلوجية عامـة تؤطـر الواقـع وتـبث رسـالته في مـنظور فرداني، تتشكل فيه رؤى الكاتب ومساحات اسـقاطاته علـى النص في ظل لغة المسكوت عنه، وربما مساحات الاستبداد التي تعتري عالمنا العربـي، أججـت الإسـقاطات الـتي تمكن الأدب عبر أجناسه الأدبية المتنوعة وبجداره منبث معالمهـا، في حـين أسـرت الـثقافة العـربية في معـتقل الـتدجين ولغـة الصمت، وهذه البؤرة التجـريدية الـتي سـلطت الـضوء حـولها، تـؤكد اجتـيازالأدب مـساحات واسعة في بث لغة المسكوت عنه والمقموع في لوحة الواقع الفسيفسائية المتضادة.

ويـشكل نـص(شـهاب) للكاتـب إبـراهيم الداقوقي، لوحة تفردية في عكس الرؤى الأيدلوجـية للمجـتمع في ظـل اختـزال لحظة تاريخية مكثفة، في لغة السرد، ويسيح النص في ظـل معطيات ثقافـة المقاومة التي تجتاح مساحات الاستلاب، وتعلن ذاتها بإباء، في ظل لغة سـردية اتـسمت بـبراعة فنيات الوصـف للـشخوص المتحركة حياة على السطور، وتنوعت الـشخوص في الـنص في ظـلال ملحمـية، تؤطـر لغـة الصراع بين الخير والشر، والاستلاب والمقاومـة من جهة، وبين شخصية شهاب المركزية التيشكلت البؤرة المغناطيسيةللنص، والتي التفت حولها جميع الشخوص في كافة خطوطها نحو خدمة الفكرة الأم في النص، والتي تشكل الـرؤية المجـسدة لثقافة المقاومة ورفض القمع، والانطلاق من قيود المسكوت عنه، نحو الحرية وبـث الكـرامة هيـبة علـى السطور، والتي تؤول في نهاية النص استشهادا على أبواب الحرية الحمراء.

وتتشكل منظومة الرؤى في شخصية شهاب المركزية على النحو الأتي:

- يعـد مقطعا من رحلة الكفاح والكدح في مواجهة الظلم وكافة لغات الإقطاعيات في المجتمع.
- تمثل جيل الشباب الساعي نحو التغيير ورفض كافة لغات الاستلاب في الواقع.
- تـؤكد علـى الـنهايات المشرقة في ظلال وحي الاستشهاد حفاظاً على المبادئ السامية في الحياة.

أما مساحات رؤى الشخوص الثانوية في النص فتؤكد تنوع الرؤى لتلك البلورة المشرقة في سجل شرف الحياة (شهاب) وبين آدمية باردة الإحساس تجاهها وبين تماهيات جنون في تنظير الفلسفة هستيرياً على أعتاب الحياة.

وتتنوع الشخوص الثانويةفي أطياف إبداعية في النص، حيث صقلت مساحات التشويق فيه، في ظلال عفوية (زهرة) وارتسامتها وردة تنبض بالحياة على السطور، بحيث رصد النص حرراة شحناتها الانفعالية بكافة تجلياتها على النص، وشخصية (جاسم) في سرد الحكمة جنونا ورفضا في الآن ذاته، ورؤى المجتمع في أوراق شخوصه المبعثرة بين جمعية مطلقة تعشق الحرية ورفض الاستلاب وبين فردانية تحققت في أعلى تسامياتها في ظلال شخصية شهاب.

وتتشكل إبداعية الكاتب في النص عبر فنيات الوصف القصصي وحرية حراك الشخوص في النص، في ظلال العفوية والفكرة الأم في النص، بحيث تركت الحرية للسياق ليعبر عن ذاته، بعيدا عن سيطرة واقتحام رؤى الكاتب النص، مما نفى التكلف والتصنع في النص، وأشرقت تباعا عفويته على السطور، ومضت الشخوص لتعبر بعفوية وانطلاق عن اجوائها الرافضة وكافة أطياف ما تحمله من لغة المسكوت عنه والمقموع على مسرح النص، في ظلال جماليات الوصف القصصي من جهة، وواقعية العرض من جهة أخرى.

وانسكبت النهايات في النص في ظلال لغة الشرف و التفاني من أجل القيم والمبادئ السامية في الحياة، ورفض حالة الاستلاب في كافة صورها، وهناك ثنائية تختبئ خلف كواليس النص بين الماضي البعيد والحاضر في ظلال لغة الاستلابفي المشهد العراقي، وهنا تمتدد مساحة شهادة شهاب في النصلتغادر في رمزيتها بعدها الفردي إلى مسرح المشهد العراقي في الماضي البعيد والآن الحاضر، ليغدو السردفي شهاب هو حكاية الكل في الوطن والحلم في الحرية ومساحات الوطنفي الوطنالحالم حرية وإباء على النص.

ولايسعني في نهاية مطاف عبور مساحات إبداعية فنيات الوصف القصصي وروائعها الأدبية إلا أن احيي إبداع الكاتب د. إبراهيم الداقوقي وكل إبداع وانت متتاليات إبداع لا تنتهي في سماءات الأدب الأصيلة.

مقاربات بين الواقع السياسي وإبداعية الأدبية: نموذج تطبيقي

كوندا ليزا رايس بين نص السياسة ونص (انهم يقتلون الأطفال) مقاربات نقدية

تتابع رايس جولاتها المكوكية، وهي تحلم بشرق اوسط جديد على انقاض الدمار ودماء الطفولة البريئة، وحلمها يترأى للمحلل الناقد في محاكاة لنص "انهم يقتلون الأطفال" في مجموعة انتفاضيات للشاعر المبدع ايمن اللبدي، حيث ابدعت مخيلة الشاعر حالة مستنزفة لأسقاط الواقع على النص، في ظل محاورة تدور انقاضها على الدمار والوحشية، واجتثاث الأنسانية من جذورها في سبعة مشاهد دامية، حيث تتشكل السادية والضحية في النص، وهي ذات الثنائية التي تقدمها قامة رايس الدموية في نص السياسة، في ظل مشروعها السياسي الأحمق.

ونص "انهم يقتلون الأطفال" يدور في سبعة مشاهد همجية للعدوان الصهيوني على الطفولة والزيتون والحضارة، وهي ذات المشاهد التي تتبادلها رايس مع اولمرت في ملحمة القتل والدمار، والأرهاب بكل ما تعنيه الكلمة ففي المشهد الأول تبرز جائزة أولمرت لشعبه في ملحمة القتل، لغاية تربع إسرائيل على عرش سفك الدماء، وتهيىء رايس الأجواء الدموية لقنابلها الذكية، لتبني شرق اوسط الذل والمهانة والانكسار، والنظم العربية لم يسعفها الحظ في أعمال عقلها المعطل سنوات في سياسة الأمعية لرايس وجوقتها الدموية، ونموذجها الشرق أوسطي الجديد، حيث هيأت تلك النظم الباهتة لأولمرت حظوة حظوة قتل الزنبق وعين شمس الورد، على تصفيق رايس لشلالات نازفة في المشهد الأحمر اللامتناهي، حيث يفتح الهيكل ذراعية للتأييد والدعم لا محالة شلومو قد نال وساماً وموشي يأخذ نيشاناً أما عفراء لم يسعفها الحظ اليوم شاؤول ينتظر ليقتل زنبقة أخرى ويصبح في قائمة الأبطال ويفوز بثقة الهيكل وفي المشهد الثاني تتجلى همجية القتل وقد نفذت قنابل العدو المتكدسة في مستودعاتها، وقد احرقت الأرض، واجتثت الزرع، وقطعت الأشلاء، وادمت الطفولة بالقتل والجراحات، وهذا هو المشهد ذاته في قدوم المرأة الشمطاء رايس في نص السياسة

تـتقدمها قـنابل المـوت على أجنحة أشباح الليل، وقد نفذت أسلحة العدو، في الوقت الذي تترعـرع فـيه ورود الحـياة مـن اتـون الارض الحمـراء، إصـراراً وصـموداً في لبـنان الحـرية والكـرامة، وغـزة الشهداء نفذت كل صواريخي وانا في مرمى الرادار اباتشي: لا تتهور، إياك دخول الميدان اثنان: وحيداً أطلب دعماً جوياً، أطلب قصفاً بحرياً أطلب بترولاً عاجل أطلب راجمة صواريخ ولواء دروع ويتشكل في المشهد الثالث طبيعة الأهداف الموجهة التي التي تهدد كـيان العـدو من مشاهد أطفال يبكون، وسيارة إسعاف، أو عمارة تشد ساعديها للبناء على أرض الوجـود، والمـشهد ذاتـه في نـص السياسة ونص انهم يقتلون الأطفال؛ ما بين أولمرت ورايـس معـا والـشعب الـذي ينحر أمام شاشة التلفزة في لبنان وغزة هاشم، فالأهداف هي الطفـولة والمدنيين والدمار بعينة، في نفسية العدو الحاقد السادي على الدوام، وجيوش النظم العـربية الباهـتة، تـرقص علـى الجـراح، وتـتغني بلهاء بالبطولات، وشاشتها مسمرة لعرض الأجـساد وسـراب الحكايـات وتزويـر الأعـلام الذي يدون لغته بومة الدمار في العالم أجمع، وهكذا تختلط لغة الدمار في نص السياسة بين نكهة امريكية سادية ونكهة عربية متخاذلة على جـرعة الدمار الصهيونية خمسون دقيقة، ما زال الهدف يتحرك.. ويتمتم هذا خطر جداً إياكم أن يـسمح للـولد بـبكاء الأطفـال إيـاكم أن يـرفع ذاك الـولد كفـية طلباً توقيف النار سيارة إسـعاف تـتقدم.. هـذا خطر جداً فجر سيارات الإسعاف الملعونة لا تتوقف .... وسقط الجـسد الغـض علـى لحـم الإسـفلت وسـقط الـوالد مـن كل قلاع العرب الكبرى فجيوش الجيران تحسن عزف الموسيقى ويقدم المشهد الرابع تصويراً فنياً مبدعاً، لما آلت اليه آلة الحرب الـصهيونية بنكهـتها الأمـريكية العـربية في كـلا الـنصين نـص الـسياسة ونـص أنهـم يقتلون الأطفـال، في القـصف الوحـشي، واقتناص الطفولة، وقلع الأشجار، وقتل المدنيين ومحطات المـياة وتحطـيم الجـسور واغـراق الـورد ببحـر الدماء، حتي تسطع كشجرة الشيطان أسطورة الجـيش الـذي لا يقهر، التي تغذى أمريكياً وعربياً لغاية إيجاد شرق اوسط جديد حيث تدفن الكـرامة وتهـشم الحـرية والإبـاء، بـتغذية أمـريكية عربيةسـواء بالـسلاح والسيولة البترولية والـذهب العربـي العامـر، ويعـبر المـشهد الـرابع عـن ذلـك بالآتـي جيش يصطاد الأطافل يحـسن قلـع الأشـجار ونـسف الـدور الـسكنية يتقن قنص الأزهار يفتخر بقص محطات الماء

يحسن تدمير العشبنس انتخبوه الأول في العالم كي يصبح قدوة كل جيوش الأرض أعطوه مزيداً من إنتاج مصانعكم مزيداً من بترول مصافيكم وفي المشهد الخامس تبرز الحالة ذاتها للوحة الواقع في نص السياسة التي تقودها رايس وجوقتها العربية، حيث تبرز لغات الشكر ل أمريكا لما تقوم به من دعم لآلة الدمار الصهيونية و لكل آلة وهمجية تقتل الحرية والكرامة في وطننا العربي الجريح، لأنها إرهاصات حلم رايس الشرق الأوسطي الدموي الجديد أمريكا شكراً أمريكا أمريكا شكراً وجب الشكر علينا وتهانينا للحلم الأمريكي والرز الأمريكي وكثيراً جداً للبيتزا ...... للجسر الجوي العاجل منها أكثر أمريكا شكراً أمريكا دمنا المسفوح طويلاً أشلاء الأطفال ونوح النسوة لا تقلق مستر مونيكا فلدينا من أكوام اللحم كثير جداً تنتظر وصول الشحنات الأخرى ولتعرف بعد المزيكا أمريكا شكراً أمريكا وهنا تغدو لغة مونيكا ورايس في توأمة دموية في عالمنا العربي الجريح، الذي يتنفس الصعداء، ليسفر عليه فجر الحرية والنصر المؤزر المبين، ففي النص تتأكد لغة الشكر للجسر الجوي العاجل والسلاح الأمريكي المغذى بالبترول العربي، في مجازر الدم المسفوح بلا حدود، واشلاء الطفولة، ومزيد من اكوام اللحم المترامي على الطرقات، على الحان الشكر العربية لأولمرت ورايس، لما يقوموا به من تدمير وقتل لمن يجرؤ على التلفظ بأبجديات الحرية في العالم العربي الأصم. وفي المشهد السادس تسلط الأضواء على لغات التنديد العربية، ومؤتمرات التخاذل والتزوير، المتهافتة على صناعة الحلم الصهيوني الأمريكي، من خلال إعطاء الوقت الكافي لألة الحرب الصهيونية لتعيث فساداً على راحتها في أوطاننا الجريحة، في مزيد من السفك والقتل الوحشي على مرآى الشاشات والعالم اجمع، وذلك ما يكون كفيلا لنوم هادئ وأحلام حمراء للسيدة رايس على الحان شرق أوسطها الجديد مؤتمر اللطم المستعجل لا ينفع قبل يناير فالوقت كثيراً ضيق كي يصنع ديكور الأمريكي فلينتظر الدم المسفوح وهكذا يسخر الزمان والمكان سلاحاً، مع القنابل المحرمة دولياً والصواريخ المهداة دمارا ل أطفالنا من قبل أطفال العدو، وسائر أدوات الدمار والهمجية، مزودة بالطوابير تلو الطوابير الخامس أفراداً ونظماً وإعلاماً، التي تتلقى التعليمات الذكية من رايس، حول شرق أوسطها الجديد، وبالتالي تهيىء الدعم الكافي لاستباحة وجودنا، وإغراقه بالروح الإنهزامية

وفي المشهد السابع تدور المحاكاة بين عزف رايس المدمر في وجودنا المكفهر، ولغة الإرادة والصمود في ساحات الدمار وخلف القضبان، التي تشرق منها طيور الحرية أسراباً تلو أسراب في وجودنا الملوث بالأدخنة، حيث تشدو للنصر، وتؤكد ضرورة انتصار الحق على الباطل، و الإرادة على الطغيان، حيث يشتعل أتونها من رماد الأرض، وحكايا الشهداء، تعلي الراية خفاقة لا تنحني، في لبنان وغزة هاشم، وفي رايات كل أحرار العالم.

فهذه المحاكاة مهداة: هذه الحكاية لعيني محمد الخائفتين لدم شعبي المسفوح ولصوت امرأة قالت أودعك حبيبي ولعجوز تحمل علماً لفلسطين وتهتف.... وهنا المحاورة بين علم فلسطين الحرية والزيتون وعلم لبنان الأمة والأباء، وهكذا يغدو نص السياسة متهافتاً هشاً، بين تحدي الطفولة وسلاح المقاومة والأحرار في العالم اجمع، ونص انهم يقتلون الأطفال الذي يصنع النصر من أحلام الشهداء، وأرواح الطفولة المتصاعدة إلى عرش السماء............................"إنهم يقتلون الأطفال" نص شعري مستقى من مجموعة انتفاضيات للشاعر أيمن اللبدي، مطبعة اليانجي، دمشق، ٢٠٠٣، ص ٥٧ ـ ص٦٨.

نهايات السياسة في خريف اللحظات/ نموذج تطبيقي

قراءة نقدية في نص فنجان قهوة* لرشاد أبو شاور

في حياة السياسيين معترك صراعات، وقراءات، بين الواقع والقيم، ورحلة التغير، وبين المبادئ والثوابت والتشبث بها، فهناك الملتزم خط السياسة وخريطة المبادئ معاً، وهناك اللولبي حيث نقطة الارتكاز وربح الجولة ولا مكان للقيمة بينهما. وفي كلا المعادلتين هناك ألم الذكريات في خريف العمر عند الأول، وبرود الأعصاب ورحلة التنقل والتغيير من مبدأ لمبدأ ومن أيدلوجية لأخرى تواليك عند الثاني، دونما اعتبار لمقام الذات بين الآخرين وسرعة تحول المواقف. والأدهى والأمر إذا كان ذلك التحول لصالح حسابات خارجية عن الأمة وقيمها وأيدلوجيتها في الصراع السياسي. وهاتان المعادلتان في السياسة نشهدهما يومياً في كل قطر عربي، وعند مطالعة أعمدة الصحافة العربية السياسية، في مساحات التقدير والذهول، فهناك قراءات سياسية تتسم بالنزاهة والمبدئية، وهناك قراءات سياسية تعج بالفكر السياسي المشبع بالغرائزية والهوجائية، وخدمة مشاريع الفوضى الخلاقة في عالمنا العربي.

تلك المعاني العميقة يطالعنا بها نص فنجان قهوة للكاتب رشاد أبو شاور من خلف السطور، وفي ثناياها ألم وذكريات، من خلال هالة قصصية لامعة، تدور أحداثها في حياة شخصية سياسية حزبية، في خريف عمرها، وقد طلقت السياسة وما يعترك فيها من ضجيج حزبي وحراك الرؤى السياسية المحتدمة، والصراعات الحزبية بعد رحلة عمر دامية بالصراعات التي أودت بها إلى أن تفصل من وظيفة التدريس، وتركن إلى كرسي وجدار يحملهما في العين تراقص القهوة في مساحات الذكريات، حيث دقات ساعة نهاية العمر، وما تحمل من ذكريات في السياسة والوطن وحماسة الشباب، يطالعها ذلك السياسي المخضرم المعتزل مسرح السياسة، في فسيفساء اللحظات العاصفة.

ويقدم النص محاورة بين السياسي المخضرم وفنجان القهوة المسافر في آفاق الذكريات، وقد حملت له الأيام مفاجأة اللقيا مع دعوة تحمل الماضي وما يعج بالصراعات السياسية: "كأنما يقرأ طالعة في اللون، وخطوط راحته المتغضنة، متسائلاً عن سر(دعوتهم) له، ليشرب فنجان قهوة فقط".

ويقدم لنا السرد حكايته مع السياسة وما آل إليه: "رأسه اشتعل شيبا، يبدو وكأن حزن العالم هجم عليه وهدَّ حيله، وزاد ظهره تقوساً".

ويحمل النص تساؤلات صامتة حول ماهية الدعوة، وما ينتظره، وكل تلك التساؤلات ترسمها اتكاءته على الكرسي، وقد استسلم لمساحات السفر البعيد معها، وفي جواره زوجة محبة تحمل لغة الاتحاد الروحي، مع حكاية القهوة والذكريات، لكنها ذكريات الحب له ومساحات تواصله حتى نهاية العمر.تبادر الزوجة لإيقاظه: "ربتُ على ظهره لأوقظه، لكنه لم يستجب، فهززته بقوة، وقد توجست، فمال رأسه، وانزلق كوب الماء الذي أحضرته له ليشربه، عندئذ صرخت وصرخت ولم أتوقف عن الصراخ".

ويتابع النص في هالة الصمت التي تدور حول أبعاد الأحداث السياسية في معترك ذكرياتها التي أودت بذلك السياسي المخضرم إلى النهاية، في الزمان والمكان والسياسة، وكأن السياسة في جوهرها أحجية صامتة تقض مضاجع ساكنيها، تدور دواليبها بين الماضي والحاضر والمستقبل، وخط الصراعات والأزمات واختلاطات الرؤى الحزبية في خارطتها المتهالكة على الدوام.

وفي النص سرية خصوصيات السياسة، التي أبت حتى الحروف أن تكشفها على السطح في بحر السطور، ورومانسية حالمة معاً، في قلب الزوجة الواقفة على أبواب الموت ونهاية أبواب الحياة: "صوته على الجدار في إطار اسود، عيناه حالمتان، وعلى شفتيه طيف ابتسامة، وجهه مستدير طفولي، على جبينه غرة شائبة تبديه وسيماً وقوراً".

ويسدل النص نهايته الحالمة على تراقصات فنجان القهوة ومعها هالة الذكريات: "هذا فنجان قهوته الذي أحبه، وشرب قهوته دائماً فيه، إنني أغمض عيني، أتمدد كل ليلة، سائلة الله جلت قدرته، أن يلحقني به، وأن يقبض روحي برفق".

ويغلف النص نهايته بخيط ذهبي عنوانه: "ها أنا أنتظر"، حيث تنتهي الأعمار ولا تنتهي السياسة، وتوعدنا كل يوم بمزيد من الأيدلوجيات والصراعات، وحراك استنساخي في معدل أرقام الأحزاب، وبدايات انطلاقات قطارات السفر في معتركها، ونهاية رحلة مخضرمين على مسرحها، على فراش الاعتزال أو مقصلة الإعدام أو جنبات السجون المظلمة أو ميادين الترف الفاحش وبيع المبادئ والمتاجرة بالشعوب والأوطان، أو تدوين بالماس لذكراهم في لغة الحرية والإباء.

الهوامش:

* فنجان قهوة قصة قصيرة منشورة ضمن مجموعة الموت غناء، للكاتب الفلسطيني رشاد أبو شاور. الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ٢٠٠٣.

مقاربات بين ماهية التناقضات في الخريطة السياسية وانفعالات الأديب على النص/ نموذج تطبيقي

قراءة تحليلية نقدية في نص "قصة حصار" للكاتب أسد محمد

يدور نص "قصة حصار" في البعد الأيدلوجي للقص، والذي تكاثفت بؤرته على وجه التحديد في رحلة القصة القصيرة السورية المعاصرة، في الألفية الثانية، من خلال التتبع الناقد المحلل لها، عبر شبكة الإنترنت، ويلتقى نص "قصة حصار" لكاتبنا المبدع: أسد محمد "مع نص" البراغيث للمبدع العراقي "عزيز التميمي" في لغة الرفض لمنظومة التناقضات المفرزة من سلطة السطوة والكبت في المجتمع، التي تفرزها لوحة الواقع السياسي، والتي تنفث دخان ثمالتها في نشوة اللانهايات من لغة السقوط في مقاطع الذات والمكان والزمان وامعية اللسان في النعيق المبهم وقبضة الحديد في التنشي بعذابات الخلق في تأزم المعاش والرفض المسعور في مسرح التلاعب العابث بالقرارات.

ويدور النص في ثنائية "النخبة، المواطن" والنخبة هنا هي القيادة في المؤسسة السياسية وبطانتها في لسان الببغاوات، في تلك البلدة الرمز في النص، والتي يمتدد ثوب رمزيتها ليسع العالم العربي بأسره، والمواطن هنا هو لغة الظلم والكدح والحرمان ولسع العذابات، في أزقة الحياة الرمادية، حيث تغدو مادة استنزاف لإرضاء نشوة النخبة في سعار لهوها العابث، وغباءها المتدفق حماقة في الحراك والسير الذي يكشف النص هنا بؤرته السردية في تتبع حيثيات تلك الحماقة، في أحد طرفي تلك المعادلة من جهة وحيثيات المعاناة والقهر ولغة العذابات في جسد المواطن المنهك وقلبه المحترق ألماً من جهة أخرى.

وتتشكل لغة الشخوص هنا في نقشها الجمعي في كلا طرفي المعادلة المتضادة في لغة السطوة والتسلط في النخبة ولغة الفقر والمعاناة في المواطن، في ثنائيات التضاد التي غدت شبة سرمدية في عالمنا العربي المقهور.

ويتسم النص بجاذبية تتشكل في تلمس تدفق حرقة القارئ ونبضات رفضه لواقعه من خلال تتبع حراك الشخوص في النص، والذي نقشت خطاهم في بلدة مجهولة معلومة، حاضرة غائبة في ذاكرة وذهنية القارئ المنهكة في متابعة مشاهد التضادات في صفحات اللانهايات في الحياة "الواقع، الرفض" في الآن ذاته، وبذلك تغدو تلك النقطة الضوئية القصصية في النص، اثيراً فضايئا شاسعاً بلا حدود في مرأى مستقرئ النص في لغة الكل في الجزء، حيث يعكس الجزء تضاداته المتأزمة في الكل المتخم في لوحة فسيفسائية من المتضادات، وهذه بحد ذاتها سمة إبداعية في النص، وبذلك يشكل النص بعدا ذكياً في لغة التصوير الرمزية لمساحات الواقع الأيدلوجية في ظل المؤسسة السياسية المنهكة بالمتناقضات والثملة بالحماقات، والتسلطية في اتخاذ القرارات، ومصادرة المواطن في عنجهية في سلة المهملات، في شخصنه تحمل معها هالة القداسة في البث، يترتب عليها توجه المواطن لأداء قرابين التعبد في لغة التمجيد والطرق على طبولها كيفما كان الطرق وكيفما كان الغناء ورقص الأجساد، لذا يعد النص الذي بين أيدينا؛ وثيقة قصصية سردية تحمل معها حكاية اليوم والغد، في بعد أيدلوجيا المؤسسة السياسية في لغة السطوة والكبت، وتضخم الأنا في البث والتوجيه.

والنص ثري بمحاور إبداعية متنوعة، يقتضي الأمر تجلية النقاب عنها وإبرازها، ولكن خشية الإطالة اكتفي بما ذكرت، وأزجي في الختام تحايا التقدير وإبداع لكاتبنا: أسد محمد ودام إبداعه نضراً ألقاً منساباً في بساتين الكلمة الأصيلة.

سيكولوجيا الأدب وقضايا المجتمع

تتولد إبداعية الأديب من محض إفرازات الواقع الاجتماعي، ومساحات الأنين المنبعثة رفضاً متأججاً في لغة الأديب المتناثرة تغييراً للواقع عبر صفحات بيضاء تشرق بحروف متمردة، تصنع الواقع المتخيل المنشود، في مخيلة الأديب الخصبة، الممتدة بلا حدود، ولا حواجز في عوالم الممنوع سياسياً واجتماعياً وما تتخيله من جينات مستنسخة للممنوعات في عالمنا العربي الهش من تضخم لغة الممنوع وكبت الحرية، فضلاً عما يؤججه من آهات رفض لا تنتهي في همسات الأدباء على النصوص.

وتبحث تلك المقاربة بين سيكولوجيا الواقع وسيكولوجيا الأدب، تلك الآهات وترددات هذه الرفض بكافة أمواجه على النصوص، على المحاور الآتية:

- محور المعاناة الاجتماعية.
- محور تصوير الواقع في لغة عاشقة رافضة.
- محور السخرية من الواقع الاجتماعي.
- محور التعاطف مع الطبقة الكادحة في المجتمع.
- نقد المجتمع.
- محور المواطنة والنخبة.

محور المعاناة الاجتماعية/ نموذج تطبيقي

١ - ماهية استلاب الأنا في نص كوابيس

تدور تماهيات بين نص (كوابيس) للقاص د. عبد الرحمن يونس وحكمة قديمة مفادها انسحاب حالة التلذذ وفناءها المطلق بلا عودة أمام تفاحة نضرة تتناولها يد خائف أو جائع، فالخائف لا يحسن التذوق لأنه يخاف أن يفقد التفاحة مثلا فيلتهمها بسرعة والجائع لا يحسن التذوق لأنه مدفوع بالشوق والغريزة ليملأ الوعاء وكلاهما في حالة فناء في تلذذ الطبيعة في أبجدياتها في الحياة وجمالها في اكتمال النضج، وكذلك إذا تربت الشعوب على

الحرمان أمام متطلبات الطبيعة فلا بد أن يغالبها إحساس الفقدان والضياع في المادة والروح، وإذا تحرك فيها مارد الجوع المادي والروحي في اقتصاد منهك منهار وفكر هش يقدم لها كوجبات سريعة للتناول، فلا بد أن تؤول إلى تؤامة مع نهاية استلاب لا تنتهي، فهنا تفقد الشعوب إنسانيتها ومادية أدميتها وإحساسها بالحياة ابتداءً والجمال تباعاً، وليس موطن حديثي هنا عن أزمة الاستلاب الجمعي في لغة الشعوب المنهكة في الحرمان ابتداءً من حق الحياة ووصولا إلى خبز الحرية وانتهاءً بالإحساس بالجمال، وإنما موطن حديثي في البعد الدامي في لغة (الأنا) الفردية التي يغالبها الحرمان الجمعي، فتغدو في سوداوية مطلقة وجمود جسدي وارق متصاعد حتى الموت، وهي التي يسلط النص برمزيته على أبعادها المتماهية، إذ تغدو في قانون جذب مأساوي للنكبات، فإن كان لها النجاة من مشنقة الإعدام البشرية، فلا بد أن تجتذبها الأيام السوداء، واللحظات الدامية في لغة الناموس الكوني، ولو نالها تفلت من قبضة مساحة مكانية في مقاطع الكون الممتد جذبتها قطعة كونية أخرى لتودي بها إلى ذات النهايات المؤلمة حيث الفناء في الجسد وخلود الأنا في لغة الحرمان الفردية والجمعية.

ويبعثر نص (كوابيس) الذات إلى مقاطع على مسرح مشنقة الإعدام في كل تماهياتها ابتداءً من لغة آدمية البشر التي تدمر الأيام والحضارات في اللغة الجمعية، ولغة الفرد وقد جثم على قلبها سطوة استبدادية أحالتها إلى مسرح النزع الأخير حيث الذكريات في تحنانها المنكسر إلى لحظة الميلاد الخالدة من رحم الأمومة المتمثلة في قلب الذكريات، وما يبتعث هناك من أنين التذكار في لوعة التحنان في تماهيات الفرد حيث السطوة والطغيان المستبد، فهنا ينشكف وجه الواقع في رماديته وتنتقل الروح إلى عالم الفناء والتماهي مع لغة الأرواح المسافرة بعيدا عن مأزق الحياة وجور أدميتها، وهنا تنقطع سبل النجاة بكل معانيها الروحية والمادية في إصلاح الفساد ونشر الحرية والجمال لأنها في استلاب أخر جمعي ينتظر لحظاته الأخيرة.

وتتجسد الماهية ذاتها في كابوس آخر ولكنه يعبر عن ثلاثية (الحياة، المتعة، الامتداد) حيث لا تتخلق على الأجساد في أجواء الاستلاب الفردي والجمعي، الذي تعيث فيه يد عابثة في التعالي والبطش، فتبعثر تلك الأجساد إلى قطع متسمرة في أرجاء الغرفة المكفهرة،

فتغدو على قارعة أخبار الزمان، وتتشرذم هناك المتعة في قطع جسدية مستلبة دامية، حيث لا مكـان للجدية والعبث وكل التماهيات في ظل ذلك استلاب الأنا في الجزء (الفرد) والكل (المجتمع)، وتفتح صفحات الكابوس الثالث عن هستريا المادة في وأد الإنسانية، والوصول بها إلى ذات أودية المهالك حيث الفناء الأخير في استلاب يدور بين سادية وضحية والضحايا معا في مسرب النهايات المفجعة.

ويعبر النص في كابوسه الرابع عن اجتذاب (الأنا) المستلبة للأقدار المؤلمة فتغدو في ثنائية (عشق، رفض) تغالبهما حالة الالتقاء في الفناء فتكون النهايات المؤسفة في الوداع حيث لاعودة للروح والأجساد على مسرح الحياة في الاستلاب، وموطن مركزية النص يشير إلى التقاء الكوابيس الأربعة في لغة الفناء الدامية. ويتجسد قانون الجذب المتأصل في حالة استلاب الأنا بمساحات واسعة في الكابوس الرابع ومفاده مغادرة مكان ينتظر مخاض إعصار جمعي في الطوفان، وتبرز حالة الاستلاب في لغة الهروب في المشهد الكوني، والحال ذاته على تؤامة النسق في حالة الطوفان الاستبدادي حيث الهروب الجمعي في طاعة الطاغية، فتتوالى أعاصير الاستبداد حتى الموت عشقا على حالة الاستلاب في الكل والجزء، في لغة الغرق الجمعية في قانون جذب للاستبداد في كل مقاطع الزمان والمكان، والحال ذاته في قانون اجتذاب الخبرات المؤلمة والكوارث بكافة معطياتها، وهذه هي الشيفرة الرمزية السيكولوجية لحالة الهروب من الإعصار ووصولاً إلى الغرق في قانون جذب بين الجسد وناموس الكون في لغة الأقدار المؤلمة السوداوية، حيث تنتهي الحياة، وتبدأ مشنقة الموت في لغة سطوة البشر وحرمان الحرية ومتعة الحياة والميلاد على الحياة في الآن ذاته أو في سطوة المادة والدمار حيث تنتهي الحياة في البدء قبل النهايات أو سطوة جذب سلبية الأنا للخبرات المؤلمة وسوداوية المآل في تماهيات استلابها وتؤامتها مع الأقدار المؤلمة تباعا في نهايات النهايات المؤسفة.

والنص موضع الدراسة، مادة ثرية للاستلهامات وتحديد زوايا الاستلاب في الأنا الفردية والجمعية، ويعبر عبر فنيات القص فيه عن لمسات سيكولوجية غاية في الروعة ودقة التوجيه، وندرة المعاني الجامعة التي تمس الفرد والمجتمع والواقع معا، ويعكس ذكاء التشفير في يراع مبدعها، وتعالى وتيرة التشويق في إبداعية المخيلة القصصية وتفاصيل جزئياتها

الدقيقة، في مزية تتسم بالمحافظة على جوهر الفكرة وعدم تبعثرها في النص، وهذه اجمالا سمات إبداعية القص التي تفرد فيها د. عبدالرحمن يونس، وتشكل لمسات مميزة في القصة السورية الحديثة، ولا يسعني في نهاية مطاف النص إلا أن أزجي لحروف مبدعنا البنفسجية كل تحايا إبداع والتقدير، ولتصبح كلماتك دوما على إبداع وعطاء وفي سلامة من كوابيس الملمات.

- محور تصوير الواقع في لغة عاشقة رافضة/ نموذج تطبيقي:

قراءة تحليلية نقدية في نص أصابع العبد"* للكاتب محمد عبد الله الهادي

تفتتح أصابع العبد "سيمفونيتها الريفية العذبة برقصات الطبيعة في لغة أحداثها الحارة مع تأجج الشمس المرسلة لهيبها الحار إلى الجذر الشامخ ونفوس دافئة بعفوية الحس تسكن جسد الطبيعة ومفردات كون في حراك لغة كائناته الحية في النص بين الحر وبرد الأرض في الماء المعبر عن تدفق الحياة في عمر جفاف الأوراق التي وأن جف زمانها وعصرتها مادة الأرض فإن في عمرها فسحة حياة وتدفق نحو ميلاد صفحات جديدة لها على بحر الأنكسارات وعذابات المعاش. واتناول أبعاد الرؤية النقدية للنص من خلال المحاور الآتية: عنصر الزمان

يدور نص أصابع العبد" في ظهيرة حر يوم ما من مذكرة أيام العمر المترعة بتضادات الحال بين قيظ الظهيرة وبرد الضحكات وعفوية اللحظات الراقصة التي تقطع مفصلها حدة لحظة، تغلف كواليس تلك اللحظات وتحمل معها لغة الانكسار في المادة والروح معا، في ظلال بؤرة ضوئية قاتمة الأطياف تقابل البؤر الضوئية المشرقة انعكاسا قزحياً يسلب الأنظار والقلوب معا في مساحات النص ما قبل إسدال النهايات.

وتستنطق سطور النص زماناً مقيدا بصفعات الزمان الصارخة الشحيحة بعنصر المادة إذ انه بوعي الشباب الريفي الواعد الأكسجين الذي يمنح أنفاس الأرض نبضا متزنا في حراك قلبها، تتمكن من خلاله من فتح صفحة جديدة في ميلادها، وإلا تسارعت أنفاسها في اللهاث الذي يحشرج روحها ويجعلها حبيسة الانكسار وشروخ الألم الممزقة للأحشاء في

انتظار حلم البحبحة بعد اختناق الأنفاس وانسداد شريان الحياة، وهذه خلاصة معادلة البوح في نفس أجيال الأرض الواعدة، لكن تلك المعادلة التي يدور رحاها في عقول الشبيبة لا تستقيم مع جذر الأرض الذي يأبى الانسحاب من هوية الوجود في منبت الجذر.

عنصر المكان

وتنطق حروف نص "أصابع العبد" في أجواء ريفية تصطلي بلهيب حر الشمس في قيظ الظهيرة، وتتساقط هناك الأوراق في أتون أجوائها المنكسرة، في ظل تصوير مبدع لشجرة "أصابع العبد" واشراقات القطن الذي عصرته حدة ضيق المعاش، ومنزل ريفي يجتمع القلوب في عشه الدافئ تحت ظلال الضحكات البريئة والتطلعات الصامتة في رحلة الأفق البعيد.

الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات الواردة في النص وأدرجها على النحو الآتي:

شخصية الأب: هي نبل ذات تعبر عن حالة التوأمة مع الأرض والجذر في سماءات الفكر والشعور المتعاضد، إذ لا ينفصم أحدهما عن الأخر، فعندما توجه بوصلة تأملاتك في الأرض وسلة عطاءاتها في أتون قيظ الظهيرة فكأنما تلقي نظرك في تؤامة التجانس على جسد كادح متفان في عشق الأرض، يحيا بقلبه وتضحيات جسده مع مفرداتها كأنه القلب في أحشائها وسر حراكها، وكهولة عمرها المضني عطاءا في الوجود، فكلاهما فيض عن الآخر وكلاهما يعكس الأخر في تؤامة جسد واحد كادح معطاء.

بطل القصة "السارد" ويعبر عن عفوية ورقة خضراء تتطلع في امتداد همتها لتعلو في سماءات أغصانها وفق رؤى أحلامها الناعسة على الأغصان، فترنوبابصارها الحالمة نحو أكسجين ما في الأجواء البعيدة تستمد منه رمق مادة الحياة في المعاش وفي الآن نفسه تحن تلك الورقة الخضراء الشابة لجذر الأرض الصامد في بطن الأرض وسكينة الآمن ونبذ الأغتراب ومتتاليات الانسحاب لكنها مرارة الواقع التي تنقش مساحات التطلع لعوالم الغربة لا محالة في عمر كل ورقة خضراء شابة على الأغصان زينب: أنغام الحب المغرد في أجواء مفردات الكون المتناثرة ماسا على صفحة النص في حس البراءة ودفئ المشاعر وذكاء

الإحساس وانكسارات القلب أمام لغة حدة المعاش في متتاليات تساقط هيبته أمام مجريات الأحداث الحارة الصارخة بين عينيها فلا مجال لإنكارها... تجاهلها لا مجال متاح إلا لغة الاعتراف البريء بتداعياتها في أهات حزينة تغلف النص برقة مشاعر أنوثة ريفية القه الجمال في قوام الكلمة ونكهة عبق التعبير.

الأم: صورة الأنوثة الحانية في رتابة الحس وعشق الأرض وكدح المعاش ولغة الوفاء لرسالة الأمومة في تدبير المعاش، وإضفاء النسمات على محيا الأبناء، وبريق العين في استلهمام عمر الأبناء في الآفاق في ظلال أعشاش الطبيعة الدافئة بالحب الرقراق بين أبناء اللحمة الواحدة في مستقبل أنشودة الزواج.

عبلى: براءة الأنوثة الريفية وتعلقها بالطبيعة، وتشكل تلك الشخصية لبنة إكمال لمنظومة دائرة السرة الواحدة التي يجتمع فيها الأب والأم مع الأبناء وابناء العمومة في نسيج رحمي واحد يغلفه مغناطيسية الجذب في المشاعر ولغة الجسد في اللعب والتفاعل مع الطبيعة الحية في النص

مصطفى: حس القرابة المتشابكة في لغة الرحم الواحد وبهجة عفوية التلاقي الريفي الدافئ في لحمة القرابة ولغة الإحساس الكلب: مفردة حية في النص تعبر عن تدفق الحياة بكل مكوناتها وأجناسها في النص في لغة أجسادها ورمزية حراكها في حروف النص الريفية، وقد اختزل الكاتب لغة التعبير عن هذه المفردة إشارة منه إلى ضيق مدى تلك البؤرة الحية في النص وانها مفردة مستهدفة من قبل الكاتب لتشكيل قيمة جمالية تصويرية تعبر عن تدفق الحياة بكل أجناسها وأشكالها في هذه النص المبدع في التصوير ولغة التعبير.

الناس: الإيحاء الاجتماعي في النص الذي يعبر عن لملمة أهل القرية عند الأحداث الغريبة المدهشة المفاجئة على بسيطة الأرض الريفية، بسمت يفوق طاقات الاتصال الحديثة، إذ يحرك ذلك الإيحاء الاجتماعي سليقة الفطرة الريفية في معاضدة وتفقد الغير ومتابعة أمره وخبرة في إيقاعات ضجيج متتاليات مفاجآت الأحداث في عقر داره.

عقدة القصة:

وتشكلت تلك العقدة في إبداع الكاتب في تحريك بوصلة لغة السرد الدقيقة واستخدام جميع الياتها في القص المشوق في تصاعد وتيرته والجذب في لغة الذوق العالية في براعة تمكن أدوات تصيد العبارات والتركيبات الريفية للألفاظ التي تعبر عن ارث الكاتب ومنظومته اللغوية المبدعة في هذا الصدد وتشكلت تلك العقدة في "شجرة أصابع العبد" وهي اللحظة المبدعة التي احتبسها الكاتب في لغة القص عنده وكثف مدارات الشخصيات واليات السرد في الدقة والرتابة الوصفية وإيقاعات الطبيعة في أنغام التشويق في تكثيف سردي يدور حول هذه الشجرة والدوران المحلق للشخصيات حول أجوائها الريفية الحارة، بحث ألت في حس قيادة قلم مبدعنا للنص على أنغام التشويق إلى السقوط المثير على بسيطة الأرض في براعة يشعر معها بتساقط الحروف والسطور معا عند تلك اللحظة المفاجئة المحتبسة في أنفاس قلم مبدعنا.

لغة الكاتب

تبرز في لغة كاتبنا المبدع قوة بارعة متمكنة في توجيه بوصلة لغة الوصف المشوق الدقيق في كلا إحداثيات المكان والزمان الدائر فيها، ويستقرئ الناقد من خلالها، منظومة ثقافة الكاتب في نصه القصصي، موضوع دراستنا، إذ لا يخفى علينا ضرورة أن يكثف القاص مادة ثقافته في عمله الفني،بكل أبعاده، حتى يحظى بمرسوم النجاح والتميز لعمله في الرؤية الأمتاعية للقارئ والرؤية التحليلية للناقد، بحيث تكثف تلك الثقافة بحسب مادة النص وأجوائه في الريف أو السياسة أو لغة المجتمع..الخ فالنص قبل ولادته، يكون فكرة منقدحة في الذهن، فيستوجب من القاص حالة إثراء ثقافي لتلك الفكرة المنقدحة في أبعاد لغة الوصف الدقيق المحترف دقة وثراءا، بحيث تعبر الشخصيات عن ذاتيتها بعفوية تلقائية وعدم تضاد، بصورة تلغي اثر الكاتب وتدخله الذي ربما يكون متناقضا مع الشخصية وقولبها المهيئ لها، فإن عدم التمكن في بعد الثقافة الخاصة بالنص يعطي محصلة مفادها الوقع في مطبات عدم التجانس مع عوالم الشخصيات وبيئة النص، والأصل ان ثقافة النص الخاصة

المعتملة بقوة في نفس الكاتب تبلغه محصلة مفادها بعد النص المفتوح إبداعا بحيث تتحرك فيه الشخصيات بعفوية وقوة تتناغم مع القارئ واستلهماته دون أن تحدث خدش وفجوة واسعة في النص وخلاصة ما استفضت بالحديث عن ثقافة النص الخاصة به -في جميع ابعادة من الشخصيات والبيئة وعنصر الزمان والمكان ومستويات اللغة وتركيباتها- هو الإشارة إلى ثقافة الكاتب العالية هنا بالنص ومتطلباته من ثراء قاموس مفردات الأحداث، الشخصيات، البيئة، بحيث تستجلب انتباه القارئ في استلهامات القراءاة للوهلة الأولى في النص وهذه مزية إبداع بارزة في النص، تسجل في ظلال منظومة إبداعات كاتبنا في هذه النص المتميز -موضوع الدراسة- الذي يترأى لي كإشراقة شمس في وضح النهار تشرق حروفها على السطور بجلاء وشموخ رصين، وتفرض على القارئ أن يسجل إعجابه وتفاعله الحي مع لغة كابته المبدع في إحساسه المرهف، الذي يقطر نبلا في سماءات الأدب الجميل.

النهايات

تدور كواليس النهايات في حس المفاجأة الموجه بسحابات الأحزان السوداء المتراكمة على مقطع النهاية وتختصره زينب بكلمة "خسارة" في لحظة حب سامية خلف السطور لكنها تنزف قطرة دم تحكي لغة الحسرة في تماوج متضاد بين ثنائيات الحراك الناطق والألم الصامت.. الحب والحسرة، الصعود ومفأجاة السقوط، وإلى ما يسع وما لايسع قاموس تضادات الأشياء في الحياة.

كل تحايا التقدير المبدع المعبقة بالياسمين وأريج الورد النازك لكاتبنا المبدع محمد عبد الله عبد الهادي، وينحني قلمي تقديرا وتوقيرا لقلمه المبدع الجميل العذب الجياش في رقة المشاعر الريفية الدافئة، ولغة التحنان مع الأرض، وجمال التذكار العاشق لبريق الأمل الحاضر الغائب، وبراعة لطاقة التلمس الناعم لهموم المعاش.

محور التعاطف مع الطبقة الكادحة في المجتمع / نموذج تطبيقي:

١- دراسة تحليلية نقدية في نص "الجثمان" للكاتب د. أيمن ياسين.

تفتتح كواليس النص بإيحاءات الإنكسار وصدمة الخبر المؤلم بموت الرضيع، ويكشف النص عن نافذة الروتين القاتل في التعاطي البارد مع معضلات الألم؛

"تركه الطبيب إلى موظف مسئول لاستكمال بعض الاستمارات..أوراق كثيرة بصم عليها لا يدري ما بها.. تنفس الموظف براحة و لملم الأوراق ثم أعطاه أقصوصة صغيرة.."

وتدور أحداث النص في مشاهد اجتماعية مقتطعة من مسارات الأيام المتخمة بالألم وثقل الأعباء، وتعبر عن بعدين في النص هما: بعد الجراح والألم بواقعة موت الرضيع ومترتباته من الحسرة والانكسار وبعد ضنك الأيام وقد اكتوى بطل النص "فرج ربنا" بكدح الأيام وقلة ذات اليد والجلوس صفراً على الطرقات وبين يديه عدة العمل والمعاناة في مشهد اجتماعي صارخ يجرد الواقع من زيفه ويبث أنين جرحى المجتمع على أثير سطور النص وتعبر الكواليس النفسية المطلة على شخوص النص على حجم المعاناة والعذابات التي بلغت حدها في البعض فانكسر من الألم وفي الآخر فنراه يمضي تديره ماكنة الحياة في الذهاب والإياب، لكنها لا تدوم، إذ لا بد أن تطل لحظات الشعور الحادة والتي تبث طرقاتها في النص فتثير الخلجات عند البعض وتحركه ولكن يبقى الصمت هو السلطان الذي يخيم على الجميع تجاه رمادية الواقع السلبية.

وتبرز في النص وحدة موضوعية تكشف الألوان القاتمة في إيقاعات الحزن التي لا تلبث أن يخفف من برد حرها، انسام الأماكن الطاهرة وصلوات المؤمنين، لكن لا يلبث الواقع أن يكشف عن نفثه فيثير نزف الأحزان وقد تراكم زخمه مادة وحسا في حراك بطل النص الشعورية.

وتدور الأحداث في ذلك في مسارات دولابية متسارعة الوتيرة والإيقاع في عكس ظلال الألم والحسرة وتنهدات لهاث قلة ذات اليد في المعاش. وتسجل أحداث القص في أماكن متعددة يتجاذبها النص بين مكان استلام الرضيع في غرفة شاحبة يتناثر فيها طرقات الموت الصارخ في مشاهد تصويرية في مخيلة الذاكرة بحيث تعبر عن برودة الإحساس في

الـذوات المتحـركة في مـساحاتها القارصـة في الـشعور في الوقت ذاته، ومضيا في لغة التضاد المعـبرة عـن تضادات المجتمع في نمنماته وكلياته يمضي السياق في احتضان بطل النص في بقعة طاهـرة بحيـث تقـوى أركانـه في مـساحات صـغيرة في جـسده فيتغلب على أحاسيس الحيرة والذهـول ويركن إلى الاستسلام والدموع ويدور في المسجد هناك حوارات تتغلغل في أعماق فـرج ربناً دائرة بين التسرية والعزاء، ويبرز في النص تصوير فني مؤثر يعبر عن حجم التصاق الأب بأبنه الرضيع وهو في نومة الموت الأخير.

"تمسك بقوة بجثمانه خشية أن يفلت منه من صدمة سائر هنا أو هناك..خفف القبضة فقـد شـعر بأصابعه تغوص فى الجسد الذابل.. خشى عليه.. مرة أخرى شعر بدموعه تختلط بحبات عـرقه.. لقـد مـارس شعورا جديدا عليه..بالحنو و بالخشية على ولده حتى و لو كان جثة هامدة" ويعبر هذا المقطع عن حجم ذبول أعصاب بطل النص وقشعريرته بين الاحتضان الـشديد وانـسحاب اليد المنكسرة ألما تخفيفا على الرضيع في تضادات الشعور الدائر في غيمة عاشـقة للرضـيع تقطـر حـبا وتحنانا إليه؛ بحيث شكلت حجابا قائما في إيقاف شحنات تفكير فـرج ربـنا فغدت هناك الذكريات ذابلة في مساحاتها الخريفية، لا محل لها في وقع قلبه الجريح في مقطـع مـن الذاكـرة مـسجل لـزوجته وهـي تبـشره بعـوض في الطـريق. ويكتنف النص اسـقاطات متنوعة تقطـع مـساحات النص على التتالي وتكسر الفكرة قبل بلوغها حدها في الإشباع وتبقى السطوة لتلك الأسقاطات التي تعبر عن مسرح الحياة الاجتماعي وتضاداته في الفقـر والمعانـاة وزخـم الحراك نحو المادة ولقمة الخبز التي تحمل معها الألم والنشوة الباردة في الآن ذاتـه، إذ تعـبر عـن نفـسها بقـوة في لغـة الـشارع الـذي يـستلم صولة المضي في المعاناة والحـذف في ظلالـه الأسـقاطية الـتي ينفـتق رحمهـا في بقعـة النزع الأخير حيث رائحة الموت واحتـضان الأمنيات والتطلعات والعمر كله تحت ثرى التراب المنسي في لغة الوجود. ويدور الـنص في نهـارات الكـدح وقـيظ ظهـيرة المعـاش والمعانـاة وازدحام الخلق نحو لقمة العيش المتدللة في هـروبها مـن الـناس في لغـة اللهاث والتسارع مع الزمن البعيد القريب، وتتشكل ثنايـئة المكـان والـزمان بقوة في النص بحيث تحملان ثقل النص كله في الإسقاطات وتـشكلان مقوما هاما في الوحدة الموضوعية للنص.

وفيما يخص الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصيات فيمكن إدراجها على النحو الآتي:

بطل النص فرج ربنا فهو رمز للشاب الكادح في مجتمع المعاناة والبحث المضني عن لقمة العيش في ظل العمل البدني الشاق وجسد الكادحين الذي تتقاسمه المشاعر المرهفة والأمنيات الوردية الضائعة وانكسارات الفقر وانتظار لقمة الخبز التي لم تطرق بابه وعدته في النص و في متتاليات الحلم مازالت تدور رحاها في أن تراود يومه في لحظة ما.

الرضيع: صورة الألم ورمز التضحيات المتتالية في حياة ذوي المعاناة والمقهورين في لوحة المجتمع الرمادية وقسوة الأيام.

الطبيب: مفردة اجتماعية تحمل وجه الموت والحياة معا ولكن يغيب قمر الحياة معها في النص انسجاما مع معزوفة الموت الرمادية في النص موظفي حجرة الموت: مسارات الأيام القاتلة وروتينها البارد وتوقيعاتها الزائفة المتشرذمة من لغة الشعور فتبدو في النص في سمت تكوين اجتماعي مؤسسي بارد صارخ متجرد منفصم من الشعور ومتواكب مع دينامية حراك ميكانيكي في عمر الحياة المادي.

الأمام: رمز العطاء والتسرية وغيمة برد تقطر برد سكينتها على القلوب الجريحة المكتوية بالألم الزوجة: تكتم النص في بعد الكشف عن أبعاد شخصيتها ولكن يحمل النص إيحاءات البشارة في شخصها لزوجها في لغة استمرارية الحياة في رمزية أنوثتها المعطاءة في عمر البقاء الزبون: صفعة الألم وخيبة الأمل في معترك الأيام السائق: ماكنة الحياة الروتينية التي تختلط فيها المادة والإحساس بحيث يغيب كل منهما في الأخر في لغة العطاء والعمل الميكانيكي المنتظم في متتاليات الأيام الرجل: مفردة اجتماعية تفرد صفحة التسرية عن الشاب من خلال عملة ورقية تخفف حر مادة الحرمان المسيطرة بقوة قاهرة على مشاعر الشاب إذ غاب معها لغة التذكار للمقطع المكاني الذي يحتضن جثة الصغير في وسط المدافن المتشابهة.

أما أيدلوجية النص فهي تدور في لغة الرفض المتعالية في النص لحيثيات ويوميات المجتمع المثقلة بالقهر والأحباطات إذ تقتل روح الشعور ولا يبدو على الساحة إلا رقصات

لغة المادة والمال ويعبر النص عن حجم التعاطف مع الطبقة الكادحة العاملة المتهاوية فقرا ومعاناة أما لغة القيم في النص فتدور في مداراتها المتجردة من خلايا الشعور الحية باستثناء نمنمات فردية خالجت النص في لغة المسجد وسمت الرجل عند قارعة المدافن الخاوية من حراك الأشياء باستثناء عملة ورقية تحرك صوتها الخافت في جسد الشاب الفقير فتبعث الحياة في عمر الموت الأبدي مكاناً وزماناً

أما وتيرة الإيقاع في النص فهي تدور في أبعاد الحدة والانكسار التي تزداد طرقاتها على القلوب المرهفة مع توالي مفردات يوميات ذل الشاب الكادح في رحلته مع رضيعة في لغة النزع الأخير.

أما فيما يخص لغة الكاتب فقد تراوحت بين المباشرة وتغذية النص بصور فنية تحمل معها لغة المفارقات بين وحي الواقع وعبوره في مخيلة الكاتب الذهنية في اسقاطات رمزية معبرة عن لوحة اجتماعية صارخة بالرمادية السلبية في الحياة بين المعاناة والقهر وسعار قلة ذات اليد الذي يثير انتفاضة الشعور فتبث مناجاتها للقارئ في لغة التعاطف والذوبان الشعوري مع النص.

أما فيما يختص بعقدة النص "الحبكة" وهي الحبة المفقودة في عقد النص الذي بين أيدينا فنجد خلو النص من عقدة النص وما يرافقه من لحظة تنويرية إذ غاب ذلك كله في آتون سيطرة مشاعر كاتبنا المبدع على النص ففلتت منه بعض مقوماته ويعود ذلك لأنه على وجه التحديد؛ استجاب مستسلماً لمشاعره المسيطرة على النص، ففلتت منه أدوات السيطرة على النص فضاع بالتالي مقوما هاما في عناصر القص وهيكلته البنائية، وهذا مأخذ على الكاتب إذ كان من نتاجه سيطرة وتيرة الألم والحسرة التي طغت على النص وافقدته عنصر المفاجأة التي لو انتثرت في النص لزادته بهاءاً وجمالاً وتغريداً في عرضه القصصي المبدع. ولكن ذلك لا ينتقص من جودة النص وإبداعه وتميزه في لوحته الاجتماعية المؤثرة، ويتضح للباحث المتأمل في النص طبيعة الاتساق بين عنوان النص ومادة النص الموضوعية فكلاهما يعبر عن الآخر ويحتفظ العنوان بمفاجأة للقارئ تنكشف عند العرض القصصي ببيان ماهية الجثمان وسره كنه في النص.

وتسدل النهايات في النص في إعلاء صوت ضمور الجسد حسا ومادة بحيث تطغى ماكينة الأيام في رمزية مادتها فتطوي معها الذكريات في لحظة جوع آنية، لا تلبث ان تخيم متتاليات المشاعر والذكريات على الجسد في لحظة ما فيعود إلى متتالية الشعور والمعاناة وهكذا تواليك بين الشعور وسلطان المادة.

تحايا التقدير المبدع الألق الوضاء لكاتبنا المبدع: د. ايمن ياسين ودام تألقه البهي الثري الذي يطل بأمواجه القزحية على لوحات المجتمع الرمادية فيفض الغبار عنها ويعريها في كنه جوهرها في لغة واقعية تحمل معها عنفوان الضمير ونبل الرسالة.

محور السخرية من الواقع الاجتماعي/ نموذج تطبيقي

قراءة تحليلية في قصة "سوء تفاهم"

تشكل قصة "سوء تفاهم" للكاتب هشام حراك لوحة اجتماعية مؤثرة تحمل في طياتها الطرافة وبراعة التشكيل لعنصر المفاجأة في ثنايا إسدال النهايات كعادة المسارات القصصية في قلم كاتبنا المبدع.

وتسجل القصة معاناة متحركة ناطقة من خلال الأحاسيس المبعثرة في أثير القصة المختزل في تشكيل المعاناة الاجتماعية وأثار الفراغات في عنصر الزمان والمكان... الواقع الاجتماعي المتراكم من البطالة والفساد الاجتماعي بكافة أشكاله وصورة التي تتشكل بهيئة إنكسارات في مرآة المجتمع الهشة المهشمة المهمشه.

وتبرز براعة الإختزال المكثف في مادة الوصف لشخصية بطل القصة -العاطل عن العمل- وعابرة الطريق الباحثة عن عنصر المادة في ظل مجتمع الحرمان والمعاناة إذ تؤجج فيروساته السلوكية في الأجواء حمى حارة فتسهم في إحداث الخدش واستنساخ سلوكات مشوهة، قلقة، فاقدة لتوازنها السلوكي والجسدي معاً في ظل معادلة الاستقرار الاجتماعي المنشودة الغائبة.

ويلحظ المتأمل في ثنايا حوارات القصة الموجزة براعة الإيجاز والإيفاء بغرض القصة المحلق في تجسيد حالة القلق والتأرجح اللاسوي لوضعيات المجتمع كافة وقد عكسها الكاتب

في مشهد اجتماعي مختزل حوى كل اسقاطات المعاناة.. والفراغ... وانعدام التوازنات في كافة أروقة المجتمع الصامتة الناطقة من خلف كواليس حروف الكاتب المنفجرة ضحكاً ومقهورة في الأعماق ألماً.

وأسدل كاتبناستار نهاية قصته المعبرة من خلال حالة من التناقضات والمقابلة اللفظية في حراك شخصياته تشكلت في صورة إمراة تستشيط غضباً ملتهباً من الغيظ والمفاجأة ورجل يحاول لملمة شتات جسده المترنح وينفجر ضحكاً متموجاً بنكهة خاصة إذ يخترق حروف القصة.. آفاقها...عوالم الزمان والمكان في كل مقاطع ثنايا جسد قصتنا موضوع الدراسة -بحيث يستجلب إثارة القارئ ويسكنه معه في مساحة القصة الصغيرة وغنمات طرافتها ذات اللطافة في المقال والحال.

ولا يخفى للمتأمل في أثير القصة براعة رسم الفكرة المتحركة عند الكاتب ومرونته في العرض القصصي الذي يطرق القلوب بهدوء ورتابة موجزة في بث الفكرةوالتجسيد الفني لها بإيجاز..وتشكيل عقدة القصة وفكها بأناة وطرافة في المقال والحال.. وإسدال النهايات مقرونة بعنصر المفاجأة.

وتناسق السياق القصصي في استهلاله البدء لصورته الفنية الحية وتناغمها مع النهايات المفاجئة الطريفة.

ولا يسعنيفي ختام رحلتي الغواصة عبر قصة كاتبنا المبدع هشام حراك سُوء تفاهمْ إلا أن أزجي كل تحايا التقدير له ولمجلة أوراق الثقافية التي أتاحت لي الفرصة لتسجيل قراءتي التحليلية النقدية هذه في أثير زادها المبارك.

نقد المجتمع:

١- رؤية نقدية للواقع من منظور نيتشه وجاسبرز*

تتسارع الأيام وتزداد الفجوات وتنكمش حيناً آخر لتلتقي عند مفصل زماني واحد، فيغدو الأمس اليوم، والغد فيهما واحد، وذات الواقع بعينه الذي يجدد جيناته موروثات الماضي وديناميية الحاضر ونشوة استشراف المستقبل، فيتشكل مقطعاً واحداً في ثلاثية

(الماضي، الحاضر، المستقبل) في لحظة سبر عميقة عند الإطار العام للوحة الحياة وأركان وحداتها الرئيسة، وتتشكل هنا التساؤلات في ظل تلك الثلاثيات الساكنة على مقاطع الزمان، هل هي وجه الواقع في آنه أم هي عين لغة الحضارة في كافة أشكال مقاطع محياها في نضرة الجمال وشحوب الطلة، وعند تلك الجدلية الحائرة تتحرك طرقات استلهامات الأوراق القديمة وانتثارات حروفها البحاثة الناقدة في عوالم تؤامية، وترتسم في لغة نيتشه وجاسبرز، في رؤية جمعية لمقاطع زمانية غابرة، وكأنها لغة ناطقة في ديارنا العابرة نحو آفاق مجهولة مبهمة.

فيشير نيتشة في كلماته النقدية العتيقة لواقعه، إنه متأزم حتى النخاع، سواء من سلسلة التفكك الأسري التي تتهاوى شيئاً فشيئا، وانهيار التقاليد، وتواجد تكتلات جمعية لإضعاف الفرد، وبقائه حرف بلا معني في تركيبة المجتمع، وظهور نوع من الزعماء المنافقين المتخصصين في التملق للجماهير وعبادة الدولة، وتسخير الحضارة لغايات همجية، وظهور اقتصاديات المنفعة التي انعكست في إيمان المجتمع بالقيم السوقية، وتسخير غايات الحضارة للأغراض الشخصية، وتبديد طاقات قدر كبير من طاقات الأفراد في هم الكدح ولقمة العيش، حتى لا يكون هناك لغة تفكير في الأدمغة باستثناء هم لقمة العيش، في متتاليات حرمان فكري، وتحويل الفرد إلى عبد للميكانيكا، وتدهور المعتقدات الدينية والأخلاقية، إذ لم يعد الفرد مركزاً للكون ولكنه اصبح فكرة مسخرة في خدمة الأخر القوي. فضلاً عن إهدار آدمية الفرد عبر قنوات التعليم وطغيان البعد التدريسي الجامد، حيث يقهر العمل الخلاق ولا يولد البته، فانتشرت الضحالة فيه، وأصبحت غايته تخريج عبيد من الموظفين السطحيين الملمين بالقراءة والكتابة فحسب في نتاجات سطحية وثقافة قاصرة، لا تتذوق إلا الأعمال الرديئة من الموسيقى والشعر، لذلك فأن انظمة التعليم هذه هي أسوأ عائق لخلق حضارة نضرة، وفي الفن طغت الصنعة على الأصالة والنعومة المخنثة على الفحولة وأصبح شعاره التأثير بأي ثمن، والجري وراء طرائف الموضوعات الغريبة أو المريضة أو المرعبة، وتلفيق الأساليب المستعارة، والخضوع الكامل لأذواق الجماهير أو المجهدين الباحثين عن المتعة أو الأغبياء.

وفي الدين تترأى لك بجلاء سلبية المتدين الذي ينأون بأنفسهم عن إيجابيات الدين والانغلاق في ظاهرية النصوص، وركونهم لحو مطالب الدين عن الدنيا، فضاعت الدنيا في سوء الفهم في سلوكهم الظاهر، وبقيت دفينة الأعماق تعمل أثرها في الدمار للمنهج وحقيقة الفهم.

فضلا عن اختفاء عمالقة إبداع ليحل محلهم نفر من الأقزام الذي لايليق انتسابهم للمهمة الجليلة التي تضطلع بها فلسفة الحضارة والحياة.فلسفة الحقيقة، وتواتر استنساخي على الركون إلى الماضي ورواية تاريخه بنمطية مترهلة.

وفي البعد الأخلاقي بلبلة من المثل المتضاربة الحائرة بين النزعة الإنسانية والتفاؤل والإيثار والرحمة ونوع من الرخاوة والنفاق ومنظومة متناقضات ومنها من يدعو إلى مثالية زائفة تتجاهل الحقائق. وإهمال الذات في الهروب لحو المعاش والآمة وعدم الاستماع لنداءاتها في لغة الوجدان، حيث يغدو الفكر فيها مشوشا، ولاشيء يستطيع النفاذ إلى قاع الوجدان، وظهور آدمية متناقضة من المتسامحين الضعفاء أو من المتعصبين الأغبياء، وبروز أزمة عدم التكيف مع مشكلات العصر.

وبذلك اصبح الإنسان الحديث ألعوبة في يد المتغيرات الخارجية، وتسبب ذلك الاضطهاد الخارجي في إحداث قلق مستبد في الحياة اليومية، فالحضارة الحديثة أضعفت الإرادة الإنسانية في لغة الاستلاب، واحكام نتشة عليها هي أنها في إطار التدهور والاضمحلال لما تعج فيه من تفكك وتضارب وإنهاك.

وينتقد جاسبرز واقعه المتأزم بشكل لاذع إذ وصفه بتدهور الروحية وإصابتها بالهزال وبتنا مهددين باختفاء صفوة المثقفين الذين جاهدوا لترويض أفكارهم ومشاعرهم، وخلقوا لنا كل مفاخر البشرية، والجماهير العريضة محرومة من الفراغ مع الفكرة العاقلة ولاتهتم إلا بلقمة العيش والبحث عن المتع الرخيصة، فلا عجب أن تحل الصحف المصورة مكان الكتب الجادة، لأن الناس يقرأون على عجل مجرد شذرات مهمشة مشوشة، ويطالبون بما قل، ولايهم مزيته في الدلالة، لأنه لم يعد هناك صلة عميقة بين القارئ ومادة قراءته، فضلا عن حالة الانعزال الثقافي للمثقفين فكل غارق في جزئيات تخصصه دون تواصل بين

التخصصات وتلاقيها معا في رحلة الفكر والتغير، إذ لم يعد هناك موضوعات جادة مشتركة تجمع بينهم، مما عزز العزلة الثقافية بين المثقفين في كافة التخصصات، والمثقف بحاجة إلى حالة توعية لمعرفة طريقة التعاطي مع التاريخ، إذ عليهم أن يدركوا أن قراءة التاريخ ليست وسيلة للهرب من الحاضر ومشكلاته أو بقصد متعة دراسة ما فعله جدودهم وأسلافهم. فيحب آلا يكون الإلمام بالماضي سببا في تحطيم الحاضر أو تصوره في صورة مزرية. إن ما نكتسبه من معرفة بالماضي يساعدنا على إعادة خلق الحاضر.

والتعلق بالتاريخ الذي يكتفي بالقراءة لاقيمة له على الإطلاق، فالواجب أن يساعدنا تعمق التاريخ على اكتشاف المنابع التي تغذي الحياة الحاضرة بالأصالة. وينسب باسبرز كل انحلال في الحضارة إلى الإعلام عبر صحفه، لأن نفقات الجريدة ترغم صاحبها على بلوغ غايته في الكسب بأي ثمن ولو أراد العثور على سوق لسلعته فعليه أن يخاطب غرائز الملايين بالإثارة والتركيز على التوافه والصغائر، والحرص على تجنب إجهاد قرائه باستعمال عقولهم والاكتفاء بجعلها معطلة تحت وطأة الحس بغرائزي، لذا اتسمت الصحافة بالضحالة بل بالخسة! وإذا أرادت الصحف الانتعاش فعليها أن تبيع نفسها لمراكز القوى السياسية والاقتصادية، ومن هنا يفتن الصحفيون في تنميق الأكاذيب والتهويل في الدعاية على نحو منفر، فتتعطل المراكز العليا من عقولهم لأنهم يكتبون ما يكلفون القيام به، ولا يستطيع الكاتب الإخلاص إلا إذا سيطرت على ضميره مثل أخلاقية سليمة، وإذا تحدثنا عن رسالة العلم فسنرى اختفاء الاهتمام بالنظرة الجامعة التكاملية منه والاقتصار على العلم بالجزئيات، دون دراية بعلاقتها بالكل، وتقدر قيمة المعرفة من ناحية نفعها بدلا من ارتباطها بفلسفة غايتها الاقتصار على الجزئيات، وبذلك أصبحت نتائج العلم معلقة بالهواء بلا جذور في المعرفة بمعناها الصحيح، لذلك اصبح العالم في موقف سيء فهو يعرف جزءا صغيرا للغاية مما ينبغي أن يعرفه، لأن الحضارة الحديثة لم تلهمه الرغبة الحق في المعرفة بما كان ينبغي أن يعرف، ويبرر جاسيرز نقده القاسي لواقعه بأنه هدف منه إنقاذ ذلك الواقع والحضارة معا مشيرا إلى أن من يهدف إلى المستحيل هو وحده الذي يستطيع بلوغ الممكن.

وهذه المساحات النقدية لعمالقة الفكر الألماني في القرن التاسع عشر لماهية واقعهم المتأزم بالمتناقضات، هي عين واقعنا في عين الألم والنكوص، ولا يوجد تمايز بين الرؤى النقدية المطروحة في العرض السابق وواقعنا المعاصر بكافة أشكاله وتنوعاته في الفكر والسياسة والتربية والفنون والأدب ومسيرة العلم والعلماء والواقع الأخلاقي والرؤية للواقع الديني وأزمته في واقعنا المعاصر، وهذا يعيدنا لمفاصل التقاء مساحات الزمان في الرؤية النقدية، في عين المفكر التي تسبر أعماق هموم واقعه لترنو إلى المستحيل في إبداعية المطلقة من خلال اجتياز محطات الممكن إبداعي في سماءات العطاء والإنجاز، على حد قول جاسيرز، وتلك تناثرات استلهامات القراءات في أوراق عتيقة صفراء، تنسكب بردا على قلوبنا في همة التطلعات وإبداعية المنجزات والرؤى التنويرية في فك أزمة الواقع بالفكر ولغة الحوار الهادئة وتشخيص الداء ومعالجته في التلاقي والتلاقح الفكري في مسيرة علمية عملية معطاءة تتسق النظرية فيها مع مسرحها العملي على ارض واقعنا، وتطول محطات التجاوب مع تلك المعطيات الفكرية ولن تنتهي.

وعند هنا ينحني قلمي لك أيها القارئ الجميل تحية وتقديرا، لأن الحروف لابد أن تصل إلى خط النهايات ولغة الوداع، ولابد من محطة بنفسجية تجمعني معك في لقاء مستجد على الحب والسلام.

٢- قراءة نقدية في قصة \ "مولود عجيب"\ للكاتب "هشام حراك"

تدور قصة "مولود عجيب" في بعد مأساوي مقتطع من جسد واقع الحياة اليومية الدامية المتخمة بعجيب المتناقضات، ولغة الحرمان، وروتين مسارات الحياة، حيث لانهايات ولا بدايات.... حيث الدوران القاتل في سبيل اللاشئ والأهداف الضائعة من ذوي النفوذ المتفشي سطوة، وإغلاقاً للأنفاس، وإتخاماً لها بلغة الحرمان، واللهاث في عوالم اللاشئ في الأشياء وقد برع دوران تحليق كاتبنا المبدع "هشام حراك" في تقديم جوهر الشيء في منظومة واقع اللاشئ في الأشياء من خلال قصته المغلفة برموز حقائق الأشياء، في ثوب لغة ساخرة متهكمة، طريفة في المقال والحال، تعاني الام القهر في الأعماق، فتتفجر ضحكات مهووسة

تهـذي في آفـاق يومـيات الحياة المنكسرة، وقد تنبأت وافترست أشواك تحديات واقعها ولغته الصامتة، فأندفعت في بدء الميلاد والمهد ضحكات ساخرة تخترق حجب غامض غيب واقعها وذبـذبات مساراته فتعلن إفلاسها وسخريتها اللاذعة منه عند أول عناق لها بأكسجين واقعها في نـداءات مـيلادها فيـسمعها الجدران والأموات قبل الأحياء، وترافقها الضحكة المهووسة المجنونة في أروقـة الـزمان والمكـان حتـى عـند احتـضان القـبور الموحـشة لهـا فـتهديها قبلة الـضحكات المهووسـة بلا توان؛ ويجانس حال القبور حال واقعها المعشش بضجيج الحرمان وترامي نسيج عنكبوت إفلاس الآمال والتطلعات وتراقص حراك الناس في مدلهمات الحياة، فيتـصاعد زخم محاولات البحث عن الحياة ولهاث جاري بحاثة عن لقمة العيش، وبريق بصر نـاعس حـزين، لكن!!! ليس هناك إلا الكواليس السوداء التي تسد الآفاق وتكسر الأمنيات، وضـحكات عجيب الحـال والمتناقضات والسخرية المرة من لغة الحرمان التي تدب حيوية في دنيا المعاش والناس.

فـتعلن القـصة - موضـوع الدراسـة- عـن ذلـك كلـه ببدء لغة حروفها من خلال اسـتفهامات سـاخرة وتـستهل في فـك عقـدها الكـأداء شـيئا فـشيئا عـبر مقاطـع الـتعجب وتقطـيعات الجمـل.. الكلمـات ... لتتبعثـر في نهايـة القصة إلى حروف مقطعة تئن من بعد المـسافات وانـين الآهـات المغلفـة في لغة المتناقضات ... وهكذا آثر كاتبنا أن يعبر عن واقعه المتـناقض بجـنس اللغـة في تـناقض أنفاسـها وإيحاءاتهـا التي تشكل للقارئ لوحة مؤلمة دامية بالقهـر في ثـوب مـزري شـكل عـبوراً مـبدعاً من أسوار الواقع وماكناته القاتلة في الحرمان، لتتشكل في ذاكرة لغة الكاتب الساخرة المتهكمة الصارخة الرافضة لواقعها، بقوة وانين وتعج بأبعـاد اسـتمرارية الحـال مـن خـلال الـصياغة المـضارعة لفعـل 'يضحك' الذي امتد فيروساً ضاحكاً متفشياً في كافة قطع القصة الاجتماعية المنكسرة ملتحماً بآهات الاستفهام وعذابات الـتعجب في شخـصية نامـية تحـاول أن تمتد بحيز الزمان والمكان والتطلعات في واقع ثابت لا يعرف إلا اللغة الرمادية في التعبير حيث اللاءات الناطقة واللاشئ من الأشياء.

وبـرع الكاتـب في الـدوران المحلـق في صـيغ النكـرات المجهـولة لأبعاد شخصياته في القـصة حـيث ظـلال التعمـيم في عنـصر الـزمان والمكـان والإيحـاءات المطلقـة للضحكات

المهووسة في مدارج أحداث القصة كافة وذلك كله يشكل انعكاس صارخ ليوميات الواقع التي تشكل نكرات ملموسة في مدارات الأيام وعوالم الأمنيات والتطلعات لأبنائها الساكنين في أحشائها لكنها تلفظهم نكرات في كل يوم وعند كل ساعة وهكذا دواليك حتى لحظة الممات في ظل منظومة مقاطع قصصية مثقلة بالقهر والمعاناة وحرمان الفسحة في التغير.

ويمضي السياق العام للغة الكاتب في التحام وتناغم لمفتاح استهلالية القصة وعقدة الأمر فيها وكواليس النهايات في تحليق لغة الطرافة والمفأجاة كعادة كاتبنا في قصصه عامة المنشورة في موقع القصة العربية.

وتبرز المباشرة في العرض القصصي عند الكاتب في تجسيده عوالم المتناقضات في يوميات الحياة ورسم شخصياتها وأنفاق المعاش المدلهم، إذ ينأى الكاتب نوعاً ما عن فنيات التعبير في أطيافها المتنوعة، وربما آثر كاتبنا ذلك لانغماسه المطلق في لغة هموم الواقع ومتطلباتها من مباشرة العرض في اللغة والمشاهد القصصية، وربما فوت هذا على الكاتب تقديم جماليات تستهوي القارئ عند العرض وتكثيف فنيات الجاذبية في إثراء مخيلة القارئ من خلالها، لكن لا يلام الكاتب على ذلك، لأن لغة الواقع القصصية غدت سريعة الأنفاس ومباشرة في العرض على غرار الوجبات السريعة، تحرياً للإيجاز في (الفكرة، عرض الأحداث، الحوارات، المشاهد) في عوالم الحداثة في القصة القصيرة، وهذا النهج يشاطره السلبية والإيجابية معا وليس هو موضع حديثي هنا.س

وفي ختام إطلالتي النقدية على قصة "المولود العجيب لكاتبنا المبدع هشام حراك لا يسعني إلا أن ازجي خالص تحايا التقدير الوردية له وفي انتظار متتاليات ابدعاته الألقة في سماءات إبداع القصصي.

- محور المواطن والنخبة:

ثنائية (المواطن، النخبة) في كتابات بوفاتح سبقاق القصصية- دراسة تحليلية نقدية

مقدمة الدراسة

لطالما اكتوت قلوبنا بأبعاد تأزم الصراعات بين طبقة العوام الكادحة في المعاش وبين الطبقة الأرستقراطية البرجوازية العاجية المتنفذه في مجتمعاتنا.. المنطبعة في مراتع الترف ورغد المعاش والتنفذ المطلق في إطار رتب عاجية تحكم من خلالها الخناق على الفرد الكادح فاقد كل معطيات (الحياة، المستقبل) في دوامة معيشته الاجتماعية المتأزمة المتصارعة في فكره وسلوكه وابعاد أفق ذهنة الممتد في محطات الآلام.

هذه الثنائية المتصارعة المتناوشة في الأعماق الساكنة هي موضوع هذه الدراسة التحليلية الناقدة التي تحاول جادة استقراء أبعاد هذه الثنائية في الذات والمجتمع، عوالم الزمان والمكان الذي تدور فيه، تجسد النهايات في ظل هذه الثنائية المتلازمة، لغة الكاتب في بث وتصوير هذه الثنائية، في ظل إضاءات تحليلية تكشف ستار قلم الكاتب في تحديده ماهية وكينونة هذه الثنائية المتلازمة التي شكلت خطا واضحا في كتابات "بوفاتح سبقاق"* القصصية.

أهداف الدراسة

هدفت الدراسة إلى تحديد طبيعة ثنائية (المواطن، النخبة) في كتابات "بوفاتح" القصصية... وذلك من خلال الإجابة على السؤال الرئيس في الدراسة وهو على النحو الآتي:

ما هي أبعاد ثنائية (المواطن، النخبة) في كتابات "بوفاتح" القصصية؟

وللإجابة عن السؤال الرئيس قامت الدراسة بالإجابة عن الأسئلة الفرعية الآتية:

١- ما هي الأبعاد النفسية والاجتماعية، المكانية والزمانية، لهذه الثنائية المتلازمة في قصص "بوفاتح سبقاق"؟

٢ـ ما هي طبيعة النهايات التي جسدها الكاتب لهذه الثنائية في كتاباته القصصية؟
٣ـ ما هي طبيعة لغة الكاتب في تجسيد وتصوير هذه الثنائية المتلازمة في قصصه؟

فرضية الدراسة

هناك ثنائية متلازمة تدور رحاها بتصادم في كتابات "بوفاتح سبقاق" القصصية تعبر عن تشكيلة إجتماعية متناقضة في رحم المجتمع الجزائري على وجه الخصوص والمجتمع العربي عامة.

أهمية الدراسة

تتشكل أهمية الدراسة في تقديمها جزئية من الأدب القصصي الجزائري في ظل لغة واقعه ومعطياتها المشحونة بأجواء متصارعة قد أنهكتها الآلام وتكدس المتناقضات في كافة زواياها المنكسرة فقراً... قهراً....جراحات دامية....آهات متشعبة في الأزقة المظلمة الصامتة، كل ذلك شكله الكاتب في منظومة ثنائية متلازمة، تعي من خلالها السؤال والجواب معا، في لغة منكشفة محبطة تنطق بلسان حال يتأجج بالشجن والاكتواء، في ظل أجواء حارة ساخنة؛ تبث لوحة خاصة بالمجتمع الجزائري في اشد لحن عذاباته الاجتماعية.

التعريفات الإجرائية

لأغراض الدراسة يكون للألفاظ الواردة المعاني الآتية من وجهة نظري البحثية المستقاة من مجمل توجهات القاص "بوفاتح" في قصصه -موضع الدراسة-:

المواطن: رمز تعبيري عن الطبقة الكادحة، مهضومة الحقوق، الفئة المنزوية في أفكارها وتطلعاتها، رمز معبر عن حس المواطنة في الامها وأمالها الضائعة وتصدعاتها التي تئن باستصراخ لكن لا يعي صرخاتها أحد.

النخبة: الطبقة المتنفذه ذات الرتب والمناصب العاجية في المجتمع، التي تفرض على المواطن رؤاها، تسلطها، جشعها في هيئة نهم جشع متعالي؛ يلبس ثوب التحضر ولكن بزيف خادع...طبقة تعج بكل معاني التناقضات في أجوائها الخاصة والعامة..

محددات الدراسة

اقتصرت الدراسة على تحديد طبيعة أبعاد ثنائية المواطن، النخبة في القصص الآتية المنشورة في مجموعته القصصية "رجل الأفكار" وعلى شبكة الإنترنت[1]:

- اعترافات رجل مهم[2].
- الأوباش[3].
- الاقتراح العجيب[4].
- رجل الأفكار[5].
- الوفد المرافق له[6] ـ الذاكرة المثقوبة[7].
- الانتحار الأخير[9].

منهجية الدراسة

انتهجت الأسلوب التحليلي الوصفي الناقد في استخلاص أبعاد ثنائية (المواطن، النخبة) في كتابات "بوفاتح سبقاق" القصصية من خلال تتبع عينة مختارة من قصصه المنشورة على شبكة الإنترنت (عام ٢٠٠٣م).

هيكلة الدراسة

تتناول الدراسة ثنائية (المواطن، النخبة) من خلال هذه المحاور الفكرية المدرجة على النحو الآتي:

- الأبعاد النفسية والاجتماعية.
- الأبعاد الزمانية والمكانية.
- النهايات المجسدة.
- لغة الكاتب.
- نتائج الدراسة.

وأدرج محاور الدراسة على النحو الآتي:

الأبعاد النفسية والاجتماعية

تتشكل الأبعاد النفسية والاجتماعية لهذه الثنائية في قصص الدراسة في هيئة أطياف تتجانس تؤامة في وحدة الحس والصورة في غالب أمرها، وأحياناً تتمايز فيما بينها.... وادرج تلك الأبعاد في العينة المختارة على النحو الآتي:

يستقرئ المتدبر لقصة 'اعترافات رجل مهم' انعكاس وتبلور النخبة في صورة متعجرفة سوفسطائية، تمنطق الأمور وفق مصالحها الرسمية، إذ تتشكل تلك النخبة في لسان' رجل مهم 'يتذمر من عوارض مرض انتابه اسمه المواطن، وقد أصيب هذا' المهم' بالقرف من شريط لسان المواطن في التذمر والشكوى، ويعتبر ذلك 'المهم' ان المواطن لا يمتلك حساً وطنيا، وانه يبحث عن وظيفة فحسب، وانه يجب ان يتلقى مزيدا من دروس الوطنية؛ حتى يعي أن الوطن ليس بنكا ماليا لمطالبه، ويختصر ذلك 'المهم' كل مشاكل المواطن في صورة احتفال يجب ان يعبر فيه ذلك المواطن عن وطنيته دون ان يطلب حقا له في وظيفة أو أي حق آخر؛ لأن ذلك يصادم ما يجب ان يتحلي به من حس المواطنة فالمواطن عنده في خانة تقديم الواجب... التضحية... الولاء للوطن. والوظيفة يستحقها عالم النرجسية من كون ذلك 'الرجل المهم' في إطار مصالحة المتبادلة.

هذه النخبة في لسان هذا المهم تتشدق لنا بالوطنية وواجباتها في ظل شعاراته الرنانة الفارغة؛ في الوقت الذي هو أول عدو للوطنية، إذ يرى أن المواطنة مرضاً سببت له الاكتئاب؛ فهولا يطيق رؤياهم حتى ولو في مركبات مارة في الطريق أو على الأرصفة يمشون أو حتى في كابوس عابر في منام طفله؛ الذي رأى نفسه يلعب مع طفل مواطن في قصره؛ لذا اضطر ذلك 'الرجل المهم' إلى نقل ابنه بعيدا عن أجواء الأوباش ليحلق ابنه في مدينة الضباب في ظلال معية صحبة التحضر كما يدعي.

صورة سلبية براجماتية جشعة للنخبة التي تعاني عاجية السلوك، وانتفاء إنسانية الإحساس مع كل الفئات المقهورة ظلماً (الأرملة، الشريف، أهل الشهداء) وغيرهم من شرفاء الوطن المقهورين.

في حين يصور لنا الكاتب صورة المواطن في ظل القهر، الواقعية المطلقة، الذكاء في الرد على تبجح النخبة في الحوار، يصوره في ظل الفقر المدقع، المرض، البطالة، انتفاضة ضيق المعاش، شرف المواطنة، الأمانة السلوكية في الوظيفة.

لذا تتشكل تلك الثنائية في ظل تلقين النخبة للمواطن -الكادح المقهور- دروس الوطينة وفداء الوطن والتغني به بدلا من المطالبات الحقوقية والمالية والتذمر والشكوى من واقع المجتمع والسلطة لأنه يجب ان تقدم للوطن ولا تنتظر منه شيء إنها الوطنية المتفانية التي لا يعيها المواطن... في الوقت الذي تنهب النخبة المال... المكتسبات.... الحقوق لتعيش في رغد المعاش في ظل الإجازات مدفوعة الأجر وترف تسفير أبنائهم إلى مدينة الضباب وغيرها حتى لا يروا مرضا اسمه المواطن.

وفي قصة "الأوباش" تجسيد لنهم جنسي يتأجج في النخبة بشكل سافر عدائي لكل مشاعر الأستقامه والعفة؛ في استغلال بشع للفقر والجوع الذي أحال بيت امرأة وبناتها موطئاً لليالي حمراء، في نشوة وشهوة مستعرة من قبل النخبة، في صورة مزرية من التردي ووقاحة السلوك، قد جسدها الكاتب في تعاقب سيارات الأوباش الفخمة إلى منزل هذه المرأة في جنح الليل المظلم.

وترسم لنا القصة انتفاضة المواطن صالح وتعاضده مع أعمدة إنارة المدينة ليحجب الظلام والسقوط اللاخلاقي فيها؛حيث ترسم مخيلة صالح صورة حالمة للمدينة في ثوب الفضيلة والثقافة.

ويجمع لنا الكاتب في قصته فئات متنوعة للمواطن في صورة رفقاء صالح مع شخصية الحاج علي، وترصد القصة ردات الفعل الناشئة من هذه الفئات الاجتماعية تجاه هذه الصور الساقطة المتهاوية للنخبة في ليل المدينة المظلم، إذ منهم المتهور الذي أشار بحرق سيارات الأوباش، ومنهم ناصح بضرورة رفع لائحة اعتراض إلى السلطة لكف هذه المهزلة اللاأخلاقية في المدينة، ومنهم الساخر الذي يبرر للسقوط في مدينته ويقدم نظرية العاهرة المحترمة، إذ يذكرهم بمزايا حققتها تلك العاهرة المحترمة، إذ بفضل مرتاديها الأوباش عمت أعمدة الإنارة المدينة، وقد طالب بها المواطن الكادح مدى سنوات دون مجيب، ولكن بفضل

مرتادي بيت امرأة الهوى الليلي؛ عمت الأنوار المدينة.. ويمضي ذلك المتمنطق في تذكير رفقاءه بمزاياها وإيجابياتها على المدينة ويعارض صالح ذلك المتمنطق مخبرا إياه بأن هذه المرأة خطر على أخلاقيات المدينة، وتكون المصادفة الغريبة التي أسفرت عن قمة المتناقضات، إذ أن المصدر الذي قصدوه لحفظ عفة المدينة هو وبش محترف في ارتياد ذلك البيت الليلي، وهكذا هي الصورة السلبية التي ترسمها كتابات "بوفاتح" للنخبة التي تدمر المعاني الجميلة في المجتمع، وتتبوئ بوقاحة مواطن الإصلاح والأعمار في المجتمع؛ وهي في الحقيقة فاقدة لكل معاني الإصلاح والاستقامة الأخلاقية، وتتهاوى بلا حدود في السقوط الذي صور لنا الكاتب هنا بعدا منه وهو البعد الأخلاقي، في حين يتعالى حس الولاء للمدينة وأخلاقياتها في نبض المواطن صالح؛ إذ يبذل ما في وسعة لحفظ المعاني الجميلة في المدينة، لكنها سلبية الواقع وتناقضاته التي تدمر كل شيء، ولا تجعل هنا فسحة لتصور واقع مدينة فاضلة، تعشق الأخلاق والثقافة في حس المواطن صالح.

وترصد لنا قصة "الاقتراح الجميل" أبعاد نفسيات متنوعة للمواطن في زوايا تلك القصة؛ فمنها نفسية تمقت واقعها وتشرئب للمنصب وعاجية الرتب في حلم الارتقاء إلى مجتمع النخبة، ونفسية أخرى هي في منتصف الطريق لبلوغ عاجية النخبة، وقد أضافت لنفسها الشكل المتأنق للنخبة في حلتها الخارجية.

فالقصة ترصد لنا صراعات الحقد والتنافس والطموح المتعالي نحو مجتمع النخبة وسطوته الرسمية، ترسم صورة واقعية لمواطنة تئن ألماً من الواقع وسوء التنظيم فيه، وترى أن عقليتها وفكرها المستنير يحمل سبل الإصلاح الاجتماعي واليات حل لأزمات اقتصادية في ظل ما تحويه حقيبتها من اقتراح عجيب.

ويرصد الكاتب نفسية مقصودة من خلال شخصية صالح، إذ أنها في قمة اتقاد الطموح وتتوجه أنظار المتنافسين إليه في هذه القاعة الرسمية التي جمعت المشاركين، ويعتلي القاعة منصة علوية عاجية للنخبة في رسميتها وادعاءاتها الديمقراطية الشكلية.

وترسم القصة امعية سلوك المواطنة مع تلك النخبة في ضجيج التصفيق المتعالي في القاعة؛ في هيئه أبواق مرددة مغردة في سرب النخبة وخطاباتها الرنانة، على عكس "صالح"

الـذي تهيأ للنقاش وسجل اسمه في قائمة المشاركين في المداخلات، لكن كواليس المداخلات انـتهت وأسدل الستار عنها، وقد بقي اقتراح صالح دفينا في اعماقة يئن من احباطات الواقع وتـردياته، إذ كـان مـن المـصادفة ان عجلـة مـضى المشاركين في المداخلات والاقتراحات قد تـوقفت عـنده، ولم يتـسني له المشاركة، وانبرى رجل النخبة لامتطاء صهوة رسمية الخطابات تحـت ضـجيج التـصفيق وبـروتوكولات الاسـتقبالات في ظل تقاليد مزركشة زائفة تعبر عن تناقضات تعج في كل أبعاد هذا المجتمع المقهور.

وتـصور قـصة "رجـل الأفكـار" معانـاة الـبطالة في المجتمع في صورة واقعية يرصدها الكاتـب؛ إذ أن معانـاة الـبطالة شكلت حالة غوص في غياهب فلسفة الفكر تأمل الناس.... المتاجـر.... حراك الناس.... وقع أقدامهم..... في آتون معادلات فكرية تدور في ذهن "رجل الأفكار" - العاطل عن العمل-، و قد ابتدع منها خلاصات براهين للحياة يتسلي بها ويمضي وقته معها من اثر دوي طاحونة الفراغ والبطالة، فهو قد صور الحياة حالة رئيسة، تتفرع منها حـالات فـرعية في المواقـف البـشرية التي تقابله في يومه الفارغ من كل شئ إلا من استقصاء مـزيدا من الحالات ضمن منظومة جزئيات من الحالا ت وهكذا حالات تدور في مركز حالة واحدة.

وهـذا الـدوران في الحالـة.. الجـزيئات... فلـسفة الأبعـاد..قـد تعمده الكاتب ليبرز حـالات القـتل الـذي تحدثـه الـبطالة، إذ تـشكل تـصارع نوبات هستيرية فلسفية في متعاطي الـبطالة في ظـل أجواء الفراغ الذي تقتل طاقاته وتجعله فريسة لدوائر فلسفة الأفكار الفارغة التي لا يجني منها فكرة ولا درهما..

وتتـسارع معادلـة الحـالات مـع هـذا المواطن حتى يصل إلى مكتب الوحدة العاملة وتـتواكب هـناك معـادلات التـساؤلات في ذهـنة حول مبررات طلبة و قد تجمع معه زملائه العـاطلين عـن العمـل في وحدة متجانسة من المعاناة.. إذ جميع متطلبات التوظيف عندهم... وهـنا يـشكل الكاتب بإيجاز شريحة النخبة التي تقابل شريحة المواطن العاطل عن العمل فنجد شـريحة النخبة في هيئتها الفخمة... وهي تشهر أداة قتل أوقات الآخرين في سذاجة متطلبات شـكلية لاسـتيفاء طلب التقديم للتوظيف في برود سلوكها و عنجهية تساؤلات حول التأكد

من رغبة الجميع في طلب التوظيف وكل هذه الاستدعاءات الرسمية للعاطلين عن العمل ما هي إلا بروتوكولات شكلية تعبر عن المماطلة الباردة في شأن مسألة التوظيف وهنا يزيد هيجان معادة الحالات معادلة تلو معادلة عند رجل الأفكار في أجواء التناقضات والإحباطات وقتل الأوقات والمماطلات الرسمية تقابلها طاحونة رحى هستيريا ولادة حالات في ذهن رجل الأفكار الذي دارت حوله القصة.

وفي قصة "الوفد المرافق له" تصور القصة لنا مسرحية تمثيلية من وحي الواقع تدور كواليسها في مدينة أعدت عروسا لاستقبال مسؤول هام في النخبة، جاء لرؤية مشروع تطوري فيها، وقد هيئ هناك ممثل بارع يحكي تفاصيل المشروع... وصور الكاتب المواطن وهو يراقب المشروع بعين ثاقبة وقد انطلى عليه التمثيل فرأى التطور والتقدم في حركة مجتمعه في عمر لحظات، لكن سرعان ما خفت بريق التمثيلية الدعائية وعاد بعد لحظات -خداع- ذلك المواطن وقد تحرر من اثر الإعلان الدعائي ليصل إلى خلاصة مفاداها أن كل ما راه ما هو إلا زخرفة شكلية أريد للمسؤول أن يراها في عزف جوقة النخبة التي أتقنت عزفها وادارة فصول المسرحية على ارض المدينة الصامتة.

وتصور القصة في سخرية لاذعة إحساس المواطن وقد وقفت سيارته بجانب سيارة النخبة الفخمة عند الضوء الأحمر للإشارة وقد غمرت المواطن هناك سعادة خاصة إذ شعر بإحساس ذا نكهة خاصة نادر الأجواء.... إحساس عمره لحظة؛ قد تلذذ به وتمنى لو يتكرر عند إشارة حمراء أخرى، انه إحساس المساواة المفقودة في المجتمع... إحساس المساواة بين المواطن والنخبة في كأس مذاق واحد.

وتنتهي المسرحية عند ازدحام الناس وسوء التنظيم في أواخر كواليس المسرحية ليمضى المواطن بسيارته ذات جيل السبعينات في وسط الركب الرسمي السامي فيكون بينهم فجأة و تنهال عليه هناك انعكاسات عدوى الفخامة والاعتلاء والزخرفة الشكلية لكن سرعان ما أسدلت تلك اللقطة لينتهي الأمر بالمواطن إلى شارع ضيق غير معبد تصطف على جانبيه القمامات والمشردين في أجواء رمادية لمدينته التي تئن بالجراح وهكذا تتراقص على جراحها الاجتماعية مسرحيات ومسرحيات من هذا النوع الساخر الذي تدير كواليسة

النخبة بابتداع دعائي شكلي الزخرفة، خادع هش في الجوهر والمضمون؛ في صور مثالية وهمية للتطور، وفخامة تمثيلية للمشروعات لا تمت إلى الحقيقة بأية صلة بل ان الحقيقة معها بشعة لا تحتمل.

ويرصد لنا الكاتب في قصة "الذاكرة المثقوبة" المواطنة في هرمها المشبع بالآلام والأنكسارات، لكنها ما زالت أصيلة نبيلة، وقد جسد الكاتب صورة المواطنة في شخصية "صالح" الذي يبذل قصارى جهده في خريف عمره للحفاظ على بوتقة التماسك الأسري.

وتبتدئ القصة مسارها في حافلة قطع المكان وذاكرة الزمان معا إذ تحصل هناك مفاجاة غير سارة؛ وتلتقي ذاكرته بصورة فرعونية قديمة تشكلت في مدير عمله في زمانه الغابر، وهنا يشكل الكاتب صورة للنخبة في خريف زمانها وانكسار جسدها والتوائه بعد ارتوائها من بحر التسلط، وتغطرسها في نرجسية الفرعونية الاستبدادية في السلوك، وإحكام قبضتها على الخلق بسياط القهر، فتتقد في تسارعٍ عجلٍ شيطانية ثأر في نفس "صالح" لنيل بعضا من كرامة قد وأدت من قبل غطرسة النخبة المتفرعنة، وها هو الوقت يتيح ذلك في ايسر الحالات، وقد غدت تلك النخبة هنا على حافة الموت، لكنه سرعان ما أطفأ أجيج تلك الشيطانية المتسارعة في نفسه، وركن إلى اعتدال أمواج نفسه، ليسود بعد ذلك التعقل في نفسه، ويسدل الستار عن مشهد شيطاني قد عبث لحظة في ذاكرته.

وتمضي الذاكرة حركة نشطة في سجل شريط تأملاته التي تدور في ذاكرته المثقوبة، وهكذا تنتهي الصورة عند تلاقيه مع حفيدته التي تبشره بحفيد جديد اسمه موسى، فتسطع كلمة من جوف ريقه تتساءل عن ماهية (فرعون النخبة) الذي سيلاقيه حفيدة..

إنها صورة نخبة متسلطة تتكرر عبر الزمان...لا يقوى على إسقاطها إلا الزمن وهو سيفها القاهر فحسب، وصورة قهر وسجن معاناة في ظل استبداد النخبة بالمواطن، إذ يتشكل ميلاد القهر مع ميلاد المواطن في أول لحظة له في الحياة، ويتولد معها ميلاد فرعون و نخبة جديد وهكذا تواليك في سلبية مطلقة متكررة لا تنتهي.

وفي قصة "الانتحار الأخير" يعكس لنا الكاتب المعاناة، ثقل الإحباطات التي تتجاوز خط الانتحار المعنوي الخائر في نفس المواطن "صالح" لتبلغ خط القرار بانتحار الجسد كمتتالية

طبيعة بعد انتحار المعنويات في النفس المقهورة إحباطاً فتتشكل فكرة الانتحار عند "صالح" على جسرقسنطينة، حيث هناك الأجواء المناسبة لهذا الانتحار التاريخي في نفس"صالح" وهذه نتيجة متوقعة لأبعاد البؤس التي تثقل عبء المواطن بالقهر والفقر والمعاناةوتدور رحى معادلات فكرية في أبعاد الانتحار المعنوي والجسدي في ذهن "صالح"... ويعكس صالح صورة البؤس والقهر التي في نفسه على رواد تلك المدينة إذ يعتبرهم ينتحرون كل دقيقة فهم لا يجدون خبزا ولا سكنا بل هم منتحرون.

لكن انسام"وادي الرمال" في تلك المدينة هي التي تبعث فيهم الحياة من جديد وهاهي أقدامه تطؤ الجسر، وتحلق نفسه هناك في أجواء بعيدة؛ يتحسس من خلالها أصوات الركب السابق من المنتحرين وهم في أهبة الترحيب به، لكن هنا على غير عادة كتابات "بوفاتح" يبرز رسماً جديداً لشخصية "صالح" وقد اتقد فيه الأمل وجذوة المستقبل؛ عند إنقاذه طفل تقدم عليه سيارة تتحرك بسرعة جنونية وقد انشغلت عنه أمه؛ فهنا تتشكل صورة النبل والشهامة في شخصية المواطن المحبط معنويا، المنفجر بؤساً وقهراً، ولأول مرة في هذه المجموعة القصصية المختارة للكاتب "بوفاتح" تغرد طيور الأمل والاستبشار و تحلق في نفس المواطن، فتشرئب نفسه للأمل ويتسع مداها، فتلقي عنه خور إرادته وثقل الأحباطات في نفسه وجراحات مصاعب الحياة، فيشعر "صالح" انه القي بكل هذا الثقل الموجع في أعماق وادي الرمال، لتسيح روحه في آمال متجددة في ظل واقع مؤلم مزري محبط، وهنا لا نجد شخصية النخبة لكنها ساكنة خلف السطور، ففي كل حرف معاناة وفقر وجوع مضني وتشرد موحش و حالات انتحار تستشري بجنون على جسر الانتحار في مدينة قسنطينة؛ تبرز معطيات سلبية النخبة وتنفذها وامتصاصها الجشع في صورة الواقع المتصدع جوعا وقهرا... آلماً وتشرداً.

الأبعاد المكانية والزمانية

وادرج الأبعاد الزمانية والمكانية لثنائية (المواطن، النخبة) في قصص الدراسة المختارة على النحو الأتي:

تدور قصة أعترافات رجل مهم' في اركنة المكاتب الرسمية واروقتها، حيث بهو تلقي شكاوي وتذمر المواطنة، في مدينة الإنكسارات التي تزداد انكساراً واعوجاجاً وحلباً لأموالها في خدمة فئة النخبة من اجل منازلهم الفاخرة وسياراتهم الفخمة وغاية الإجازات مدفوعة الأجر، وتأمين سكن لأبنائهم، بعيدا عن مرض المواطنة في مدينة الضباب.

وهكذا دارت القصة في نهارات الكدح والتعب وبث الشكوى والمطالبات بالحق المقابل للتضحيات.... أداء الواجب..أ مانة شرف العمل.... في نهارا ت تمضي ويبقى معها الفقر... الانكسارات... الكدح... في عمر المواطنة ويزداد معها الترف... رغد المعاش.. مقدار الأرصدة المالية.... في عمر النخبة المترفة في المجتمع.

أما في قصة 'الأوباش' فإن القصة تدور في أرجاء مدينة تتعاضد معها أعمدة الإنارة لحجب الظلام، وحفظ ثوب العفة على جسدها.... تدور في مدينة المواطنة التي تئن بانعدام الخدمات والرعاية الرسمية من قبل النخبة لكن بيت امرأة الليالي الحمراء حسم المسالة فأنهالت على المدينة الخدمات بفضل الأوباش الذين يرتادون منزلها الليلي أما الزمان فهو الليل المظلم الموحش الذي يئن من نهم الاستهواء الحنسي الذي يدورفي زاوية منه تحت مظلة تواكب سيارات النخبة لهذه الزاوية المخصوصة ليرسم الليل رسالة ساقطة لهذه النخبة تسجلها لحظات هذا الليل المظلم في تلك المدينة المقهورة ماديا ومعنويا، في صورة الروح والجسد معا وفي استواء تام للمعاناة.

أما في قصة 'الاقتراح العجيب' فتدور القصة في قاعة مناقشات فخمة تقود منصتها النخبة تحت مظلة الديمقراطية الفارغة، وتدور في مخيلة صالح الحالمة هناك آليات انتقال اقتراحه العجيب إلى حيز التنفيذ وبوابات التاريخ لكنه الزمن الذي يقف عند أول خطوة لمسار اقتراحه العجيب، ليؤول على عجل من الزمن إلى منصة القتل الحتمي.

أما عوالم الزمان في القصة فهو زمان مخصوص يتعدى ما لانهاية من الأزمان في عمر الواقع المتأزم إذ زمان القصة هنا يحمل مقومات التكرار بخصوبة اكثر ورمادية اشد.

أما في قصة "رجل أفكار" فالمكان هو حافلة المكان والزمان؛ التي كانت رحم ولادة هستريا فلسفة الحالات عند "رجل الأفكار"، ثم تواكب ميلاداً لحالات في الشارع وعند بوابات المحلات، وتولد مخاض حالة جديدة عند مكتب القوى العاملة في رحم متناسخ فلسفي لميلاد الحالات التي تكشف عن زخم التناقضات... الإحباطات.. سرطان الفراغ... أتون البطالة.

دارت القصة في نهارات الشقاء والتسكع في أرجاء المدينة و استهواء للمسير دون هدف محدد سرعان ما نشأ عنه هدف تولد حالات عند رجل الأفكار من اثر فراغات الزمن التي رسمتها البطالة بتألق في عمر "رجل الأفكار"

أما في قصة "الوفد المرافق له" فالمكان هو المدينة التي لبست ثوبا خادعا للتطور والنظافة الناصعة، إذ غدت بكرا في لحظة تمثيلية بارعة لاستقبال عريسها النخبة على شرف كأس مشروع متطور ينطق بجهد النخبة في المدينة، كل ذلك دار في إطار مسرحية أعدت النخبة فيها؛ كادر التمثيل ومسرح العرض وجوقة العزف في براعة تامة.

أما الزمان فهو لحظة تمثيلية تتكرر.. تواكب المدينة في لحظة ما، فيشعر المواطن معها أن أروقة المدينة تغيرت في أجواء خيالية حالمة، لكنه سرعان ما يستيقظ من حلمه المسرحي ليرى الحقيقة في وجهها العجوزي الهرم... المتآكل ألماً معاناة..... تذمراً وقهراً.

أما في قصة "الذاكرة المثقوبة" فالزمان هو ميقات لقاء العائلة عبر حافلة الميعاد عند رصيف المكان والذاكرة في التقاء الماضي والحاضر والمستقبل في ذاكرة واحدة ورصيف زمان واحد يجمعها جوهر مكان واحد سواء كان بالحافلة أم بوابة بيت ابنه؛ التي جمعت التقاء مسار معاناة الأجداد مع ميلاد معاناة جديدة في عمر الأحفاد.

أما في قصة "الانتحار الأخير" فالمكان هو مدينة قسنطينة حيث وسائل الانتحار المتاحة؛ من مباني شاهقة ومبيدات قاتلة وجسور معلقة.

وتركز القصة على مكان اسمه وادي الرمال وتعتبره باعثا للحياة من جديد في نفوس أهل هذه المدينة المنتحرة معاناة.. جوعاً... تشرداً في كل شوارعها وأزقتها الرمادية.

أما الزمان فهو نهارات الكدح والمعاناة ولحظات تنفيذ قرار الانتحار الحتمي من قبل المواطن "صالح" لكن تتولد عند الجسر ميلاد روح جديدة في "صالح" منشؤها إنقاذه روح طفل أوشكت على الموت، فيثني نفسه عن تنفيذ القرار وينبعث هناك في نفسه أمل وتفاؤل في ظل رمادية واقعه الذي يعاني من زخم مصاعب الحياة.

النهايات المجسدة تشكلت أبعاد النهايات المجسدة لثنائية (المواطن، النخبة) في قصص الدراسة المختارة على النحو الآتي:

ففي قصة اعترافات "رجل مهم" تشكلت النهاية في سخرية لاذعة تبرز حجم الفراغ في القوام الشخصي الأنيق المنتفخ للنخبة إذ ركنت في نهاية المطاف إلى ممارسة حل الكلمات المتقاطعة... بدلا من الجدية في التجاوب مع المواطنة ومنحها حقوقها المستلبة في ظل مجتمع القهر وعنجهية النخبة.

وهذه النخبة مادة لسانها الكلمات المنمقة بألفاظ الوطنية والولاء لها وعملها في نهاية القصة هو ذات المسار لكنه هنا ربط لها في ورقة اللهو والتسلية، وذلك تؤامة حالهم في واقع الأمر؛ إذ يمارسون ذلك النوع من التسلية الباردة مع آهات قهر المواطن الممتد في لسان شكواه التي لم يسمعها أحد في عين الحقيقة ولن تجد صداها في وجوده الاجتماعي مع النخبة

أما في قصة "الأوباش" فتدق ساعات النهاية معلنة عن غلبة الأمر لفئة النخبة وتحكمها في مسار المجتمع وانتهاكها الوقح لأخلاقيات المدينة، وذهاب جهود فئة المواطنة الصالحة في مهب الرياح، في سراب تلو سراب، فالاستقامة بعيدة المنال في مجتمع يمارس النخبة فيه هتك ستر العفة في مدينة الفقراء والمقهورين، وهذا تجسيد واقعي مستقى من حس الواقع دون أن تتدخل فيه المخيلة الحالمة؛ إذ لا يوجد إلا عزف جوقة النخبة على ألحان هتك عرض المدينة، في نسائها الجائعات في الليالي العابثات.

فأنـى للإصلاح أن يكون ومصدر تقويم الإصلاح المنشود هو ذاته من المرتادين الأوباش لهذا المنزل المشبوه.

أما نهاية قصة "الاقتراح العجيب" فإنها تبدو غامضة مبهمة، إذ لم يشكلها الكاتب كما يستحقها زخم البدء المتسارع المكثف في بوتقة تصوير واحد، إذ يبدو أن عجلة الكاتب في إسدال ستار القصة خفف من حدة رنين النهاية فلم تتشكل فيها بحرارة حس البدء فكانت باردة في إحساسها وقد جسدها الكاتب في ظهور صورة صغيرة للمواطن صالح في الجريدة الرسمية لذا كانت النهاية لا تتناسب مع المساحة الهندسية المتوقعة لمسارات أحداث القصة المتسعة.

وخلاصة ما يبرز للمستقرئ من نهايتها يتشكل على العموم في إحباط الواقع وقتل الطاقات وإجهاض فرص الوصول وقطع كل محاولات الخلاص من مستنقع المجتمع المزري وجحم الهوة بين الواقع الذي يقتل الطاقات وبين مخيلة صالح الحالمة في آماد الإصلاح والإنجازات

وتتجسد نهاية قصة "رجل الأفكار" في ميلاد هستريا حالات فلسفية تتناسخ إلى ما لانهايةفي ظل سوداوية الحالة بين المواطنة والنخبة وفي ظل انسلاخ المواطنة في أتون موت بطيء اسمه البطالة..... وبرود النخبة العاجية التي توفر مجانا أفيون ولادة حالات فلسفية للمواطن العاطل عن العمل مما يزيد أجيج هذيانة اللامتناهي في وجوده الاجتماعي.

وتتجسد النهاية في قصة "الوفد المرافق له" في كشف اللثام عن الحقيقة لتغدو في واقعها الحي... في أجواء مسرحية زائفة، إذ يغادر جمهور الحضور المكان، وتغادر جوقة النخبة والعازفين في فرقتها، ليسدل الستار عن مدينة تئن من شوارع ضيقه غير معبدة تصطف على جوانبها القمامة والمشردين مما يجعل المواطن يقرف من هذه المسرحيات العابثة؛ التي تلبس قناعا خادعا؛ يخبئ حقيقة الفقر والجوع القهر والتشرد المستشري في المدينة، لتبدو المدينة في لحظة عزف نخبة عابثة، مدينة الأحلام البيضاء ومسرح المشروعات المتطورة.

أما في قصة "الذاكرة المثقوبة" فيكشف اللثام عن ماهية حالة التفرعن إذ هي سرطنة متفشية لن ينهيها أي شئ إلا سيف الزمن القاهر؛ إذ يحولها إلى قطعة مهمشة على رصيف الأحداث، ليتولد بعدها فرعونية جديدة في دماء شابة، تمارس آلية التفرعن من جديد، وهكذا تواليك.في مسلسل لا ينتهي.

'الذاكرة المثقوبة' نهاية رمادية واقعية ترسم الواقع في عين الحقيقة دون خداع ولي للحقائق.. نهاية لا تتدخل في رسمها المخيلة الحالمة.

أما في قصة 'الانتحار الأخير' فقد أسدلت النهاية في ظل عزف إرادة إصرار على البقاء منشؤها إنقاذ روح أوشكت على الفناء (فالدافع الذي جعل صالح ينقذ الآخرين سيحفزه بدون شك على مواجهة صعاب الحياة).

لذا ولدت الإرادة هنا بأمل واستبشار... في عمر المواطن المحبط 'صالح' فرمى بخور إرادته في وادي الرمال، إذ تشكل من انسامة ولادة جديدة لروح 'صالح' في انتصار الإرادة على المحبطات وامتلاء النفس بطاقة فياضة من الأمل في ظل أجواء مشحونة بالجراح والإنكسارات.

'الانتحار الأخير' نهاية غير عادية، جديدة في نكهتها وعزفها العام، تسير بمسارات مختلفة عن النهايات التي شكلتها كتابات 'بوفاتح' للمواطن المقهور على وجه العموم، وشخصية صالح على وجه الخصوص إذ نجد أن الطابع العام لنهايات قصصه مع المواطن المقهور وصالح هي نهايات رمادية سلبية تكشف بشاعة نهش النخبة بالمواطن ومدى النخر الذي أوصلوا المجتمع إليه إدارياً وسلوكياً.

لغة الكاتب تتشكل لغة الكاتب الأدبية في عينة الدراسة المختارة في أطياف متنوعة يجمعها خط رسم واحد وادرج محاور هذه اللغة في قصص الدراسة على النحو الآتي:

ففي استقراء للغة الكاتب في قصة اعترافات 'رجل مهم' نجد أن عجلة السرد في القصة أثرت على لغة الكتابة فكانت نوعا ما تقريرية مباشرة نأى بها القاص بعيدا عن الأجواء الخاصة للغة الأدب التي سحر بها القارئ في قصص أخرى...ففي كثير من قصصه نجده بارعا في تجسيد نص لغة الواقع مع جمال أدبيات التعبير لكن ذلك المنحى ابتعد عنه كثيرا في اعترافات رجل مهمفسبك القصة في نطاق المباشرة السردية وتسجيل أحداث حوارية.

أما في قصة الأوباش فقد سادت الحوارات التقريرية في كل زوايا القصة في لغة تعبيرية قد تروا حت بين براعة التعبير في النص والفكرة وبين التقرير المباشر للفكرة.

وهناك استخدام حائر للكاتب في قصصه للفظة "أوباش" مما يجعل القارئ حائرا في تحديد أبعادها فهم في قصة "أوباش" النخبة المتنفذه لكن اللفظة تنحو منحاً مغايراً في لغة قصة "اعترافات رجل مهم" إذ يقصد بها المواطن المقهور في ظلال لفة ساخرة به من قبل النخبة.

أما "قصة الاقتراح العجيب" فتبدو لغة الكاتب في تؤامة مع لغة "اعترافات رجل مهم" وربما يعود ذلك لرغبة الكاتب في إنزال اللغة إلى مسرح واقعية الحدث في لغة حوارية تتناسب أطيافها اللغوية مع واقعية الحدث لذا غلب عليها التقرير والمباشرة والسرد الوصفي في عزف لغة واحدة في كلا القصتين.

وفي قصة "الوفد المرافق له" تتشكل اللغة في صورة تعبيرية لمسرحية محبكة الجوانب في ملكات سرد ذكية وتصوير متعدد الجوانب وتلاعب مرن في نقل القارئ إلى أجواء مسرحية عابثة من قبل النخبة... ورسم دقيق لمشاعر المواطن تجاه إحساسه بالمساواة مع النخبة في عزف لحظة واحدة.

وفي قصة "الذاكرة المثقوبة" يبرز هناك المدى الذي غاصت به اللغة في قطع مسافات المكان والزمان في لغة واحدة ثنائية الأبعاد تدور بين المواطن والنخبة في الذاكرة ومستقبل الأيام يفصل بينها واقع سكتت عنه لغة الكاتب وليس ذلك افناءا له بل هو إشارة من لغة الكاتب إلى مدى المضض الذي يلتهب في نفس المواطن من آتون واقعه، بحيث لا مفر منه ما دام المستقبل يهلهل له ويرتقبة في خصوبة تفرعن اكثر وسلبية أشد.

أما في قصة "الانتحار الأخير" فنجد الانتصار البارع للغة الكاتب في إثبات تمكنها في بحار ترميز الكلمة بعيداً عن اسر لغة الواقع ومتطلباتها من السرد والتقرير المباشر فنجد الكاتب يمتلك زمام أمر لغته في قصة "الانتحار الأخير" في حين نجد هذه المزية في اللغة فلتت منه في قصة "اعترافات رجل مهم".

ويستقرئ المتأمل في جميع قصص العينة المختارة في الدراسة، اللغة الرمادية السلبية التي تئن وتعصف بها الصراعات والجراح وهوة التناقضات؛بحيث لا فسحة هناك للأمل والاستبشار ومعرفة حقيقة اسمها المستقبل، فلا يوجد إلا نهايات مأساوية باردة واقعية الجرس والإحساس، باستثناء قصة "الانتحار الأخير" إذ على النقيض من عنوانها فأنها شكلت

بعد لغويا جديداً عند الكاتب، فيه إضاءات بجبحة الأمل والاستبشار، وكسر لجاديف الرمادية وسلبية المسير في الحياة.

ويستقرئ الدارس لقصص بوفاتح الأسلوب الساخر اللاذع المتهكم في كتاباته وبالأخص في تجسيده لهذه الثنائية المتلازمة.. إذ يختلج في نفس القارئ ضحكة مجنونة من أعماق القلب من طرافة صياغة المقال فيها وجرح عاصف دامي موجع في الآن نفسه.

وتبرز في لغة "بوفاتح" القصصية السياحة المطلقة في عوالم المتناقضات والمتضادات في كل أبعاد الشخصيات الزمان والمكان النهايات بحيث لا يسعك بعد كل نهاية قصه إلا أن تزيح عن نفسك بقايا متكاثفة من رماد الأسى والمتناقضات.

ونجد في اغلب قصص عينة الدراسة أن حقيقة واقع المواطن قد تشكلت في شخصية "صالح ".. إذ رسم لها الكاتب ظلالاً لغوية خاصةً بها لتعبر بأنين متصاعد عن طبقة المواطنة المحبطة المقهورة..التي تبلغ حد الانتحار وتعود ولكن لا يبرز التركيز في تحديد سمات تلك الشخصية عند الكاتب إذ نجده يحاول أن يعبر عن هذه السمت الثابت للمواطنة في شخصية صالح لكنه في قصص أخرى يتراجع عن هذا السمت الثابت ويشكل مسميات أخرى مثل قصة "الجوقة والعازف الوحيد"* أو يجعلها مجهولة المسميات مثل "اعترافات رجل مهم" ويلحظ أيضا المتتبع لشخصية صالح أنها ربما تلعب دورا رئيسياً في القصه مثل اغلب قصص عينة الدراسة أو قد تكون ثانوية مثل قصة "سارق القمر"* وهذا يعزز توجهاً متنوعا في رسم شخصية صالح عند الكاتب؟

ولكن هذا لاينفي اتقاد تساؤلات في ذهن القارئ حول المغزى الذي بيته الكاتب في رسمه العام لشخصية صالح؛ التي تثير أبعاد مختلفة من التساؤلات في ذهن القارئ.

هذه خلاصة مسارات رسم لغة الكاتب "بوفاتح" القصصية في تجسيد أبعاد (ثنائية المواطن، النخبة) في عينة الدراسة المختارة من مجموعته القصصية "رجل الأفكار" والمنشورة على شبكة الإنترنت (عام ٢٠٠٣ م).

نتائج الدراسة

تتلخص نتائج الدراسة التي توصلت إليها من خلال رحلة البحث في كتابات "بوفاتح سبقاق" على النحو الآتي:

- هناك صراعات حادة متأزمة بين ثنائية (المواطن، النخبة)؛ تعبر عن حجم الهوة وثقل المتناقضات بينهما، في أجواء مفارقات عجيبة، تحكي عاجية النخبة.. تنفذها.... زخم خطوط الفساد الإداري والسلوكي في رسمها العام، وباثة في ألم دامي... مشاعر القهر....المعاناة.... الأنكسارات المعنوية والمادية، في كل أبعاد حياة المواطن النفسية والاجتماعية.
- تتنوع الأبعاد المكانية والزمانية التي تدور رحاها في هذه الثنائية المتلازمة، وكلا البعدين -من المكان والزمان- يحملان مقومات خصوبة التكرار في أماكن متنوعة وأزمنة متعددة في رحم المجتمع المقهور.
- تتجسد نهايات هذه الثنائية المتلازمة في غلبة الأمر لفئة النخبة وتنفذها العام في كل أبعاد حياة المواطن في صور سلبية ذات أبعاد رمادية مؤلمة، تزيد من ثقل معاناة المواطن، وتُفقدهُ فسحة الاستبشار والأمل في الحياة.
- تتراوح لغة الكاتب بين التمكن في استخدام أدوات براعة التعبير، وامتلاك كل أبعاد فنياتها المختلفة، وبين الركون إلى عجلة الطرح القصصي في سرد تلقائي مباشر.

كذلك يبرز في لغة الكاتب رسم لخطوط متنوعة لشخصية "صالح"، التي استخدمها الكاتب في لغته؛ ليعبر من خلالها عن معاناة المواطن وانكساره، لكن يبرز للمستقرئ عدم تعويله الثابت على هذه الشخصية في التعبير عن معاناة المواطن، وهذا يعكس تماوج رسم كتابات "بوفاتح" في أطياف متنوعة(للصور التعبيرية، الشخصيات. الفكرة،) في كتاباته المختارة في عينة الدراسة.

الهوامش:

* بوفاتح من مواليد ٠٧جانفي ١٩٦٩ نشرت له قصص قصيرة في العديد من الجرائد والمجلات الجزائرية، أذيعت بعض أعماله في الإذاعة الجزائرية، ونشرت له أسبوعية أخبار الأدب المصرية. شارك في العديد من المسابقات الوطنية ونال عدة جوائز، عضو اتحاد الكتاب الجزائريين، عضو جمعية الجاحظية الوطنية.

(١) رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، (الجزائر: منشورات التبين/ الجاحظية، ٢٠٠٠م)

(٢) http://www.arabicstory.net/text.php?tid=٦٦٩.

(٣) رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، ص ٢٤.

(٤) رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، ص ١٩.

(٥) رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، ص ٧.

(٦) رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، ص ٣٨.

(٧) رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، ص ٦١.

(٩) الانتحار الأخير، سبقاق بوفاتح، ص ٩.

* http://arabicstory.net/text.php?tid=٦٧٢.

* رجل الأفكار، سبقاق بوفاتح، ص ٥٣.

سيكولوجيا الأدب وعوالم المرأة

المرأة وإبداعية الأدبية

المـرأة ذلـك السر الوجودي الذي هامت به الحضارات، وأعلنت رسالتها من خلاله عـبر آدابهـا وجمالهـا، تلـك الهالـة الوجـودية عـبقا ولحـن وجود... تلك الكينونة التي تحمل المتـضادات في أعماقهـا، وتـنعكس وجـودا في لغـة الأمـومة ورسـالة الحـياة، تلـك التماهية الـضبابية الألقة في الآن ذاته، التي تتشكل في بلورة صفحتها القزحية منظومة تساؤلات حول تماهـيات ذاتهـا و لغـة الأدب؛ باعتبار أن الأدب هو رسالة جوهر الحضارات على مر رحلة الوجـود، وهذا بحد ذاته يثير تساؤلات حول رحلة غيابها في رحلة الظهور العالمي في الروائع الأدبـية، والمنجـز إبداعـي علـى وجـه الـتحديد. إذ يبرزللمتبع للحركة الأدبية عبر مسيرتها الحـضارية ورحلـتها التاريخـية، عدة مقاطع في ذلك الصدد؛ تستدعي الوقوف المتأمل عندها، ومـنها ثنائـية(المـرأة والأدب) في الإنـتاج والمنجز إبداعي، وهي موضع الدراسة هنا، ويمكن حصر تلك الاستقراءات التحليلية في هذا الصدد على النحو الأتي:

- الظـروف الاجتماعية التي وجهت المرأة نحو رحلة الأمومة السامية عبر التاريخ بحيث اسـتنزفت كافـة جهـودها على مسرح الواقع، وما أعقب ذلك الواقع من انتكاسات سياسـية واجتماعـية وغـير ذلـك، ممـا جعل مسرح القيادة والتفرد الأدبي للرجل في الإنـتاج والمنجـز إبداعـي، وهـذه المعادلـة تـستوعب الـشرق والغرب والعالم كله في جهاتـه الأربـع عـبر رحلـة الحضارات والتاريخ، حيث تعطي تلك المعادلة مؤشرات لجمـود المـرأة في حـدود مسرح الأمومة ورسالتها النبيلة، لذلك لم يسجل لنا التاريخ نظـيرا لشكـسبير في روائعه الأدبية من عالم النساء وان وجد فقلائلن هن، و لم يبلغن حد الظهور العالمي.
- بعـد تلـك المـرحلة التاريخـية الـتي أخذت مساحاتها المؤثرة في تفسير تلك الدلالات الـسابقة الذكـر، بـدأت حـركة الجمـود تنكسر شيئا فشيئا وبدأت تتصاعد ولكن لغة

المجتمع لم ترحم في ذلك، وخير شاهد على ذلك مسارات المأساوية التي رافقت إبداع الكاتبة مي زيادة، والتي تفك جدلتين في حياة الأديبة المبدعة وأدرجهما على النحو الأتي:

- عدم زواجها رغم تهافت القلوب عليها حبا وتقديرا، ومترتبات ذلك تعود في التفسيرات السيكولوجية الاجتماعية للمؤثرات الاجتماعية التي كانت تحيط بقلوب محبيها وواقعهم الاجتماعي والرؤية الاجتماعية لها، في سمت امرأة تستقبل في صالونها الأدبي الرجال، لأن أعراف المجتمع لاتحترم ذلك وتعتبره ضمن ثقافة العيب، ولم يغفر لها في لغة ذنب المجتمع أن صالونها الأدبيمجلس أدب وثقافة وليس امتداد علاقات شخصية بحته.
- النهايات المأساوية التي آلت إليها في حالة الانزواء النفسي الذي لاحقها من نتاج انتكاسات المجتمع ولعناته عليها بدلاً من احتفائه بها، فلم يقوى جسدها المرهف إحساساً وإبداعاً، على تحمل تلك الجراح النازفة في ذاتها من قبل سياط متضادات مجتمعها، فكانت تلك النهايات المؤلمة في حياة الأديبة المبدعة.

وتلك التداعيات تفسر جمود حركة الأدب النسائي، وظهور انشطاراتها في الواقع المعاصر، في سمت الإسقاطات وردات الفعل العنيفة، وبروزها أيضاً ضمن أطر إبداعية هادئة بعيدة عن مسارات الانفصام بين الذكورة والأنوثة، وفي مجال تتبع تلك النصوص التي تكتبها المرأة فإنه يمكن تصنيفها على النحو الأتي:

- الأدب النسائي: وهي منظومة النصوص التي تواجه المجتمع الذكوري ولغاته، وتعتلي من خلال تلك المنظومة مساحات اعتلاء رفض الأنوثة لتلك الذكورة، والتركيز على استبداد تلك الذكورة، وتتشكل من خلالها حالة الرفض لعقدة التفوق، الدونالتي تسجل في المجتمع للرجل؛ في تعاطيه مع الأنوثة التي توصم بالدونية دوما، فتلك الكتابات هي تحوم في حالة الرفض لتلك التماهيات الدونية من قبل الذكورة في حق الأنوثة، وهي ذات مساحات واسعة الآن في واقعنا المعاصر، وتكاد تسيطر على الواقع الثقافي ابتداء والأدبي تباعا.

- أدب الأنثى: ويدور في ماهية مياعة الأنثى وتمايلاتها وغنجها على النص، في لغة الجسد ومعطياتها في الإثارة، والتأكيد على البعد الرومانسي، وليست الإشكالية هنا في الخطوط الفردية في البعد الرومانسي، ولكن الإشكالية تتركز في مياعة هذا النوع، في تشريح لغة الجسد على النص، في أطر خارجة عن أدبيات إبداعية الأدبية، لأن الأدب لغة تعبيرية ورسالة معا.
- أدب الأنوثة: وهو منظومة النصوص التي تعبر عن خط الأنوثة في معطيات النص دون حالة رفض مطلقة مع المجتمع، واتساق مع منظومته الفكرية في حدود رتابة عقلانية، ويبرز فيها خط نقدي ولكنه في بعد هادئ بعيد عن ردات الفعل، ويبرز في ذلك اللون تساميات قلم المرأة في تجليات النص إبداعاً نابعا من طاقتها التي تفوق الرجل في مساحات الإحساس المرهف، ولغة التعبير الناعمة الهادئة، وتجلياتها مع لغة الكون في الطبيعة والجمال، بحيث تتشكل فيها معزوفة تلاقح الأدب والجمال معا على النص، وهذا التفوق في تركيبة اللغة ليس لدواعي الغلبة والدون، إنما هو اختصاص الهي في طبيعة المرأة وإحساسها المرهف النابع من بستان وجدانها المترع بجماليات شعورية هادئة، وهنا يبرز الخط الفاصل بين هذا النوع من الادب والأدب النسائي الذي يركز على خط الغلبة والدون المتهاوي ظلما وانسحاقا، مما يقتضي رفع شأن هذا الدون وبلوغه ساحة القيادة والوجود في إبداعية الأدبية، وفق الرؤى التنظيريه الناشئة من متابعة نصوص ذلك الجين الأدبي_ الأدب النسائي _على مسرح الإنتاج الأدبي والمنجز إبداعي.

وتباعا لما سبق فأن إبداعية الأدبية حالة تخلق وابتكار للنص لاتعرف الحدود بين الأجناس وتماهيات علاقة الاختلاف في الطبيعة البشرية، وهنا أتناول إبداعية الأدبية لتماهيات المرآة في ظلال النصوص الأدبية ضمنمحاور ثلاث:

- المرأة مبدعة للنص في الشعر والسرد.
- المرأة تسكن النص، مادة إبداعية متسامية شعراً وسرداً.

- المرأة ناقدة ومستلهمة إبداعاً من مملكة النص شعراً وسرداً.

وبدأت تبرز تلك الثلاثيات إبداعية في واقعنا المعاصر للحركة الأدبية بشكل لافت للنظر، وبدأت أقلام أنوثة تخط طريقها بجماليات رائعة، وإبداعيات مطلقة في ذلك الصدد، ملغية حالة الجمود التي سجلت في رحلة التاريخ، وتماهيات الحواجز التي حالت دون إبداعية المرأة في توليد النص والسكون لحن جمالا في النص واستلهام إبداعاً من مملكة النص، وهنا تبرز حالة المفارقة بين الماضي والواقع، وفي استشراف المستقبل لتلك إبداعية الأدبية في تماهيات المرأة، يمكن إبراز الآتي:

- ضرورة وضع خط تهدئة في حركة الأدب النسائي والوعي لعدم استنزاف جهودها في معركة لاطائل منها مع الرجل، فالحياة تكامل وتناغم لاتصادم وافتراق، وكلنا يقر أن في الواقع متضادات وازمات ورؤى استبدادية، ولكن بلوغ منصة الوعي والتهدئة، وتجاوز ذلك عبر حركة ثقافية واعية بدلا من الخطاب الانفعالي الحاد، المعبر عن ردات الفعل واسقاطاتها اكثر من ماهية الواقع برمته.
- يجب توجيه جهود المرآة نحو فك عقدة فهم القارئ والمجتمع لخطاب المرأة، في ظل سلبية الواقع وتضاداته، إذ ما زال القارئ والمجتمع يعتقد أن تلك الإسقاطات هي حالة فردية تخص الحياة الشخصية للكاتبة، وليست حالة رمزية مشفرة للواقع والمجتمع، وهنا أزمة الإشكالية، وحالة الفجوة في الخطاب بين الكاتبة والقارئ وتباعا المجتمع، وهنا تتشكل الجدران المقيدة للكتابة وإحباط الكاتب وأزمة الثقافة والمثقف، وازديادفجوة فلسفة المسافة بين القارئ والكاتب.
- التأكيد على توسعة مساحات أدب الأنوثة في كتابات المرأة وسكونها نصا في النص وتوليدها نصا من النص، لأنها الحقيقة السامية في لغة التكامل في الوجود ولحن الحضارات؛ التي جمعت بينالجمال والفن في خط الحضارة الأنثوي والديناميكية والحراك في الذكورة، وهذا الخط في إبداعية الأدبية له تسامياته ولغته الهادئة ونعومته الرقراقة الناشئة من الطبيعة الفطرية التي وهبها الله تعالى للمرأة وزادها بها بهاءا

وجمالا. وهذا الخط الفكري المادي؛ يحتاج أن توجه الأديبة المبدعة أنظارها إليه، وتعيره اهتمامها البالغ، وتحتفظ بجهودها إبداعية من خلاله بعيدا عن استنزاف جهودها في خطوط مشتتة لاطائل منها إلا معارك الكلمات الصاخبة واحتدام مهاترات كلامية بلا فائدة عملية تجنى من ذلك، وبذلك ينتشر إنتاجها الأدبي فيمساحات أوسع هادئة وديعة فيإبداعية المستقبل، وتبرز رسالة إبداعها وردة ترفرففي بساتين العطاء والتألقات اللؤلؤية على الصفحات.

أنا الذكورية ومشاعر الأنوثة المستلبة

قراءة نقدية في نص حكاية عقل للكاتبة ياسمينة صالح

تفتتح قصة "حكاية عقل" للكاتبة ياسمينة صالح كواليس بدء خطاها بخطوط منكسرة ترسم لنا معاناة أسرية اجتماعية يتمخض عنها ردات فعل سلبية في نهج قرارات عشوائية تعبر عن حجم الفجوة والتضاد في أتون حكاية أسرية مؤلمة تدور في عوالم عدم التكافؤ في الزواج بكل معانيه التي تندرج في وحي الطبيعة ومقتضيات التلازم المنطقي في الأشياء إذ تتشكل تلك الحالة في أتون انفجار ذات مقهورة في عوالم أنوثتها وإحساسها الغائب في ظل خيمة أسرية مشتتة غائبة عن وحي الرعاية الوالدية ونبض الحنان المتدفق؛ بحيث صورتها كاتبتنا في عباءة التسلط والتزمت والتفافها في ذاكرة الأنا المطلقة الذكورية في وجه مشاعر الأنوثة المحرومة المختنقة في أزقة الأبوة التقليدية المتعنتة في السلوك... القرارات.. الرعاية الوالدية والشواهد على ذلك:

"أبوها رجل وصادف أنه قرر نيابة عنها.. لم تساهم بشيء.. منذ البدء كانت القرارات تنهال عليها، فلا تملك سوى الاستجابة والخضوع لم ترد.. لم تعلق.. صوته/ عينه/ عصاه اتخذوا القرار الجديد.

وتتشكل في القصة حالة التضاد الشعوري التي تتسع لإستيعاب كل مفردات القهر والأنكسارات في قلب الفتاة النكرة المجهولة التي تدير كل أدوات الأحداث في القصة وذلك مستهدف من قبل الكاتبة لغايات عكس الألم والحسرة والغياب في شخصية بطلة القصة.

والشواهد على حالة التضاد الشعوري الذي حركت الكاتبة من خلاله مفردات قلمها اللغوي لتعكسه بجلاء وعمق غواص في نفسية القارئ

"ابتسمت.. لم تنطق ببنت شفة.. ابتسمت فقط.. رماها أبوها بنظرة شزراء، متهكمة.. ابتسامتها تثير غيظه"

"تساءلت عن العلاقة بين ابتسامتها و غضبه؟"

وتـدور شخـصية بطلـة القصة في مرجل غليان ثورة ذبذبات فكرية داخلية مشحونة بالغـضب... التـساؤلات الحائـرة... المفاجـآت الـصعبة.. إنكـسارات الـشعور في آتـون اللأمتناهـيات... ردات الفعـل الحـادة في اتخاذ القرارات ومواجهة الزمان... المكان.. الأبوة المتعنـتة... الأمـومة الغائـبة الحاضـرة ...انكـسارات زجـاج الأنـوثة الـشعوري... المجتمع الخارجـي؛ فكـل ذلـك شـكل نقـاط دماغية مستعرة تحمل معها عناصر قوة التحدي في ظل انكـسارات قلـبها الـتي يسمعها القارئ الغواص، في أجواء طرقات حارة باردة في الآن نفسه وهـذا نـتاج مخـاض حالـة التـضاد الأسرية والغياب الوالدي إذ تشكلت لنا من خلالها مرآة أنـوثة قلقـة مـربكة، تحمـل القـوة والـضعف معاً في تعالى الصعود للقوة بشكل فج وتساقط الـذات في منـزلقات الـضعف الغائـرة بـلا نهايـات بـسلبية منكسرة، وتتراقص هذه المعادلة الـشعورية المتناقـضة علـى طـرقات سـيمفونية الهـذيان... التـساؤلات... الـبحث الحائـر الفضولي... النظرات التائهة الذكية... المشاعر المرهفة.. الجراح النازفة بصمت... القرارات الهـوجاء الـساخرة... دروان الأنا في التحدي مقرونة بلهيب ألم الإنسلاخات الهائمة في آتون مـشاعر الإحساس.... العذابات.... اشتياق الحنين للأمومة وتحسس نعومتها المطلقة التي لا تلبث تنفجر منها انتفاضة الرفض ولغة التضاد المتحركة في كل اتجاهات دوران بوصلة القصة الحائـرة في جمـيع مقاطـع جـسدها وذاكـرتها المتخمة بزخم الأفكار في الذات والآخر المستبد والمحيط القفص الذي يقيد الحراك... القرارات... نشوة الأمل.. البحث عن الذات.

وفي ظـل تمـنمات تلـك الأحـداث المـوجعة المحـرقة تتحرك عقدة القصة شيئا فشيئاً بسلاسة ورتابة لتكشف لنا هذه اللوحة الاجتماعية المؤثرة لبطلة القصة بكافة عناصر أطيافها الرمادية وأفكارها التي تعج بالفوضى والضجيج المصطخب وفقدان التوازنات.

وتـدور القـصة في زمـان مفتوح لأحداثها بحيث يمنحها الإستمرارية لهذا الجيش من الأحـداث في واقعنا الاجتماعي وتسجل أحداثها في مكان مغلق مقيد يحمل لفة رمزية تخص بـيت أسـرة مكـسورة الجـناح تـنعكس منه مرجل الأختناقات وتدور في مساحاته الضيقة في المكـان والممـتدة في الآهـات وصرخات الذات الثائرة المتولدة من مخاض الحيرة والتساؤلات والـتهكم بمجـريات الأحـداث التي تحوطها وتحشرج صدرها وتعلن نفسها بإنكشاف صارخ

بلغة مفتاح النجاة وتحرر في سخرية ساذجة معلنة في الابتسامات التي تقف حداً موجعاً بين الماضي المرير وعذاباته والقادم بسخرية في ذهول مفاجأته وتناقضاته.

وهكذا تعلن القصة نهايتها في تسجيل حواري يبز لفة التأفف من الأنوثة ووأدها في عوالم الرغبات وسطوة الرغبة الجامحة نحو الوجود الذكوري والتوق لميلاده مقرونة بسخرية صارخة من ميلاد أنثى.. وجود الأنثى... عوالم الأنوثة في الحياة.

ويؤطر ذلك الانبعاث السلبي للرغبات بيت أسرة المتناقضات، الأعراف البالية، التفكك المتوزع في جميع أركانه المعنوية فقدمت لنا كاتبتنا المبدعة نهاية تعزز لغة الواقع المتأزم بإنكسارات المشاعر وإيذاء الأرواح وسلبها طاقاتها في الإنبعاث المحلق في أجواء العدالة الروحية... الأسرية... الاجتماعية.

ويتسق عنوان القصة -موضوع الدراسة- المعلن في لغة الحكي التي لا تنتهي؛ وذلك لأنها تعبر عن متتاليات لامتناهية لتناقضات المجتمع في ظل البيوت المنهكة بأسرارها المخبئة في سلة يومياتها العابرة بحيث يطفو على سطحها بفوضى عارمة مشاعر الأنوثة المجهضة وسطوة الرعاية الوالدية وذبذبات الغرابة في نهج اتخاذ القرارات المختلطة بردات الفعل السلبية، وتتشكل على السطح نبض أمومة بارد غائب مغيب حار في لغة التضاد وكل ذلك أفرزته خارطة دماغية متناقضة مشحونة بمخاض آلام بطلة القصة المنكسرة لذا فقد وفق قلم كاتبتنا المبدعة في منح تلك الخارطة الدماغية المتناقضة جواز سفر أدبي لعنوان قصتها المبدعة فشكلته بـــ"حكاية عقل"

وعند تلك الدقات المئذنة بإسدال ستار "حكاية عقل" أسدى كل تحايا الورد لكاتبتنا المبدعة "ياسمينة صال" وفي انتظار المزيد من إبداعاتها الأدبية.

الأنوثة والوجود

قراءة تحليلية نقدية في نص "المرأة التي تمشط شعرها"

للكاتب د. خليل فاضل

يشكل نص المرأة التي تمشط شعرها إشراقات إبداعية في عوالم القصة القصيرة العربية، بما يحمل من سمات إبداعية تجديدية في السبك القصصي، ولغة الحوارات، ورسم الشخوص في القص في إطار السياحة العميقة في الرمزية المعبرة، فهو يشكل لحظة جزيئة كلية في اختزال اللحظات، ويعكس فضاءاتها بنورانية على الصفحات، في انسياب سردي يتسم بشفافية العرض وتتداخل فيه تماوجات تمتد بين المد والجزر في تشكيل لوحة الذات في لغة الإسقاطات اللامتناهية في عوالم المتضادات، ويشكل ذلك النص مادة إبداعية في لغة الشيفرات السلوكية وآتون تفككها في تناثر الحروف على السطور، فضلاً على انه مادة قصصية تتحقق فيها معادلة تكامل النص الأدبي المتشكلة من اتساق عمق الفكرة وتدفق المشاعر المرهفة وتالقات مسارات التصوير الفني المبدع في القص هذا من جهة ومن جهة أخرى تتحقق فيه معادلة الانعكاسات السيكولوجية في القصفي إطار السياحة العميقة في أبعاد الأنا وانعكاساتها على الزمان والمكان في ظل معادلة "الأنا، الآن، هناك" وقلما يتوفر للناقد في نصوص القصة العربية المعاصرة مثل هذا التكامل الهرمي في التكوين البنيوي في القص، إذ قد تتحقق بعض عناصر تلك المعادلتين لكن من النادر جدا توفرهما معاً في اتساق وتالق جمالي مبدع كما في هذا النص ـ الذي نحن بصدد دراسته هنا ـ.

ويشكل النص مشهدا مقتطعاً من قاموس الحياة التي تتناثر أبجدياته في آفاق الزمان والمكان، بحيث يتسم بتحقيق لغة الكل المنعكسة من أبجديات الجزء في تكوينه، ويعبر من خلال مشاهدة الواقعية ـ التي تتناثر فيها تراكمات اللاشعور في ثنائية الصعود والهبوط معا ـ عن منظومة أسرار العوالم الكلية التي تغلف الحياة في رمزية تلك المشاهد الواقعية التي

تتواكب أجنحتها لتخترق عوالم ما وراء الحقيقة القريبة البعيدة، فالنص في دلالته الرمزية وتعرجات مسارات الذوات فيه هو ابعد من حالة مواجهة بين الذكورة المنهكة المجهدة المتذبذبة بين نداءات استفزاز اللاشعور فيها وبين لغة وجودها في الآن والأنوثة المتصاعدة العابرة إلى ما وراء لغة الصمت في تماهي اسقاطات ضوئية لامتناهية في لغة تأجيج ديناميكية. وما سبق ذكره هو ظلال صورة منعكسة لحورية الماء على صفحتها ولكنها في لغة مباشرة الجسد تحوي عوالم عميقة دفينة في لغة الدرر الخفية في مضمون أبجديات الحياة ولغة التغيير في العمر كله. الآتية لامحالة من مباشرة جسد تلك الحورية في تشكيل صفحة الحياة في بهجتها ونضارة نورانيتها في لغة التغيير في ظلال أبعاد السياحة العميقة في أغوار للنص.

ففي الرؤية الجزئية لمسارات النص تبرز الأنوثة المقهورة في الداخل والتي تتدافع بؤر ضعفها فتشكل فيها ارتخاءات مترعة بهدوء ما قبل العاصفة، فتشرق في مساحات تواصلها مع الأخر لسعات ثقافة الصمت ولغة المقهورين على ذاكرة جسده الغائبة الحاضرة، فتغدو في لغة قوة جاذبة تقلقل كيانه الذكوري فيتماهي في ذبذباتها، فلا يشتعل فيه إلا طاقتها الحرارية دون بلوغ دوائر الوعي المحركة في عالم الجسد، وهذا حال تلك الذكورة تواليك معها، وتغدو حالة المكاشفة في نكهة المفاجآت عند خروج تلك الأنوثة للتو من عوالم تلك الذكورة، وعند انحطاط مادة جسدها ونضارة تلك الأنوثة؛ تتشكل الأبجديات بإشراقاتها بعد أمد من النحت على صخور تلك الذكورة المجمدة في عوالم اللاوعي من الحياة تحت أتون شكليات الحياة وروتينها المستعر واعرافها البالية، وتبرز في النص الذكورة المنهكة التي تتكاتف عليها هالات القداسة الاجتماعية في التعبئة الذاتية بالقوة الموهومة، وفي ظلال تسارع تماوجات تلك القوة الموهومة تتساقط عند بؤر لغة الوعي الأسقاطية والتي تستفز عوالم اللاشعور فيها، فتغدو في لغة السقوط عن عرشها السرابي وتعشعش لغة التآكل على أطرافها المنسحبة من الحياة في ظلال أزيز تعبئة لامتناهية من لغة المجتمع المتواترة إنهاكاً وتعبيئة لاواعية ومداد زخم لأعراف مستهلكة تتداعي مع لغة الحقيقة، فتعكس تداعياتها عليه بحكم قوانين الجذب الطبيعية فيغدو في رفاتها التي تتساقط يوما بعد يوم.

أما مترتبات النص في ضوء الرؤية السيكولوجية للنص والتي تغوص غائرة في بطون دلالات النص في ظل لغة التصميم الكلي لهذا العمل الفني، فإنها تغدو في عوالم اكثر جمالا واستكشافا لأدغال النص، إذ تخترق أسرار الأنا واسقاطات "الآن وهناك" إلى عوالم لغة الوجود في أسرارها الكلية، فتتشكل الأنوثة في النص في أثير انعكاسات مرآة الحياة في أسرارها المخبئة، فتغدو تلك الأنوثة في عين الحياة ذاتها وفي توأمة مطلقة معها لا انفصام بينهما، تحمل معها جسد الحراك في استمداد طاقة الوجود من تناثرات شمس الحقيقة عليها فتغدو اللسان الناطق بها، وتدور مع نجومها في لغة الزمان وتحمل معها أفق الحياة الشاسع في شعرها المسدل على قلب الحقيقة وتغدو السكنات في مضمون اسمها "ليلي" الذي يشرق معه نهارات الحقيقة في سرمدية الخلود فضلا عن ظلال لغة عاشقة في تناثراته مع تراقصات حراك النجوم على افقها المتسع بلا حدود في لغة فضفاضة عذبة للعابرين بحراك نهم نشط عاشق علىمعابر انطلاقاتها في سماءات النضرة والجمال،ولغة مرة في حلق الواقفين المهمشين في سمت جمعي عرفي جامد في كينونة روتينية على معابرها، وهي تمضي في العمر وتحمل معها لغة المواجهة العابرة ولكن المرء يمضي بتلقائية عابرة دون تحريك لعوالم اللاشعور الساكنة فيه في رحلة التغيير المطلقة، فتبرز في النص في ذلك الرجل الساكن الذي يلف جسده ثوب الكمال الكلي المغدق عليه من هوية المجتمع، فلا يتعدى اثر تلك المواجهات المتكررة من مجرد ذبذبات فوضوية في أعماق اللاوعي الدفينية فيه، وتتشكل منها قوة عشوائية فيها لغة الجنون المستعر من الداخل والتي تنكمش عند لغة الحياة ولكنها تصر أن تمضي في مجريات روتين مسارات الحياة التي تضج في فوضى المتضادات دون نتاج فاعل في تغيير الذات، وهكذا تواليك تمضي في كهفيتها المطلقة وجودها الحار البارد الهارب من لغة الحقيقة، حتى تبلغ محطة النهايات في ذاكرة الجسد فيغدو كائناً هائماً على وجه الأرض في ذات أسمنتية لا تتحرك نحو الأفق وتعمل فيها ترسبات الجمود فعلها فيغدو على شطآن النهايات في انتظار إسدال الستار عن جسده في ظلمة الواقع المدلهم، في حين تمضي الحياة في القها وجمالها ونضرة جسدها، وتداعبنا دوماً بذبذبات المواجهة والانطلاق لتحرك معاقل الجمود فينا وتبعث نشوة الحياة وحرارتها في ذاكرة أجسادنا، لكنها لاتبقى جامدة عند رفات

أجسادنا حتى نولد، فهي تنفخ روحها وتمضي نهمة نشطة، تاركة وراءها الأجساد المعطلة المتجهمة وقوفا في جمود أسمنتي، فربما تنتظرنا بعض الوقت لكنها لا ولن تبيع ذاتها لأجساد معطلة كل الوقت، وتنتظر منا أن ننال منها حظوة احترامها في حراك ذواتنا نحو آفاق التغيير، هي لابد أن تغادر ديار المعطلين المظلمة إلى أنوار الوجود الساطعة بحاثة عن أجساد تعشق الحياة لتمضي بهم نشطة نهمة نحو معبر الحياة في نضرة الوجود ولغة التغيير السرمدية، والحياة مفاجآت ومواقف ومواجهات، تقتضي مواجهة الضعف بالانطلاق ولابد للأجساد المعطلة والرفات الملقاة على الطرقات أن تلتقي في لحظة المفاجآت برذاذ ماء الحياة من أجواء ندى جسدها ولا بد أن يخلق وجودنا في وجودها من جديد، ولا بد أن تردد الحياة دوما؛ ساحاولك مرة أخرى، في لغة الوجود مرات تلو مرات، لعلك تعي بذرة الوجود في ذاتك فترى الخواء المحيط بك، فتلقي عنك نقاب سمومك التي تحيلك حالات وأد مستشرية في الوجود، فتخلق فيك الحياة من جديد نحو آفاق التغيير ورؤية منسابة في الهدوء والجمال للوجود، فتخرج من جدران الجسد وازقتها المظلمة إلى سماءات الحياة المشرقة فيعي ذاته التي تسكن جنباته ويعي هالات الوجود التي تحيط به، فيناله بها نضارة الرؤية لذاكرة جسده ودقات ساعات "آنه" وجدران عوالم "الهناك" التي تأسره بجدرانها، فيعي هويته من جديد وميلاد وجوده لكنها يقظة متأخرة في الاستنهاض عند عتبات انكسار لغة العمر، وهنا يسدل النص أشرعته على حراك ذبذبات الوجود في الأنا الساكنة فيه واسقاطاتها على الآن وهناك في عمره، فتحدث زخم فوضاه فيه، ويسمع القارئ المتذوق دوي حراكها، في النص كازعاجات صراخ طفل للتو ولد على وجه الحياة.

وانطلاقاً مما سبق تحليله في ظلال مختبر اللغة السيكولوجيه للنص، تتشكل لنا تباعا تألقات الجمال في السبك القصصي للنص، وإبداعاته البهية في رمزية التعبير لمضمون الأنوثة التي تسكن أعماق النص في سماءات لغة الحقيقة وحالة التضاد في الذكورة التي يتعالى صوتها لكن في ظلال جسد جامد، تتصارعه قوة منوعة من استفزاز اللاشعور و انكسارات الزمان والظلال القاتمة لتغييبه الحقيقة في الفعل والإمكان ليغدو قطعة مجمدة في معبر الحياة، تتآكل مع مر الزمان، فتفوتها الحراك الديناميكي في التغيير والمضي في معابر الحياة

والانطلاق، فترتسم لنا وهي تنخر ذاتها بذاتها في جدرانها العتيقة، لكنها عند النزع يشتد ساعدها من جديد في فوضى حراك، يشدو الحفاظ على ما تبقى من روح صامدة في العروق تغالب واقعها وتبذل جهدها لتعلن الف أبجدياتها في تبصر لغة الواقع في عين نضرة مشرقة، ترى الوجود لأول مرة في ذات المرآة العاكسة للحياة، فيغدو الأفق في عينها في لغة جديدة، وأبجديات جديدة في ذاكرة الجسد والمكان والزمان في سرمدية قاموس التغيير فيما نعي ولا نعي من الأشياء.

ولا يسعني في نهاية مطاف قراءتي التحليلية النقدية إلا أن أزجي تحايا الشكر والتقدير لمبدعنا د. خليل فاضل على متتاليات إبداعاته في الق شفافية عذوبتها ورسالتها الرمزية النورانية في الارتقاء المتحضر دوماً في أبعاد القصة العربية المعاصرة.

الرؤى الاجتماعية في نص (أحلام فتاة شرقية)

يشكل المجتمع برؤاه الجمعية، انعكاساً جلياً لمؤثرات السلوك على مسرح واقعه المتضاد، وفي الوقت ذاته مادة تراكمية اجتماعية لأسقطاتاته الجمعية، وتتشكل تلك الإسقاطات في خطوط متقاطعة في أبعاد متنوعة، ومنها بعد الأنوثة واقعاً وحلماً، والرؤى الاجتماعية التي تؤطر حياتها، بين النمطية وكسر الحواجز في لغة الهروب اللاشعورية، في متناقضات الأنا التي تسكن الروح في الأعماق، وتنعكس في متناقضات قيم الجسد، ومن هنا يطل علينا نص (أحلام شرقية) ليعكس لنا حياة حالمة في تراكمات أنوثة ما في مقطع المجتمع، حيث تدور مادة القص في تتبع رحلتها العمرية باختزال للحظات عابرة عبر ذلك العقد الزمني في حباته المتسلسلة، حتى بلوغ سن الثمانين، في الاقتراب تسارعا نحو وداع الحياة، والنص يكثف بؤرته المركزية في أحلام تلك الصبية الصغيرة في ظل لغة فارس الأحلام، وتداعيات أسرة أمام المجتمع في ظل أزمة كثرة عدد البنات في الأسرة ونظرة المجتمع لبقائهن بلا زواجوما في ذلك من خدش للأسرة، إضافة إلى عدم تحمل المجتمع لحقيقة كثرة عدد البنات في الأسرة واعتبارهن عبئا ثقيلا في عين الأسرةومصدر تهكم المجتمع وسخريته، ويسلط النص على تراكم تلك الإسقاطات في تماهيات الأمومة في الأسرة، ومثابرتها في الخروج منتصرة من رؤى المجتمع، في لغة تزويج البنات وتأهيلهن للحياة، وهنا تنقدح الجدلية هل هو سلوك في محض الواجب أم الحب والانتشاءأم رد اعتبار قبل إصدار المجتمع أحكامه المتهكمة على الأسرة في لغة العنوسة وعدم الزواج، في ظل معطيات كثرة البنات في الأسرة.

ويعكس النص الرؤى النمطية للزواج واختزاله في مقطع من اللحظات، غدا من سلم القداسة بين الذكورة والأنوثة ورحلة اعتبار الرجولة، وتماهيات تلك الرؤى المتضادة التي تعكسها العادات والتقاليد الرثة، في لغة زخم حراك الرؤى الاجتماعية في خصوصيات الذوات ورحلتها في الحياة في رباط الشراكة الزوجية، وهنا يبرز لنا عدم عبء الصبية الصغيرة بتلك التعليمات المنسكبة من الرؤى الاجتماعية، وتكاثف رؤاها في آبهة الظهور في منصة

الزفاف، وتكاثف الأنظار في مطالعة بهاءها الملائكي الأبيض، وهنا مقطع اجتماعي انفصامي بين الذوات والمجتمع، وتبرز حدته البالغة مع رحلة الزمن، حيث يؤول انفصام مع الزوجية في انفصام مع الذات نفسها؛ بين الواقع المنهك بالأسقاطات، واللاشعور الملتهب الصاخب في الوجود الحر، بعيدا عن الحواجز وجدران الحقيقة الصامته.

ويكثف النص سرده حول منظومة الرؤى التي تخترق بينت الزوجية في لغة الشراكة، وثقل الأعباء التي تكتنف حياة المرأة الشرقية وفق تراكيب النص السردية، بحيث تشكل تلك المحطة الخط الفاصل بين الواقع في متضادته وأعبائه والأحلام في خطها الساحر الواهم مع فتى الأحلام، إذ ما زالت ترفرف في اللاشعور ولا تجد لها مكاناً في الوأد الوجودي، ويتجاوز النص حبات عقد الزمان، ويعكس لنا شخصية "ندى" وقد غدت أماً مثالية، حيث تحتضن أجنحتها أسرتها الصغيرة، تتعهدهم ليل نهار، ويعكس لنا النص حالة الزوج وقد ادهمته الأيام ولغة ذبول الجسد، وخطوط المرض المعمقة في الجسد، وشدة معانات تلك الأمومة في الرعاية والتمريض وبذل التضحيات، وهنا تبرز عقدة النص الاجتماعية في تراكمات اللاشعور الرافض للغة الواقع، وتمرد تلك الأنوثة في تصاعدات لغة الرفض والإسقاطات، إذ ما زال يسكن رسما واهما ما في أحلامها لفتى الأحلام البهي النشط على مسرح الحياة، لا المقعد العاجز عن الحراك مع رحلة الزمان وضنكها، وهنا تبرز حدة الصراع الدامي بين الأنا الناطقة والأنا اللاشعورية، حيث تكون الغلبة للاشعور المتهالك في الرفض وأنانية الذات، وهنا تتشكل لغة الإهمال في العناية بالزوج وبلوغ مسرح الجريمة ووداع الزوج للحياة لدواعي الإهمال، وهنا تتساقط في النص لغة التأنيب وتقاطعات الذنب في حياة ندى الأم والجدة تواليك في الحياة، ولغة الندم في وهم مسرح فتى الأحلام، وهنا تتشكل يقظة الوعي في كلمات فتى الأحلام لها:

(كنت معجب بك واحترمك وأجلك لأنك امرأة تتمتعين بجمال وفتنة وعفة الملائكة... ولكن سرعان ما أدركت بان الهالة الإلهية التي كانت تحيط بك قد انطفأت بانطفاء من أشعلها بحبه ووفاءه، ... وقريبا ستدركين حجم الخسارة بفقدانك الرجل الوحيد القادر على حبك وحمايتك ودفع الأذى عنك حتى وان كان مقعداً...).

وهنا تتصاعد اللسعات في اللاشعور، ورفض لغة التأنيب والركون على تمرد وانانية الذات:

(الا يحق لي أن احلم وأتنفس وأحب وأعيش كامرأة؟ كأنثى،...؟! – بكل بساطة– كامرأة أنثى؟!).

وهكذا يعكس لنا النص الرؤى الاجتماعية في مقاطع تضادتها وتبعثرها على الواقع، واسقاطاتهاالسلبية في مؤثرات السلوك، وتكثفها في مقطع بين الزوجية، وانعكاسها على الواقع برمته.

ويؤكد النص حجم الهوة التي تصنعها تلك الإسقاطات، واعتبارها قنبلة موقوتة، تأكل الأخضر واليابس، ولكنها ساكنة في المجتمع، تؤطرها لغة التصاعدات والمزيد من الأستنزافات في مدارات اختلاف الذوات لا التقائها العبق على مسرح الحياة.

ولا يسعني في نهاية مطاف رحلتي مع النص المبدع ورؤاه الاجتماعية إلا أن أزجي كل تحايا نوراس إبداع على شواطئ التجليات لمبدعنا الألق: يحي الصوفي ودامت فراشات انشطارات إبداعك مرفرفة على الصفحات.

دلع الجسد في النص إلى اين؟

نهجت اغلب الكتابات الأدبية التي نسجها قلم امرأة أو تلك النصوص التي تسكنها المرأة بقلم امرأة، أبعاداً متنوعة، سادت إبداعية الأدبية البعض اليسير منها، وغلبت الكثير منها ما اعتبره دلع وغنج قلم المرأة على النص دون دواعي هادفة في الفكرة المزجاة فيه، والنص الأدبي له فنياته العالية من جهة وانسيابية الإحساس المنبعث منه من جهة أخرى في ضوء رسالة مشفرة يستهدفها النص بعيدا عن العبثية أو مجرد كتابة جوفاء على الصفحات أو سرد لاهي لاطائل منه، واجمالاً يسود هذا الإطار العشوائي أيضا كتابات أدبية للرجل وهو غير معفي من تلك الرؤية النقدية في هذه الاتجاهات.

واجمالاً اتجاهات الكتابة بكافة أجناسها الأدبية، بلوغا مساحات المسرح والدراما التلفزيونية والسينمائية أخذت تنحو في مساراتها مناحي الانسحاب من الثقافة العربية

فكانت الحالة إبداعية هي حالة انعكاس النص في وحدة وجودية روحية قصصية مع تدفقات مشاعر القارئ في أحادية العرض القصصي بحيث لا توجد خيوط فاصلة بين القارئ والنص، إذ ينصهر الاثنان في عنصر قصصي جديد متحرك أحادى الرسم والنكهة، إذ تختفي فيه على الإطلاق آثار النص، الكاتب، القارئ، بحيث تتبلور في نص قصصي مبدع جديد تحوطه منظومة أحادية في العرض، الفكرة، الشعور.

وبلوغ الكاتب هذه المرتبة في العرض القصصي يعد مزية إبداع وتجديد في الطرح القصصي والتأثير الشعوري في أغوار نفسية القارئ.

ويتألق في النص جماليات التعبير الشاعرية الساكنة في جزر الألم والبحث المضني في بعث الذاكرة من جديد لكنها ذاكرة الوجود المفقودة، إذ لا يقدم لنا الماضي... المذكرات إلا ذاكرة الإعدام والإسقاطات المرة في طرح متتالية لا تنتهي نزفها لأنها نتاج رحم مجتمع مثقل بالإسقاطات المشتتة، المستبدة، التي يدور فيها سرطان الأنا العابث بخبث في قداسة براءة المشاعر وإرهاف الأحاسيس والسلام المغرد على أفنان الأغصان العاشقة ولهفة الحاجة على مقصلة استلاب الوجود قبل الذات وعنفوان كرامة الوجود المتبقي المختنق في الذات.

وتدور الشخصيات في هذه اللوحة القصصية ذات الأطياف المتنوعة في ثنائيات مختارة من قبل الكاتبة، بحيث تدور في بحر التناقضات في عوالم المجرم الضحية، الخير والشر، القوة والضعف إلى مالا ينتهي قاموس المفارقات الشاسعة في منظومة الظلم والعذاب ومرارة العيش المضني حيث يبلغ في نهاية المطاف إلى ذروة الفناء تحت مقصلة الإعدام الشعوري من لغة الحياة وعوالم الوجود في الأشياء وهذا يعطي مؤشراً على طيف الواقعية الرمادية المرة المتشكلة في قلم كاتبتنا المبدعة في عزف جريح لحروف لغة عذبة منسابة بسرد متسلسل، يحمل في نبعها اللغوي السلسبيلي صخور مثقلة من العذابات في الآن نفسه وهذا سمت إبداع يضاف لرصيد فنيات هذا العمل الأدبي في لوحته الفسيفسائية المتداخلة في جراحها... انعكاسات... آلامها... إسقاطاتها الثائرة باختناق وهمس دافئ في الآن نفسه.

وتسدل نهايات النقش المبدع لتلك اللوحة القصصية في حراك دقات مريرة من ساعة الزمن، عمر المذكرات، طاولة الماضي المبحر في اللانهايات، فتواجه ذلك كله تساؤلات

حائـرة نازفـة في انكسارات خاصة لزاوية الألم في مساحة تشكل بعداً ثلاثياً في الذاكرة، بحيث تـسبر أغـوار الـذات، الواقـع، الـتطلعات، في كـشف أنامـل مجهـضة لستار الماضي السحيق والـبكاء علـى أطلاله وتسمر الذات في سمت بحر يبحث عن الف الوجود وبيانه تحت ظلال مرافئة المجهولة والاستسلام المذعن لمقصلة إعدام الذاكرة في رد فعل انعكاسي يعبر عن علقم مرارة الواقع الذي آل في أجسادنا المنسية إلى حليب بتأثير تركيبات المخيلة الذهنية التي تشدو بهـذيانها في تشكيل المسميات على غير حقيقتها حتى يستمر قطار الحياة بلا معاناة ظاهرة في اللغة والكلمات وإن كان مفروغا منه التسليم بسرطان هذيانها في الأنفاس المخنوقة.

ولا يـسعني في نهايـة المطـاف إلا ان أتقـدم بكـل تحايـا التقدير لكاتبتنا المبدعة، التي أمتعتنا بتغريد لغتها العذب الجريح في العزف القصصي وفي انتظار المزيد من إبداعاتها المتألقة في سماءاتنا الأدبية على الدوام.

المرأة ومنظومة التقاليد السلبية/ نموذج تطبيقي

قراءة تحليلية نقدية في نص "مريم لاتعيش مرتين"

تتواكب في حياة المجتمع، منظومة من التقاليد السلبية، التي تطل علينا من نوافذ متعددة، وتحت دواعي متنوعة، ومنها ظاهرة تعطيل العقول، تحت ابواب السحرة والمشعوذين، والذين يدعون اهلية الرقية والعلاج، وهم براء منها، لعدم سوية نفوسهم، وانحرافها عن منهج الإسلام وقيمه السامية، وتدور احداث مريم لاتعيش مرتين، في ظلال تلك التقاليد الموهومة، التي تستغل عقول واعراض الناس، وتشكل ما يعرف بالسادية، وتكون المرأة هي الضحية لامحالة، وتدور ابعاد هذه القراءة التحليلية النقدية، على النحو الأتي:

- الأبعاد النفسية والاجتماعية للقصة
- لغة الكاتب
- نهاية القصة

أولا: الأبعاد النفسية والاجتماعية للقصة

"مريم لا تعيش مرتين" قصة اجتماعية معبرة تحمل أبعادا متنوعة من إشكاليات يزخر بها مجتمعنا إلى وقتنا هذا، ودارت القصة في قرية صغيرة لسان حالها يعبر عن زخم ممتد من المعاناة والألم، وثقل الجهل وقيود الأعراف ورسم كاتبنا المبدع لوحته القصصية الاجتماعية من خلال مجموعة من الشخصيات التي شاركت في تجسيد أحداث القصة وتكثيف التشكيل لعقدتها الرئيسة، في ظل ضجيج انكسارات نازفة في كل زاوية من زوايا القصة، وينكسر معها على نفس الوتيرة وبانسياب متواتر كل زاوية من عوالم الجسد، الذاكرة في شخصية الفتاة المعاناة وتمثل الفتاة في القصة الرمز البعيد الممتد لجنسها المظلوم في ظل مطرقة السطوة الأسرية ومنظومة العرف الساذجة، لذا لا محالة أن تؤول إلى ضحية الأطماع الشجعه،

الأعـراف الجاهلة السائدة ويرسل لنا الكاتب من خلال معاناة هذه الفتاة، منظومة تساؤلات حائـرة تبطن حـروف كلماته، وترسل نذير خطر للنهايات التي تجسد هذه المعاناة، في المجتمع المهتـز قيمياً، وتكشف لـنا القصة عن قشور شخصيات مدمرة في المجتمع لكنها تلبس ثوب العفـة والفـضيلة، وتحلـق القصة في إبراز مدى الخبث الذي تحتويه جنبات تلك الشخصيات ومـدى مـا تبثـه مـن سمـوم قاتلـة في المجتمع، وهي في نهاية المطاف بعيدة عن سلطة القانون والمحاسـبة لأنهـا تحتمـي بسلطة الجهل المعتمدة عند عرف هذه القرية الحزينة المبطنة كل أبعاد الجهـل المدمـر، ونرى تلك القريةتتراكض لتشييع ضحايا ابناءها بدم بارد تحت مظلة سذاجة الجهـل، والكاتـب جـسد لـنا ضـحية واحـدة، ولسان القصة يخبر عن عوالم ضحايا ممتدة في ملحمة مأساوية تنزف من رحم جهل المجتمعات.

لغة الكاتب

بـرزت للكاتـب مهـارات لغـوية عـدة عـبر لغـته القصصية إذ اتسمت بالتشويق في الدرجـة الأولى وفي تـصاعد متعالٍ لوتيرة نفسه القصصية ومرونة بارزة في أجواء لغة تعبيرية واقعـية، جعلـت الشخـصيات تتحـرك بكـل نبـضها وحـراكها المتـسارع أمام القارئ بحيوية وطعـنات ألم مـوازية لها في نفـس القـارئ وذلـك الرسـم القصـصي بحد ذاته إبداع من قبل الكاتـب لكـن هـناك تساؤل يشتعل في نفس القارئ حول عدم تسمية الفتاة في رسم قصتك وتـشكيلها كهـوية أسم في عنوان القصة وهذه نقطة إبهام وغموض تثير تـساؤلات في القارئ لأن العـنوان يـشكل مـادة التحامية مع مسار القصة في كل أبعاد العنوان، وهذه نقطة تساؤل تطـرح تـساؤلات أخـرى إذ إبهـام اسـم الشخـصية له بعد في تحديد مدى الفكرة في القصة، وكـذلك تحديـدها في العـنوان يـشكل بعـدا آخـر يتـناقض مع الأول، ولا يخفى أهمية تحرر الكاتـب مـن مـنظومة التناقـضات في عملـه القصـصي حتى يكتمل بناء رسمه القصصي في مسارات الجودة وإبداع.

نهاية القصة

نهاية القصة نهاية لطيفة خفيفة الظل، وإن كانت روتينية اعتاد الكتاب عليها، وتسجل هذه النهاية كمادة سلبية في القصة، إذ لم يقدم الكاتب من خلالها إضافة إبداعية لذا كان مسار القصة في خطها الأخير في منظومة قارصة البرودة مقارنة مع حرارة الدفء وعلو تدفقها في مسارات البداية وعوالم أحداثها إلى ما قبل النهاية، ولا يخفى كم هو اثر النهاية في تشكيل مزية إبداعية؛ تسيج العمل الفني القصصي بجملته، وتبقى الأثر العذب الطيب الممتد من خلالها، تحايا التقدير لكاتبنا المبدع ياسر عبد الباقي وفي انتظار الجديد من عطاءاتك القصصية.

سيكولوجيا الأدب وادب المقاومة:

جسد الأدب مملكة المقاومة بما فيها من تجليات وتحديات، ورصد تاريخي لاحداثها الأليمة، في ظل المحتل الصهيوني، وشكل أدب المقاومة الفلسطينية، عنواناً رائداً في التراث الشعري، وربما ثلاثية إبداع، الإعلام، الواقع التي تناولتها في الفصل الثاني، تعكس مساحات ملتهبة من ادب المقاومة، المواكب لأهات الطفولة والأرض، المغرقة بالدماء، بفعل استبداد العدو الصهيوني، في الأرض المحتلة والعراق ولبنان، وتتناول موضوعات المقاربة بين سيكولوجيا الأدب وادب المقاومة المحاورالآتية:

- رؤى المقاومة بين الحلم والواقع الفلسطيني.
- سيكولوجية الحرب في مجموعة عطش الماء.
- لغة الصمود في ادب المقاومة.
- الحنين إلى الوطن.
- مشاهد تصويرية من يوميات المقاومة.
- مقاربة بين آهات الأديب وهوية الأرض.

رؤى المقاومة بين الحلم والواقع الفلسطيني

قراءة تحليلية نقدية في نص "حين تكلم الموت في داخلي

تكاثفت تنظيرات المفكرين في التأكيد على أنلوحة الواقع في متتاليات الأحداث اليومية، تعبر عن مقطع جذريفي ثقافة المجتمع، ورؤاه الأيدلوجية في الحياة، ومن هنا انطلقت النظريات في دراسة الواقع اليومي في كل مايتجمع فيه من أحداث مألوفة وغير مألوفة، في ظل تنظيرات فلسفية، مستقاه من جينات لغة سيسيولوجيا الأحداث اليومية على مسرح الواقع، وهنا تتشكل المقاربات بين سيسيولوجيا مترعة بثقافة المقاومة بكافة تعبيراتهافي مقاطع يوميات الفلسطيني في الأرض المحتلة، من جهة وما تحمله من هموم وأحلام من جهة أخرى، وهنا تبرز سمات نصوص الكاتبة ايمان الوزير القصصية لأنها تدور في ظل تلك التماهيات وأزقة الأحداث اليومية النازفة بالجراح والدمار، ويتناول نص "حين تكلم الموت في داخلي"منظومة حوارات نازفة لفتية يسكنون النص حياة ورفضا في الآن ذاته، حيث تتشكل الحياة في ارتسامات أبجديات الحرية استشهادا على أبواب الحرية الحمراء وتتناثر لغات الرفض لكافة أشكال لغات الاستلاب في الواقع الفلسطيني وآهاته، وما يعج بالدمار والوحشية الصهيونيةواحتراق أوراق الطفولة على قارعة الطريق.

ويشكل نص (حين تكلم الموت في داخلي) سيسيولوجيا ناطقة للواقع الفلسطيني في الأرض المحتلة، وحلم المستقبل في الشبيبة التي تشدو بثقافة المقاومة حراكا على مسرح الواقع المستلب.

ويسلط النص إضاءاته الحمراء على لوحة الدمار في الواقع الفلسطيني؛ وانبعاثها صرخة في أتون ثقافة المقاومة التي تعتلي القلوب، وتبعث إرادتها الحديدية في النفوسنحو إثراء المقاومة ب الإرادة وبذل الجسد مهرا عاشقا للأرض والحرية، ومساحات التطلع نحو اقتناء السلاح دفاعاً عن الأرض.

وتتشكل التركيبة البنائية للنص القصصي -موضع الدراسة- في ظل حوارات ثنائية متتابعة، تجلي النقاب عن أبعاد ثقافة المقاومة ولغاتها المحكية في محاورات شبابية، تحمل الحلم والألم معا، وتنزف منها امنيات حمراء ترنو نحو حرية الوطن واجتثاث كافة صور الاستلاب والإصرار على بلوغ الحلم واقعا في عوالم الحرية الحمراء.

ويبرز في النص تناغم رائع بين الصياغة إبداعية لعنوان النص ومساحات ارتفاع وتيرة الشحنات الأنفعالية الحارة الرافضة في النص، في ظل نهايات معبرة عن مداد حرية لاتنتهي في انتفاضة القلم المتسقة مع ديناميكيا رفض الألة والروح معا على مسرح الانتفاضة الدامية.

ويتشكل النص في ظل رؤية التصميم الكلي في يبث الفكرة العميقة للنص في ظلال التركيبة الرمزية للنص، في ظل حورات تجمع شبيبة الوطن في شدو حالم للحرية والصمود كرامة واباء على ارض الوطن.

وانطلاقا مما سبق، يتشكل للقارئ عبر شيفرات النص الرمزية؛ مساحات ثقافة المقاومة في النص ورؤاها التي برعت الكاتبة في تشكيلها من وراء سطور النص، لذا فإن النص يشكل وثيقة سيسيولوجية لواقع اليوم الفلسطيني في الأرض المحتلة وما يحمل من رفض و أمل وحاضر مدمر ومستقبل حرية منشودة في أحلام الأجيال.

ولا يسعني في نهاية مطاف تلك الجولة القصصية في نصوص المبدعة إيمان الوزيرإلا أن احيي إبداعها على السطور وكل لحظة وانت متتاليات إبداع لا تنتهي.

سيكولوجية الحرب في مجموعة عطش الماء

ترصد مجموعة عطش الماء أبعاد الحرب ولغاتها المتنوعة في بعد الأنا والمجتمع، عبر نصوص متنوعة فيها،سواء في لغة النخر الاجتماعي ومفرزاتها السلبية في لغة العرض وفقدان الأباء، كما وردت في نص 'محاكمة'، من خلال تجسيدها عبر متتاليات زمن - يمر على طفل في الخامسة من عمره- تؤول إلى استفهام حائر حول الرجال الذين يزورون أمه كل ليلة، لتنتهي الحكاية عبر متتاليات عمره إلى مفاجأة صارخة مفادها:

'صرخ في وجه المرأة التي كانت أمه، قبل أن يضع حافة السكين على عنقها ويسأل: من أبي؟؟ '[1] فهنا تؤول البيوت إلى مهب الريح، وتعصف أعاصير انحرافات الذات عليها، في ظل مفرزات استلاب الأنا، التي تحيلها إلى الارتماء في أحضان المتضادات، هروباً من الواقع وازماته والتصاقاً بالذات ونزواتها المستعرة المعتكفة بلا نهايات على جدران الإهتراء الاجتماعي.

ويشير نص'تحد' إلى حالة إرهاب الذات عبر الأسلحة ووحشية الرعب الذي يكسر جدران الأمن، في حالات الهيمنة العسكرية وانقضاضها على حرية الذات وكسرها حواجز الأمن والاستقرار، وانعكاساتها على الذات الضحية في انسحابها من كل معطيات الحرب وأدواتها، وإعلانها حالة استلابها في لغة سيكولوجية الحرب؛ وأنها لا تحمل إلا حالة الوعي المغيبة التي تسكن الأعماق الرافضة؛ بحاثة عن الحرية واستقرار الذات في الجسد والوجود، إذ ينطق السارد بقوة الرفض:

'لا احمل سلاحا غير هذا الرأس'[2] ويعكس نص 'وداع' أتون حرب ترتحل منها شريعة القانون الشكلية تحت مسميات 'هيئة الأمم' هروباً من أجواء المعركة وتركها الضحية تحت انتشارات السلاح عليها، ويسلط النص الأضواء على تلك اللحظة المقتنصة في لغة سيكولوجيا الحرب؛ من حيث وداع القبور وماتحمله من رسالة تدمير للضحية في تلذذ تعذيبها وحرمانها الأمن، ومرأى الطفولة المغيبة في النص: 'وكومة من بقايا لعب أطفال

تنادي على أصحابها[٣] واسقاطات تتماهي لتبلغ قطة تذرف الدموع حتى أورقت شجرة الصبار، وهنا تتشكل تصاعدات اسقاطات الأنا على موجودات الطبيعة؛ بكل معاني الحزن والقهر والعذابات التي تخلفها الحرب على الأنا في الجسد والوطن في الذاكرة. وتنفتح استار نص مصير لتركز اضاءاته في لحظة هادئة بعد توقف القصف وما تحمل من لغة التأملات ونسمات راحة تسدل غيمات بردها على الصدر، لاتنفك أن تتحول إلى لحظة حمراء تتدفق فيها المشاعر مع تدفقات الدم عبر حراك العساكر وصفارات الأنذار وتدافعات الأجساد وتعاليات صوت الذات في لحظة الوداع، ليؤول في نهايات المطاف إلى جثة هامدة تشكل نواتج الدمار ووحشية القصف ولغة الرصاص التي تنتشر مساحاتها في لغة اسقاطات الذات على النص "لم يسمع صوت الرصاصة التي ردته للداخل مضرجا بدمه"[٤].

ويقدم نص دائرة الصمت اخطر مترتبات الحروب في بعد السيكولوجيا المتأزمة، والتي تحيل الأفراد إلى ساحة الجنون المطلقة، من اثر بطش الاستبداد في تعذيب الضحية، التي تغادر فيها البتة حدود العقل إلى هستريا الجنون: "تركناك وحيدا..تحرس أماني القرية ومعطفك الرث... اقتربت دبابة وقف ثابتاً... مددت ذراعيك...فرشتهما غير أبه عبرت بعد أن هرستك .. أدركنا أن جنونك لم يكن إلا نتيجة التعذيب"[٥].

وهنا تتماهي هذه الحقيقة في ظل مفارقة بين الواقع والمتخيل، فيرنو السارد في ظل تلك المفردة المهمة في سيكولوجيه الحرب إلى امتطاءها عبر مواكب الأخيلة التي تأخذه في لحظة اصطدام نظراته بعيني المدرس: "وبدأت عيناي تبحثان بارتباك أين يقرأ التلاميذ.."[٦] ويسرد نص "لا عنوان" منظومة استفهامات في لغة الأنا وتناثراتها في الحيرة عبر مترتبات الحرب ومعطياتها السلبية، وتتماهى لتدور حول ذاتية السادي الذي يتلذذ بلغة التعذيب والدمار"

- هل يدلوني على الفرق بين الهزيمة والتدمير؟
- لماذا لاتستعيدين مقولة المسيح ((ماذا تربح إذا كسبت العالم وخسرت نفسك؟))[٧].

وفي النص أيضا تتعالى لغة الرفض لماهية ثقافة الصمت التي تخيم على العالم، في برود عن مرأى مشهد تعذيب الضحية ودمار المكان والزمان، فيصف السارد هذا العالم بأنه "محض عاهرة تتفرج على آلامنا وتتباكى من بعيد" وتنتظم التساؤلات في تصاعدات ينبعث منها الألم والانكسار".

- أي مهزلة ذبحونا بسكين وابتاعونا بفلوسنا ويقدمون لنا الدواء ويسدل النص ستاره على لحظة متضادة تتشكل فيها ظلال فرح بأن الحرب انتهت، تواكبها متتاليات حيرة في لغة السارد تتشكل في تماهيات ألفاظ متقطعة مبهمة هائمة على وجهها؛ تعبر عن وجه الواقع المتخم باللاوعي ولغة الصدمة في كل أطيافها المتخيلة من الألم وهدوء العاصفة "أين.. ماذا.. لماذا"[٨].

وتعتري النص في نهاياته انعكاسات الحرب في انكسارات الذات وهستريا آلامها في الذات "دوي يملأ الأصداغ، موجات ألم تجتاحني.. صدمات كهرباء... يهتز لها وجداني"[٩] ويقدم نص "غضب" استطرادات وصفية بشأن واقع الحرب وانعكاساتها السيكولوجية، في رسم أزيزها في الأنا والجسد، ومترتباتها من لغة الرعب وامتناع الأمن، وضياع الحقيقة حيث لا يولد من رحم الواقع إلا المرارة والعذابات "ـ حلقت طائرات..دخلت آليات..جمع جنود رجال البلدة..أركبوهم شاحنات عادوا بعد أسبوعين ولم يعد أبوك ذاب جليد الحقيقة.. أين.. كيف؟"[١٠].

وتنضج حالة تماهيات المتخيل في نص"اختيار" لتشكل رسالة اللاشعور في أعماق السارد، ومعها ثورة الأعماق في الرفض التي تتعالى على أتون صرخات الحرمان وانكسارات الوجدان أمام مرارة المعاناة وعذابات الاستلاب، لتحيل السارد إلى فيوضات الحيرة وتماهيات الحقيقة في اللاحقيقة من الأشياء، في ظل عالم سادي عابث واستلاب ضحية في الأنا، الزمان، المكان، وتماهيات اللغة في الأستفهامات "انبلجت في خيالك بندقية مكسورة الكعب تمنيت لو أنها بين يديك.. صرخة طفل أعادتك إلى واقعك تساءلت بمرارة لاتستطيع ابتلاعها: أي السبل تسلك وأي الأزقة تسير"[١١].

وتناولت مجموعة عطش الماء السردية موضوعات عدة في آفاق هموم اجتماعية ولغة التشرد ومساحات رومانسية دافئة وابعاد الحرب على الأنا والمكان والزمان، وهي التي سلطت الدراسة إضاءاتها حولها في ظل قراءة سيكولوجية لها في مجموعة عطش الماء. ولايسعني في نهاية مطاف هذه القراءة السيكولوجية لمجموعة "عطش الماء" إلا أن أزجي تحايا التقدير الياسمينة لمبدعنا الألق: سمير الشريف، وكل لحظة وأنت مبدع وكل إبداع وقلمك إبداع حر منساب.

الهوامش:

(١) سمير الشريف (٢٠٠٥)، عطش الماء، ص ١٣، أزمنة للنشر والتوزيع. عمان.

(٢) المصدر السابق، ص ١٤.

(٣) المصدر السابق، ص ١٦.

(٤) المصدر السابق، ص٢٤.

(٥) المصدر السابق، ص ٣٦.

(٦) المصدر السابق، ص ٣٧.

(٧) المصدر السابق، ص ٤٣.

(٨) عطش الماء، ص ٤٤.

(٩) المصدر السابق، ص ٤٥.

(١٠) المصدر السابق، ص ٥٤.

(١١) المصدر السابق، ص ٧٥.

لغة الصمود في ادب المقاومة

قراءة نقدية تحليلية في نص "رسالتان إلى..."

نص "رسالتان إلى" للكاتب عدنان كنفان

إلى شجرة نسلوها من تربتها، فماتت.. لكنها قبل أن تلفظ أنفاسها وضعت وليدها.. وستبقى..! شجرة معمّرة شهدت رحيل الغزاة الواحد تلو الآخر، وبقيت منتصبة شامخة وفيّة لفلاّح لا يعرف غير ريح تربتها.. في ليلة قاسية العتمة اجتاحتها أسنان غول فولاذية، فسقطت تزرع نَفَسها الأخير في التربة التي لا تعرف هي الأخرى سواها.. بعد أيام شقّ عود صغير طريّ سطح التربة وأشرق يانعاً من بين شفتيّ الشجرة المعمّرة الشهيدة.. يحمل بألق وريقات خضراء صغيرة تعشقتها ثلاث فراشات.. خضراء وسوداء وحمراء رسمتهم طفلة على كوفيّة الفلاّح البيضاء وطيّرتها.. رفرفت وحلّقت فرحة في فضاء ممتدٍ بين نهر وبحر، وراحت تضع على عتبة كل بيت مهدّم.. قصفة خضراء.. وما زالت ترفرف..! وإلى طفل شاهد بعينيه الحزينتين المقهورتين أسنان جرّافة تدمّر بيته ودفاتره ولعبه؟؟ أصابعه النحيلة، كأنها سنابك جرّافة يغرزها بقوة في كومة دمار هي ما تبقّى من بيته.. اقتربتُ منه بحذر.. سمعت همهمة.. ربما بكاء.. ربما بحّة ناي حزينة.. ربما غناء..؟ أصابعه مذعورة، لا تتوقف عن الحفر عميقاً في بقعة واحدة، وكأنه هو الذي أخفى فيها ذلك الذي يبحث عنه. فجأة.. توقفت حركته.. سحبت أصابعه من قلب الركام.. نصف دمية..! رفعها إلى فوق ينظر إليها بصمت.. ودهشة..! صوّب نظرات عينيه نحوي..، كأنّه سدّد بين عينيّ فوهة بندقية.. لمحت في حزن عينيه المقهورتين بريق دمعتين وقفتا حدّ الطوفان، رأيت على صفحة مرآتيهما ملايين الوجوه السمراء خرساء تتفرّج.. قبل أن يبعد البندقية عن وجهي سقطت الدمعتان على وجنتيه، ثم أشعلتا ناراً في كومة الدمار.. عاد ينظر إلى نصف الدمية.. كأنه يبكي.. كأنه ناي زادت بحّاته.. كأنه يغني..! رفع نصف الدمية.. رفعها على مدى مدّ ذراعيه

الصغيرتين.. عالياً.. عالياً.. أصبحتُ أشاهِدها من وراء الصحراء.. والصحراء.. والصحراء.. صرخ بأسى ذابح ألهب رمال الصحارى كلّها: قتلوا السندباد.. إليهما.. أهدي نبض روحي..؟

قراءة تحليلية نقدية في نص رسالتان إلى

يشكل نص: رسالتان إلى.."لوحة أدبية مؤثرة؛ تتدفق في نبض الحياة المتصاعد في معارج البقاء، في آتون أجواء الانكسار اللامتناهي، وتعبرعن تلاحم الأدب في مشهده الثقافي مع واقع الألم العربي ومعطياته على الأرض في هوية الوجود، ويبث النص مساحات مفتوحة للمعاناة والاستلاب والدمار في الواقع الفلطسيني والعراقي النازفين بالجراح، والأرض العربية التي ما زالت تحتفظ بأنفاسها في الصمود والتشبث بالجذور والإصرار على الحرية الحمراء مهما واكب الأيام الانكسار وأدمى العمر الجراحات.

وتتشكل التهيئة في النص في لوحة الصمود والبقاء من خلال صورة رمزية تعبر عن أجيال المقاومة، التي ما زالت تتفتح أكمام ورود أرواحها شيئا فشيئا في الأرض الحرة الصامدة لأنها تفتقت من أرواح استماتت في البقاء والصمود، بالرغم من العذابات وسياط أتون الفناء الموجه في زوايا الجسد والمكان.

وترفرف في سماءات الأرض الطفولة الفلسطينية في رسالة تحليق الحرية في الوجود، تحمل معها ماء الحياة في الصمود وخضرة الأرواح في ظلال الأوراق الخريفية فتنفخ فيها روح الربيع الوجودي من جديد في الثبات الصامد ولغة البقاء الخالد الذي لايعرف الفناء ومموهات الذوبان.

وتتابع المشاهد القصصية المعبرة عن انتفاضة البوح الثائر في الأعماق، فتنعكس على السطور التي تئن من ضجيج الدمار العابث، ويسلط كاتبنا المبدع أضواءه السردية في النص على "غول" في مفردة رمزية تتناسب مع أجواء القص الدائرة في عيون الطفولةالحالمة في الأفق البعيد، وقد أدمى عيونها نفث الدمار والخراب.

وتتراكب المشاهد التصويرية في النص لتتابع "ثنائية المقابلات" في النص بين اليد المدمرة العابثة الوحشية وبين الروح الملائكية المتصاعدة في مدارجها نحو الحرية والإصرار على البقاء وقد أبدع كاتبنا في تشكيلها ضمن باقات رمزية ذات أطياف عذبة تحمل معها روائع التصوير الشاعري في دفء التعبير وقوة الإيقاع في ترسيخ المفردات في النص، حتى تخالها جذور تتأصل بين عينيك في أعماق هوية الوجود في ثنايا الحروف التي تبث نداءاتها في إيقاظ الضمير وتعلي صوت وجودها الحر في البقاء وإنشاد الحرية في صحراء الوجود.

ويمضي السياق السردي في القص ليعبر عن زمانات رمادية من العذابات وأماكن مفتوحة في الثرى العربي، يعتريها الدمار تلو الدمار في متتاليات الدمار اللامتناهي في إيحاء تطلع الأفق القادم.

وتشرق سماءات النص النضرة عند زاوية تنكسر فيها إشعاعاتهابانحناءحادة، وتتكاثف عندها لغة السرد المختزلة في بنائها التركيبي لتسلط الأضواء الجريحة هناك على طفولة بحاثة عن مقدساتها من بين الركام

"تدمّر بيته ودفاتره ولعبه؟؟"

أصابعه النحيلة، كأنها سنابك جرّافة يغرزها بقوة في كومة دمار "هي ما تبقّى من بيته.."

والمفاجأة كانت نصف دمية حررها الطفل من بين آتون اختناق الدمار، وفي ذلك رسالة إيحاء رمزية على لغة الإصرار على البقاء ورفض الفناء

١. "سحبت أصابعه من قلب الركام.. نصف دمية..! رفعها إلى فوق ينظر إليها بصمت.. ودهشة..!"

ويعبر النص عن مساحات القهر الداميةفي أنفاس طفولة تجاوزت بها مساحات العمر كله، فقد أثقلت محياها بالأحزان، وحاولت عابثة استلاب هويتها لكن هيهات.. هيهات

ويسقط على النص دمعات تلك الطفولة المحترقة ألما ويبرز من خلالها انبعاث قوة خارقة في لغة رمزية تحمل إيحاء حديدية الصمود وقوة انبعاث الرفض:

"لمحت في حزن عينيه المقهورتين بريق دمعتي وقفنا حدّ الطوفان"

سقطت الدمعتان على وجنتيه، ثم أشعلتا ناراً في كومة الدمار

وتتابع شيفرات المقابلات اللفظية في النص لتعبر عن إبداع ساحر في نقش الحرف الخالد ورمزية مبدعة في الإيحاء ضمن لوحة مؤثرة جياشة تتجسد من خلالها الطفولة وقد قطعت أجساد مبعثرة لكنه لا تلبث أن تلملم شتات جسدها لتعود جسدا بروح ملائكية في عمر الصمود.

"عاد ينظر إلى نصف الدمية.. كأنه يبكي.. كأنه ناي زادت بحّاته.. كانه يغني..!"

وتتأجج جماليات التقابل في هذا المشهد التصويري الذي يلتقي فيه قمة الانكسار وقمة الاستثارة والصعود "بأسى ذابح، الهب رمال الصحراء"

"صرخ بأسى ذابح ألهب رمال الصحارى كلّها"

وتسدل نهاية الرسالتين في متتاليات اللانهايات من العذابات والدمار والجراح النازفة على السطور المنطبعة بعبق شفافية شذي رموز الطلة العراقية البهية في مواكب الزمان إذ تجاوزت الأفاق على بساط سيمفونية اللحن الحر الأبي الأصيل، الذي وأد بدم بارد بشع في السمت والسلوك عبرت عنه الطفولة البريئة الحالمة بقولها: قتلوا السندباد"

وتختتم المشاهد التصويرية في النص في شيفرة لغوية تعبر عن تدفق عواطف فياضة فياضة دافئة جياشة تتشكل بدمعات حارة في أثير تلك الرسالتين التييبث السارد من خلالهما أوج أسرار البقاء في الوجود؛ في نبض الحياة المتدفق عمرا جديدا في الصمود؛ عمرا جديدا في هوية البقاء؛ عمرا جديدا في تجدد الروح في الروح؛ في النص الساكن في ثرى الأرض النابض العاشق لديار الأحرار والصامدين في أتون الدمار والمشعلين نبراس الحرية في ظلمات الواقع التائه في ملفات بيع الأرض في أسواق النخاسة تحت مسميات سموم السلاموملفات السياسة في العبث واستئصال الأرواح من الأجساد ووأد الذاكرة في مقابر الزمانواصطناع حضارة متوهمة في لغة الذئاب.

- محور الحنين إلى الوطن/ نموذج تطبيقي

قراءة سيكولوجية نقدية في نص ليل المدينة

يشكل نص "ليل المدينة" حالة بوح تنسحب من بعد "الأنا" في الأنكسارات والهروب إلى لوحة أيدلوجية تبطن النص، وتبث من خلالها آهات الرفض، في حالة الاغتراب؛ التي تجسدها تناثرات رمادية تنسكب جراحاً على النص، في بعد تغدو الأنا الوطن والوطن الأنا، وتتشابك هنا دينامية حارة في النص، تنعكس من خلالها صورة الأنا مع الهوية، في حالة تماوج جدولها المكفهر الحزين حضن الأمومة في وحي التحنان، وتبرز هنا حالة الرفض التي تتعالى موسيقاها في النص، وتبث تنهداتها في رفض حالة الانفصام عن الذات الوطن، ويتشكل هنا خيط مغناطيسي جذاب وفي الآن ذاته تحترق الأحشاء معه شوقا رفضا لأنه قمةالتقاء المتضادات في رابية حالمة واحدة، في عشق وتحنان جياش لتذكار الأنا، الوطن وفي الآن ذات هأزيز حراك المتضادات في أيدلوجيا الأنا الوطن ورماديتها في السلب واستلاب ذاتها، فهي القلب والخنجر معاً وسيمفونية عذبة في التذكار ولكنها طعنة قاتلة في المتضادات.. الهروب.. عذابات الحال والمآل.. الآمال الجامحة في إنشاد لحن الحرية البعيد في الذات الوطن

"أريدها ألمي... أريدها دمعي... أريدها... أريدها أمّي"

وفي منتصف حراك التضادات وحالة البوح الصارخة في ثنائية "الأنا، الوطن" تتشكل حالة حالمة منتشية في الهروب البعيد ولكنها المتضادات التي يطرق بندولها الأنا المتشية رغما عنه في رمادية الليل البهيم، حيث سراب الأمنيات والأوهام المحلقة فيهستريا حالمة في جداول شادية ترى فيها الأنا الحائرة "اليوم والأمس والغد" حيث طعنات اليوم في تغريبة الأحزان والأمس في تذكار القيد والغد في الحلم المتشي البعيد في لحن الحرية التي تزف آنهاوعين زمانها إلى أنا الوطن المستلب في أيدلوجية الاستبداد القهر وثقافة الصمت. وعند تلك اللحظات ينعقد الما مرارة تساؤل في تساؤلات مبهمة تتساقط هستريا حيرتها على الأنا

فتؤؤل معها هامشا ممزقا منتهشاً

"حـــول ســـؤال... خلـــته مجـــنون تـــرى مـــن أنـــا...؟

تـــرى،،، مـــن أكـــون؟ تـــركت كـــلّ الأســـئلة تنهـــشني

تركت كلّ الأسئلة،،، تمزّقني"

ويفتح النص هنا أشرعته على سراب الأمنيات وتغيب عروس التجليات في الأحلام المتشية البعيدة وهكذا تدور حلقة النص في منظومة "الأنا، الوطن" ،،، "تغربية الأحلام، رمادية الواقع" ،،، "الأمومة، الوطن" وكل ذلك يدور في ساحة الصمت العميقة في هذيان الأنا العاشقة

"في ساحة كبيرة... وضعتني نمت طويلا... طويلا ولمّا أفقت... وجدتني والخيول تجرفني... تهت فيّ... في غربتي"

وهكذا يسدل النص أستاره في حالة نزف متواترة في قلب عاشق هدّه ليل الاغتراب وتواترات اللحظات بين عينيه في حالة تجليات حالمة بعيدة، وبوح منكسر تتمادى انكساراته على وحي الطبيعة في لحن الأسقاطات الحزينةفي دنيا الليل البهيم حيث لانهايات إلا الحلم الحاضر الغائب على عكس مسير الطبيعة فيالتعاقبات، فذلك الحلم هو بيت القصيد، وعقدة النص، التي تأبى الأنفكاك والحراك على مساحات الواقع، ومن ذلك الحلم تتشكل لوحة الأمنيات الجميلة، في قلب الأنا المسافرة إلى مساحات الوطن الذي لايحده المسافات ولا اللحظات لأنه تسكن قلب تمرد عن الجسد وغدا لوحة الكون في ابهة تجلياتها حيث لا زمان ولا حدود، كل الشكر والتقدير للشاعر فاضل مالك وكل إبداع الإبداع أنت.

مشاهد تصويرية من يوميات المقاومة/

قراءة تحليلية نقدية في نص "كلهم ابنائي" للكاتب زكي العيله

يشكل نص كلهم أبنائي خطاً ما من خطوط المعاناة المتشكلة في حياة الشعب الفلسطيني الصامد تحت نير الاحتلال الغاشم، وجزئية ما في مادة القص الفلسطينية. التي تترجم أدبياً يوميات الانتفاضة المباركة في إحساس أدبائها ورهافة حسهم الجياش. ويعبر النصعن حجم انتكاسة الألم المتكدس في نفوس الطفولة الفلسطينية، حيث يشهدون اغتيال أحلامهم، إعدام واقعهم بكل تجلياته.

ويدور النصفي مرونة من السرد المشوق المنساب بتعالي تصاعدات أنفاسه الحارة الرافضة، ويختزن زخماً من الألم والمعاناة المختلط بإصرار الذات وصمودها في عيون كافة قطاعات شعبنا المكافح، الصامد، الذي يأبى أن يموت إلا واقفاً.

وينقل لنا النص بشفافية نازفة؛ يوميات واقعية لليوم الفلسطيني الذي يشهد معاناة الأسر، يتم الطفولة، معاناة الأباء، مسيرات الشهداء، دمار المنازل، حراك سيارات الإسعاف، والاصطدام بقطع اللحم البشرية يمنة وشمالا، ونزف الدماء الممتد في ارجاء ثرانا الطاهر.

ويرسم النص لوحة التكاتف الاجتماعي، والوحدة الروحية التي تغدو الدماء كلها في دم وجسد واحد .ويرتقى النص في تصاعدات لهيبة الحار، لينسكب على برود تعاطينا مع مشهد النزف الفلسطيني، فنتابع معهتصاعد الأنفاس في خلجات الطفولة الفلسطينية، والأبوه الحاينة، والشباب المناضل، في مداد أعتصارات الفكر، بساط الأحلام المتشية، لغة لسانها، طموحاتها التي ارتقت لتبلغ هم الوطن وكرامة الحال وعشق الشهادة. وقد دارت النص في خطوط معاناة لوعات الأسر الحاضرة الغائبة والدمار الجاثم على الصدور فيكل ما نملك وما لا نملك، ويجسد لنا النص معاناة محض أبجدياتها في الحال منبثة في اللانهايات التي تسع الوطن وهمومه، وتحمل عبء أثقال المعاش، ومتابعة التساؤلات الكامنة في نفوس الطفولة الواعية المنبثة من رحم أمومة الأرض في البدء والختام، وهنا يتجسد التصوير لمادة القص التي

تربط بين الأبوة في الحس الآدمي والأبوه في عين الوطن. "ومن هنا يشكل نص "كلهم أبنائي" تجسيد اجتماع مبارك طاهر؛ لأرض الشهداء، الطفولة التي ترمق عينيها طيور الحرية من بعيد، الأبوة الحانية المنكسرة حزناً وألماً والنازفة بالجراح الصامتة، وكل تلك الأرواح الطاهرة الزكية تجتمع في نبض واحد وتذكار تؤامي، يحمل معه شرف الحرية، وتحنان الوطن، وعشق الهوية. وتنطق حروف قصتنا بعذابات فلسطينية في الزمن الفلسطيني الصعب المنكسر، إذ نجده مؤلما، منكسرا في السمت والهيئة والحراك في نفوس أبناء الانتفاضة المباركة، لكنه مداد وعي متقد يستشعر عذابات الحال، زخم المعاناة، اسر الأرواح، تناثرات الدماء في الأرجاء الممتدة في الأزقة الجريحة وزماننا الرمادي الصامت.

ويبرز في النص براعة السبك في اللغة والتي ارتأى كاتبنا أن تكون في تؤامة متناسقة مع طرقات الأحداث، فتتعالى موسيقى النص في لغة الرفض والصمود، وتتشكل معها الحروف في التعبير، وهناك اتساق في السرد في مسار أحداث القصة في البدء ومنتصف حراكها ونهايتها المتجسدة في آتون لغة ناطقة تعبر عن مشاهد المعاناة اليومية والتي تحمل مداد دماءنا النازف على الطرقات، آمالنا الحمراء المبعثرة في آفاقها التي لاتنتهي، في لغة وحدة الأرواح ولغة الجسد، فيشكلنا جميعا رحم الأرض الواحدة،

"تصمت لثوان، صور مشبوبة تسابق اندفاعة السيارة، بدا صوتك معجوناً بالدم والطين وأنت تقول له :- كلهم أبنائي"

مقاربة بين اهات الأديب وهوية الأرض

قراءة نقدية في نص "قنديل الجبل الأوسط" للكاتب د. علي الطرابلسي

يرصد لنا نص 'قنديل الجبل الأوسط' مساحات دقيقة لمسارات اللغة الوصفية السردية في النص في إحداثيات أفقية تدور في أبعاد الغوص وسبر منحنيات الطبيعة في جمالياتها المبدعة وأسرارها الدفينة وإحداثيات متعالية في إعلاء صوت الضمير اليقظ ورسالة الأرض في الهوية، في اقتناص لحظات الماضي والحاضر والمستقبل من خلال مساحة مفروزة من الكاتب بدقة في النص، تدور في تركيبات الجمل الوصفية السردية المعبرة عن مساحات خالدة من نبل الكلمة التي تتراقص برشاقة في دنيا الحان الحرية.

ويطل مبدعنا د علي الطرابلسي من من خلال نصه القصصي 'قنديل الجبل الأوسط' على عوالم سندسية في عكس الطبيعة على السطور فتستشعر بهاء الطبيعة وانسامها العليلة ورفرفة أجنحة خالدات، في رقصات الحروف، تحمل في سويداء قلوبها حكايا النصر المجيد ومقامة قفص القيد بكل أبعاده والتحليق حرا آبياً في سماءات العزة والكرامة.

ويفرز لنا هذا النص المبدع مساحات الوصف الدقيق الغواص لمادة الطبيعة بكل معطياتها في النص التي تندرج في مساحات اتساع مسافات سبر أغوار الطبيعة في لغة الوصف الدقيق المتجانس مع النفاس التشويق التي ترتفع أصواتها في النص بالتدريج في لغة تؤامة بين الإحداثي الأفقي للوحة الوصف مع الإحداثي العمودي لآليات التشويق في النص.

ويستشرف القارئ الغواص من هذا النص المبدع مشاعر رقراقة لكاتبنا في التشبث بالأرض وجذورها في هوية الذات، وتتشكل الشخصيات في عمر الطفولة البرئ المطل على عوالم الدهشة والغرابة في مجريات الأحداث التي تتفتق عن نظرات ذكية، تقتنص الأسرار من وراء الأشجار. لاتلبث أن تكشف ركضاتها في الإرادة عن كشف المدلهمات، واكمال الصورة الناقصة في عين الفضول، وعكس الرمز ـ في أبهة طلته في الجوهر ـ على السطور

النابضة بالعشق السرمدي للحرية، وهنا يكون التلاقي الحر بين صفحات الإصرار وعشق الحرية بين صفحات الزمان والمكان على اختلاف أطيافها في احتضان جنين الحرية في رحم الماضي والحاضر واشراقات المستقبل بيننا، ليطل علينا سطورا حية حرة نابضة بالحياة وكرامة الحال والمقال.

وتتفتح أكمام النص الوردية في ظلال شخصية العم بودبوس التي دار تكثيف مجريات القص لكشف النقاب عنها وتشويق القارئ إلى جوهر نبلها في النص، ورسالة ضميرها الحي في التواصل مع الحرية والإباء، من خلال التجسيد الرمزي لها عبر منظومة المفردات الحية السلسة المتدفقة حياة لوجود لابد أن يحلق حرا آبيا وطاقات حركية مندفعة تشكل خيوط لامعة من المثابرة والإصرار والجلد في نصنا هذا المترع بأحاسيس حارة تخترق مساحات ذبذبات النص في القص فتشعل دينامية خاصة فيه، في لغة فك الأسوار واحتواء الطبيعة في قلب الحر الأبي.

وتسدل النهايات في ثوب زماني يختزل كل أطياف أجناس اللحظات في لحظة عمر واحدة، تحمل في جنباتها كل دقات الماضي في علو طرقات الحرية وطرقات الآن في مدلهماته والمستقبل في وحي الاستلهام الحر الأبي في هوية الذات والوجود ويرسمها الكاتب في أناقة لوحة عبيرية شاعرية تنعكس عليها أشرا قات الشمس فيزهو حرف الحكاية في تؤامة النصر والحرية، المتشكل في لغة الأشجار المتعالية في الأفنان وتراقص إشعاعات الشمس عليها في اختصار اللحظات في لحظة شاعرية تتراقص بين أيدينا وتسافر بعيدا في بساط افق الحرية الشاسع في أثيره وهمساته الدافئة فيمتد ليحتضن القلوب الحرة معه في قلب شجرة سندسية واحدة في حكاية قرية حرة ابية ولسان حال نجم يسكن بطن سماءها المتعالية في إحساس الكرامة وانتفاضة الرفض الحر للذوبان والانكسار تحايا التقدير المعبق بالياسمين لكاتبنا المبدع: د.علي الطرابلسي وكل دعوات التوفيق والتميز له في عوالمنا الأدبية الجميلة وسلمت يمينه على ما خطت من نقش لجمال روح بيننا وفي انتظار جديد إبداعاته.

سيكولوجيا الأدب وقضايا الثقافة:

الثقافة وإبداع

يدق ناقوس ثقافة الصمت في عالمنا العربي، واسقاطات لغة القهر وهروب الأنا الجمعية في مزالق لغة الهروب في كافة الأبعاد، بحيث غدت النتاجات في كافة الأبعاد قوالب ضحلة هزيلة، وهنا تتأجج معادلة الرفض من معطيات هذا الواقع الضحل، في تساميات لغة المفكرين والمبدعين، للخروج من هذا النفق المظلم في لغة ديكارتية تستهدف وضع الأوراق على المائدة وتمحيصها نقدا وصقلها بالرؤى التنويرية التي تستهدف النهوض الثقافي الجاد في عالمنا العربي والخروج من لغات الصدمة على اختلاف أشكالها وأزيز انكساراتها، وهنا تبرز أهمية المأسسةفي عالمنا العربي التي تستهدف تعميق معاني المجتمع المدني وحرية التعبير والخروج من نمطية لغة القهر والمقهورين، لتجتاح عوالم إبداعية حرة، تلتزم بكافة متطلبات الوعي الحضاري من جهة تقدير مسارات الحضارية العربية الإسلامية وتنفتح جادة مرنة على معطيات الاتجاهات العالمية الحداثية بما لايخل بما تلتزمه من أبعاد المبادئ والقيم الفكرية.

ولا يخفى اختراق العوالم الإلكترونية لكافة معطيات الثقافات العالمية، وهنا تبرز أهمية تفعيل لغة النهوض الإلكترونيةفي عالمنا العربي بعيداً عن الانزواء والقوقعة الفكرية، والمناداة بكافة مظاهر المساءلة الجادة للوحة الفكرية المفككه في عالمنا العربي، والتزام خط المبادرة في تعميق الوعي الثقافي الإلكتروني عبر المؤسسات الثقافية الإلكترونية، وهنا تبرز أهمية دعم وتقدير المتواجد منها في الساحة الثقافية الإلكترونية في كافة الاتجاهات الثقافية والإعلامية، وأهمية إحداث مراجعات ذاتية من قبل كوادر مؤسسيها لكي تخرج من نفق الأحادية والعلاقات الشخصية إلى بعد التوحد مع الهدف والفكرة السامية والانطلاق الجاد إبداعي.

سيكولوجية الحب في ثقافات الشعوب

تبدو مفردة الحب بحد ذاتها كون خاص في الجمال والاحساس الصادق بالوجود، والديناميـة البشرية التي تشكل نجمات ساطعة في سماء تلك المفردة النابضة بالحياة، وتغيب تلك المفردة بلا عودة في عوالم الأشكالات الاجتماعية التي تتأزم نحو تدمير الذوات والوجود، ويشكل ذلك الغياب أسرار انسحاب الأحساس بالوجود مع تلك التأزمات ونكهة الشعور بالسعادة في الحياة.

وشغلت تلك المفردة عوالم الأدباء في مساحات الإحساس المرهف، وعوالم السيكولوجيين في دراسة الدينامية المحركة لتلك المفردة الهادئة الصاخبة في الآن ذاته في حياة البشر، وماهية دوافع تلك المفردة في تحريك الوجود، وما يوؤل معها إلى اسرار ساحرة، في اكتسائه بالورد والسلام، وألق تجليات المعاني السامية بين الأنام، وروعة تألقه بطيور الحب المسافرة بلا حدود في اطياف حياتنا المتنوعة.

وبعيداً عن الرؤية المقارنة لتنظيرات المدارس النفسية التي تعاطت مع هذه المفردة العذبة علمياً، فإنها تؤطر جميعاً بعيداً عن صخب الأقوال وتناقضاتها، في اعتبار تلك المفردة دافعاً محفزاً في ان يكون للفرد علاقة حميمة بأخر يبادله المحبة ويفهمة ويتجاوب معه، وهي سمة فطرية نولد بها، في عوالم الأحساس والمشاعر، وليس لها اسباب فسيولوجية، وتؤول انعكاسات فيما نبديه او نتلقاه من معاملة طيبة وحنان ورعاية، او قد تظهر في حرارة اللقاء والمصافحة باليد، وقد تترجم فيما يرتسم على ملامحنا من سرور وحبور وكلام مؤثر يؤطر تلك المشاعر المرهفة، وقد نسقطها على الوجود شعراً، وقد تكون مناجاة مع الطبيعة بكل موجوداتها الجميلة، وقد يعبر عنها بالتقبيل والاحتضان، وقد تؤول مع اوج الأنفعالات إلى دموع غزيرة في لغة الفرح، وهنا تبدو هالة المساحة التي شغلت المفكرين بين الفرح والحزن في الخط الفاصل بينهما، عند يؤول اوج الفرح إلى صورة شكلية للحزن من خلال الدموع، والعكس صحيح عندما يؤول اوج الحزن والصدمة إلى لغة شكلية للفرح عبر جنون

الـضحكات، وهو الجدل بجد ذاته القائم بين العبقرية والجنون في الخط الفاصل بينهما، حيث تختلط المفردات جميعا في جدلية هذا الحد الفاصل بينهما سواء بين الفرح والحزن او العبقرية والجنون.

لـذلك فـإن الحاجـة إلى الحب في حياتنا هي عين الحاجة في أن يكون إلى جوارنا من يشبع فينا حاجات متنوعة ترتقي من الحاجات الحسية التي تتعلق بالحواس كلها، إلى أن تغدو مجـردة عـند نـضج الأنفعـالات فتـصبح حاجـات معنوية تتعلق بالمعاني والجوهر، بعيداً عن الـشكل المحـسوس والمظهـر الخارجي المادي، وهذه المعادلة تخضع لجدلية واسعة لأن الصورة التعبيرية للحب تبقى حالة وسط بين لغة الحواس ولغة المشاعر، ويصعب ان تتجرد إلى المعنى المطلـق دونمـا ان تختلط بحـراك حـسي يعبر عنها، سواء في لغة المعاملات البشرية الرقيقة او الصورة الأوج من خلال اللغة الجنسية، وفي ظل تلك الجدلية تبرز طروحات السيكولوجيين في تفسير مضامين اللغة الصوفية وما يعتريها من معاني الحب الألهي ولغة التوحد بالوجود، حـيث تعـبر عـن المعنى المطلق في لغة الحب والتجرد بلا حدود، حيث تغدو الذات والوجود في هالـــة تلـــك المفـــردة حـــيث تكتـــسي بالقداســـة في الـــبدء والانـــصهار والخـــتام ويقابـل هـذا الـنمط مـن المشاعر الصوفية المتفردة في الجوهر المطلق في اعلى درجاته، النمط المـادي الـبحت في اعلى درجاته، فيما يعرف بالحب من النظرة الواحدة، إذ يعتبر ضرب من الـشهوة، وذلـك لأن اتـصال النفوس وتلاقيها على حد قول ابن حزم الأندلسي لايكون الا بعـد ان تتهـيأ لهـذا الأتصال وتسعد له بعد ايصال المعرفة اليها بما يشاكلها ويوافقها، ومقابلة الطـبائع الـتي تخفـى علـى المحـب مـن محبوبه بما يشابهها عنده، وحينئذ يكون اللقاء صحيحاً ويحـدث اثـره، واما مـا يقـع مـن أول وهلـة يبعض اعراض الأستحسان الجـسدي فهذا سر الـشهوة ومعـناها علـى الحقـيقة، فإذا تجاوزت المحبة الشهوة إلى توافق الطبائع يكون العشق، وهنا تدخل اشكالية ان يحب المرء اثنتين ويتزوج اثنتين، فالأولى لاتتحقق، لأنه ليـس للمحب مـن وقـت وجهـد يـصرفه على غير محبوبه من اسباب دنياه، فكيف يشتغل قلبه وفكره بحب ثان في الأن ذاته، وانما الزواج يصح لأنه يقرأ من خلال الشهوة ويسمى محبة على الظاهرفهو كـناية مجازيـة تحـت مـضمون المحـبة لا علـى وجه الحقيقة، ولا تتحقق على وجه الحقيقة الا

لأمرأة واحدة لاثنتان او اكثر في الأن ذاته، وهنا انوه بأن ما ذكر سابقاً هو حول نوعية الحب التي تدور فطريا بين الرجل والمرأة في الزواج وفلك العلاقات التي تدور في هذا الإطار، لا مشاعر الحب التي تدخل تحت مظلةالأمومة والرحم، لأن هناك اغصان متنوعة لشجرة الحب في الحياة، بدءا من المفردة التي تكتسي بالقداسة في لغة الأيمان والروحانيات، او حب الأباء او الحب الأخوي، وهناك الحب المرتبط بالجنس فقط، وهناك الحب الموضوعي عندما يشحن الوجود بمشاعره وجدانيا، يقابله الحب الذاتي الذي يتمركز في الطفولة نحو دائرة الأم، وهناك صور سلبية تنطلق من مشاعر الحب عندما ينحرف عن السوية فيكون في صورة الحب الجنسي المثلي، الذي يعد شذوذاً جنسياً، والحب العصابي الذاتي عندما يحب الشخص نفسه كما لو كانت موضوعاً خارجياً وهو عندما يتعاطى مع الطرف الأخر كأن يكون زوجاً مثلاً فهو في الصورة الخارجية يشبع بمشاعره الطرف الأخر ظاهراً، ولكن في الواقع يشبع كل منهما في الأخر ناحية عصابية، وليس تعلق احدهما بالأخر، وهناك الحب الشفاف الذي يتجاوز حدود الموضوع الجنسي ليؤول في إطار المحبة المتجردة الشفافة، التي تتشكل مدادها من التوافق وارادة كل من الطرفين، على تأطير تلك العلاقة بالطهر والشفافية ولغة الأستمرارية رغم كل الحواجز المعيقة، وتعنون بصورة الحب الزوجي الحقيقي او المنشود في الديانات، حيث ينطلق إلى الجوهر ويتجاوز الحقيقة الشبقية المحضة، وربما تفتقد تلك المعاني حقيقة في واقعنا مع كافة اشكال الأزمات التي تهدد العلاقات بين البشر، وربما نجدها ولكن في مساحة جد ضيئلة في واقعنا المتخم بالماديات ولغة المصالح وتضخم الأنا والنزوات الشخصية المحضة.

وما سبق ذكره يؤكد تلك الجدلية السيكولوجية التي تميز بين الحب كعاطفة وبين ان يكون علاقة بدنية، وهنا الخط الفاصل لمعاني الطهر والشفافية في العلاقات، ولغة النزوة والأنا في ادارة تلك العلاقات، او ما يعرف بلغة الأسقاطات السيكولوجية في هذا الصدد وفي إطار تجلية تلك المفردة سيكولوجياً، تبرز تساؤلات حول لغة الشعوب في التعاطي معها، فالمشاعر واحدة في البشر، ولكن اشكال التعبير عنها متفاوت بحسب لغات العالم، وما تترجمة تلك اللغات من انعكاس في الواقع الاجتماعي، لأن اللغة ليست موضوعا خارجاً عن

المجتمع؛ إنما هي من رحم المجتمع، والعلاقة متداخلة بينهما، فكل منهما يفد إلى الأخر في علاقة دورية لاتنتهي.

فالمرأة الفرنسية تمارس الحب على طبيعتها، في إطار التلذذ والسيكولوجيا المفتوحة، ولاتستنكف ان تظهر عواطفها علناً، وتنأى عن لغات الكبت في مشاعرها، في حين تكتنف لغات التعبير عن عاطفة الحب لدى الأسبان والأيطاليين بعض التحفظات، وهذا يؤكده الأدب الفرنسي حول مفردة الحب الذي كتب فيه حتى الثمالة، في حين لم تظهر بجلاء مشتهرلدى الأدب الأسباني، وربما يفسره في ادبهم تأثرهم بالحضارة الإسلامية، التي حافظت لديهم على حمرة الخد عند مخاطبة المرأة بمفردة الحب ومتعلقاتها، كما يسجلها تراثهم الأدبي، اما في البعد الأيطالي فتحفل لغة المآسي والألام مقارنة مع هذه المفردة العذبة وانعكاساتها الاجتماعية، الذي اتخمته الملاحم والألام والحروب والتناقضات الاجتماعية وترتبط مفردة الحب لدى الألمان بسيكولوجيا الحرمان والعذابات، وهذه لغة انعكاساتها في الأدب الألماني، وربما التراث الألماني احدث انعكاساته بجلاء في هذا الصدد، والقرءاة المتأملة له عبر رحلة الصراعات الدموية، والقومية المتفردة وفي الأدب الأنكليزي هناك تقدير لمفردة الحب في اللغة الشعرية، ولكنها لغة عملية ترتبط بالمادة اكثر، وهي لاتخلو من مشاعر رقيقة، ورسالة متميزة احدثت اثرها في الأدب العالمي عامة.

أما المرأة الأمريكية فهي أقل نساء العالم الغربي معرفة بالحب الحقيقي، الجوهر المطلق، وربما أثرت حركة البراجماتية التي قادها ديوي، في إحداث انعكاساتها على المجتمع والسياسة، في ظل لغة المنفعة والمصالح المتوقعة، ومن هنا وردت على مساحات علاقات الحب لغة تجربة الحبيب وفيما بعد تقرر المرأة اعجابها به، بناء على العلاقة الجسدية المحضة، والمنافع المادية وقد تتزوجه وسرعان ما يحدث الأنفصال في ظل العلاقات المحكومة بالأنا والنزوات على غرار السياسة الأمريكية لتيار المحافظين، فهي تحتفي بحلفائها وسرعان ما تجهز عليهم بسياسة العزل والحصار والأنفصال حتي القتل بنخب الثمالة، كما تعكسها سياسة بوش والمحافظين العاشقين لمفردة الحرب مقابل مفردة الحب والفرق بينهما راء ولكنها تعني للسياسة الأمريكية الشئ الكثير في تدمير الذوات والأرض والحضارة معاً.

وعلى سبيل الأستطراد تعد أمريكا من اعلى دول العالم في معدلات الطلاق، ويعد الأمريكي من اكثر الناس قصورا في النضج الأنفعالي في موضوع الحب، واشدهم جهلا في مشاعر الأنوثة ومتطلباتها سيكولوجيا، لأنه يعي الحب وسيكولوجيته في ظل الموضوع الجنسي ونزوات الذات وتلذذها في لغة الأنا المحضة على الوجه الأغلب لا التعميم بالطبع وفي التراث العربي حفلت مفردة الحب بمساحات واسعة في لغة الشعراء والعاشقين، وبلغت حد الجوهر المعنوي في التعاطي مع المحبوبة ولغة الأسقاطات بكافة تجلياتها على ديار المحبوبة ومتعلقاتها المادية، وفي الواقع العربي، الذي نحيا مخاضه الأن، لايمكننا ان نجد سمة فاصلة لتلك المفردة في الواقع العربي الذي المخم بالتبعية، بحيث يصعب سيكولوجيا ايجاد سمة سيكولوجية فاصلة له، فهو متأثر بلغة ماضوية سلبية كبلت المرأة وبالتالي كبلت تلك المفردة وخضعت لإطار حرمان تلفظها والخوض في ابعادها الا في اطر معينة، او انسحبت لتغدو موضوعا جنسيا بحتاً كما في مساجلات بعض الفقهاء وربما لعبت الحركة الفنية عبر صورها الدرامية المتنوعة في ترسيخ تلك الرؤية القاصرة لتلك المفردة، وربما تطرفت لتغدو في بعد الأباحية المطلقة حينا كما هي في اللغة الفرنسية أو اللغة الأمريكية البراجماتية النفعية، وربما نجدها متأثرة بسيكولوجيا الحرمان والألالم كما هي في التراث الشيعي، وربما وجدناها محددودة المجالات في إطار الهي مقدس، يحرم الخوض بها في مجالات اوسع واكثر رحابه لأن ذلك خروجا عن الثوابت كما في إطارها السلفي، وما زال الإطار الإسلامي المعتدل يحوم حول الدائرة السلفية ولم يخرج إلى مجالات أكثر رحابة في التعاطي معها، والجدلية الدائرة هنا تعود للخط الفاصل بين تلك المفردة ومضامين الثقافة الجنسية وما يعتري تلك الثقافة من كبت في التعبير والمداولة الواقعية تحت مظلة التأصيل والانفتاح معاً.

وما سبق ذكره يعزز عدم امكانية تحديد سمات فاصلة لتلك المفردة في واقعنا العربي المعاصر رغم اننا نستطيع استخلاص سمات فاصلة لها في التراث الثقافي والأدبي على وجه التحديد للحضارة العربية الإسلامية.

وفي نهاية مقالتي هنا، ارجو ان اكون قد وفقت في تغطية ما تستحقه مني كباحثة سيكولوجية مفردة الحب، فضلاً عما تتطلبه مني تلك المفردة مني كأستحقاقات في إطار

عملـي في الأدب والـنقد، ومـا يؤطـر تلـك المجـالات مـن مشاعر مرهفة وموضوعية محضة، وازجـي أسمى معاني الحب والتقدير لك قارئ ومار على مقالتي، ومطالعتكم حروفي شرف لي ايما شرف.

الحركة الشعرية ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم

وقفة نقدية مع كتاب (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)

للدكتور منير البياتي*

يتناول الأدب قضايا الثقافة والسياسة، ويجسد معاناة المجتمع، وربما الثورة التقنية جعلت العالم قرية واحدة، وربما اججت افرازات العولمة تيارات تنادي بصراع الحضارات وتصادمها، وتيارات تاريخية ما زل نفث رمادها يعج بالعنصرية في ازقة اوروبا، وربما حركة الأتصال الممتدة بلا حدود، تنقل لنا من ازيز تلك الأصوات المعادية للإسلام وحضارته، ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وهنا لا يخفى علينا ان الأدب لايقف متفرجاً، في ضوء تلك الأحداث التي تهز مشاعر المسلم، وتثير انتفاضته على دينة ومقدساته، في اطر موضوعات متنوعة منها، حرمة المسجد الأقصى والدفاع عنه، ونصرة النبي صلى الله عليه وسلم امام الحملات المعادية للإسلام، والمستهدفة سيرته، وبث الشبهات والسخرية منها، وفي هذا الصدد صدر عن دار النفائس في عمان كتاباً بعنوان (محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم)* للدكتور منير البياتي وتضمنت موضوعات الكتاب معالجة جادة تجاه الأحداث الجارية بشأن الإساءة إلى شخص النبي صلى الله عليه وسلم، وما أعقبها من أحداث ساخنة على الساحة العربية الإسلامية، ووقفات متأملة في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم، في رؤية تحليلية حداثية، تسلط الضوء على العبر المستخلصة من أحداث السيرة النبوية، وربطها بالواقع وأزماته، وكيفية الولوج من خلالها نحو مساحات الأسوة والقدوة من جهة، والارتقاء في عملية تناول أحداث السيرة في ضوء المحبة الصادقة والعقلانية الجادة، من جهة أخرى.

ومقالتي هنا؛ تتناول ما سجله الكاتب من موقف الحركة الشعرية من تلك الأحداث، من خلال ما تضمنه الكتاب من مختارات شعرية في حب النبي صلى الله عليه وسلم ونصرته.

فيرصد الكاتب عبر مختاراته الشعرية حالة انتفاضة تنساب من خلالها مشاعر الحب الشفاف المرهف تجاه النبي صلى الله عليه وسلم وما يحتويها من خفقان القلب وشدو الجوارح حباً له، وفي هذا الصدد تنساب كلمات الشاعر ماجد الجهني عذوبة:

عرضـــــي فـــــدا الحبـــــيب محمـــــد
وفـــــداه مهجـــــة خافقـــــي وجنانـــــي
وفـــــداه كـــــل صـــــغيرنا وكـــــبيرنا
وفـــــداه مـــــا نظـــــرت لـــــه العيـــــنان
حـــــب الحبـــــيب محمـــــد أهـــــزوجة
يـــــشدو بهـــــا قلـــــبي مـــــع الخفقـــــان

وتتشكل نصوص الشاعر عبد المعطي الدالاني كعقد فريد في موكب العاطفة الجياشة والتصوير الفني الرائق، وهو يعبر عن حالة النشوة التي تجتاح الروح في سفرها اللؤلؤي بين حروف الصحاح وما تحمله من ياقوت المعاني الجليلة، وقد تفتحت بين يديها وردة الحب تنساب عطراً على الأماكن، فترتشف منها شهد الذكريات العذبة، وإشراقات نورانية لاتنتهي، حيث عشق الملتقى والمقام، وانعكاسات الذات في المكان في حب النبوة، وانعكاس الجمال ورفرفات القلب واحة سندسية من الحب الملائكي الشادي بترانيم المحبين على أجنحة الزمان وحب النبوة السرمدي.

أهـــدي إلـــيك نـــشيداً رحـــت أخفـــيه
بـــين الدمـــوع، حـــلاوات الهـــوى فـــيه
اهـــدي إلـــيك فـــؤادا راح يـــسكنه

عطـــــر الحبـــــيب، فمــــا أزكـــــى مغانـــــية !
بــــين الـــــصحاح تجـــوب الـــــروح ســــائلة
عــــنه الحــــروف، وكـــــم جلــــت معانـــــيه!
لــــو كـــــنت ادري حــــديث الـــــركب إذ رحلـــــوا
نحـــو الحجـــاز هـــوىً..لـــــو كــــنت أدريـــــه
شــــــدو الــــــرحال وفي أرواحهــــــم طـــــرب
يحــــدو الجمــــال، فـــيطوي الـــــدرب حاديـــــه

وهـنا تمتد دائرة البوح حيث تتجاوز الجسد والروح معا، حيث مملكة القلب العاشق لـتذكار النبوة العطـر، ورفـرفات أجنحتها في التجليات، ونبضها الناطق بالحقيقة في المكان، والمكان في الحقيقة، حيث تشرق عليهما شمس الحب السرمدي للنبي الحبيب صلى الله عليه

وســــــــلم بــــــــــلا حـــــــــــدود:
ســــــاروا إلـــــيك وراح القلـــــب يـــــسألهم
لــــو يعلـــــم القلـــــب أن الـــــدرب يبغـــــيه !
أو يعلـــــم الــــــركب أن الـــــروح تـــــسبقهم
نحـــــو الحبـــــيب، فهـــــل حقـــــاً تلاقـــــيه !
روحـــــي تطـــــير وتهـــــوي عــــــند مـــــسجده
مــــــن اخــــــبر الــــــروح أن المــــــصطفى فــــــيه؟

وتتـشكل نـصوص صـالح العمري الشعرية في رصد الطبيعة العاشقة لتذكار النبوة، وهـي تتفـتح أسـاريرها بذكـرها المبارك؛ وتزداد بهاءً ونضرةً، حيث الهدي المبارك والتعاليم الناصعة بالحب والسلام والإنسانية الرائقة، التي تتجلى بالرحمة المهداة للبشرية جمعاء،

وذكـــــــــرك يـــــــــا رســـــــــول الله زادٌ

تـــــضاء بــــــه أســـــارير الحـــــياة
وغرســــــك مثمــــــر في كـــــل صـــــقع
وهـــــديك مـــــشرق في كـــــل ذات
بعــــثت إلى المـــــلا بــــراً ونعمــــى
ورحمــــى..يــــا نـــبي المـــرحمات
رســـول الحـــب في ذكــــراك قربـــي
وتحــــت لــــواك أطــــواق الـــنجاة
علـــيك صـــلاة ربــــك مــــا تجلـــى
ضــــياءٌ.. واعتلــــى صــــوت الهـــداة

وفي نصوص الشاعر محمد بن عبد الرحمن المقرن، حالة من البوح العذب المنساب نداوة على أغصان حروفه المرهفة، حيث ينكسر الزمان والمكان وماهية السكون في الكون الصامت، حزناً على ما نال تذكار النبوة من جراح، وإيذاء، ففيهما يتدفق ماهية حب عاشق

يهـــوي قلـــبه طـــرباً لذكـــره صـــلى الله علـــيه وســـلم
ربّـــاك ربُّـــك .... جـــل مـــن ربّاكــــا
ورعــــاك في كـــنف الهـــدى وحماكـــا
ســـواك في خُلـــق عظـــيم وارتقــــى
فـــيك الجمـــال ...فجـــل مـــن ســـواكا
أنـــت الـــذي حـــن الجمـــاد لعطفـــه
وشـــكا لـــك الحـــيوان يـــوم رآكـــا
وبكـــاؤه شـــوقاً إلى لقـــياكا
لـــك يـــا رســـول الله نـــبض قـــصائدي
لـــو كـــان قلـــبٌ للقـــصيد فـــداكا

وهكـذا تـبرز النصوص شهادة الكون عبر أجنحته المسافرة وأغصانه العلية، وعرش السطور الخالـدة، حـيث تـشدو قمـرية الـزمان تـرانيمها في تذكار النبوة في الوجود الحاضر الغائب معاً.

ولايـسعني في نهاية مطاف مقالتي هنا، إلا أن أزجي كل تحايا التقدير الماسية للكاتب مـنير البياتي، ودامت إبداعاته عليه في سماءات الكلمة الحرة الأصيلة، ودامت هداهد الشعر عـبر نخـبة الأقـلام المـبدعة تعطـر وجودنا بكل عذب وجميل، نرتشف منها الشهد والحب في تؤامة واحدة، وتسري قلوبنا بالأصالة وإبداع معاً.

الهوامش:

* عميد كلية الحقوق بجامعة الزرقاء الأهلية – الأردن.
* محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، منير البياتي، دار النفائس، عمان، ٢٠٠٦ م.

ثقافة الحوار وخرفان بانورج

تجتاح المجتمعات العربية اسقاطات متنوعة تخترق عوالم الزمان والمكان لتبلغ قمة المصاب في الذات العربية، حيث تتواكب عليها خطابات القيادة العليا المتواترة صباحاً ومساءً وما على الأذن إلا الاستماع والإنصات العميق للإملاءات وإحكام إغلاق لغة الحوار، وهكذا تتوالى الإسقاطات من انعكاسات رموز القيادات إلى رموز المؤسسات إلى الزوج والزوجة في محضن الأسرة، مما تمخض عنه سعار تمادي حوار الطرشان من قبل طرف يملي وطرف خانع صامت مكبوت عن التعبير، فغدت لغة الحوار المتكافئة بين الأطراف في وأد مطلق.

وتتواتر في عالمنا العربي لغة لسان مرتفع يتكلم وأذن مستسلمة تستجيب لنداء الأمر والنهي، وهذا ما سلطت الأضواء عليه مقالة "الأذن وثقافة الحوار" للكاتب د. تيسير عبد الجبار الألوسي[1] في صحيفة المرصد الإعلامي الحر، واشار الكاتب إلى ضرورة التواصل الإيجابي مع الأخر وتنقيته من معيقات التفاعل الحواري المتكافئ "حتى لا يغلق آذاننا شئ من ذاك وحتى نفتحها واسعة مرتاحة بعيدة عن غيض أو إزعاج من إنصات للسان العدو قبل الصديق وجب أن ننظف تلك المسالك بأدوات التسامح والتواضع والتفاعل الإيجابي مع الآخر.." وبذلك يتوازى دور اللسان والأذن بطريقة الإيجاب لا السلب ولن يطمس دور الأذن حيث رحاب الحوار وثقافته، واختتم الكاتب مقالته "وهلموا نسمع بعضنا بعضا بكل الود والحب والتسامح... كما نسمع معزوفة تعجبنا أو غناء يجذبنا أو عندليبا يشدونا ويرقصنا.. حينها ستخلو الساحة من ثقافات الوحشية وأفعال السادية والدموية والصراخ والعياط والعويل ومناحات المقاتل والمغازي ليسود الوئام والتصالح والروح البشري الإنساني المهذب الكريم.. لنصغِ وشكراً جزيلاً لإصغائكم..." خرفان بانورج

إن المتتبع لاسقاطات ظلمات العصور الوسطى، يبرز لديه اعتبارها عين لغة الواقع العربي المكفهر، وهناك حيث الظلمات وما تلاها من نهضة اوربية على أيدي عقول نيرة

وهنا حيث عالمنا العربي المتأزم وارهاصاته وتداعياته عقول مفكرة نيرة تتكاتف في لغة الإصلاح التنويري عبر الدور النقدي الواعي للمجتمع وانظمته بكافة أشكالها، لغاية إخراجها من ظلمات الخرافات وعوالم المسكوت عنه والمقموع إلى عوالم الوعي والحضارة، وهذا ما تناولته مقالة "خرفان بانورج" للكاتب شريف الشوباسي في جريدة الأهرام[٢]، إذ ابرزت إسقاطات حقيقة (رفان بانورج) في عالمنا العربي والمجتمع المصري ومساحات الأعلام السطحي، في ظلال عبقرية مفارقات الأديب والفيلسوف الفرنسي رابلية، الذي سخر طاقاته الأدبية الساخرة لتسليط الأضواء على الخرافات السائدة في مجتمعه، ومنها معطيات لغة القطيع والانسياق الإمعي وراء الآخرين دون وعي وتفاعل عقلاني نير، في ظل شخصيات امعية تشكل ظلالا لغيرها، لاتقوى على تحديد مسارات استقلالية عقلانية واعيه لها في مجتمعاتها، وهكذا تسير حكاية القص في (خرفان بانورج) بين رجل يدعي بانورج وتاجر الماشية الجشع وتجري أجواء القص على مركب بحري، حيث وقع شجار حاد بينهما، وأراد بانورج الانتقام منه، فأشترى منه خروفا بثمن باهظ، وجره بقوة إلى سور المركب ثم ألقى به على البحر على مرأى الجميع وعلي الفور تحرك أحد الخرفان وسار في نفس مسار الخروف الأول ثم ألقي بنفسه في البحر وتلاه ثان ثم ثالث.. ثم اصطفت الخرفان الباقية في طابور لتمارس دورها في القفز..

وهكذا غدت (خرفان بانورج) مصطلحاً شائعاً في اللغة الفرنسية لانسياق الجماعة دون وعي أو إرادة وراء أفعال الآخرين.

واشار الكاتب إلى متتاليات (خرفان بانورج) في عوالمنا المتأزمة "وكثيرا ما تصادفنا في حياتنا الآن قطعان كاملة من (خرفان بانورج) تردد كلاما أو تفعل أفعالا لمجرد أنها سمعت أو رأت من يقوم بذلك في الصف الأول.

ومتتاليات خرفان بانورج من استبداد لغة اللسان وجبرية الاستسلام لها دون حوار متكافئ بينهما، وبروز ثقافة الشكل لا الجوهر، وإلى ما لانهاية خرفان بانورج في عوالم ثقافة الصمت الدامية في عالمنا العربي المتأزم، ما زالت تعشش في أجوائنا الرمادية، وتقتضي نداءات متعالية تصدح ليل نهار نحو لغة الإرادة الواعية وثقافة الحوار المتكافئة بعيداً عن

الانسياق الأعمي في ظل التسارع الحضاري وانفجار المعرفة وامتداد الكون في كوكبة واحدة، لايـنفع في ظلالها إلا لغة الوعي الحضاري واستقلالية الذات العربية بعيداً عن ظلمات الاستبداد بكافة ألوانها القاتمة التي تحجب النور والعقل والحب معا.

الهوامش:

(١) تيسير عبد الجبار الألوسي، الأذن وثقافة الحوار، صحيفة المرصد الإعلامي الحر، العدد ٦٧، ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٥رابطها:
http://www.freemediawatch.org/٦٧-٢٦٠٨٠٥/١٠.htm

(٢) شريف الشوباسي، خرفان بانورج، جريدة الأهرام، السنة الثانية، العدد ٤٣٣٦٥، ٢٩/ أغسطس/ ٢٠٠٥.

الأسماء المستعارة في العوالم الأدبية، إلى اين؟؟

تجتاحنا شبكة الإنترنت، وقد حققت فيها المساحات الأدبية ثراء في العطاء والمنجزات من كل حدب وصوب، وامتدت الأقلام الأدبية بتحليق حروفها عبر مواقعها وصحفها ومجلاتها بكافة أطيافها، وهنا تبدو حالة المفارقات بين ماهية الأقلام المتواجدة في الفضاءات الإلكترونية وبين القراءة المتأملة العميقة لطبيعة الأقلام الأدبية في الأزمنة الماضية، وتدور مقالتي هنا حول مساحات المفارقة بين طبيعة الأسماء المستعارة أدبياً في الأزمنة السحيقة الماضية، وما حملته من تميز وعطاء، في منجزها الأدبي ولكن ظروف العصر آنذاك وارهاصته حالت دون إعلان هوية الكاتب على الملأ، فكانت هناك أسماء مستعارة تحمل معها إبداع والتفرد الأدبي، وخلدتها الذاكرة الأدبية حتى انه غاب معها اسم الكاتب الحقيقي على الإطلاق وغدا الاسم المستعار هو الهوية الخالدة في السفر الأدبي. ولكن الواقع الإلكتروني يلحظ تمادي حالة انتشار الأسماء المستعارة، وأنا لا أعمم هنا على جميع الحالات، ولكن استقرئ الوضعيات العامة من هذه الظاهرة السلبية في العوالم الأدبية بحسب وجهة نظري، وربما الظروف والمعطيات في الكتابة السياسية النقدية تعطي مبرراً معقولا لإنتشار ظاهرة الأسماء المستعارة فيها، لتبليغ رسالة الحرية ونبض الضمير في ظل عوالمنا العربية الأستبدادية، التي تفتقد إلى حرية التعبير وتستخدم لغة الحديد والنار كخط مواجهة واستلاب لها.

ولكن في الواقع الأدبي فهناك المفارقات المؤلمة في هذا الصدد، لأننا نجد مع تلك الأسماء المستعارة عبثية الإنتاج وسذاجة الكتابة، وهشاشة المنطق الذي يسودها، حتى انه أحياناً يشعر المرء وهو يقرأ كأنما يقرأ لقلم في غيبوبة عن الوعي، وانه أمام قيء من الكتابة، التي تستغفل القارئ وعقليته، بحيث تبدو للقارئ والناقد معا أنها شتات فقرات عبثية مستقاة من حرفية السرقات الأدبية لدى تلك الأسماء المستعارة، دون مضمون معقول لها، في كافة الأجناس الأدبية في لغة ترقيقعية هشة حمقاء، وارجع تلك الأزمة المتمادية لحالة استعار

الأسمـاء المستعارة بـلا مضمون وما تحمل من عدم احترام لعقل وثقافة القارئ، لأصحاب الـشأن في تلـك المحطـات الإلكترونية، من خلال النشر الفوري و وعدم متابعة النص، وعدم جود هيئات متخصصة نقدية في الغالب تتابع النصوص وأهليتها للنشر، ولذلك لا غرابة من حالـة فوضى النشر بما هب ودب، والاهتمام بحالة الكم في النشر دون الكيف، والتنافس بين المواقـع، دون إعطاء المادة المنشورة حقها من الاهتمام والدراية والمتابعة، لبلوغ منصة أهليتها للنشر، وهكذا غدت بعض المساحات الإلكترونية سوقا هزيلا لتلك الأقلام وسذاجة النشر، وفـيها مـا هـب ودب مـن غـرائب التعلـيقات وعدم احترام الكاتب، وركل مشاعر وذوقية القـارئ في ظـل تـساؤلات مـضنية لحالة ضبط تلك الحالات المستعرة على شبكة الإنترنت، وحفـظ الكـتاب مـن التعرض للسرقات الأدبية عبر تلك الظاهرة المسعورة والتي يختبئ تحت عـباءتها كـل معانـي السرقة الأدبية وانتفاء الضمير الأدبي، وانا من هؤلاء الذين يتعرضون مـرارا لـتلك الـسرقات تحـت غطاء تلك الأسماء المسعورة، في كافة أشكال كتاباتي الأدبية، حتـى بلـغ هـستريا تلـك الـسرقات للتعلـيقات الـتي أرسـيها على مقالات إبداعية للكتاب المـبدعين في المواقـع الإلكترونـية المتـنوعة ومـن هنا فأنا اكتب كلماتي بمداد من الألم والمرارة وكلماتـي ربمـا لـن تحـل أزمـة أخلاقـية من هذا النوع، وتحمل معها لغة المفارقات بين روعة تـسامي الأسمـاء المستعارة الأدبـية في الماضـي وبـين بـشاعة لـصوصيتها في أيامنا هذه على الأغلـب ولا اعمـم، ولكن كلماتي صوت ضمير ابعثه عبر الفضاءات ليكون ولو غصة آنية في قلـوب هـؤلاء لـوكان لـديهم قلـب وضـمير، و كلمة حق أبثها، وفي الأعماق أمنيات أن يـدعمها وتلـتحم معهـا أصـوات اخوتـي الأدباء للوقوف أمام تلك الظاهرة البشعة وكشف دناءتهـا في لغة الضمير والالتزام الأدبي، حتى يكف جنودها لصوص نصوص الليل والنهار عـن عبثيـتهم اللامتناهية، أو على الأقل يعوا أن هناك أصواتاً تدعو لحجب أصواتهم وخنق أنفاسهم ولو ساعة من الزمان.

ندوة "الثقافة العربية: الهموم والتحديات"

الورقة الأولى: الواقع الثقافي: مراجعات تحليلية

سعاد جبر
٢٨/١٢/٢٠٠٤

يواجه العالم العربي تحديات كبرى، في كافة أبعاد حياتنا المتنوعة، الثقافية والاقتصادية والأمنية والسياسية والاجتماعية وغير ذلك، وعلى قمة تلك التحديات تتربع التحديات الفكرية وتحقيق الذات، وعند قاعدته تبرز التحديات المادية، ويحيط بذلك كله منظومة هموم متولدة، تعصف بعالمنا العربي، وتقض مضجعه، مما يتطلب منا وقفة جادة، وتعاطي مبدع مع ثقافتنا العربية، بحيث نتجاوز بها نقاط السلبية التي تعج بخريطة واقعنا الاجتماعي ونستشرف بها المستقبل، لذا يعد من مهام ثقافتنا العربية الاشتباك مع هموم الواقع سعياً للخروج منها نحو منعطف حضاري جاد، نستشرف من خلاله المستقبل بإستراتيجيات منهجية واعية، نستطيع من خلالها اقتحام آفاق إبداعية جديدة، لغاية بلوغ جوهر ومضمون المنجز الحضاري المعطاء، وذلك إذا ما أرادت ثقافتنا العربية الخروج من جمودها وبكاءها على أطلال الموروث، وانطلاقا من ذلك فلا بد لها من وقفة متأملة مع الذات، ومراجعة مستمرة لأطروحتنا وأساليبنا وأدواتنا ومعطيات فكرنا، في تلاقح حضاري متناغم، في منظومة أفكارنا، لضمان توفر أقصى درجة يمكن الوصول إليها من القدرة على تحليل واقع ثقافتنا العربية، واستشراف مستقبلها في رؤية موضوعية جادة تتسم بالاتزان بين الأصالة والمعاصرة والانفتاح الجاد الواعي، لا المنسلخ نحو منهجية الترقيع والانسحاب من قيم أمته الخالدة، ولعل هذه الثلة من الأفكار تشكل منظومة الأهداف التي تسعى مجلة ديوان العرب الثقافية إلى تحقيقها من خلال عقد ندوات ثقافية في هذا الصدد مع نخبة مختارة من مثقفي العالم العربي بكافة أطيافه، لغاية تحقيق حالة تلاقي عربي مبدع في عصر الرقمية الذي اخذ يتسارع بين عينينا، في ظل الثورة المعلوماتية، وتحديات العولمة بكافة أشكالها، مما يحتم النهوض الجاد نحو التواصل الفكري والحفاظ على ثقافتنا العربية، وتحقيق حالة بوح مفتوحة

تجاه جرحنا النازف في هذا الصدد، ومعالجة منظومة الهموم التي تعتصرنا في هذا الاتجاه، ولعل تلك الخطوات الجادة في التواصل الثقافي الإلكتروني؛ تشكل بصمة إعلامية تدلو بدلوها في هذه الآفاق المفتوحة بلا حدود، في ظل تسامي رائع نحو تقديم منظومة حلول واعية لهمومنا الثقافية، وتحقيق حالة البوح المفتوح الذي لا تقيده قيود الموروث والسلطة، وترنو تلك المحاورات الثقافية المنصبة في هذا المجال إلى أن تشكل بجهودها الجادة حرفا صادقا في هوية الولاء والانتماء لثقافتنا العربية، والنهوض بها قدما في مسارات الرقي الحضاري في مجتمعاتنا العربية، وإتاحة الفرصة لحالة التواصل مع نخبتنا الثقافية المبدعة، والاستفادة من آرائها النيرة في هذا الصدد في كرنفال مبدع في العطاء.

ونفتتح ندواتنا الثقافية في أوراقها الأولى مع نخبة متميزة من مثقفينا العرب في ضوء مراجعات تحليلية لواقعنا الثقافي، وارتأت مجلتنا الغراء، التنوع في بلدان ومشارب وأطياف تلك النخبة الثقافية المبدعة؛ والسادة الضيوف هم على النحو الأتي:

١ ـ أ. احمد الخميسي: مصر.

٢ ـ أ. د. احمد زياد محبك: سوريا.

٣ـ أ. د فاروق مواسي: فلسطين.

٤ـ أ. أسماء الزهراني: السعودية.

٥ ـ أ. خديجة العامودي: المغرب.

وتضمنت محاور النقاش في هذه الندوة الثقافية الأبعاد الآتية:

ـ أسباب ارتفاع نسبة الأمية في العالم العربي.

ـ ضعف نسبة انتشار الكتاب في العالم العربي مقارنة مع دول أخرى من العالم.

ـ محافل التكريم الثقافي بين الموضوعية وإرضاء الخواطر.

ـ إبداعية الأدبية بين الالتزام والخروج عن الثوابت.

ـ مفهوم الآخر ومسافات التوافق والتضاد معه في البعد الثقافي الحضاري.

وفي ضوء تحديد أسباب ارتفاع الأمية طرح السؤال الأتي على الضيوف الكرام:

ـ نسبة الأمية في العالم العربي لا زالت مرتفعة جدا، فما هي الأسباب التي تقف وراء ذلك، هل هي سياسة التعليم الفاشلة، أم لا مبالاة الأهالي أم الوضع الاقتصادي أم ماذا؟ وما الحلول في نظركم؟؟؟

وكانت إجابات الأساتذة الكرام هي على النحو الآتي:

أ. د: احمد زياد محبك: ترجع أي ظاهرة في المجتمع إلى أسباب عدة، ولا يمكن إرجاعها إلى سبب واحد، ومن أسباب استمرار النسبة العالية للأمية في الوطن العربي الوضع الاقتصادي، وله أشكال متعددة أيضاً، منها ضعف المردود المادي للشهادة، وقلة راتب المثقف، مما جعل الناس ينصرفون عن التعليم، ويقبلون على ممارسة الأعمال الحرة، لأنها تدر عليهم في وقت مبكر دخلاً أكبر ولا تحتاج إلى تعليم، ولا سيما الأعمال الاستهلاكية غير المنتجة، وهكذا هبطت مكانة الموظف، وانحطت قيمة المتعلم، وارتفعت مكانة التاجر والسمسار والوسيط، وانصرف الناس عن العلم، وظلت نسبة الأمية عالية في الوطن العربي، مع أننا بحاجة إلى عامل متعلم، وحرفي متعلم، وفلاح متعلم، والمشكلة تحتاج إلى حلول متعددة، منها رفع دخل الموظف، وفق الشهادة التي يحملها، ولاسيما العاملين في حقل التعليم، ووضع خطة تعليمية تلبي حاجات المجتمع.

أ. احمد الخميسي: لا بأس من التذكير ببعض الأرقام التي توضح كم هي مرتفعة نسبة الأمية في العالم العربي. فقد جاء في تقرير لليونسكو العام الماضي أن في ١٩ دولة عربية يوجد نحو ثمانية ملايين طفل لا يترددون على المدارس الابتدائية، وسجلت أعلى نسبة للأمية في العراق (٦١ ٪)، وفي مصر (٤٢٪)، وفي الأردن (١٢٪) هذا بينما لا تتجاوز نسبة الأمية في أوروبا (٣ ٪). وعندما أعدت الجامعة العربية في أكتوبر العام الماضي تقريرها عن التنمية البشرية حالت ضغوط كثيرة دون الإعلان عنه، لأنه يكشف عن الارتفاع المزري في نسب الأمية على امتداد العالم العربي. ولا تقع مسئولية هذا الوضع على عاتق الأهالي أو الوضع الاقتصادي، أو السياسة التعليمية. لكن السبب الرئيسي هو الأنظمة الحاكمة والدول التي تفتقد لأي مشروع للنهضة يستلزم التعليم. فمشاريع دولنا العربية تنحصر في السياحة، والخدمات، وتقديم المواد الخام للخارج. ومحو الأمية أمر يستلزم أن تكون هناك حاجة لمحو

الأمية، وليس في مشاريع دولنا العربية أي احتياج حقيقي للتعليم، وحتى القدر المحدود من التعليم الذي يتم، يتم من على السطح، وشكليا، حتى أن خريجي الجامعات في مصر لا يحسنون كتابة خطاب صغير دون أخطاء. وعندما يكون التعليم جزءا من خطة الدولة ومشروعها للنهوض، ستمحى الأمية. أما عندما نؤسس لمجتمعات يربح الجهل فيها أكثر بمائة مرة مما يربح التعلم، فمن المنطقي أن يفكر كل شخص: هل للتعليم جدوى؟

إن محو الأمية أو انتشارها هو مسئولية الدولة لأنه عمل قومي لا تنفع فيه المبادرات الذاتية المتفرقة.

أ. د فاروق مواسي: سأكون صريحًا وأقول إنها مرتبطة ومتواشجة، ولعل عقليتنا القَبولية التي تعتمد على المسلّمات، وتستهلك جملا من غير أن تفكر بتأثيرها هي المسؤولة أولاً وقبلا.... إننا نقلد ونتّبع ونستسلم للرأي السائد في المجتمع وفي الدين وفي السياسة وفي الرأي حول المرأة ووو، ومن هنا دخل حكامنا.. والمتنطعون في شرح مسائل عقدية.... ننسى أن الحياة في تطور، ونظل نراوح أمكنتنا... مكانك عُد !!!

البداية تبدأ بترسيخ الثقافة.... ولا بد إلا أن نلحق الركب، آجلا أم عاجلا....

أ. خديجة العامودي: ربما كانت هذه النسبة المرتفعة جدا من الأمية في العالم العربي مجرد تابع من توابع كل هذا الانهيار العام في السياسة والاقتصاد وكل ما يلي ذلك من تردي الأحوال العامة في أغلب مناحي الحياة. إنه وجه جليّ من أوجه التخلف الذي يسود قطاعات كثيرة، لذلك سيكون من غير المنصف أن نناقش مسألة الأمية في العالم العربي بمعزل عن مسبباتها الحقيقية.

فالناس، أو أغلب الناس، في العالم العربي لا يجدون قوت يومهم لذلك ظلوا يعتبرون لقمة الخبز أهم من الحرف، وصحن طعام أهم من جملة مفيدة، وكيسا من المواد الغذائية أهم بكثير من مقال في جريدة أو قصة قصيرة.

في البلدان التي تحترم نفسها تتفوق الكلمة على الخبز، وفي البلدان المتخلفة يتفوق الخبز على الكلمة، ويتفوق سوق الخضار على المكتبة. هذا الواقع لم يرده الناس هكذا لرغبة منهم، بل لأنهم يتساءلون كثيراً ماذا سيحدث لو حلّت بهم مجاعة، هل يأكلون الكتب أم

أكياس القمح المخزنة في أقبية منازلهم. إنه تفكير الجوع في بلدان تعاني الجوع في كل شيء، حتى في أكثر الأوقات شبعا.

هناك أيضا السياسيون الذي يرون في الناس الأميين قطيعا يسهل سوسهم وقيادتهم إلى اي مكان وإلى أي مصير. فأصعب الأشياء هو حكم أناس متعلمين يعرفون حقوقهم ويقرؤون عن حقوق الآخرين ويقارنون بين هذا وذاك. أما الإنسان الأمي فيعتبر ابتسامة الزعيم تغني عن كل شيء وتتقزم أمامها كل الواجبات والحقوق.

لا أستطيع القول إن هناك لامبالاة للأهالي في أي بلد من البلدان العربية. بل هي إرادة معينة وسياسة اقتصادية تبذر كل شيء وتتقشف في التعليم وإنشاء المدارس. هناك أطفال يقطعون عشرات الأميال ذهابا وإيابا كل يوم لكي يتعلموا، والكثير منهم يثابرون ويقاومون الجوع والعطش. هناك بلدان عربية يضطر فيها التلميذ إلى اجتياز الغابة والنهر والطريق السيار وقطعة من الصحراء حتى يصل إلى المدرسة. تلاميذ مثل هؤلاء وذووهم يمكن اعتبارهم أبطالا حقيقيين يجب أن تقام لهم النصب التذكارية لأنهم يوجهون كل يوم رسالة إلى المسؤولين بأن التعليم هو الطريق الوحيد لطرد ظلام التخلف.

أ. اسماء الزهراني: أعتقد أن الأهالي انتفى عندهم عامل الجهل بقيمة التعليم، لاسيما وأن الاقتصاد أصبح يقوم على التعليم، هيكلة وتخطيطا، وعلى مستوى الأفراد. وأما الوضع الاقتصادي فيمكننا أن نلاحظ أن انعدام التخطيط الجيد هو الذي يقف وراء اضطراب الميزانيات المخصصة للتعليم، فعلى سبيل المثال تضع وزارة التعليم في المملكة العربية السعودية خطة لإدخال اللغة الإنجليزية للصفوف المبكرة، ورغم كون تلك الخطة تفتقر إلى النضج فقد قامت الوزارة بتطبيقها وتخصيص ميزانية هائلة لإعادة تعيين معلمين، واستقدام معلمين من الخارج. متجاهلة ثغرات كبيرة في نظام التعليم عامة، فقد تأخر توزيع الكتب الدراسية لأسابيع، وافتقرت كثير من المدارس لأساسيات العملية التعليمية مثل انحدار مستوى تجهيز المدارس. إذن يمكن القول إنها سياسة التعليم الفاشلة، والتخطيط غير الموزون لتوزيع موازين القوى البشرية والمالية، أو لنقل اضطراب خطط التنمية الداخلية عامة.

وطرح في الندوة التساؤل الأتي حول محور ضعف انتشار الكتاب في العالم العربي مقارنة مع دول أخرى من العالم:

ـ نسبة انتشار الكتاب في العالم العربي ضعيفة إذا ما قورنت بدول أخري من العالم، فهل السبب الوضع الاقتصادي أم عدم اهتمام المواطن العربي بالمطالعة، أم التعليم المتخلف في الدول العربية الذي يعلم الطالب عدم الاعتماد على نفسه؟؟ ما هي الحلول لذلك؟؟؟

وكانت وجهات نظر الأساتذة الكرام في تلك المسألة على وجه التحديد؛ هي على النحو الأتي:

أ. احمد الخميسي: من الطبيعي أن تكون نسبة انتشار الكتاب ضعيفة. وجدير بالذكر أن كل ما تطبعه دور النشر العربية مجتمعة لا يصل إلي نصف ما تنشره إسرائيل حسب إحصائيات عام ١٩٩٦. ولا أذكر ذلك لتمجيد الكيان الصهيوني، ولكن لإلقاء الضوء على حقيقة أوضاعنا. ويعود ضعف توزيع الكتاب (يطبع من كتب نجيب محفوظ ثلاثة آلاف نسخة في مصر) إلي الأمية، ثم أيضا إلي عدم اهتمام المواطن، لأن أغلب ما ينشر يكتبه المثقفون للمثقفين، وقليل منه يتقاطع مع هموم الشعب، ويعود ذلك أيضا إلي التربية التي لا تشكل عادة القراءة فيها حجر زاوية. وقد تدخلت وطأة الأوضاع الاقتصادية في العقود الأخيرة بعد أن وصل سعر الكتاب في المتوسط إلي ٤ دولار، ولكن حتى عندما تطرح الدولة بعض مشاريع نشر الكتب بأسعار رمزية فإن أحدا لا يقرأ، بعد أن تراكمت فوق أكتاف المواطنين جبال من الهموم الأخرى. هناك سبب آخر: فقد لاحظت أن الجماهير الغفيرة عادة لا تعنى بالقراءة، لمست ذلك حتى في دول أوربية تساعد فيها كل الظروف على القراءة، إلا أن القراءة تظل بالأساس هم لشريحة محددة.

أ. د. فاروق مواسي: يرتبط هذا السؤال بسابقه، فالتخلف لا يتجزأ... ولكن بداية علينا أن نعترف أننا أمة متخلفة، لا أن نكابر ولو على "خازوق"....

المطالعة تبدأ لدى الطالب إذا قرأ المعلم، والمعلم لا يقرأ ما دام يرى أن "الزعانف" هي التي تصل غالبًا... وتحتل الأماكن التي هي من حق سواهم ممن هم أجدر وأقدر... وندور في حلقة مفرغة أو ممتلئة، والحلول مع ذلك ليست سحرية، فمجرد طرح هذا

الموضوع فيه إثارة وتحريك ولو قدر قطمير.... ومع ذلك فالأيام أمامنا، ولا بد من تغيير ولو ضئيل، فهل ثقافة المجتمع عامة اليوم ظلت كما كنا قبل أربعين سنة أو قبل عشر سنين؟

أ. أسماء الزهراني: عودا على بدء نعيد التأكيد على تخلف الخطط التعليمية وهشاشة بنيانها، فذلك يقف بالتأكيد وراء توقف عجلة تطويرالمناهج، لتتناسب مع حاجات التنمية المعاصرة. فمناهجنا لا تزال على وضعها منذ بدايات إرساء قواعد التعليم النظامي. ولا غرو أن المواطن الذي تربى على أسلوب الحفظ والترديد الآلي، لن يهتم بالمطالعة. ويبدو الوضع الاقتصادي هنا بريئا تماما من المشاركة في هذه الأزمة، ذلك لأن تطوير المناهج والتركيز على أهمية القراءة لا يتطلب أكثر من التخطيط الجيد ووزن الأشياء بموازينها.

أ. د. احمد زياد محبك: هناك أسباب كثيرة وراء ضعف انتشار عادة القراءة، منها عدم تقدير الإنسان لثقافته وعلمه، فالمجتمعات العربية تقدر الإنسان وتكافئه وفق معايير بعيدة عن العلم والثقافة، بل تسخر في بعض الحالات من المثقف، ومن هنا ينصرف الناس عن القراءة، لأنها لا تعود عليهم بمردود إيجابي، مادي أو معنوي، ولا بد من إيجاد حلول كثيرة، منها تحسين دخل المثقف ليتحسن مستواه المعيشي، ويمتلك المكانة الاجتماعية التي يستحق، وعندئذ يقدر الناس المطالعة ويقبلون عليها.

أ. خديجة العامودي: أخطر أمية متفشية في العالم العربي هي أمية المتعلمين. إن أغلبهم لا يقرأ كتابا إلا مرة في السنة في أحسن الأحوال، وأحيانا لا يقرؤون بالمرة، خصوصا بعد أن قرروا استبدال كل شيء بالصحون المقعرة والجلوس ليل نهار أمام شاشات التلفزيون.

يشتكي الناس في العالم العربي من غلاء الكتاب الذي يمكن شراءه بدولارين بينما يشترون كل يوم علبة سجائر أمريكية بثلاث دولارات ولا يشترون كتابا في الشهر.

الناس العاديون صاروا ينظرون إلى الكتاب كنوع من الترف، والقراءة بالنسبة إليهم خاصة بنخبة من الناس يسمونهم المثقفون.

وعكس الأمية العادية في العالم العربي التي هي أمية مفروضة، فإن أمية المطالعة اختيارية، حسب وجهة نظري. فلا دخل لها بالموارد المادية على الإطلاق. أبسط الناس

يقاتلون من أجل بعض الكماليات البسيطة، لكنهم يستهجنون شراء كتاب ويتعللون دائما بارتفاع ثمنه، وهؤلاء لن يقرؤوا حتى لو عثروا على كتب بالمجان، وهذا ممكن جداً.

وناقشت الندوة واقع محافل التكريم بين الموضوعية وإرضاء الخواطر في إطار التساؤل الآتي:

ـ محافل التكريم الثقافي غدت أخيراً مجرد إرضاء خواطر بعيدة عن إبداع الثقافي وهي بذلك تجاهلت إبداعات نخب ثقافية تستحق التقدير والحفاوة الثقافية ما ردكم على ذلك؟؟.

أ. خديجة العامودي: أهم شيء في نظري هو أن العرب توقفوا عن تكريم الموتى وقرروا تكريم الأحياء، لكن هذا التكريم ما زال يتركز على مبدعين بلغوا من العمر عتيا وصار ينظر إليهم على أنهم قريبون جدا من الموت لذلك يقررون تأبينهم أحياء عبر إقامة حفلات تكريم غالبا ما- تأخذ طابع المجاملات أكثر مما تأخذ طابع التكريم المبني على أسس عقلانية تنبني على تكريم العمل أولا أكثر من تكريم الشخص.

من النادر أن نجد في العالم العربي حفلا تكريمياً لمبدع شاب يحفر صخر الحياة بأصابعه ويحاول السير بخطى ثابتة نحو التجديد والتطوير. فمحترفو التكريم يعتبرون أن المبدعين الشباب يستحقون وضع العراقيل والحواجز أمامهم أكثر مما يستحقون التكريم. ربما يضعون في أذهانهم أن إبداع هو مثل المنافسات الرياضية، أي أن الأبطال الذين يصلون أولا إلى خط النهاية هم الأحق بوضع الميداليات في أعناقهم، بينما أعناق الشباب لا تستحق غير الأغلال.

سيكون من المفيد جدا لو يدخل هذا مجال التكريم عالم الاحتراف وتوجد من أجله لجان علمية تدقق في شروط التكريم والثمار التي سيجنيها المجتمع أولا من وراء ذلك، وليس فقط عملية مجاملاتية لتمرير الوقت من تحت أقدام الوقت.

لكن في كل الأحوال أعتقد أن هذه الظاهرة لا يمكن وضع حد لها لأن لا أحد يمكنه مثلا أن يمنع شخصا من إقامة وليمة في منزله ويدعو لها من يشاء. فحفلات التكريم صارت شبيهة بالولائم الخاصة.

أ. د. احمد زياد محبك: ينصب التكريم الثقافي غالباً على أسماء بعينها، تحظى بكل شيء، ويترسخ اسمها في الساحة، في نزوع يكرس الفردية، ومما لاشك فيه أنها تملك الموهبة، ولديها إبداع، ولكنها ليست الوحيدة في الساحة، وهناك غيرها ممن يستحق التقدير، وما تزال العقلية السائدة في المجتمع هي تمجيد الفرد، ولا بد من تطوير هذه العقلية لتدرك أن أي شكل من أشكال النهوض في الأدب والعلم والمجتمع والحياة لا يصنعه فرد واحد، ولابد من تعدد المشاركين وتنوعهم واختلافهم.

أ. أسماء الزهراني: للأسف ينطبق هذا على كثير من هذه المحافل، وحتى في حالة تكريم من يستحق التكريم مثل الراحل المنيف رحمه الله فإننا نلمح أن هذا التكريم جاء بعد أن اشتهرت روايات المنيف على مستوى الدراسات الغربية، فكان الأمر لا يعدو كونه محاولة لتدارك تهمة إهمال مثل هذه القامة في بيئتها المحلية.

أما غياب النخب الثقافية ذات الفعالية الواضحة على مختلف الأصعدة عن هذه المحافل فهو وارد وظاهر بقوة. ولا يغيب عن البال أن العالم العربي لا يزال يصدر العقول إلى الغرب بعد أن ينضجها على نار التجاهل والإهمال، ولا ننسى الراحل إدوارد سعيد وسيرته الحافلة بالاغتراب القسري.

أ. احمد الخميسي: محافل التكريم غدت إرضاء خواطر بعيدا عن إبداع الثقافي، لأن مقاليد تلك المحافل بيد الدولة، والدول عندنا تتحسس مسدسها إذا سمعت كلمة ثقافة. ولهذا فإنها أخذت على مدى عقود طويلة تربي مثقفا حكوميا يجمع بين القليل من الثقافة والكثير من الطاعة، ويقدم كل معارفه لخدمة الدولة، لأن المعرفة عنده لا ترتبط بموقف أو رؤية أو رسالة. الأخطر من ذلك أن إبداع الثقافي ذاته غدا بعيدا عن حياتنا بعد أن وقع أغلبه في أسر الجوائز التي ترصد له من الخارج من منظور معين، وفي أسر التمويل الأجنبي للنشاط الثقافي، وفي أسر "التقدير" الذي يتجلى في شكل ترجمة، أو دعوة لمؤتمر، أو غير ذلك. وانظري على سبيل المثال المذابح التي تعرض لها الشعب الفلسطيني عبر الأعوام الخمسة الأخيرة، ثم قولي لي: هل رأيت عملا مبدعا واحدا كبيرا بحجم كل تلك الدماء؟ في مصر يعاني تسعة ملايين شخص من البطالة(هذا الرقم بالمناسبة يمثل تعداد شعب بأكمله في بعض

البلدان) ويعيش ٣٥ ٪ من أبناء مصر في مساكن عشوائية، وتهيم على وجهها بلا مأوى ٤ مليون أسرة، ويحيا ٤٥ ٪ من تعداد الفلاحين بلا أرض ولا سقف؟ هل قرأت عملا أدبيا يعكس تلك الكارثة؟ إذا كان إبداع الثقافي ذاته قد ابتعد عن الناس، فلماذا نستغرب أن ينأى التكريم عن إبداع؟ ولكن كل ما قلته لا ينفي أن هناك أقلاما وإبداعا يستحق التقدير والحفاوة، ولكننا عاجزون عن القيام بذلك، لأنه ليس للمثقفين هيئات مستقلة، وليس لهم وزن تقريبا رغم كل ما يثيرونه من ضجيج قوي.

أ. د. فاروق مواسي: لن أتناول الموضوع بتفصيل واستقصاء، لكني أرى أننا نحن -من ألصقونا بسنة سافلة ٤٨ - قد غُمطنا، وتعالى علينا إخوتنا، فلا جوائز ولا ما يحزنون....ولماذا نلومهم؟ فمن يقرأ لنا أصلا؟ فعلى سبيل المثال لا التباهياصدرت أكثر من أربعين كتابًا، وكأنني لدى بعضهم رقم عابر، فهم لا يعرفونا أصلا... فهل أتألم، أم أضرب عنهم كشحًا؟ فليبحث أحبتنا في العويس والبابطين وزايد والصباح و..و وو عن غيرنا، فنحن لا نحسن الكتابة.

وتناولت الندوة مناقشة إحدى جدليات إبداع التي ما تزال مثارة في موائد النقد الأدبي في ضوء التساؤل الآتي:

ـ برزت منذ سنوات ظاهرة التخلي عن ثوابت (الفكر، الأمة، الأخلاق) واعتبار ذلك صورة إبداعية في المشهد الثقافي العربي، أين تقف أنت من ذلك وما ردك عليه؟؟

وكانت وجهات الأساتذة الأفاضل في هذا الصدد على النحو الآتي:

أ. أسماء الزهراني: تثيرون هنا نقطة حساسة لدى محدثتكم، فقد اصطدم قلمي في عالم الأدب في الإنترنت بشيوع هذه الظاهرة، وقد جعلني ذلك أتنقل من صراع إلى صراع، في سبيل محاولة فك الربط بين إبداع والتمرد على الثوابت في حدود المتاح في الكتابة على الشبكة. تلك الفكرة التي نظر لها أدونيس في الثابت والمتحول، والتي يبدو أنه لا زال لها مريدوها رغم أن الزمن والتجربة الشعرية الواسعة أثبتت هشاشة هذه الفكرة وزيفها، وقد واجهت في المنتديات الأدبية أقلاما تكفر بكل الثوابت باسم إبداع، وكأن إبداع والثوابت خطان متقاطعان يستحيل الموازاة بينهما. وكلفني ذلك عداء الوسط الفاعل في المنتديات

أ. احمد الخميسي: لا أدري ما هو المقصود بثوابت الأمة هذه؟ فهل هناك أبنية معنوية من الخرسانة والمسلح نقصدها ونقول هذه ثوابت الأمة؟ كان من ثوابت الأمة في صدر الإسلام السماحة وحرية التفكير والابتكار، أين هذه الثوابت من التعصب والطائفية وضيق الأفق ومصادرة الكتب في يومنا هذا؟ ومنذ ثمانين عاما فقط كان من الثوابت أن تلزم المرأة بيتها ولا تتعلم ولا تعمل، وأن يقبل الفتي أيادي أعمامه وأجداده علامة على التهذيب. وكان من ثوابت الأمة إلي عهد قريب جدا ذلك الإيمان الحار بالقومية العربية والوحدة؟ الثوابت الوحيدة هي التطور دون القفز المصطنع. فإذا كنت تقصدين تحديدا المشهد الثقافي العربي، وما يجرى في ساحته من تغيرات، فإنها كلها عمليات أقرب إما إلي غسيل المخ، أو التقليد، أو اللهاث وراء الشكل، وعبر كل ذلك يتخلى المبدع عن ذاته بكل عناصرها الماضية والحاضرة، إنه يصبح صورة من الآخرين وليس ذاته، وهو صورة مشوهة في الأغلب الأعم.

أ. د. احمد زياد محبك: العلم من غير أخلاق لا ينفع، والفن من غير قيمة لا يبقى، وأي دعوة إلى التجرد عن الدين والأخلاق والقيم والشعب والوطن والتاريخ لا تثبت ولا تبقى ولو تألقت إلى حين. وإذا لم ينتم الإنسان إلى أمته وشعبه ووطنه وتاريخه، وإذا لم يتمسك بالدين والأخلاق والقيم، ولم يناضل عن الحق، فما معنى وجوده؟ ومثل تلك الدعوات عابرة، وقد ظهرت من قبل في مراحل مختلفة من التاريخ، ولكنها زالت، وهي لا تؤثر إلا في ضعاف النفوس وطالبي الشهرة وسرعة الوصول.

أ. د. فاروق مواسي: منطقي ومنطلقي أن ليست هناك ثوابت، بل هناك متغير...ولكن بأصول، فالحياة تتطور... لكن لا يعني ذلك أن أنسى كياني ولغتي ومذهبي...حركة الفكر بركة أيضًا....أم أن هناك من يريدناأن نحرم حرية الفكر...يبدو والله أن كلمة(حرية) تقض بعض المضاجع.

أ. خديجة العامودي: من الصعب أن نطلب من مبدع أن يتحول إلى واعظ. أي أن يمسك في يده عصا رمزية ويقول للناس اسلكوا هذا الطريق أو ذاك. هذه مهمة الأنبياء وعلماء الدين. لكن حين يفعلها المبدع فعليه أن يختلف كثيرا عن غيره. فالثقافة في كل

الأحوال ليست بوهيمية حمقاء أو ريشة في مهب الريح. إنها التزام بقضايا الناس وهمومهم تصاغ في قوالب إبداعية وتعاد إليهم مصاغة في ألوان باهرة.

الانحلال الأخلاقي في الأعمال إبداعية، حسب وجهة نظري، ليس سوى نتيجة لضعف عام من طرف أولئك الذين يحاولون التميز أو الظهور عبر سلك نظرية "خالف تعرف"، فيسقطون في بئر التفاهة أو إخراج غرف نومهم إلى الشارع حتى يلفتوا إليهم الأنظار.

لكن المشكلة الأكبر هو أن يكون المثقف غير حامل لأية رسالة، أو يعيش في برج عاجي يرى من خلاله الناس صغارا فيرونه هم أيضا صغيرا. إبداع لا يكون سوى من رحم المجتمع ومشاطرة جماعية لا يختلف فيها المثقف وعامل النظافة، الفرق فقط هو أن الأول يحول معاناته إلى شكل إبداعي، بينما الثاني يدفن كل شيء داخله أو يحوله إلى عنف ضد نفسه وضد المجتمع.

وعموما، فإن الذي لا يستطيع الكتابة عن نملة تجر حبة قمح نحو قريتها الصغيرة تحت الأرض، لا يجب أن يوهمنا بأنه كاتب ويتبجح بجرأة يمكن أن توجد أيضا في العوالم السفلى يثرثر بها الغوغاء.

وناقشت الندوة مفهوم الأخر ومساحات التوافق والتضاد معه وموقف الأساتذة الكرام من تلك المعضلة التي تواجه ثقافتنا العربية وسوف تزداد معها الهوة في عصر الرقمية والثورة المعلوماتية، وطرح التساؤل في هذا الاتجاه على النحو الآتي:

ـ ماذا يعني لك الأخر و ما هي مسافات توافقك وتضادك معه في البعد الثقافي الحضاري.

وندرج إجابات ضيوفنا الأعزاء على النحو الآتي:

أ. د. فاروق مواسي: سأجيب من خلال مقالة لي كيف أرى الآخر... وقبل أن أترككم مع المقال القصير أود أن أؤكد على أن العدو العاقل خير من الصديق الجاهل، والأجنبي الذي يقف معي في قضيتي أفضل من العربي المتقاعس بَلْهَ الخؤون....... والآن إلى الآخر، الآخر: يكتسب الآخر مدلوله من خلال معنى (الذات)وهويتها، وهاتان تقويان

في حالة الانتماء، وتطّرد قوة الانتماء بقدر معاداة النقيض الذيصبح هو الآخر – المعني 'معنًى وموقفًا.

في مجتمعنا الفلسطيني حيث يؤلف بيننا الوطن وما يُكاد له فإن صانع الكيد هو ذلك (الآخر)، لأنني في مواجهته وهو في مواجهتي.

صحيح أن هناك آخرآخر – ذاك الذي لا يعادي ولا يناقض، بل يراقب أو 'يتفرج'، فهذا يكتسب آخريته' بسبب عدم انتمائه لمجموعتي، وعلاقتي به قد لا تختلف عن علاقتي بفرد من مجموعة انتمائي.

لا يخفى أيضًا أن للهوية محاور مختلفة، فعندما يستلزم التقسيم الديني، فإن الآخر الذي أواجهه هو ذلك الذي يحاول نفيي أو إلغاء أسس نهضت عليها في عقيدتي.

ويمكن في التقسيم الاجتماعي الحاد – كما كان في أوج الشيوعية – أن يكون الآخر هو المعادي الطبقي.

إذن، عندما تقوى الهوية يقوى مفهوم 'الآخر' نقيضًا معاديًا لطموحاتها، وهذا 'الآخر' هو المراد في المجابهة إلى درجة أنه يحتكر اسم (الآخر) وكأنه قصر عليه، ويتضاءل مدلول الآخر – بمعنى كل ما هو غيري أو غير فئتي.

ملاحظة: ثمة علاقة موقفية بين مصطلح (جوي) لدى اليهود، وهم من أوائل من رسخوا قانونية 'الآخر'، – وأحيانًا بنوع من الإنكار – وبين مصطلحنا الذي تردد مؤخرًا بصورة منهجية.

وتبعًا لذلك فالآخر الذي يجابهه الفلسطيني اليوم هو الصهيوني، و هناك من ينحو – تعميمًا – اليهودي (وليس المقصود بالضرورة المفهوم الديني)، وكذلك كل من دار في فلكه ممن يحاول أن يتنكر لوجود الفلسطيني وحقه على أرضه وفي وطنه.

أ. احمد الخميسي: صراحة لا أدري بالضبط المقصود من مصطلح 'الآخر'؟ أعلم فقط أنه ورد إلينا في إطار جدول كامل من المصطلحات مثل صراع الحضارات أو حوارها، وغير ذلك. وكلها مصطلحات أنيقة تخفي وراءها أشياء أخرى، تصب في الأغلب في باب التمويه على حقيقة الصراع العربي الإسرائيلي. أريد أن أعرف مقدما من هو الآخر؟ هل هو اسم

الملاطفة لإسرائيل؟ فإن كان كذلك فإن علاقتي بهذا الآخر علاقة خصومة، ليس لأنني أعشق الخصومة، ولكن لأن ذلك "الآخر" هو الذي يجعلني أصطبح كل يوم بمشهد أطفالي القتلى في فلسطين. وإذا كان الآخر هو أمريكا فإن علاقتي به ستكون أيضا علاقة خصومة. من هو الآخر؟ إن دمج كل الأشياء السيئة بالأشياء الحسنة في مصطلح واحد، أمر يرمي فقط، لتمرير السلعة السيئة مع السلعة الجيدة. وقد قام الرئيس أنور السادات بذلك ذات مرة حين طرح استفتاء من سؤالين معا: هل تقبل بمعاهدة كامب ديفيد؟ ثم هل تقبل بالديمقراطية؟ وكان لابد من النظر لكل جزء على حدة. ليس هناك "آخر" مطلقا وعاما، هناك "آخر" محدد، ومتعين، في كل مرة، وفي كل مرة سيكون موقفي منه مختلفا. أما عن البعد الثقافي فإن تاريخ منطقتنا كله يشهد بأننا تفاعلنا دائما مع كل الثقافات والحضارات.

أ. اسماء الزهراني: الآخر يعني لي منطقة قابلة للاستكشاف أولا، ثم الحوار لغرض البحث عن مناطق التقاء، تشبع نهم المعرفة الذي فطر عليه الإنسان. الأصل هو الحوار وينتج الحوار خارطة تتوزع عليها مساحات الثقافة، تقسمها حدود الثوابت إلى مناطق محايدة وأخرى مشتركة وأخرى متقاطعة يفصل بينها برزخ احترام خصوصية الآخر ورموزه الحضارية.

أ. د. احمد زياد محبك: أعترف بالآخر، من أي شعب كان أو لون أو دين أو مذهب، ولو اختلفت معه، أو اختلف معي، وأحفظ حقوقه، وأدافع عنه، وأرتبط به، وأحس بوجودي من خلاله، وأتواصل معه، وأستفيد من خبرته وثقافته، وإذا أخطأ في حقي الفردي، أو أساء إليَّ شخصياً، أسامحه، ثم أنصح له، ثم أنتصف منه أمام القضاء، وإذا أساء إلى الأمة والتاريخ والدين والأخلاق فأنبّهه وأوجّهه وأصحح موقفه، وإذا اعتدى على أمتي وشعبي وتاريخي وثقافتي عملت مع الآخرين على رد اعتدائه وقاومته بكل ما نملك جميعاً من أشكال القوة والمقاومة.

أ. خديجة العامودي: الذي قال بأن "الآخر هو الجحيم" لم يكن كلامه من قبيل الصدفة. فالآخر دائما هو مصدر تعاستنا وهمومنا وشقائنا، وربما يرى فينا الآخر الصفات نفسها. فنحن أيضا نمثل الآخر بالنسبة للآخر.

بالنسبة لنا كعرب فنحن نتمثل الآخر بالمعنى الحقيقي للكلمة. نحن الشعب الذي ننظر إلى المرآة فلا نرى فيها أنفسنا بل نرى فيها الآخر. نرى فيها عدوا متربصا وأحقادا متجمعة وأسلحة تحشد لنا ورسامون كاريكاتوريون يجهدون أنفسهم ليل نهار كي يجعلوا من وجوهنا أكثر الوجوه إضحاكا في العالم، فالشاعر قال عنا إننا أمة ضحكت منها الأمم. لكن هذه الأمم التي تضحك منا لم تفعل شيئا كثيرا لكي تقترب منا. هي اكتفت بالضحك ونحن اكتفينا بكراهيتها. هي تقهقه ونحن نشتم.

من الصعب أن نتحدث عن توافق أو تضاد حضاري وثقافي في ظل جهل مطبق للآخر بنا. ففي هذه الحالة إما أن نقترب منه كثيرا حتى يبتلعنا، لأنه واقف في مكانه لا يتحرك، أو أن نقف نحن ثابتين لا نتحرك، وفي هذه الحالة أيضا سنفتح شهيته ويأتي إلينا لابتلاعنا.

لا مجال إذن للحديث عن توافق ثقافي حاليا لأن الآخر لا يريد ذلك، هو أرسل إلينا الأسلحة والدمار، ونحن أعطيناه دمنا.

وفي نهاية مطاف رحلة تواصلنا الثقافي مع أنغام حروف مبدعنا الضيوف الكرام، فأننا نتقدم لهم بكل تحايا الشكر الماسي على ما أتحفوا به أمسيتنا الثقافية من ثمار خبراتهم العلية، ونرجو ان نكون قد حققنا ما نصبو إلية من أهداف سامية في إقامة مثل تلك الأنشطة التواصلية، لغاية الحفاظ على ثقافتنا وبث رسالة الوعي تجاه منظومة أفكارها، وسلطنا الضوء على قيمها الخالدة، وضرورة الحفاظ عليها، وإلى الملتقى في تواصل مستجد مع نخب ثقافية أخرى، يستجد معها اللقاء ونستشرف معها آفاق ثقافتنا العربية المسافرة في ميادين إبداع لا تنتهي.

سيكولوجية الأدب وروائع الأدب العالمي

ماتيلدي سيراو والاحتضار بين زهور الفل: من روائع الأدب الإيطالي

تشكل إبداعات (ماتيلدي سيراو)* مساحة مضيئة في الأدب الإيطالي، واعتبرت تلك الكاتبة الموهوبة عبقرية أدبية في تاريخ الأدب الإيطالي، لما امتلكته من موهبة متفردة في التصوير الفني لنصوصها القصصية، وعكسها الفئات المهمشة في المجتمع الإيطالي، عبر فنيات إبداعية، تتشكل في التقاط الحياة في جزيئاتها بصورة مؤثرة مدهشة، وعذوبة مشوقة في السرد، حتى اعتلت عرش الإجادة الفريدة في التقاط النفس الشعبية، ومن جملة العقد الفريد لإبداعاتها، بائعة الزهور[1]، التي تعكس من خلالها لوحة فنية أدبية لمتسولة صغيرة، برعت الكاتبة في التقاط أنفاسها المتحشرجة، وتعابير المعاناة في محياها، ومساحات الخوف التي تترصدها وهي ابنة السابعة، وصور الألم التي تتضور في جسدها عند مصانع البسكويت ورائحة الخبز المنتشرة من المخابز، وملامح اندهاشاتها من العالم الأخر فيما وراء (سانتا باريرا) ورمزت له الكاتبة بتعبيرها (من فوق).

فترصد الكاتبة استهلالة قصها بمشي الصغيرة بتمهل على حافة الجدار لسوق التجار الضيقة والمعوجة وعيناها ترمق الأماكن العالية، من البقعة السفلى التي ترزخ تحت نير جوعها وبؤسها، في أزقة مظلمة تدور فيها يمنة وشمالا مع الفئات المهمشة الفقيرة في المجتمع الإيطالي طلبا لثمن رغيف خبز هي غاية مناها في الحياة.

وتتشكل أيدلوجية الكاتبة بالسخرية من اعتبارات دينية واعتبارات اجتماعية في أنصاف تلك المتسولة الصغيرة؛ التي فقدت أمها ولم تبك وتصرخ ومضت في أزقة الظلمات طلبا لرغيف خبر في معترك الحياة وصراع البؤساء في الحياة، إذ تتشكل في النص رؤية الكاتبة لوهمية تلك الرموز الدينية في مساحاتها القصصية، وانها تبقى تماثيل جامدة لاتملك حياة لتلك البائسة الفقيرة، تطالعها الفتاة الصغيرة، وتمضي إلى طريق فقرها اللامتناهي.

وفي الوقت ذاته تتشكل العذابات من تلك الفئات المترفة في المجتمع، والفئات المتنفذة في المجتمع؛ التي تزيد من بؤس المعاناة وتجريد الفتاة الصغيرة من إنسانيتها؛ من خلال الرؤية الفوقية لآفة التسول وضرورة سجنها دون نظرة حانية رقيقة لأحتضان تلك الفتاة الصغيرة وإنقاذها من ظلمات مدلهمة؛ تتكدس ألماً ومعاناة في حياتها الشقية البائسة، حيث تغفى الضمائر ولا تستيقظ.

وتبرع الكاتبة في رمزية مفردة (من فوق) في لغتها القصصية؛ لتخترق تلك الطبقة الأرستقراطية في ذهنية تلك المتسولة البائسة، حيث تترصد مساحات الخوف والفضول في رحلة مؤلمة؛ تنكشف دقائقها عبر تقنيات القص المبدعة لدى الكاتبة: "كانت تتبع طريقها حتى (سيريليو) وتعود أدراجها دائما في خطى حذرة كي لاتتعثر على طول الجدران، اوبين أقدام السابلة، تلك الأزقة السوداء، ذلك العار، ذلك البؤس، الدهانات ذات الأطياف، انعدام الشمس، سحنات المرابين، والبائعين ووجوه سماسمرتهم المتشككة، والملامح المتوحشة للمومسات، تلك البضاعة التافهة الزاخرة بالغبار، والفاسدة.. كانت كل عالمها، كانت بالتسكع تشعر انه في ماوراء سانتا باربرا... في نهاية شارع الأميرة مارغريدا، كان يوجد عالم أخر، لكنها كانت تخشى أن تواجهه، كان لديها منه خوف وحشي، كانت تطلب صدقة، لكن مراراً كثيرة، ما كانوا يعطونها جميع أولئك الناس المسرعين ليربحوا المعاش القاسي...."

وتتواكب الإضاءات الخافتة للنص في عكس معاناة تلك الصغيرة البائسة، والتعبير عن انكساراتها اللاشعورية "كانت تطلب بصوت مرتفع (صولدو... رغيف" وبعدها كان الصوت ينحدر برنته ويعود متوسلا، ويختنق باكيا، بينما بعض دموع باردة كانت تنحدر على خديها، وبالرغم من كل هذا كانت تتابع الذهاب والمجيء كل ذلك يتم بإلهام، مدندنة بكلمات مبهمة، حتى إذا جف الصوت في حنجرتها المتحترقة، عندئذ كانت تطلب صدقة بتنبيه النظر.... وفي نهاية النهار.. تترنح بدوار ثم تجرجر نفسها حتى درجات كنيسة "بورتانوفا وهناك تظل بلا حراك، منكمشة كثوب مهترئ تخرج منه حشرجة مخنوقة"

وتتشكل المفاجآت القصصية في إضاءة بنفسجية في النص تتدفق حيوية في النص، في يوما ما من حياة تلك الصغيرة البائسة، من خلال تجمع جماهيري وهم يتدافعون، وتندفع

معهم تلك الصغيرة بين تناثرات الورد وامرأة جميلة بين الحرير والورود، والرعب ينال الصغيرة من هول ومفاجاة المشهد وبمحاذاتها امرأة أنيقة بملابس سوداء تحمل سلة صغيرة من الأزهار، والنقود تتكدس في قعر السلة الصغيرة، فيقع عود وفلة بين يدي الصغيرة، فتتوزع ابتسامتها عليه، وتزرع الفلة بفتحة قميصها، لكن سرعان ما تنهال الصرخات واصوات الشتم لها في عز أمنياتها بأن تكون مثل هذه البائعة، وامتعاضات من وجودها، إذ يجب أن تسوقها الشرطة على السجن للتخلص من ظاهرة التسول المقيتة في المدينة.

فعند تلك اللحظات المؤلمة وعند إسدال النص نهاياته المؤثرة، في فنياتها التعبيرية العالية، وهي تبيع الزهور بصورة أليه في تنهيدة بطيئة تنهض لها الصدر، كان الفرج بشراء جندي فلة منها، ونيل "صولدوا" لتشتري بها رغيف خبز، ومشهد السيارات التي تسبب الدوار ومشاعر الخوف لديها، وعبورها مضطرة خائفة الشارع إلى الجانب الأخر ليسدل النص على صرخة امرأة في سيارة عابرة نالها الإغماء" وبمحاذاة الرصيف كائن برئ يحتضر وساقه مدعوسة، كانت تحتضر بين زهور الفل التي انتشرت حولها، ضاغطة بيدها على صدرها وقابضة باليد الأخرى على رغيفها الصغير بوجه ابيض وصارم. وكان فمها نصف مطبق، وعيناها الكبيرتان المندهشتان والمتألقتان في السماء".

وهناك تبرز رؤى الكاتبة المبدعة التي اختارت الفئات المهمشة نبضا لولادة نصوصها إبداعية، في التعبير عن معاناتهم وفقرهم، في ظل لوحة اجتماعية منكسرة مؤثرة، ترصد الواقع آنذاك بكل تجلياته، وبكل عفوية ومصداقية مرهفة، وشفافية نازكة ذات نفس طويل في السرد والتصوير، مما مكن الكاتبة من اعتلاء عرش القصة الإيطالية في زمنها العريق، واعتبارها عبقرية قصصية في الأدب الإيطالي.

وعند الحناءات أغصان الفل الناعمة، وتراقصات فلة إبداع أودعك أيها القارئ العزيز بالحب والسلام، وعليهما ألقاك عبر تفتحات بنفسج إبداع والق زنابق القص العالمي.

الهوامش:

* ماتيلدي سيراو من افضل كاتبات إيطاليا واكثرهن آثراً في الحياة الفكرية، ولدت في باتراس باليونان عام ١٨٥٦، وبدأت منذ نعومة إظفارها المساهمة في صحف نابولي ككاتبة، وكثير من الصحف الإيطالية مدينة بوجودها لماتيلدي سيراو، وافتها المنية عام ١٩٢٧ تاركة وراءها إرثاً فنياً ضخماً يناهز الأربعين مجلدا منها (القلب القاسي عام ١٨٨١) و (خيالات عام ١٨٨٣) و (جيوفانا ١٨٨٧) و (اللاميز١٨٩٤) و (المخادع ١٨٩٨).

(١) ترجمة: عوض شعبان.

فرجينيا وولف* من خلف أشجار القص

صدر حديثا عن دار الشروقفي عمانمجموعة قصصية للروائية البريطانية فرجينيا وولفمعنونة بـ (بيت الأشباح) بترجمة القاصة رقية كنعان، وتضمنت المجموعة القصصيةعناوين مثيرة بدءا من بيت الأشباح وقصص أخرى، وجاءت المجموعة القصصية في أربع وستون صفحة من الحجم الصغير، وتناول نص (بيت الأشباح) محاورة بين شبحين تدور بينهما محاورة ناطقة تسدل من خلالها الرؤية المبطنةللنص في أعماق الكاتبة التي تتنهد كلماتها ألما وتململا على لسان تلك الأرواح الخفية المتحركةعبر منظومة اسقاطات في البيت المفتوح وحراك الستائر والصفحات والحديقة في مساحات الأشجار وتلاعب الريحبأفق المكان والزمان معا، في ظل تصوير فني ماتع، ورسالة مشفرة في النص تحكيمساحات الأنا القلقلقة المتمردةفي فرجينيا وولف، في ظل أجواء عبثية تحرك أحداث القص عبر تماهيات الشبحين في مساحات المنزل والحديقة، حيث تتحرك أرواحهما الناطقة في النص في ظل انتشاءات الأمن، وهنا تبرز روح فرجينيا في النص عبر حراك تلك الأرواح الخفية بحثا عن مفاجاة ومنظومة أسرار مخبئة في أحضان المكان والزمان، وتماهيات الرجل على مساحات القص، وتنهدات المرأة بحاثة عن سر وجودها بين متواترات لحظات الحياة ولغة الصفحات، فالقص يحكي (أنا) فرجينيا في تمرد رؤاها عبر لغة القص من جهة وعمق حالة الكشف عبر لغة تكشيف السرد في عوالم صامتة في حياتنا، تحركها لغة فرجينيا بحثا عن الحقيقة الحاضرة المفقودة في أعماق الكاتبة المتمردة المنهكة في الآن ذاته، في ظل فوضى أحداث تمر من بين عين الكاتبة المبدعة المتمردة، فتختزلها مشاعرها في عمق المعاناة، فتبث على النص في حرارة القص وحيرة السؤال، بحثا عن جواب مفقود دوما، يغلفه تساؤلات في ميلاد تساؤلات، تؤجج

(أنا) الكاتبة في مزيد من الحيرة والفضول، عبر مساحات الألم والمعاناة في ماهية الشخوص المختارة من قبل الكاتبة.

والمتتبع للنصوص الواردة في المجموعة القصصية، يبرز له حدة الإسقاطات التي تتشكل من قبل ذات الكاتبة على النص، من خلال لوحة فسيفسائية اسقاطية للطبيعة التي تواترت مفرداتها في النصوصفي ظل رؤية فلسفية متمردة للكاتبة، عبر تتابع المفردات والمقاطع والمشاهد والتنهدات على بساط التمرد والتساؤل، مما يؤكد حضور ذات فرجينيا في كافة مقاطع القص وتعبيرها عن مساحات القلق والتوتر من جانب عبر لغة عبثية إبداعية في الآن ذاته.

وفي نهاية مطاف مقالتي النقدية هنا فكل التقدير لروح فرجينياولف التي ودعت العالم في ظل نهاية مأساوية تذكرني برحيل المبدعة مي زيادة، وايماني العميق بأن الهم واحد في حياة المبدعين في الشرق والغرب، في ظل سيكولوجيا الذات وسيسيولوجيا الأحداث اليومية، وان اختلفت الظروف والأحوال والمسميات، فالجوهر واحد في حياة كل مبدع مرهف الإحساس، واحيي إبداع القاصة رقية كنعان عبر ترجمتها الدقيقةالموفقة لهذه المجموعة، وكل إبداع وإبداع وردة مسافرة بلا حدود في عمر كل مبدع في الحياة عبر مساحات الروح المسافرة والحاضرةمعا.* فرجينيا وولف(١٨٨٢ـ١٩٤١) روائية بريطانية وكاتبة مشهورة في الصحافة البريطانية، أصيبت في نهاية أيامها بنوبة عقلية أثرت على نفسيتها فملأت جيوبها بالحجارة وأغرقت نفسها في نهر اوسي بالقرب من منزلها.

فنيات القص في أدب "رابلية"

"إضاءات على روائع الأدب الفرنسي"

يعد الأدب صورة انعكاسية عن الواقع في كل آلامه وآماله، ولغة ناطقة تعبر عن متضاداته وجمالياته، وتركيبية مشفرة في نكهة لها خصوصيتها في ايدلوجية التعبير وسمت متفرد في منظومة إيحاءاتها حول هالة المجتمع وما يعتريها من إضاءات عاكسة. وقد ارتقى الأدب في صوره التعبيرية مع رحلة الحضارات في ألوان متنوعة من المثالية والواقعية ومدرسة تيار الوعي الإسقاطية، لذا يعد الأدب لوحة مشرقة في وجه الحضارات المسفرة عن ثقافة الشعوب وتراثها ومنظومة مشاعرها وتصوراتها عن الحياة والواقع المشاهد واللامرئ من الأشياء، ويشكل الأدب الفرنسي صورة ناطقة لتلك التحولات، وقد تأجج في رحلة العصور الوسطى بلوحات فسيفسائية من البعد الأيدلوجي المكثف، وحالة الرفض الاجتماعي بكل أبعادها، ورسالة داعية للتغيير والإصلاح، وتتناول هذه الوقفة النقدية نموذجاً مختاراً في الأدب القصصي في تلك الحقبة التاريخية، للأديب الفيلسوف "رابلية" لاعتبارات عدة منها خصوصية أدبه الذي يشكل صورة ناطقة عن مجتمعه، فضلاً عما ترسمه نصوصه من الرنو الجاد نحو رحلة انطلاق فضفاضة بما تحمل من حماسة وتفاؤل، ويثري أدبه إعجابه الشديد بالفلسفة وروادها القدماء وحبه للحياة والارتواء بنهم من معين العلم، إذ يعتبر رجل كنيسة رفض واقع الكنيسة وما يعتريها من تضادات، واشبع فضوله في خوض غمار علوم متنوعة، واتسم أدبه بخصوصية متشكلة في الروح الضاحكة التي تشرق في وحي السخرية المتهكمة اللاذعة من جانب وانطلاقات عشق الحياة من جانب آخر، حتى أن القارئ يستشعر معها تعالي ضحكاته في نصوصه، ولكنها تحمل في مكامنها الساخرة رسالة فلسفية ولغة خاصة في التعبير، وتعكس البعد التراثي للمجتمع الفرنسي آنذاك، في نكهة تحمل شيفراتها لغة ثورية على الواقع سواء في بعد الكنيسة أو تربية الأبناء على وجه الاستشهاد لاالحصر، وتسطع منها لغة الولاء لوطنه فرنسا، لذا يشكل أدبه القصصي بعداً

فلسفياً في لغة الإيحاء المعبرة عن منظومة رؤاه ونظرته للحياة، التي تتسم ببعد نقدي للمجتمع ولغة ذاتية فلسفية في الإصلاح.

ويرفض "رابلية" النمطية السلبية في سلوك رجال الكنيسة ويدعو إلى الإيجابية والعمل الجاد ويقدم تلك الأبعاد في شخصية "جان ديزا نتومور" الذي يعتبره مثالا للقسيس المتفتح والمتحرر إذ يترك صلاته لمواجهة شرذمة لصوص قد سطو على الحقل الذي يحيط بالكنيسة في حين بقي زملائه القساوسة في الدير منشغلين بالصلاة والدعاء للصوص بأن يهديهم الله ويثنيهم عن عمل الشر، لذا تنطلق كلماته في طيور عاشقة للحرية المطلقة وإدانة القهر التجبر في النظام الكنسي، وترسم لوحات مطالبة بسيادة الفضيلة والعفة والاحترام المتبادل وفرصة الزواج في أي وقت لساكني الأديرة، ويعبر عن تصوره في تلك القضايا بإشارات رمزية منها أن الأبواب المغلقة والقوانين الصارمة لا تؤدي إلا إلى القسوة والمرارة والحقد، ويستشف القارئ في نصوصه أيضا روحه الوثابة إلى حياة هادئة ومنها دعوته إلى التحرر من قيود الوقت، لذا منع وجود آيه ساعة او أجراس تنبئ عن الوقت داخل الأسقفة، وأشار إلى أن الحياة النقية ليست مقصورة على الأديرة، وللمرء أن يحيا حياة كريمة فاضلة نقية خارج الأديرة، فهي ليست محصورة في تلك الأديرة واسوارها كما تصور رسالة النظام الكنسي ولغة المجتمع البيغاوية لها.

وقد وسم "رابلية" بالإلحادمن قبل الكنيسة بناءا على ما اعتبرته الكنيسة خروجا عن الكنيسة في لغة فلسفته الإصلاحية المنبعثه من أدبه القصصي، بالرغم من انه كان يعبر في نصوصه عن إيمانه بقوة الله وعظمته.

ويتسم نقد رابلية في لغته القصصية بأنه لاذعاً وقوي الجرس في اللسع ويثير في نصوصه تساؤلات تثير إشكاليات دينية اجتماعية في مجتمعه الكنسي آنذاك، مثل هل من الأفضل أن يتزوج المرء أو أن يبقى عازباً؟ وترفض نصوصه التقليد في لغة المجتمع بكافة أشكالها ويعبر عنها من خلال نص "أغنام بانيرج"، إذ يعد هذا النص رمزاً لغباء الناس وحبهم للتقليد الأعمى وتدور أحداث هذا النص في انه اشترى بانيرج وهو على الباخرة التي تقله إلى البلاد البعيدة خروفاً واحداً من ضمن قطيع كبير من الأغنام كان على ظهر نفس

الباخرة، ثم هم فرماه في أعماق البحر ولم يستطع صاحب القطيع ولا أعوانه إيقاف سيل قطيع الأغنام الذين القوا بأنفسهم وراء زميلهم في البحر.

وتتسم الانعكاسات الفلسفية في أدب رابلية بالمرح والتفاؤل والانطلاق ومهاجمة النفاق وضيق الأفق وعدم التسامح، والحديث في ذلك يطول، وانطلاقاً مما سبق، فانه يمكن تحديد أبعاد فنيات القص عند رابليةفي الآتي:

- استخدام الأسلوب الساخر من خلال استخدام الطرافة والدعابة في تصوير الأحداث وتشابكها، فيستشعر القارئ في النص جرس الضحكات المجنونةالتي تحمل في مكامنها لغة نقد المجتمع ولغة التغيير والإصلاح.
- تصوير الشخصية في اقل عدد من الكلمات والتصوير الفني البارع لمقاطع مجتمعه من الريف والرعاة وحواري باريس وما تحوي من لصوص وحراس.
- الدقة في تجسيد روائع فنيات التعبير لواقع الإحساس بالحياة من خلال مشاهده الاجتماعية إذ تسمع من خلالها رنين الضحكات وأصوات العواصف الهائجة في البحار والأصوات الحادة وطرقاتها في معارك الحقول، فينقل القارئ إلى عمق الإحساس بالأحداث وتشكلها في لوحان ناطقة بالحياة بجمال وإبداع.
- التسلسل في المشاهد في انسياب، في ثنائية مترابطة بين تسلسل الحدث وبراعة تشكيل منظومة المشاهد في اتساق منساب جذاب.
- تعتمد نصوص "رابلية" على حقيقة اعتبار أن الضحك هو الوسيلة الوحيدة الفعالة التي تفيق القراء من سباتهم العميق، وتحثهم على الرؤية الواعية، ويشكل هذا الأسلوب الساخر -الذي اختاره رابلية كخصوصية يتمايز فيها أدبه عن غيره- عنوانا للتفاؤل المطلق لديه وأيماناً برسالته في التغيير، وتشكل تلك النصوص ثورة جادة في رسالة التغيير والإصلاح لمجتمعة في كافة الأبعاد الفكرية والكنسية والاجتماعية، وبعداً معبرا عن منظومة فكرة وتصوراته الفلسفية في الحياة ولغة المجتمع.

وفي نهاية مطاف تلك الوقفة النقدية في هذه الحالة المختارة من روائع الأدب الفرنسي، أرجو أن أكون قد وفقت في تلك الإضاءة النقدية، ولعل هناك ملتقى يجمعنا في روائع الأدب المتلاحمة بين حضارات الشعوب في ارتشافات أدبية جديدة وأطياف قزحية تتناول إبداعية الأدبية حيثما كانت وأينما حلت.

"تساميات لغة الورد بين رونسار وفاروق مواسي"

قراءة سيكولوجية في نص "وسم الأريج" شاعر فاروق مواسي

خلدت الذاكرة الفرنسية الشاعر رونسار في ادبياته الرومانسية النازكة في القرون الوسطي، في ظل لغته الشعرية الملوكية، وعبقرية مخيلته الفذة، وقصائدة الحالمة بأكاليل المجد الخضراء التي سطرت دواوينه، والرومانسية الهادئة التي بلغت قصائده بها مجد الشهرة ومقامات التغني بها في المجتمع الفرنسي انذاك، وما زالت في الذاكرة الفرنسية الأدبية حكايا النساء اللاتي احبهن رونسار في اكاليله الشعرية وهما ماري وهيلين وغيرهما، وتلك التماهيات الرومانسية هي التي جعلت شعر رونسار على الألسنة، في ظل قصائده التي سجلت نجواه لحبيبته التي يشبهها بالوردة الجميلة الحالمة، ولكنه يحذرها أن تذبل وتموت مثل هذه الوردة، ويحثها على التمتع بالحياة والحب قبل فوات الأوان:

"يا صغيرتي، هيا نرى الوردة..
التي آبانت هذا الصباح، تحت الشمس رداءها الأحمر
هل آسقطت هذا المساء
طياتَ فستانها الأرجواني.
ولونها صنو بشرتك الجميلة؟
واحسرتاة ! انظري في هذا الوقت القصير.
يا صغيرتي، قد ألقت الوردة على التراب
واسفاة ! كلَّ جمالها
يا للطبيعة القاسية !
آه لتلك الوردة الجميلة التي لاتعيش.
إلا بين صباح ومساء.

صدقيني إذاً يا صغيرتي،
أنت في زهرة العمر
وفي خضرته المتجددة
اقطفي شبابك قبل أن يأتي عليه العمر.
كما قضى على الوردة الناضرة.

والمتأمل المتدبر في النص يتجلي لهصدى فلسفة العصر انذاك السائدة، التي توجه الإنسان نحو التمتع بالحياة والتعلق بها، ويتردد في ظل تلك الأشعار المنطبعة بتلك الفلسفة لغة حتمية الموت وما يعتري تلك اللغة من مشاعر الحزن والكآبة التي تبرز في ذبول وقشعريرة الحروف عند تماس تذكار الموت ومعطياته المؤلمة، ولكن ليس دوما تبرز مشاعر البغض

والتشاؤم بالموت، فأحيانا تبرز في أشعار تلك الفترة أن الموت هو الغاية التي يسعي إليها الإنسان في لغة اللقاء بالله

يقول رونسار:

هنا يا أيتها الروح، ستحلقين إلى العلا
وستلتقين بالله
الذي اعشق هنا صورته...
ويعتبر الشاعر ذلك السفر المحلق البعيد انه سفر إلى بلا د النور
وانت تمتلكين أجنحة
تقودك لو أردت، إلى بلاد النور؟
هناك الخير الذيتصبو إليه كل نفس...
هناك الراحة التي نتوق إليها...
هناك الحب والهناء.

وفي ظل تلك المقابلة الشعورية بين تألقات رونسار الشعريةورومانسية موسم الأريج* للشاعر فاروق مواسي تبرز مساحات لغة الورد وتجلياته في تلك الواحة الربيعية التي تجمع بين روح رونسار وهمسات موسم الأريج الدافئة لفاروق مواسي.

فهناك لغة إبداعية هادئة في نص موسم الأريج تنساب من خلالها حالة شعورية دافئة في ظل تألقات رومانسية عذبة، تشكل من خلالها حورا جميلا بين روح الشاعر وابهة الجمال في عز تفتح اكمامه الوردية حبا وتساميات رومانسية هادئة

هـــــنا مواســـــم الأريـــــجْ
تفــــتحت يــــا حلوتـــــي
والـــــصبح رش في الأفـــــق
نــــورًا وناغـــــى صــــبوتــي
الحـــسن طــــاف... واغتَنَـــبق
ثمالــــةً مـــــن مهجتـــــي
ولانَ مــــــن لــــــون الألــــق
بمــــا يــــشفُ بالــــندى
في نبــــضِـهِ غــــدقْ ......

ويبرز في النص لغة جيلة وديعة لتألقات الصباحوشفافية الندى، ترتسم من خلالها لغة الأتحاد الشعورية في تساميات متلالئة نديةوهنا تحلق الحروف في عوالم هادئة تبرز من خلالها انعكاسات عوالم الجمال واللذة وتعانقات اغصان الربيع ونبض القلب حيث تبسط سماءات الكلمات الناعمة اجنحتها في رونق جمالها ودفء مناجاتها العذبة في شفافية التلاقي وعذوبة تساميات الوجدان الهادئ الجميل

هـــــنا مـــــرابع الجمـــــالْ
تلــــوّنــت في حلوتـــــي

احســـــــــــــــــتـــه في قـــــــــــــــــبلتي
شـــــــــــــــــربتـــه في ظمأتـــــــــــــــــي
ســــــــــــألته عــــــــــــن لـــــــــــــوعتي ......
يـــــــــــا روعـــــــــــــة الـــــــــــــنواااال !!!

فهناك بين رونسار وفاروق مساحات الكلم الهادئ الجميل على بساط تفتحات الورد الندي الجميل، ورؤية الوجود في ظل انسام عبيرية منسابة إبداعاً وتألقاً، هناك نبض واحد في قلب رونسار وفاروق هو عين شمس الورد في تألقات بهو جمالها ورفرفة اجنحتها على قيثارة السطور الناعمة المبدعة.

ولايسعني في نهاية مطاف مقالتي إلا ان ازجي كل تحايا إبداع الوردية النازكة المعبقة بالياسمين لمبدعنا الألق د. فاروق مواسي وكل إبداع وانت متتاليات إبداع لا تنتهي.

الهوامش:

* موسم الأريج، صحيفة دروب الإلكترونية، ٣ اغطس ٢٠٠٥.

الخاتمة:

في نهاية هذه المحاورة السيكولوجية للأدب في ظلال غصونه الجميلة، وبساتينه العطرة، تبرز للمتابع جماليات هذا العلم الفذ، في تناول النصوص الأدبية، ومحاكاة الطبيعة... عفوية الروح.... تألقات الكلمات الراقصة على اوتار السطور، في ظلال احداث متواترة بكافة الوان الطيف، وحراك شخوص في واقعنا الزاخر بالأحداث، وحكايا لاتنتهي، ونهايات تفتح ستائرها على أرواحنا بأنسام عليلة، في حراك نصوص على اوراق بيضاء طاهرة، تخالجها اهات الحروف، ورحلة الكلمات على اجنحة نوارس الشواطئ، تحيي ليلها قمرية الألحان، وقيثارة نصوص شادية بين يدي القراء، تحكي الهم والأماني معا، والحزن والفرح معا، وتناجي الذاكرة والنسيان، والخلود والفناء معا، وفي تلك الأجواء الباعثة للطاقة والحب والحياة ومفردات السلام، اختتم بالعبارة المشهورة لـ (تايلهارد شاردان):

"وفي يوم من الأيام، وبعد ان نكبح جماح الرياح، ونتحكم في الأمواج والمد، والجاذبية فأننا ستتحكم في الحب، وحينذاك وللمرة الثانية في العالم سيكون الأنسان قد اكتشف النار من جديد".

ومن هنا ارنو اليك عزيزي القارئ بأن تكون اليد القادمة التي تدلي دلوها في هذا العالم، تغييرا واصلاحا، ورؤى جمالية في الحياة، فتبث طاقاتك المكنونة، فنحيا معا المشاركة في الموهبة والعاطفة، وبركات الله ترعاك على الدوام.

ترانيم طيور جريحة

"نصوص نثرية"

بقلم الدكتورة سعاد جبر

ترانيم طيور جريحة

"نصوص نثرية"

المقدمة:

لو عشنا لحظاتنا على انها دقات ساعة في احداث عظيمة، وإننا روح من نفح الله، وطاقات لاتنتهي من العطاء وإبداع، لتغير مسار ذاتنا في الحياة، وتغيرت اتجاهات بوصلة الحياة معنا، عندئذ ستكون الحياة مشرقة بالنور، في نبض الأيمانيات ومعرفة الله، وتجلي نفحات الأخرة، وتوهج الطاقات في دنيا التحديات وبناء الذات في الذات مجدا وتألقا وإبداعا، عندئذ سنخلق الحقيقة في الحقيقة، والوجود في الوجود، والجمال في الجمال، والهمة في الأمة، والأمة في القيادة والتمكين، وهنا ليت النهاية تواكبنا ونحن نصعد من جبل إلى جبل اخر، ومن إبداع إلى إبداع، ومن عطاء إلى عطاء، ونمضي دون ملل وكلل، ودون ان ينالنا الأحباط واليأس، في توالد امل لاينتهي، وتوالد ذبذبات طاقة وجودية فينا، تمنحنا راحة النفس بالتدبر، ولذة النبض بالتوحيد، وجماليات يد معمرة، وممشى مبارك معطاء في الحب والسلام ومتتاليات إبداع في إبداع.

على أوتار تلك الروح الوثابة
والطاقات اللامحدودة
ولدت ورود حروفي على بساتين السطور المترعة

بالحب والشفافية لكم، واعذروني إن لامسكم منها ألم او نزف جراح لأنه الواقع بكل مافية، وعلى مافية، في اتونه وهستيرياه، ولامناص لنا منه..

الزفاف الميمون

ازدان الحائط بأزاهيره العبقة، ونبض بعنفوان التحنان إلى حكايات الزمان العتيقة، وتعانقت أغصانه مع عنان السماء، تنشد مع الطيور المغردة ترانيم سؤدد تاج الأيام...

في الزمن الأول...

في الذاكرة الحاضرة الغائبة

هاهو قلمي الغريب الحزين يبسط جناحيه للطيران مع هذا السرب المبارك في السماء، وها هي روحي تغادر عجلة منتفضة أسوار ذاتي المكفهرة، لتسكن عمر النبل في الشجرة الطيبة الخالدة، وأغصان مداد الحكاية، في ساح الزمان العبق ودقات اللحظات العاشقة وأريج ياسمين الحائط المجهول

حيث تبسط الحكاية ثوبها الربيعي العطر، وينشد طائر السنونو...

هناك...هناك

تغاريد ذكر النبلاء

ويفرد جناحيه في توأمة حراك مع هدهد سليمان

وتكشف الف الحكاية نقابها مع نضرة وضاءة غرة الصباح

حيث يجتمع نبل الرجال مع كرم السخاءفي الحائط المزهر

في روعة أناقة الاجتماع وقد تزيت بجمال خضرة حائط الجمال

وكأني بالنبل روحاً ممتدة قد انكمشت حياءً منهما

وكأني بها تعاتب طائر السنونو

لما حملتني اليوم على أجنحتك عند مئذنة نبل الذوات

وكأني اسمع آهاتها وقد تقزمت ـ على حين بغتة من أمرهاـ في خلود ذكر اجتماع رجلين من عمر الزمان، قد بسطا لي في لحظة مجهولة خبرهما العطر بين الأنام، في صفقة يمين خالدة؛

إذ اشـترى نبـيلمن كـريم حائطاً مزهراً، قد اعتلى منصة الحب وإيناس اللحظات في عمر نبيل الحكاية

هـا هـي الأيـام تعانق نبيلفي حائطه الجميل، وهو يبذر بذار الخير والعطاء، متجولاً مبتهجاً بعطاء الرب الرحمن، شاكراً لأنعمه وآلائه المغدقة عليه ليل نهار

وتمـضي أيامـه الحلـوة في افقهـا المزدانة بعرق همته في بستانه الساكن في حناياجفونه الناعـسة عـند زورق المـساء، فتمـتد في زورقها في رحلة ليل آمنة؛ تنسحب برشاقة عذبة من قطيفتها السوداء، لتسكن وردة السماء عند الصباح وتعانق ورود الحائط الحمراء

ها هي تتمايل رقصا وفي سلتها أسرارها الفرحة

نطقت و أشبعت الأجواء بشذى عبيرها النازك

لقد !!!!!

تفتق رحم الأرض في الميلاد المجهول....

وتألق بعنفوان هيبتها الممتدد ولمعان بريق ذهبها الساطع في الق الصباح

لقد تفتق رحمها بمولود شمسي لامع أخاذ

لبس ثوب جرة مترعة بذهبها البراق

قد سطع بريقها في عيينة الحائرتان وأحدثت كدر غشاوة في بصيرته الفطنة

كانت رنين مفأجاة لا تهدأ وإعصار موج يهيم في الهذيان

لكـنها لحظـات عابـرة؛ ركـنت إلى هدوء نبيل الحكاية؛ العامر بدفء الوجدان والق قـناعة المعاش وأمانة صدق المقال، فتحركت قدماه في حراك فضائي لتصنع مسرح الحكاية في مدارج سمو الأرواح

بـاب كـريم يطرق عند الصباح ويحمل معه خبر وردة حمراء؛ تحمل فم الحكاية وسلة أفراح قادمة إليه

ـ تحايا الأنبياء في السلام لك يا كريم.

ـ وعليك السلام ورحمة الله وبركاته... هلت بك أنوار طيور الحب والإيناس.

ـ تفضل ولك قلب كريم في سعة قلوب الأنام.

تجالسا وتضاحكا وتعانقت قلوبهما في انس نبل المجالس وحوار فريد دار بينهما نشرا به عطر ريحانة في الآفاق...حملته لنا صحائف ذكر النبلاء في الزمن الأول.

نبيل: أتيتك احمل لك مولودا شمسيا، اشرق به هذا الصباح المياس، في سلة أفراحه العبقة بأزاهير العمر.

خذه فإنه رزقك المقدر في حبور الأيام وهناء اللحظات.

خذ رزقك الطيب فأنا إنما اشتريت منك الأرض ولم اشتري ذهبها.

اشتريت وجه الأرض النضر ولم اشتري رحمها.

فيتعالى صوت كريم قبل أن يكمل نبيل كلماته.

ـ إنما بعتك يا نبيل الأرض وما فيها.

بعتك حلة البستان البهيةورحمها الممتد في الأعماق الغائرة.

واشتدد أنين الخلاف بينهما واختلطت الأوراق بينهما في تحري هوية المولود الشمسي القادم من أغوار الأرض، فجرهما امتداد حبال الخلاف إلى منصة فضه عند فطن ثقة حكيم، رأيه حاسم جازم لا يقبل المحاورة والرد، فجلسا بين يديه وأدلى كل بدلوه في نسبة المولود الذهبي، وعم الأجواء هناك صمت الحكيمالفطن، وسكنت على سماء صمته أغصان الشجر وطيور الحقول الناعسة، وبسط طائر السنونو جناحيه هناك ليعطر الصمت بسحر ترانيم رفات أجنحته الراقصة، ووقفت روحي تائهة شاردة في تمثال بنات أفكارها الصامتة؛ بحاثة في مقلتيها المتسمرتان عن حكمة الجواب والقول الفصل في حيرة السؤال

عند رنين تلك اللحظات الواجمة الحائرة؛ نطق الحكيم الفطن بقوله الفصل مخاطبا إياهما:

ـ الكما ولد

ـ يسارع نبيل في حرارة الإجابة: لي غلام

ـ ويعاود كريم صدي إجابة نبيل: لي جارية

الحكيم مخاطباً إياهما بحزم: أنكحا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا

عند ذلك المعبر الزماني العبق انسدلت ستائر الحكاية و سافرت روحيفي حقيبة اللحظات المبحرة في زورق الأيام

تشدو فرحة بخبر النبل والعدالة في أحرف حقيبتي العتيقة الحزينة الساكنة عند النجمات خبر نبل الحكايات تشكل بساطا محلقا معها في سماء علو ورع الأنفس وتجردها من مادة الأرض؛ في روعة سكينة القناعة؛ في لوحة ثلجية ناعمة، وزفاف ميمون بشرق بقرآن صفو الأرواح المؤمنة معا، في الروح الخالدة البريئة والجسد الواحد الممتد عبر الزمان وعند دقات ساعة الواقع؛ حاولت جاهدة أن انزل الحكاية من سماء علوها إلى وحي واقعي المدلهم

فتعبت معي الأفكار وشعرت بالحياء المتدفق من روح الحكاية، فما كان مني إلا أن أؤجج نيران العتاب لنفسي التي تصر على عنادها الصارخ:

ـ كيف هانت عليَّ نفسي بأن اخلط دياجير الليل التاه مع بهاء طلعة الفجر البهي!!!

ـ ماذا أريد؟؟؟

ـ صناعة حلم رمادي من البياض والسواد

ـ ربما نعم !!!!...

ـ لا ادري؟؟؟؟

فتشكلت أحرف لا ادري خاتما يحلق دنياي بما أريد وما لا أريد!!!

وعند أنين تلك اللحظات التائهة غردت بلابل الأفكار في مملكة قلبي نشيدها الخالد:

تلك همم النبلاء

أيقظت حس الرقي في وجداننا

صنعت بهجة الزمان في قلوبنا

كسرت حصار مادة الواقع الساكنة فينا

أزاحت حجب الوهم المنسدلة علينا من غبار واقعتا

في حرف حكايات الأوراق الثلجية
وترانيم الطيور المهاجرة
وأقحوان الزفاف الميمون
وعروس بهجة الورع في جمال الزهور

....

ملاحظة: روح الحكاية مستقاة من حديث للنبي صلى الله عليه وسلم أخرجه الأمام البخاري في صحيحة ٣/ ١٢٨١ رقم الحديث ٣٢٨٥، دار ابن كثير للنشر، بيروت، ١٤٠٧-١٩٨٧/ ط٣ / تحقيق: د. مصطفي ديب البغا.

ونص الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اشترى رجل من رجل عقاراً له فوجد الرجل الذي اشترىالعقار في عقاره جرة فيها ذهب فقال له الذي اشترى العقار خذ ذهبك مني إنما اشتريت منك الأرض ولم ابتع منك الذهب وقال الذي له الأرض إنما بعتك الأرض وما فيها فتحاكما إلى رجل فقال الذي تحاكما إليه الكما ولد قال أحدهما لي غلام وقال الآخر لي جارية قال أنكحوا الغلام الجارية وأنفقوا على أنفسهما منه وتصدقا.

تفاحة المجد:

اعتلت تفاحة المجد عرش مملكة الطموح، وسحرت الرائي بألق بريقها الساطع في الحقول اليانعة،أشرقت جمانة متلألئة تتراقص بين نون قلم مثابر، وألف تتعالى بأفق أسطورة ذاتها، وعناق قطرات ندى، نقش على قلبها حاء حب الجمال وسعادات إبداع، في جنان مترعة بإصرار الذات، وابحارها في فلك مطامح الإنجازات، تعزف في الجزر البعيدة سيمفونية عذبة من وحي سحر الطبيعة، اسمها قوس قزح النجاح، تعانقت الهامات المبدعينمع ترانيم وحيها في الأفاق، فكانت بردا في تأجج انطلاقة مبدع الأيام، وراسم لوحة المستقبل، وغواص بحار الدرر ولآلىء إنجازات، تثري الأمة والذات، سلبت الأنظار بحمرة دفئها وأوقدت في القلوب لهيب غزل عذري يمتدد بامتداد إبداعات ذات في الآفاق.

يا لجمالك يا وردة اختالت بين الورود
ملء عينيك بحار عبقة بأيام حالمة في المجد
وإجتياز المفاوز البعيدة
كلما بلغت محطة امن وقرار، انجب رحمها ميلاد امنية متدفقه في العمر
ووردة حمراء تتفتح أكمامها على عوالم سفر الأرواح للحراك تلو الحراك نحو عمارة الأرض، وتراقص بسمات النجاح، قطرات ندى عذبة على القلوب المتعبة، التي سكنت عند الظلال، في استراحة مسافر، نحو بيارق افاق علو في الهمة تحلق وتحلق لتبلغ عنان السماء.. بساط علوها.. وحي إسلامها العظيم.

تحمل بين يديها قرفانها العظيم تستمد سن بيانه الساطع حقيبة اسفار المبدعين
وتحفظ وصايا اعلام النبلاء في الزمن الأول
في اسكان الهمة ماسة لامعة، تترفع في ان تحط بها الأسفار إلى
سفاسف الحال في الذات والمعاش، وتطير في بساط الأفاق، غايتها
رفعة امتها في مجد الخالدين.

تنادي في الأفاق
آفق..آفق
يا مستقرئ حال ماسة إبداع
وتفاحة المجد...اسطورة خوارق الذات
آفق...آفق
وسافر بعيداً بعيداً
إلى حقول تفاحة المجد...ماسة إبداع
والقي عن عاتقيك ثقل إنهزام الذات
وغادر حذاءك الصخري الذي حبسك عن الحراك، واسكنك أجساد موتى
الإرادات وبؤس الإحباطات، قد انكمشت في ماء آسن، يعشق الوجوم
والوقوف، ويكره الحراك و أدوات التغيير في الآنام
أفق وغادر كهفك المكفهر
افق ولا تتلكأ..ولا تجهش بالبكاء على جراح الزمان
افق وسافر في الآن قبل امتدادها في أفاق شفق الزمان..وغروبها
عنك في الأبد كله
افق...آفق
ماس المجد لايشرق في العمر إلا لحظة عابرة مسافرة
فلتكن عروسك اليوم
وأرمي لها حبال الوصال
في إنجاب ذرية إنجازات ماس المجد وإبداع

أبجديات غرائبية

"إهداء إلى أسيرات سجن أبو غريب"

زهوٌ مكتئب

تفشت "الأنا" المسعورة على مساحات جسدي في عقدة "الانفصام" الملتهبة، فتناثر جسدي على ركام آهات أمتي، فلم يزدهم إلا كهفية روحية في جسد معطل، فحتى يستيقظ الجسد الحالم، لابد أن أولد في أمة جديدة؛ تسترد روحي من جديد؛ وتلملم جسدي المتناثر، على أزقة غرائبية تزهو بعقدة "الاكتئاب، الزهو" في هستريا راعي بقر سادي للتو بلغ مدنية الميكانيكا المفرغة من أوصال روح الحضارات، فغدا في فوضى اسقاطات ذاته المسعورة على آهات جسدي، في اكتئاب مسعور زهوا على صفحات وادي بين الأنام. فبأي ضمير حضاري نال ذلك الوغد وسام التحضر على رفات صرخاتي الملقاة ركاما في أزقة المقابر السوداء الحزينة.

استحالة الممكن

في زاوية مكفهرة، التصق جسدي المنسلخ من جسد المستحيل خارج أسواري الحزينة، واخذ يجتر فراغات الممكن، في عالم المستحيلات، فأنسحبت من اللاشئ في غرفتي السوداء، لأملأ فراغات مبهمة تحوم في كثافة مسعورة حول ذاتي التائهة في اللاشئ من الأشياء، لعلي ابلغ عبر أزيز تلك الفراغات، إلى عوالم جسد المستحيل المعطل، فتناله صرخاتي، وضجيج أنيني، وقد انهالت علي جمعية سادية، تلتهم روحي، وتشرذم جسدي في عوالم سحيقة من الآهات، التي ليس لها إلا الجدران الصامتة، في رد الصدى البعيد القريب، فهلا كانت الجدران الصامتة في عوالم إمكانها، جسد المستحيل في عوالم انتفاضة وامعتصماة؛ فينالني بردها في كبرياء رجولتها، فيطفئ نار جسدي؛ و تردد جدران الأحزان الخاوية صدى عراك سيوفها في عالمي المكفهر من جديد. فأنال شرف الوضوء من برد غبار خيولها في سماءات عز حالمة بعيدة.

انشطارات مبهمة

امتدت الأغلال في لسان الأنا المسعورة، فكبلت روحي، وانكسر معها ما املك من بضع آن متبقي في قبري الخاوي الموحش، وتأججت في بطنه نيران 'هناك' تتعالى بضجر وغدوت رمادا فيها، حتى انسلخت من جسدي المحترق، وحلقت في مخيلة الوهم الخضبة في طير حزين يسبح في الفضاءات الحرة، ويعانق البساتين، ويعلن موت آمتي في كل لحظة احتراق اجترها، وفي نشوة كل لحظة تحليق أسافر في وهمها، وها أنا حرف تائه في سطور الآن وهناك، اجدد أحلامي الواهمة في رسالة زاجل مبهم، يردد ضجيج انيني، وصرخات اغلالي، ويحكي قسوة الجدران الملتصقة في جسدي، فهلا نالت أذان صاغية من بين آمتي، أنين عذاباتي، في عوالم اللانهايات من قاموس انشطارات ذاتي في أزقة 'شيزفونيا' الأنا، الأن، هناك ' السادية المسعورة على أبجديات وجودي المبهم الصامت الحاضر الغائب في اللاشئ من الأشياء.

إنكسارات هائمة

إهداء إلى كل مواطن عربي

التف حول هالة ذاتي، تنتابني الأعاصير، انسحب من الوجود وتنسحب ريشة الألوان من يدي، فتغدو لوحة الوجود بلا ألوان، وتنعكس في قلبي مرآة تغص بالآلام، فيضيع معها الأثر والمؤثر ولغة اللحظات والأيام، وتفنى الذات في تلك المتاليات التائهة تشرذماً واستنزافاً، ارقاً واكتئاباً، فأعاود لململة ذاتي من تناثرات هالة الوجود السائحةفي اللازمكان، حيث يعتريها لغة الانسحاب والضياع، وتتصاعد أنفاسها بحاثة عن عين شمس تشرق من هالة الوجود، لتطالع لوحة الوجود في حلة قزحية، ومرأة أفراحتنعكس على مملكة قلبي الحزين، فتغدو في أعراس إبداعات متسامية خلاقة لاتنتهيفي رحلة الوجود الخالدة، فإلى أن تنهي شهرزاد رسالتها المحكية عبر جسور الزمان، فلتتصاعد أرواحكم إلى عليين السماء، ودنيا الأحرار، في أبجديات ديغول وتشاؤمات نيتشهعلى لوحة الواقع المغبر في اللامكان.

وسادة الأحزان

إهداء إلى الطفولة المعذبة في الأرض

في عـروق دولابية، تلتف بجسدي، في خيوط مغناطيسية، تداعبني بين الحين والأخر، وتحتضني في أجوائها، وتدور بيني وبينها لغة الحب ونشوة الالتصاق

تناجيني ...

تهمس في اذني...

وتفـتح لـي عـبر سماءاتها الحمراء مساحات مجهولة ضبابية تسكن في روابي الأفق البعـيد، فأرمقهـا في عـينيَ الصغيرتينفيقطر على جسـدي من نداوة عشق التحنان، فأقف عند جـدارها، حيث تنطلق هناك بدء صرخاتي في معترك ميلاد الحياة، ولابد أن تنتظر هناك وثبة مـبدع قـادم مـن عوالم عروق حمراء راقصة، يحمل بين يديه الصغيرتين عصاً ماسية تشرق من بـين ثـناياها شمـس الحرية، وتنشد شفاهه في تلك المساحات الحالمةترانيم طاهرة في ابجديات إبـداع مـتألقة، فتجـتمع علـيه طـيور الـسماء في بـساط التحليـق علـى كرسي خاص متفرد باشـراقات الجمـال،في اسـتلهامات حالمة لاتنتهي، وعند رقصات ستار ذلك الجدار المبهم في دنـيا الأمنيات، فاجأتني دموع حارة تنثر على جسدي، وأهات مستصرخة تجتاحني من عوالم بعـيدة، فـلا اعـي ذاتـي هـناك، فأتلمـسها في عـروق جـداري، فأخالهـا سمكة وثابة نشطة، فأسـتجيب لدقات حسها المرهف، واسبح معها في هالات وفرقعات هوائية مع مواكب أجنة قادمـة، تحمـل في قلـوبها الـصغيرة نبضات الارتقاب ونظرات التوجس المتسمرة، وقشعريرة زلـزالية لا تهدأ، من اثر الدمار في العالم الصامت المبهم الجاثم أمام أعيننا البريئة، فتقترب منا أصـوات اصطلاء النيران التي تأكل الأخضر واليابس في هذا العالم المجنون، وتنفث دخانها في أزقـة مظلمة حيث تتواكب فيها متتاليات عذابات فتية صغار يتضورون جوعا وتلتف عليهم أفاعـي الخطـف البـشرية وهـي تنتـشي لهوا في لغة المتاجرة في أجسادنا الصغيرة، واركن عند زاويـة انكـسار اشراقات الشمس في ركن منزوي حيث تجلس بائعة عطر تلتف على جوانب

بضاعتها الملقاة على قارعة الطريق إشعاعات العنف فوق الحمراء من لصوص الليل والنهار، لتلتهم جسدها وتلقيها في سلة النسيان البشرية، وعند جدار مقدس اسمع آهات طفل دري يحتضن صدر والده ويرسل من بعيد ألف باء الحرية في الوجود؛ في أنفاس مجهدة، وهدير أصوات متقطعة، ترنو إلى..

حرية طفولة ...!ضائعة!!!!

حرية ارض!.. مسلوبة !!!!

حرية وجود...!. منتهك بالأضطهادات !!!!

فتتسارع عند تلك الأصوات هستريا كونية هوجاء لاتنتهي بحثا عن إحداث تشويش كوني على تلك الأصوات الدرية، فلا اعي حالي في ذلك الآن المجهول إلا وقد انكمش جسدي الجلدي الأحمر الرقيق فتنتثر تشققاته على وسادة صغيرة تسبح على بحار دموع بريئة من جور الكبار وعنف الأباء وعنجهية اللامساواة، فألملم أجزاء جسدي المنسلخة المتناثرة هنا وهناك في الحال واعلن ميلاديّ قبل الأوان؛ في حلم عاصف صارخ نحو احتضان كرة أرضية تحمل الحب والسلام، وبساتين سندسية تحتضن الطفولة البريئة الضائعة في الأرض، فتشرق عليها شمس المستقبل الوردي، ونلتقي عند قلبها في أنامل جينية برئية وردية ترسم لوحة إبداع الخالدةفي فضاءاتها الشاسعة بلا حدود حيث تنتهي هناك لغة التمايز في آدمية الحسوتماوجات ألوان الورودوأبجديات لغات السلام.

فهلا انتظرتيني يا متتاليات الأيام، لأفك آسرك العتيد على شاطئ الأحزان، وانشد معك نشيد الحب والسلام من وراء جدار الرحم الحاضر الغائب في الأيام.

يا دعوتي الحمراء سيري

إهداء إلى روح الشهيد عبد العزيز الرنتيسي

صيحات تجوب الأفاق، تسكن القلوب فتنفجر، وتعتلي الأغصان الجريحة وتشدو بترانيم آهات مستصرخة، تنادي من بعيد

يادعوتي الحمراء سيري

في ألف لغة هيا بين الأحياء

تعانق أرواح الشهداء وتفوح مع تلاقي الأرواح عبق ذكر علوي، ورعشة الغيمة على الشفق، وتنفس الأشجار في لهيب الغضب، ورنين القمر في النداء للجهاد، وترسل أوراق نرجسها الحزين على قلوب من تبقى من أهل العرائش المنكوبة، وقد تفتحت من بين ثنايا ما اغتيل من بهجة يقظتها وردة حمراء قمرية، تردد أي الذكر الندية، فتبعث في الأجواء رحيق بردها العذب على القلوب التي قتلها قيظ عتمة القلوب في ديار أبناء العمومة في التصاق الجسد وانفصام الروح، فتركن إلى ركن شديد، وتعانق جسد أيوبي في الصبر على الملمات، وانكسار الجناح، وفقدان الأحبة، وغياب النجوم المتلألئة من على بطن السماءات الداجيات، فأوجه حرفي لحوها واسكن ثنايا مذكراتها المخملية، واحلق في قمرية قلبها المنكسر، وأشدو معها بأحزان الثكلى، واسلي الروح بأشجانها المنتحبة، وأمطر بحرا فياضا من الدموع المدرارة على الأوراق المنسية، فلا أجد رسم روحي وقد ذابت معه الأوراق الما واعتصارا، وانعتقت منها الحروف، تسبح في الفضاءات الحمراء تبكي الأرض والديار، وتغرق دموعها في أثير المسافات فتلعب بها الرياح وتعصف بها الملمات وتشطرها صواريخ عابثة من سموم أرواح ذئاب مسعورة في شناعة الحال والمآل، وخنازير غجرية في لغة رعاة خرائب الحضارات، فلا أجد حرفي إلا وقد آوى كريما إلى بساتين قلوب الأجداد في رحلة النزع الأخير والوداع الشريف، في رحلة جسد أدمتها الجراح، وانتثرت مملكته النورانية قطعاً

لحمية ملتصقة بالحديد والتراب، فأجد رسم روحي في ثنايا الجسد المتبعثر هنا وهناك، واتفيئ ظلال الشهداء هناك في نهارات أثيرهم المسكي المشرق من آتون الظلام، فأتلمس القطع المبعثرة في احتضان طفلة لمولودها الدمية قبل الأوان، فأجد في دميتي الحمراء، الوصايا الخالدة في ترداد لغة العشق السرمدية لمسير دعوتنا الحمراء، في ألف لغة هيا بين الأحياء، تنادي البندقية في مدارج الحرية الحمراء، تنشد عشق الأحرار لشمس النصر الأصيلة، وابتهالات الإياب لربنا العظيم في استمداد النصرة، وخلود لا يفنى، وفرحة لاتبلى، ورزق عامر مشهود، وبشارة مودعة عند الأحياء في التماس قبلات عشق الجنان، ودعاء مسافر على ويعانقك في لغة قبلة عز يعربية وتحية توسم عمرية

والف لغة تقدير أبدية تودع مواكب الشهداء وتسبح في الفضاءات وترسل غزلها العذري في مسك اللقاءات فلا تخال يا مستقرئ الزمان، إن أوراق عشقي السرمدي هي أوراق دامية، وقطع لحم منثورة، بل هي روح ملائكية هبطت من السماء إلى الأرض فغادرت دار الرحيل إلى ديار لقية الأبرار، فسكنت انسام الأمجاد في السماء، ومضت حرة آبية لا تبالي باللئام، وغدر العمومة والأخوان، فكفي أيتها الرياح المسعورة عن العبث في أوراقي المنسية و اغتيال حروفي الندية، فعنجهية هستريا هذيانك الشيزوفرينية توهمك انك ستفني وجودي من الوجود، وتداعبك بحلم فتان راقص على أوركسترا سرقة روحي من روحي، لكنني حلم العاشق الحاضر الغائب، الذي لن يسرق، ومحال أن يغتال من بين أحلام الأحرار الشرفاء، وسيبقى مداداً سرمدياً يتفتق من انتفاضة ورود حمراء تنزف روحا خالدة في قلب الديار المباركة، فكفي مجونك أيتها الرياح العابثة بالأنام على ظلال موائد أفيون السلام، فحرفي الناري سيثأر، و بركان لابد أن يتفجر، ولا بد من أن ينقلب السحر على صاحبه، وانتظري مولدي ألف مرة بين الأحياء، في ديار رنتيس ورفح، وبساتين جنين وبيسان، سأولد ألف مرة بين الأحياء ولهيبا مستعراً يأكل الحاضر والغائب في أزقة المفسدين المسعورة على مر الزمان

سأولد خنجراً... قارورة ... حجراً
يعلن ميلاده شمساً في ديار الجسد والشتات

ساعلن ميلادي لا بد حتماً

لا بد حتماً

ولو بعد حين

ترفرف أجنحة الشهداء، وتناثر قبلات في الفضاءات النورانية، تنشد في صفحة وجه المساءات، لغة العشق الخالدة للشهداء، وتحمل في أحضانها مامس اروحهم الندية، وتنادي من على منبر الزمان:

يا دعوتي الحمراء سيري بين الأنام

وابسطي أثواب عزك التليد

وانشدي هيا إلى الجهاد من بعيد

واقتربي من هالات جسدي

وانزعنيي من اللاوجود من وجودي

وحرري عصفورا سكن في جسدي

ليغدو قمرية تصدح في المساء

الق الدمعات

تصفحت دفاتر الزمان...وقد سطع بريق نبلها خلف مآذن السطور، ونشرت مسك عطرها في القلوب؛ وكسرت صخوراً في القلب؛ قد تجمعت وأثقلت قلباً قد هده كدح معاش الأيام وثقل اللحظات.

عند محطة رائقة بين السطور كانت الحروف الراقصة..فأشرقت بماس الجمال..واغرت القلب ليتفيئ تحت ظلال حروفها، في استراحة مسافر عند غفوة المساء المشتاق لنسائم ذكر النبوة...ومحياها الجميل في تذكار اللحظات قد طار قلبي مع بساط المسافرين إليها غدوة وعشيا في ترويحة عظات الفكر الفتية واناقة الموقف... وتدفق حب شفاف، يشرق شمسا ذهبية، على مذكرات الهيام في نبل الحب الماسي يا لذة اللحظات مع هذه المذكرات الماسية قد حملت لي وردة حب حمراء تلألأت بنداها الرقراق سكنت مهجة قلب الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه وأقتنصت لي لحظة خالدة في عمر مجاهد شاعري الحس والفؤاد قد شد رحالة ليواكب طيران الشهداء في السماء، وقد تقدمت ثلة الفرسان عند الصباح في شد الرحال إلى عراك السيوف في ارض مؤتة الإباء، تأخر البطل المغوارعن الركب قليلا، وقد حمل في جعبة تمهله عن المغادرة سرا أرجوانيا عبقا في سلة الأسرار المخبئة في قلوب لآلئ الزمان المخبته لربها تأخر البطل المغوار قليلا ليقتنص لحظة الوداع مع وجه النبوة المبارك. ويلقي تحية الحب العبق في أجواء مسجد الذكر والدعوة ونبوة سلام الأرواح.

ها هي ورقة حادثة الوداع تشرق بين يدي في خبر حكاية طهر الحب الصادق، وسؤال النبي صلى الله عليه وسلم له: أما خرجت مع أصحابك في سبيل الله؟؟؟ قال: أنا يا رسول الله تخلفت لأرى وجهك على المنبر ليكون أخر العهد بك وبقيت لأودعك فدمعت عيناه صلى الله عليه وسلم ودمعت عينا ابن رواحة [1] أنها ورقة ذهبية من عبير شذى ذكر سيرة خير الأنام صلى الله عليه وسلم، وأريج تربيته الراقية لأصحابة

في جمال حكايا الحب الطاهر.... حبٌ تجسد في القلب والمحيا وحراك الجسد في الطاعات حبٌ أشرق من قلب النبوة وتألق بريقه في أصحابه أعلام النبلاء في الزمان فكانوا جداول الحب المعشبة الضفاف حيثما أتيتها سكنت عند الحسن والجمال حبٌ اختار من مذكرات الدنيا عند لحظة الوداع وصال قلب النبوة في وردة حب تسكن سويدائه في وداع النظرات المسافرة لعين الإيمان وسكينة السلام وامتداد بحرها العذب في التلذذ بمحيا جمال النبوة في السلوك والكلمات انه قلب مجاهد شاعري الحس والنسمات رسم على أوراق الورد في مذكرات النبلاء خلف الآفاق تحايا الوداع الطاهر والق الدمعات.

الهوامش:

(١) اخرجه البخاري (٤٢٦١) من حديث ابن عمر رضي الله عنه.

أنشودة الحب السرمدي

وقفت بصمت دمية ساكنة في صندوقها الزمني.. حيث حواجز المكان.. ودقات ساعة الزمن المتراكضة.. المتسارعة لأسر جسدي ... في آتون ماكنة العمل المجنونة.سكون مدهش ذلك الذي يلف قلبي المنكسر.. في زاوية ما من حجرات تلك الماكنة المسعورة... وبصيرة ناعسة.. تلك التي أذوتني في كنه غيبوبة الوعي... وأفقدتني حيوية الرؤى.. في ظل ضجيج تكرار الأشياء... كما هي، ثابتة بلا حراك.

وأتساءل مع ذاتي المسافرة عني؟ ... أنا في ذات وجودي،،، أم في اللاذات ... من عوالم الذوات...... فأعي الجواب جاهزا!!!!!

بلا توان أنا أرملـــــة وصل المثيرات العذبـــة. ومطلقة التلاقي الحي ... مع تراقص دقات ساعة الكون ... وعند مفترق الجواب ... على غير عادة الأشياء ... الزمان... جمود المكان ... كان وصل قلبي الحزين مع أسرار سلة الكون ...التي فتحت قلبها في إحدى الصباحات الجميلة ... على غير عادة. الصباحات ... وتواتر المساءات الغافية... في آتون الملمات على غير ميعـــاد!!!...

كانت لذة الوصل.. مع سيمفونية الطبيعة... في عزفها النازك ... على عتبات ماكنة الانتحار على غير ميعاد.

كانت ملحمة ...تراقص بصيرة الرؤى في خيالها الخصب ... المتحرر من قفص عينيّ الدامعتين..

ما يزال في ريقي ... لذة الاستقاء النهم لماء روح حرية التحليق المغرد في اقتناص أعذب لحظات سياحة السماء على أغصان الأشجار.

ما يزال قلبي ... يقطر طهرا ... من بقايا قطرات عشق ندى السماء الرقراق ... وغيث كشف الملمات ... وبرد الأرواح على القلوب المحترقة بالأهواء... وماكنة روتين الأوقات.

ما يزال الق أسفار... رقصات الأغصان... مع لحن السماء الرقراق... في ذاكرة قلبي الحائر.

فما اعي... إلا وقلبي يغادر جسدي مشتاقاً.. عاشقاً لتذكار لحظات التحامه... مع تمايل الحان السماء...

ورقصات الأغصان.... في أنشودة الحب الرباني السرمدي ... وابتهالات تسبيح الأفنان الرشيقة.

كل يعزف لحنة... في مملكة إحساسي المنكسر ... ويقذف وروده الراقصة.... في تحنان كلماتي...

فأصنع منها تاج سعادتي... وعذوبة رسم منفرد... لمسك اللحظات ... وطيران خاص.... لدمية الصندوق العنيدة ... في سفر حريتها الوجودية.

في بضع لحظات عابرة.. ورسمات نازكة... ورقصات دافئة... وهمسات عاشقة.. كل يتراقص مع ندى السماء.. كل ينشد عشقة الخاص لها ...في مقاعد الطبيعة... ومدرسة أغصان سلام الأرواح ...وتغريد الكون مع لغة التسبيح وشهد الأذكار...وبث القبلات الحارة في أثير الكون الفسيح العامر... في أنشودة الحب الرباني ...وتسليم الجوارح مع تسبيح الكون الجميل... في التقاء القلوب المنيبة الذاكرة.. بعد طول الغيابات تلو الغيابات. فهل هناك فسحة من العمر.. لوصل مستجد معك يا قبلة الإياب في أجواء رقصات ندى السمـــــــاء؟؟؟؟؟

مذاد اللحظـــات العابـــرة..

*تتواتـــــر اللحظـات... وتـتفاعل الذوات في خطوط زمانهــا ومكانهــا... بين حـدين لا ثالث لهما... إما في سُعار الدنيا اللاهث... ومجالس الذوات الغائبة عن الآخرة... وإما في الـتقاء أرواح المؤمـنين في مـواكب الإيـاب وتـذكـــار الآخـرة.... ومجـالس قطـف بهجـــة السعادات... في رياض المحبة والتآخي الصادق.

ونـشر هـدايا الكلـم الطيب في الأرجاء الممتدة.... في تلاقي القلوب في نبض إيماني واحـد.... فيزهر هناك عمرا جديدا من اللحظات.... ويمنحهـــــا عمـــــرا ألِقـــــا في سفـــر خلودهـــــا الذي لا يعرف الفنــــــــــاء.

في رحلـة سـفرها البعـيد... الـذي يقطـع مـسافات الدنـيا.... ويـشرق في ميـزان الحسنات،.... وعالم الخلـــود السرمـــدي.

فـأين ذلـك الحضور القلبي البهي من قسوة لحظات اللهو العابر... والمرور التائه.... وتجمد الذات في صقيع المغريات اللاسعة... التي تلتهم قلبك بلذة عابرة.... وتنهش طاقتك الذهبية في نهـــم آدمية الحس الحيواني.... فـتكون كـــلاً مهمشـــاً من الذوات.... المقطعـــــة الأوصال؟؟؟؟؟؟.

تـدور في مـسالك الدنـيا اللولبـية المتعـرجة... التي لا تعرف في أزقتها المظلمة خطاً للبداية والـنهاية.... حيث تتآكل الأرواح... ويجف معها بحر حس الكلمات.... وإحساسها المـرهف... فـتكون دمـية الطرقات العابرة... التي تقتنصها لصوص الليل والنهار... في عمر الضياع المأساوي... وكارثة العمر والزمان.

حيث لامناص من حتمية احتضان تراب النشأة... وتضيع تباعاً معه سيرتك الآدمية بـين الأنام.... إذ كنت أسير الهوى... وفتنة هوجاء في ضبابية الطرقات المعوجة.... وجســد تقوس في مساره... في آفات همزات الشياطين...

وجثة هامدة.... ألقيت في جزر الضلال النائية... وورقه ساقطة... مآلها خريف الاضمحلال الأخير... مداد لحظات في عمر الزمان... نطقت بين حضرة حروف الهمسات الدافئة... فأهدتكم قلب سلامها العطر... وحسمت الخطب الجليل. في تيه اللحظات المدرجة في قاموس أيامنا العابر... ونفضت لكم غبارا قد تكدس... واثارت إستصراخات إغاثة في آتون الأنكسارات والضياع... وهتفت بعشق القلب اللبيب... فهلا كنت ذلك اللبيب

ما زلت انتظر لحظة الميلاد

انتشر مسك إشراقات منارة القمر في أجواءنا الرمادية المخملية، فأشرق فجراً جديداً في الآفاق، نكهته نداءات الإيمان في وجودنا النازف بالجراح، يلامس قلوبنا بهمساته الناعمة، فترفرف أجنحة قلوبنا بين يديه، فيهدينا عطاءات رسائل الحب الرباني،وتعزف هناك طيور السماء لحنها الوردي في جذب القلوب لجنة سكينة الإخبات؛ في السجدات الآيبة، وخلوات المناجاة في الأفق الممتد للوجود، حيث يحتضنها القمر بأنواره البهية، فتسكن القلوب في قلب مشكاته الماسية، وتغترف من جدول طهر الصلوات ماء الحياة الخالد في حظوة الذكر، وتقطف عبق الوجود في شفافية بهجة الدعاء المحلق بعيدا ...بعيدا نحو مائدة السماء العلية، حيث ما زلت هناك في صحبة أشجار السلام والأفنان الذاكرة ... ما زلت هناك انتظر غيث السماء المدرار؛ حتى ابتدئ ميلادي القديم الجديد مع وردة الأرجوان المتلألئة التي تنتظر بث رحيقها الإيماني إلى الأنام حباً ربانياً في السلام وخيراً عذباً في ري السماء.

جنان بهجة الأرواح

في لحظات السكون، تتحد مشاعرك مع الكون، وتتلاقى حالات التناجي في أسرارها النورانية، وكأن الكون قلبك النابض بالحياة، وكأن رسالة الهموم والأعباء تغادرك متسارعة عبر هالات نقية بهية، حيث لا فرصة لها في مآل إقامة الحال، فيكون عندئذ التبادل الحار الدافئ، والتلاقي الحر المحلق، الذي ينشر شذاه بين أرواحنا؛ وردة صداقة كونية متلألئة، وانفاس ميلاد عبيري النكهة في تحايا السلام، يحمل معه سلة أسرار مخبئة في الذات، تاجها طاقة إيمانية ذهبية تحلق في عنان السماء.... تمنحك البشر في العطاء وقوة المراس في دفع الألأم ونورانية ماسية في جمال الأرواح وحماسة نادرة في علو الهمة وإرادة الإصرار تمضي في فلكها البسام، حيث وسادتك نجمات السماء، فترى الأفاق في عينها حباً في بث رسالة الخير للأنام، وتسكن بطن بدرها فتولد في بريق لمعان إبداع والكمال، فتسافر اكثر فأكثر وفي كل حرف مخيلة في لغة الكون الوضاء هناك هدية سلام الأرواح ومدارج بناء الذات في بساتينها الماسية حيث تخط قلم رحلتها على بساط مدرسة الكون الفياضة بدروس البذل والعطاء والتألق البهي في عوالم الصفاء النازك، وبهجة الأرواح رحلة عبيرية لا تعرف فيها شوك الألآلم واعتصار المعاناة في الأرواح رحلة كونية ... تشهد ميلادك النضر في العطاء فهلا لامس شغاف قلبك ذلك الحديث الماسي في مذكرات الأسفار وكنت البادئ في ذلك الترحال البسام.........

لملمة شتات

نظارتي العتيقة:

تمر الأشياء أمام ناظري في لغة الكدر تغلفها ضبابية الرؤية وظلمات متكدسة تحول دون دحرجة النفس إلى شواطئ والحقيقة... لكن عمرا مضى وانسحب في غيابات التيه وأتون الألم حتى أدركت بلغة العطاشى أن نظارتي العتيقة علق بها صدى الزمان وقطعاً متناثرة من الليل البهيم.. فكان الأولى أن ابذل طاقة قلبي المشحونة بالألم نحو نظارتي ودفع اللحظات المتتالية عبر الزمان لجعلها وضاءة نضرة حتى أرى الحقيقة من وحي الحقيقة لا أن الهث مستعرة في رؤيتها من عالم الليالي الداجيات الغافلات عن وحي حقيقة النهار وإشراقات الحياة.....المتسامية عن عوالم الضجيج ....انحباس البصيرة فوضى الأنام... سطوة الأنا في الذوات.

الحذاء الأسمنتي

تصافحت مع الكون وبسط جناحيه لي مصفقا، وبذل نداءاته الندية البعيدة لي، لكن حجابا ما عطلني فلم اعي النداء في السؤال والجواب.. ووقفت دمية عاجزة أتأمل حراك الخلق للمعاش عيناي عمراً من الزمن، حتى شعرت بإنتفاضة الشعور بالذات..واني ما زلت متسمرة في مكاني القديم الجديد، عند دقات الساعة الأخيرة هالني مفاجاة الخبر الحاضر الغائب.. بعد عمر مديد أيقنت أن حذائي أسمنتي معطل لا يفقه لغة حراك الخلق مع عجلة الكون المسافرة أفاقا تلو آفاق.. فعاتبت حذائي الأسمنتي وأعلنت لغة الطلاق بعد وصال العمر.. فهل ينفع العتاب في ظل حرارة تائهة حادة، فكان لابد من متتاليات أربع في أنفاسها الأخيرة.. كان لا بد ....من أن ابرق أثير الخطاب لذاتي المخبئة في الأحشاء الصامتة الراكدة.

كان لا بد...من زجها نحو الإبحار تلو الإبحار في درر الحراك الألق والقاء الأماني في أحضان انتفاضة المرجان في سلام الآمال ...كان لا بد... من التلاقح الدافع البسام مع عجلة الكون وامتطاء متتاليات الانطلاق والانبعاث ...كان لا بد من التحليق مع الطيور التي تحوم بعيدا بعيدا في أفق عنان السماء..

الكنز المجهول

ماسة نازكة، تراقصت في كبد الليل الساحر وزهت بإشراقاتها البهية، حوت زوايا إشعاعات.. في ذبذبات نورانية، حركت دافعية الحب... الحراك الدافع في جسدي الصخري.. وأشبعتني بطاقات لا متناهية فكنت الحديد الصلب أمام عواصف أياميَّ العنيدة. تجسدت إشعاعاتها في قلبي فمنحتني جمال اللحظات الساكنة وسرت في دمي فكانت عطرا فواحاً ينبعث من عروقي الصامدة رغم عذابات الانكسار.. التفت بروية في هالة جسدي تداعبني فكانت شمسا مشرقة بين يدي وغدت أناملي مراكز إشعاعها المتعالي في أفق السماء.. فأيقظت القلب الغائر في الكهوف الخاوية، وارتشفت من ماء الحياة الساكن في بدرها الألق، فأزداد زماني ومكاني المبهم بهاءاً في الطلة وأبهة في الحضور.. فانعكس ذلك في مرآة كون الزمان والمكان المحتضر في ذاكرتي، فتألق نورا يخترق الآفاق، ويكشف النقاب عن الأسرار المخبئة في السلال السرمدية، فكانت المفاجاة المذهلة.. أن ما كان هو مرآة عاكسة لظلال ذاتي في أبهة حراكها ...دافعية افقها المشحون ... مداد انبعاث عشقها لتفاحة المجد في مدارج الأيام.

لقد هالني أن ذاتي التي تسكن أحشائي الصامتة ... هي بالإمكان والقوة كنز مجهول نوراني ينبض من قلبي الصغير. إنها الصورة الأولى وكل الصور وما لا يخطر ببالك من الصور لتفاحة المجد وشمس الحراك وجوهر مذكرات العظماء. هالنيكل ذلك بين يدي..وجنينا مستقرا في رحم ذاتي..هوية زماني ومكاني. فكان لا بد هناك من أن ازج التراب المتراكم الموصد لبوابات الانبعاث في الأحشاء. كان لا بد من أن أعيد صياغة ذلك الكنز المجهول في لغة حلي التطلعات والعطاءات. كل ذلك المداد من الأحرف الضائعة كان

للمـة شـتات..للمـة أسـرار مبعثـرة. مكاشفة صامتة لكنز مجهول يستقر في ألف ممتدة سامقة وبحـرا يحوى درر الجمال ودالا ندية في التواءات النعومة والمرونة في ألف ياء الكلمات وعين فياضة برؤى مغردة عذبة في الأحشاء.. تعشق احتضانا عاشقا للملمة شتات على أسرة أفنان إبداع في الحياة.

رفرفة أجنحة خالدات

طويت صفحات الزمان..وأصغيت لنداء الفجر خلف بيارق اللحظات.. في الذكريات العتيقة الناعسة أبحرت... وقد امتدد رمشها الجميل ليداعب قوارب مخيلتي... ويرسم لها أجمل شدو في حراك الأغصان وتغاريد العصافير الفتية المصفّقة بأجنحته... السائحة في عنان السماء...

تلامس اكتافي بنعومة ساحرة ... وتطوي معها برفرفة أجنحتها صفحات خالدة وذكريات نازكة.. في بريق ليلة ساحرة تجلت. .لا تسمع فيها إلا دويّ أخّاذ لحناجر مؤمنة تردد آي الذكر الحكيم، في أجواء مدينة السلام، قد عانقت قلوبهم سيد المرسلين ـ صلوات الله عليه وسلامه - عدد ما اظلم الليل واشرق النهار.. وحفظت صدورهم منهج إسلام قلوبهم لرب السماء والأرض.. في ظل حراك أي الذكر الحكيم قرآنا ناطقا عاملا في سلوكهم الثلجي الطاهر..المشرق نورا ماسياً في الإيمان. هاهي قلوبهم تصافح قلبي وتعلمني جمال تناغم العلم مع العمل..وارسم معها متتالية متعاقبة عاشقة لاقتران حفظ القرآن في الصدور مع حراك الجوارح بربانية منهج السلوك.. انقش في قلبي رسم هذه المتتالية التي لا تنتهي في القلوب...السلوك.. متتاليات عوالم الأشياء في كوننا العامر بآدمية البشر المجردة وملائكية منهج السلوك في آدمية التراب المحضة. يا لجمال تلك الليالي الساحرات.. وهي تتلو كتاب الكون المسطور،وتنشره نوراً وضاءا في السماء وعلى محيا العباد.... هاهي مزامير داود الندية تبث أثيرها العذب من قلوبهم الرقراقة النقية ...وتملأ كوني بعذوبة جمال تحليق الروح في عوالم وضاءة..... خالدة.. تسافر عبر سماءاتنا وتهدينا سحاباتها الثلجية فتمطر فكرا عبقا في ديار ذاكرتنا.... وصفحات زماننا الخالد.

وتمنحني من جديد نبضا جديدا في ميلاد أنفاسي القادمة من ديار سير نبلاء الأرض.. وعطر السماء فأطير معها بمعية نورس سماء الإصغاء لأجوائها الوردية.. فارتشف هناك رحيق ندى جمالها الخالد حيث تختزل اللحظات والعمر... والماضي والذاكرة في أعذب سفر في اجمل عمر في أبهى حقيقة..... أشرقت شمسا وضاءة في عوالم البحث عن الحقيقة.

لذة الجمال

تأملت في ألق حكايا الأزواج في مذكرات الزمان... ومضيت في مدارج أسواقها الجميلة.. وقد أبرقت بمتع الحكم وعظات الأيام.. بحثت في بساتين اللذائذ عن حروف باسم... تحمل معية الزوجية في جمال عشقها الطائر في الآفاق، تغرد مع الطيور المهاجرة؛ التي تعبر طرقات واقعي المدلهم من آفاق معابر الماضي الأشم. وقد تسامرنا عبر لحظات الزمان وحقائب الأسفار في بساتين النبوة العطرة، وأريج خبر النبلاء في شفافية رفعة الذكر وقد قطفت هناك مذكرات شقائق النعمان في عبير الحكايات وقد تألقت بتدفق حمرة الدفء النضرة وهيبة جمال عينها المكحلة التي أبحرت في زورقها الوضاء في خبر سيف مغوار وقف صامداً عند خيمة الليل، وقد سكن جيشه عند النجمات، في نعاس آمن بعد طول عناء سيوف في سفر النهار، فطوى السيف المغوار فراش الزوجية... ليسافر به في رحلة الهمم المسافرة إلى عنان السماء في نكهة تفرد النبل والعطاء فأيقظ عروس الزوجية لتسافر في ألق عين تحرس الآفاق فأنشد الكناري هناك آه ما أجمل لياليك خالد المغوار آه ما ألذ طيراني مع سيفك المسلول حيثما كان في ساح غبار السيوف وليالي أنس الزوجية السامر في وحي الليل الصامت وردد الكناري شفافية حوار السيف المغوار لزوجه المطواع أتريدين ليلة من ليالي الجنة في سبيل الله قالت: نعم قال: قومي لنحرس هذا الجيش فانطلق الطائران الجميلان إلى طهر ماء في وضوء السجدات؛ في ليلةشاتية عزفت برنين مطرها السيال أجمل لحن في التقاء الزوجية على أسمى مسعى في لحظات الحياة، وأنشودة عشق الزوجية، وحكاية الحب الشفاف في وحي نبل أرواح الزمان في ليلة شاتية شادية قد التحف الجيش فيها بغطاءه من بردها القارس وتصافحت همة الزوجين المتناغمتين مع رنين المطر في صدق الحب والوفاء وارتقاء الهمة نحو السماء تصافحت لحراسة جيش دجى الليل الصامت الناعس عند النجمات وقد ارتسمت همتهما وردة حب وسلام على وجه القمر ورسالة إيمان وجهاد وتناغم زوجية في عبق العطاء ما زلت أستشرف حروفها الذهبية الساطعة عند غفوة كل

مساء وكأن السماء تشاركهم عشقهم الذي تجسد في حب الأمة وجيش العطاء ومغادرة حدود الذات ليبلغ عنان السماء في استشعار أفق هم الأمة ها هي تنثر عطرها الفاتن الساحر في لحن مطر السماء الطاهر وعين يقظة فطنة تحرس جنود الإيمان ها هم يلقون أغطية الأمان على الجيش الساكن بسلام عند النجمات ها هي القلوب تتحرك في حب العطاء وشهد ريقهم المعسول يردد غناء هدهد صافي النغمات يحاكي أنشودة السيف المغوار فوالله ما أعد ليلة أعظم عندي لذة من تلك الليلة ليلة شاتية باردة ملء عينيها تدفق همة في نبل العطاء.

هستيريا كونية

وقفت بثوبي الكوني، الملم أشرعته شيئاً فشيئا، وهي في رحلة الذوبان تمزقاً على جسدي فأعيد ركامها البنفسجي جسداً على جسدي وعند لحظة الغروب انهالت علي صفعات كونية تتمايل بوجهي الشاحب شرقا وغربا وقد غاب عن وجهي بريق الفجر المتلألئ وبدأت تدب أنامل متوحشة على جسدي لتنزعني من ذاتي وتأد روحي في مقبرة الزمان وتعيرني جسداً غريبا من بهرجة قشورها الباهته فتمحي عني بقايا بريق البنفسج ولؤلؤ الفجر وأرجوانية العطر المخبئة في قارورة قلبي، وقد حفظت بعضا من ماء وجه الأجداد على المحيا في رحلة العمر العاصفة، فما زال بين يدي بعضا من نهايات انسامها الأخيرة، فاسلي بها الروح لأدفع بها بعضاً من مرارة العذابات، وانفخ منها بعض روح متبقية من صلابة الأجداد، لتسكن جسدي المنكسر فلعله يقوى بها على المواجهة في رحلة الوأد الأخير، و في آتون رحلة المقاومة الحارة الباردة، مضت تلك الأنامل المسعورة تدفع بي بين بساط الإغراء تارة والقهر تارة أخرى لأغدو حرفا في سريانية حروفها وقطعة 'بيتزا' على مائدة سعارها النهم وحقيبة جسد ممزقة في لغة أثوابها الجينزية' وعملة تائهة في بوصات دولارها المجنون، وعرض ينهب بلغة سادية في وضح النهار وعلى مرأى شاشة العرض الكونية، وتتوالى علي المشاهد الكونية في سلة المفاجآت، وتتسارع علي في ظل متتاليات قهـــر، فيضانات صباحات سوداء لنهر أحادي ولد للتو في عمر الحضارات وها هو يشتدد جنوناً وهوساً سادياً في سلب ذاتي الممزقة دون الترك، فأحترت في أي حال ادراي ذاتي الجريحة بين سطوة حماقات أبنائي من الذوات في التخلي عني وتركي وحيدة الفكر في لغة هوية الأنام أو بين نهر السعار الأحادي في عمر الكون الخاوي من نبض الإنسانيات، وعند لحظة التو في برهة الأمل السارح البعيد وقعت فريسة في قبضة نسر اعرج بعين واحدة، لا يعي لغة التحليق الحضارية فأخذ يعيث فسادا في مساحات ذواتي المشتتة لأغدو قطعة خبز ممزقة في نهره الكوني المسعور واخذت أعشاش تتساقط تترى من أغصان كبرياء جسدي

الجريح، فغدوت بلا أغصان كرامة تذود عني وشجرة خاوية بلا مأوى وجودي، وكنت لسان حال أسيرة الزمكان، واللاأسماء في شتات الهوية، واستلاب الروح في آتون ذهنية مركبة آليه لا تعي إلا لغة الانقياد تحت مسمي التحضر وتعايش الأرواح، وأخاطب ذاتي الممزقة في متعرجات أزقة الكون المظلمة في تنهدات قاتلة..

ـ ما هذا الانفلات الكوني في بوحات إعصار واحد في لحظة الحاضر الواحدة..

وتمضي منظومة التساؤلات في سلة المبهمات..

ـ ما كنه تلك اللغة السادية في بوصلتها الوجودية العرجاء...

فتهجم علي هناك اعاصر سمومها السادية في كنهقيمها الحمقاء في إعلاء القشور الزائفة وموكب الشر الباهت المرتمي في أحضان الحماقات فأكتشف في ظل جنون التساؤلات دقات ساعة تطرق برقصات مجنونة...

وتغني بنشاز بشع ملحمة اللاتفكير في عوالم فناء الحقيقة وأسطورة الاستجابة الشجاعة في أبجديات امتهان الحال كل ذلك يطرق صيحاته المسعورة في هذه العالم السادر ظلمة وجنونا، فأجد ذاتي في أرجوحة ممزقة في أجواء قاموس ما اعي وما لا اعي من كنه المتضادات في فقه الملمات... فالملم ذاتي من جديد واهوي على الساعة المجنونة واطرقها بعقلانية مسعورة من آتون الأنكسارات لعلها تولد في ساحة العقلاء من جديد....فأصرخ من وراء سراب بعيد بعيـــــد... ..

ـ ليس لي إلا أن أكون بالإمكان والإطلاق في ساحة جسدي المفقود او افجر ذاتي المختزنة في درر الأعماق المجهولة في عوالم الميلاد في الميلاد فأكون إعصارا كونيا يلف الكون بعالمية إنسانية جديدة وروح ملائكية محلقة في سماءات الجمال وعز الهوية، فأواجه مصيري الحاضر، في معادلة البقاء في سلم البقاء للأفضل فكرا وقوة...

وانأى بذاتي أن تمضي بامعية عمياء على نهج أعشاش خربت ذاتها بذاتها ووأدت ميلاد فراخها التي لو أوتيت قدرا من العمر لأنقضت على النسر وهدمت بقايا عشه المنتحر في حكم الطبيعة لأنه شتات عش لا يقوى على الصمود عشاً واحدا ولا في يفقه لغة التحليق في نهارات الحضارات في انطلاقة واحدة..

فأعاود استرجاع اكسجيني الغائب وأبوحبسري البعيد للعمر الجديد..

ـ فهلا كنت خاطبي في ذلك الزمان المجهول، فاقتنص ماس ماضيك العريق في الذوات، وانال زفافك الميمون في الوصال، فأمضي بك ذاتا تليق بي في هذا الكون المسعور. . فأصعد بك من ظلمات بعضها فوق بعض إلى نور اليقين واحلق بك إلى سماءات أبهة الوجود فترتسم على محياك العطش ابتسامة إنسانية طالما اشتد الشوق إليها في هذه العمر الجريح. وتنال بي أجيالا أبية في رحلة الكون البعيدة وتذكار الحضارة الخالد... فهلا تواعدنا معا عند غيمات الفجر البعيد..

وداعا للشيخ أحمد ياسين..

بسطت الصباحات النورانية اشراقاتها في كبد السماء، واطلت في وضاءة فضاءاتها البهية على بيت صغير في بقعة مباركة حمراء، تتدفق حمرتها اللامعة في بحر زاخر من سرمدية العطاء وبذل الأرواح، فتراءى لي بساط أرواح ساكنيها في الق دمعة عطرت سماءات الكلمة، وعنفوان الإصرار، فكشفت هناك قمرية الحكاية حجاب عزها من خلف بيارق زمان منكسر مترع بالتضحيات،تشدو لي بالحان هداهد سليمان البعيدة، وتعزف بحراك أغصان سندسية منكسرة حكايا الخالدين في رفعة ذكر الأخيار، تتلألأ في عيني في طاقات نورانية عبيرية النكهة في الإصرار، وقد سكن الجسد وتأججت طاقات الفكر في بث لغة الوجود رغم قهر سكون الجسد، وغيبوبته عن الحراك، وتقترب الدمعة مني اكثر، فأغدو في بصيرة يمامة الحي الحرة،فأقترب منها اكثر.... فتحتضن أوراقي الدامعة اكثر فتقطر من ثناياها في حلة طهر أعذب فأسكن في قلبها في مساحات اكبر وانبض الما في أحشائها، حبا.. فأولد في قلبها وانبض بثورة ثائر، تفجر أرضاً، فتهز الكون في كفة واحدة..... وتعلن نداءات الأحرار الصادحة في السماء الحرة، فتتراءى لي الأرض من بريق عينيها سواعد حمراء تقطر عزا... وتحمل على بساط سماءها جسد ماسي، تسكنه روح ملائكية الإخبات في الق سجدات طاهرة، وأسطورة الشموخ في حكايا الأحرار... وفطنة الفكر في وعي الأفهام تتفتق أوراقها الوردية بين يدي في لغة التذكار فأذكر شمس العقول في رسم حقيقة الحقائق ولسان البيان في بلاغة الإفصاح وجراة الفؤاد في تحدي همجية البغاة فأدنو قليلا لأتقيأ في ظلال لغة تحنانها الزنبقية فأؤول ثمرة في شجرة الإصرار وأولد أحمد ياسين ما تعاقب الليل والنهار، في مهجة براءة الأطفال....وأرحام عزة الأمجاد وسماءات الحرية الحمراء في دنيا الشهداء فياهداهد الحب اقبلي وياقمرية الحي انشدي ها هي ورود بهية تتالق شموخا في دنيا الأحرار، وهاهي قارورة الأجداد الملائكية واقفة على عتبات نافذة الزمان؛ تداعبها أشرعة البيوت العتيقة؛ تبث روحها السرمدية العابقة، في درر ندية متناثرة حبا على جسد الشهداء،

فتعانق غيمات الميلاد، في لغة المقاومة الحرة الأبية، فتعطرنا برذاذ ثلجي من حكايا الشهداء، وأسطورة خالدة تحكي أبجديات شيخ أغر في الجهاد، فأحلق في سماءات أجوائها، وأعانقها في جسد الفؤاد وأطير بعيدا في أثير مسكها السرمدي، فأتنفس الصعداء، وأبث فتات جسدي المتناثر عطراً للأرض، ومداداً في لغة الميلاد وأرقى في بساط علوي يتعالى شموخا في عنان السماء، فأولد من جديد، من رحم قارورة الأجداد في الكفاح، وأغدو في صمود ألف متعالية في كبرياء المبدأ....... تسكن درة حامدة لله تعالى على شدة البلاء وتبث ابتهالاتها في دارة العزم والجهاد وتتلو من حناجر هداهد سلميان يس ليل نهار فتعانقها قمرية الحي في ترداد شدوها على الأغصان ما اشرق ليل الرهبان وتفتحت أزاهير فرسان النهار، في لغة تذكار أحمد ياسين، عزما وشهادة على ارض الأحرار.

خبز الشهداء

ابتسم محيا الوطن في وجه 'نازك'، وأشرق الصباح في عينيها بعد إعصار ألم الانفجارات العاصفة في الأجواء، تصدعت المآذن وقطعت الأشجار، ودفنت أفراح الطفولة في مهدها

طفلة الحكاية قلب ساكن في جسد الأحرار

ملء عينيها حراك مندفع لكون جميل في المخيلة الحالمة

ينشد فيه صورة الطفولة المخبأة في طيور محلقة على الأغصان

تغرد لأفراح الطفولة في الغد الباسم في وحي الخيال

ها هي تستيقظ مع إسفار فجر هدوء المدينة الحزينة من إعصار النيران والانفجارات..

لك الله يا جنين القسام

وقد أغرق ثوبك الصفصافي بالدماء

ألقت طفلة السلام ابتسامتها لمدينتها الحزينة

وأودعت يديها لدفء أحضان يد الأب الكادح في ضنك العيش وبسالة مقاومة جذور الأرض

قد هدأ روعها قليلا وهي تنصت لأنين الصباح وقد أخذ يخفت شيئا فشيئا

ابتسم قلبها لنسمات العمر وهي تأخذ أنفاسها رويدا رويدا

طارت عيناها للمقاومين وقد سترتهم الأرض، وها هي البندقية تغشاها بركة نعاس مؤمن في أجواء عراك محتدم لحفظ العرض والدار؛ والانقضاض على الذئب المتوحش الذي أتقن لعبته البشعة.. بنهم بشع.. في صنع مجازر اللحوم البشرية الملقاة على بساط أرض مدينة الأحزان

ودعت الدار طفلتي وفي مقلتيها حنين الشوق

عانقت مدارج الأسواق وقد دنت إليها لأخذ بضع لقيمات في ظل هدوء العاصفة

ها هو ضجيج السوق يعلو وقد دب الحراك في الأرواح، فتجمعت في بضع لحظات لأخذ زاد ماء قبيل إيذان عمر المجازر ونزف الدماء وسعار الذئاب الشارونية في سطوة إبادة الروح والجسد الفلسطيني من الوجود

كان الأمان لحظات

بل كان أسطورة في الخداع بالأمان وهدوء عاصفة النيران

كيف يلتقي الأمان في ساحة العراك مع ذئاب المكر والغدر والطغيان

قد عاجل الذئب طفلة الحكاية بطلقاته التي تفتت الجسد والروح معا

قد أسلمت روحها الطاهرة بين يدي أب الصمود وكدح الحكاية

وغدت طفلة السلام في مواكب الشهداء، وقد احتضنت خبز الوطن والحرية في صدرها المتفجر دماء فاختلط القلب الطازج البريء.. بخبز الوطن والحرية في لحظة الوداع من الوجود

يا لشفافية شذى عبير الوداع

يا لجمالك يا قمرية شدو وداع الشهداء

قد ألقى الشهداء لك تحيات مجد الإباء

وعانقت أرواحهم الخبز البلدي الذي احتضنه صدرك البريء في أجل عناق

إنه الخبز المنحدر من بطن الأرض الصامدة التي تحمل في رحمها ميلاد الشهداء

خبزك البلدي.. حمل وصايا الشهداء وسفر حرية الوطن وترانيم غناء طيور الأغصان

لوداع الشهداء، وحرية الأرض وعشق الأحلام الوادعة؛ في إنشاد بلبل الحكاية في يوم ما..

في الأجواء الربيعية الجميلة

في عطر تحرر الأرض من قيود خفافيش لصوص الظلام

الذين آذوا أسماعنا بأساطير خطبهم الفارغة في ألحان السلام والاستسلام

إنهم الغربان السود في يومنا الداجي بأرق الهوان

وأنت.. طفلتي.. الحلم الوادع في شدو البلابل؛ في إشراقة حرية الصباح القادمة لا محالة في مخيلة الوجدان

رفرفة أجنحة خالدات

طويت صفحات الزمان وأصغيت لنداء الفجر خلف بيارق اللحظات، في الذكريات العتيقة الناعسة أبحرت، وقد امتدد رمشها الجميل ليداعب قوارب مخيلتي ويرسم لها اجمل شدو في حراك الأغصان وتغاريد العصافير الفتية المصفقة بأجنحتها، السائحة في عنان السماء تلامس اكتافي بنعومة ساحرة وتطوي معها برفرفة أجنحتها صفحات خالدة وذكريات نازكة، في بريق ليلة ساحرة تجلت، لاتسمع فيها إلا دوي أخاذ لحناجر مؤمنة تردد آي الذكر الحكيم، في أجواء مدينة السلام، قد عانقت قلوبهم سيد المرسلين ـ صلوات الله عليه وسلامه عدد ما اظلم الليل واشرق النهار-

وحفظت صدورهم منهج إسلام قلوبهم لرب السماء والأرض في ظل حراك أي الذكر الحكيم قرانا ناطقا عاملا في سلوكهم الثلجي الطاهر، المشرق نورا ماسياً في الإيمان

هاهي قلوبهم تصافح قلبي وتعلمني جمال تناغم العلم مع العمل، وارسم معها متتالية متعاقبة عاشقة لاقتران حفظ القرآن في الصدور مع حراك الجوارح بربانية منهج السلوك..انقش في قلبي رسم هذه المتتالية التي لا تنتهي في القلوب ... السلوك..متتاليات عوالم الأشياء في كوننا العامر بآدمية البشر المجردة وملائكية منهج السلوك في آدمية التراب المحضة

ياجمال تلك الليالي الساحرات وهي تتلو كتاب الكون المسطور،وتنشره نوراً وضاءا في السماء وعلى محيا العباد ....

هاهي مزامير داود الندية تبث أثيرها العذب من قلوبهم الرقراقة النقية وتملأ كوني بعذوبة جمال تحليق الروح في عوالم وضاءة، خالدة..تسافر عبر سماءاتنا وتهدينا سحاباتها الثلجية فتمطر فكرا عبقا في ديار ذاكرتنا..وصفحات زماننا الخالد..وتمنحني من جديد نبضا جديدا في ميلاد أنفاسي القادمة من ديار سير نبلاء الأرض وعطر السماء فأطير معها بمعية

نـورس سمـاء الإصـغاء لأجـوائها الـوردية.. فارتـشف هناك رحيق ندى جمالها الخالد حيث تختـزل اللحظـات والعمـر..والماضـي والذاكـرة في أعـذب سـفر في اجمـل عمـر في أبهـى حقيقة..أشرقت شمسا وضاءة في عوالم البحث عن الحقيقة.

هالات لؤلؤية

إهداء إلى والدي العزيز/أستاذي المبدع: د. عبد الرحمن الهاشمي *

تقترب اللحظات...... تتسارع تحلق في الوجود تقترب اكثر فأكثر، تبتسم، تلف الوجود بهالات لطائفها الوردية، فتؤول بحراً بلا حدود، يزدهي بصفاء صفحة محياه في الأنام، تتفتح أكمامها، فتظلل الزهور الصغيرة، وتسكب بردها وسلامها نداوة ماسية على شواطئ التذكار والتحنان، تلامس المساحات السوداء فتغدو أرواحاً ملائكية من تسامي روحها، تعانق الثرى العطش فيغدو ماءً غدقا، تلامس ليلة غافية عند قارعة الأيام، فتغدو أنوارا ماسية في أفراح السماء، تقبل الطفولة فتغدو مستقبلاً يانعاً، ترتسم في الوجود ربانية عبقة وهمة وثابة وابتسامة عذبة تعانق الوجود ولا تفارقه.

تصافح لحظات أسفار الفجر، فتغدو شمساً متلالئة في الوجود البهي، تتمايل الأغصان في فناء حدائق الجمال، فتنكمش من بهاء غصن ذهبي يمتد شموخا إلى عنان السماء، فتهمس الغيمات له هناك، بأن هداياك العطرة بلغت سماءات تحليق أرواح الشهداء، في زهرة يانعة غادرت جسدك البهي، لتغدو نورسا محلقا على شواطئ الحرية، وقمرية تغرد الحان الشهداء هناك، خلفت لها في فضاءات وجودنا طفولة يانعة وسيمفونيات تذكار عذبة، تصافحها سماءات المجد، وتتدلى لها لغة سندسية في ياقوت الكلمات. تقترب الغيمات اكثر فأكثر فيهل مطر السماء ليعانق الوجود، فيستحي المطر، ويتواكب من السماء مطر من الورود يكسو الأرض ربيعا مورقا، وأطياف قزحية فيغدو الوجود بنفسج التجليات، وسرب هالات درية تترأئ بين أعيننا سلات زهور لاتنتهي من الفل والياسمين، تنتثر على وجوهنا فتغدو الحياة وردا واجنحة زنابق مسافرة في سماءات علية، وعين شمس نبل بلا حدود، وفلة رائقة تتفتح عمراً ورديا، وتتمايل ياسمينا غضاً نضراً بهيا. تتفتح بتونيا إبداع مع كل صباح في مكتبه المطل على انسام عبيرية، فتغدو بساتين علم يانعة وحدائق كلم طيب على كتاب الوجود، كلها تمتد تحت الشمس انطلاقا من طاولته الرشيقة،

المزدهية بصفحات النور ولالئ شمسية لاتنتهي، فتخترق الحجرة الذهبية، لترتسم في الوجود هالة الوجود بعينه في سماءاته الناصعة النقية، وبساتينة السندسية، واغصانه المتعالية جمالا وإبداعا، حيث تهتف الطيور هناك لحن تذكاره على أجنحة المساء، من همسات نداوة الصباح، فيغدو الوجود مسرحا في ترانيم الأناشيد المبتلة بطهر الأنفاس وعبق الكلمات على قلوب الأنام المتكئة على أسرة الوجود في تجليات إبداعاته البنفسجية في لوحات السماء وانكسارات الشمس عليها فرشاة ألوان، تبعث هالات بلا حدود تتفتق إبداعاً بلا حدود، تسلب الأنظار وتأسر القلوب، إنها الطبيعة الخلابة في الهالات إنها الهالات في الوجود... الحقيقة في عين الهالات..... الهالة في الحقيقة والحقيقة في الوجود حيث تترأى الحقيقة والوجود في تؤامة روحية ترتسم هالات نورانية على اكمام الغيمات تبتسم وردة يانعة ندية على الصفحات.

الهوامش:

* من نخبة الأساتذة المبدعين في المجال التربوي، واستاذ فذ في اللغة العربية والتذوق الأدبي.

ترانيم الطيور الجريحة

إهداء إلى كل أنوثة متصاعدة أمام عنف الذكورة

في قطعة أرضية جوفاء، تتلاقى فيها أرواح غريبة، وتسكن فيها تمازج أنوثة متضاد، تلتهم أنيابها الأخرى، عوضا عن التلاقي في البناء، فتجوع من جديد ولاتجد إلا جسدها لتنتهشه في مرات تلو مرات، في ظل تلك التمازجات المسعورة، تسكن الديار أنوثة ياسمينية، ترتفع أغصانها بإتساق وتمتد في عوالم اللانهايات في لغة الوجود، وتتواثب لنيل هويتها بين الأنام، وقد سلخت الف مرة في أتون الظلمات، فتنتشر في دياجيها أنوارا قمرية في فضاءات وجودية خاصة، وترسل دموعها النازفة إعلاناً لميلاد فجر جديد في متتاليات لغة الإصرار، تمزقها تسارعات هسترية من كواليس لغة التفوق الموهومة لذلك الجنس المبهم، ولغة الدونية لروح متصاعدة في قاموس الحضارات وميلاد الأجيال، وقد انبثقت من عروقها الناطقة بالحياة، في صرخات تلك الحضارات في الوجود، فتتعالى عليها عنوة انسلاخات التمزقات رويدا رويدا، فتهيمُ حيرى !!!!

ـ ارتفعت اغصاني فبلغت عنان السماء وما زال قومي ينقشوا على جسدي متتاليات نقش دوني لاينتهي.

فتعصف بها بجنون بين الحين والأخر رياح ذكورة هائمة، من ديار نفث الدخان، ولغة الصخور الجوفاء، فتتواكب بغضب ولهفة الإغراء، وفي ظل أزيز تقاطعات نفثها الرمادي تتواكب اغبرة لغة الفناءات، ونداءات السحق الأخير من الوجود، لتلقي بجثها الهامدة ـ في وهم تلك الرياحات الحالمة ـ إلى غيابات جب لاتنتهي.

فتتساقط أوراق تلك الياسمينة الصامدة في ظل تسارعات تلك الرياح المجونفي متاهات اكثر حدةونزف متصاعد في عذابات لغة السؤال والجواب!!!

ـ هل الصعود حكر على أرواح غريبة مبهمة فحسب !!

ـ وهـل الطبـيعة تعـاكس في لغـتها فـأؤول إلى دفن قهري تحت سياط لغة التفوق، الدون وقد خلقت في عوالم الصعود ونبتت في عوالم تفوق الأجناس والحضارات !!

ـ وهل الأمس ذهب أم انه الف لغة حية في اليوم !!

فتحـركها ذهنية حائرة، وتقطعها أربا أزيز فراغات الأفكار، فتغدو بين عيني الخريف المتـساقط علـى الوجود، في وأد الظلمات الجديد، وقد حملت بين طرفي أوراقها الجريحة قلبها النابض بالرفض وامنيات حق الوجود على صفحات الحياة.

فحتـى يـشرق الـربيع مـن جديـد ويسفر الصباح بالق الحقيقة، وتسافر شهرزاد في غـيمة الـسماء، ومعهـا لغـتها العتيقة التي كبلت الياسمين بالقيود سرمدا لاينتهي، تصبحون علـى ياسمـينة ربيعـية تـشرق علـى الوجود في ترانيم الطيور الحرة، وتفتحات أكمام الورود الجـريحة، وهمـسات قمـرية، حجـب صـوتها دهـرا مـن الزمن وما زالت تنتظر على شاطئ الأحـزان، فـسحة الحـرية من جديد لتعلو تغاريدها أمواج البحار وتبلغ عنان السماء وترسم نجماتها هناك يوما ما، وفي صباحات ما، وفي عمر ما، وغد لامحالة لابد أن يشرق من جديد.

برد السلام

مدت علي مرأى عيني الفل والأرجوان
ولفني الورد والريحان ....
فكان هناك اللقاء مع الطائر المجهول
حملني على أجنحته
في عوالم القلوب
ففجأت بمملكة عاجية في آفاقها
فلامست يداي بوابتها العظيمة
فسرني روعة الاستقبال
مشيت واللطف محياي في طرقاتها
ولمحت عرباتها
حملت المتحابين في الله
في عطر دنيا الإيمان
وحظيت باستراحة لا يبلغها وحي الخيال
في ربوع مآذنة الأيمان
وسماع الأصوات الندية
عشق قلبي هناك
القلوب الثلجية الناصعة البياض
وراعه قلوبا سوداء تبعث الاكتئاب
رسمت عليها أخاديد الزمان
وكل ما عج من فتن المآل
وعلى بساط ربيعي اخضر

لمحت رياض الأيمان
مجالس الذكر العامرة
تجتلي الأبصار
فجلست مع أحبة لن أنساهم علي مر الزمان
طال بي الجلوس
وجاءني طائري
ونقر أذني على حين غفلة مني
يا بنيتي حان ميعاد حقيبة السفر
امتلأ الوجه بمسحات الحزن والأسي
يا أحبة الإيمان كيف يكون الوداع
فمدت أيديهم إلى زبرجد خالص من كنوز الزمان
حفر عليها بأشعة ذهبية
لا تنسى ايها المار ذكريات اللقاء
واحفظ دوما نداء عبقا يردد في السماء
تعال لنؤمن ساعة
وافترقنا عليها
والميعاد غدا وفي المآل لا خلاف
احبكم يا أحبتي حبا عانق السماء
وميعادكم غدا على منابر تتلألأ
في جنان الحنان

أنا وديكارت على بساط الحياة

الشك أولاً:

تمضي في الحياة في ظل أزقتها الرمادية، تسافر في عوالم الوجوه وحكايا المساءات، فتجد في كل وجه مملكة من الكلام، فتترأى لك الوجوه وكأنها هالات تتصادم فيما بينها حينا، وتتعانق نفاقا حينا أخر، وتسكن للسلام حينا أخر، فأجد السلام هناك قوة خارقة في الأرواح، ولكنها أبجديات نائمة على قارعة الحياة، وابحث عن الصدق وكانني ايقنت انه نادر الوجود في معترك الحياة، وهكذا بين صفحات لغات التأمل الادمية تواجهك قوة الشك أولا، في سماءات ديكارتية خاصة، ومسارح عراك الأرواح، حيث مساحات البحث عن الحقيقة في عوالم تكاد تفني فيها الحقيقة، وتزف اللاحقيقة عروسا للانام.

هناك تولد الحقيقة:

تمضي الحياة بأشرعتها الهادئة والغاضبة معا، عند انكسارات الشمس على خطوط الحياة، وانتثارات الورد على القلوب المتلألئة بنقاوة الفجر، واحتدام نفاث النفوس القلقلة على حراك البشر، ونظرات تائهة حائرة في معترك معادلة الحياة، في التناقضات حيناً واستعار الأنا حيناً أخر وفي تماوجات قزحية تشدو بعشق الحياة أفقاً أخر، فتجلس على رمال الحياة في أنين شواطئها المسافرة، فتغدو الحياة حقيقة رمل ينساب من بين يديك بلا انتظار، فتترأى في مخيلتك الأشجار السامقة استعلاءً، وحراك البحر المتماوج قدماً بلا توان، وصرخات طفل للتو ولد في معترك الحياة، فتغدو في منتصف المعادلة بين الميلاد والفناء، فتغدو الحياة هالات تحلق في أوج تصاعداتها القزحية إشراقاً في لحن السماء، لاتلبث أن تغدو في اللاشئ من الأشياء، هكذا تواليك مقاطع تتوالى بين عينك، تتزاحم غضبى هادئة في كل ما يعنيه كنه المتناقضات في الحياة، تبسط على جناحيها الحقيقة واللاحقيقة المترامية على بساط الحياة، بين الحقيقة وتساميات ذات لاتنتهي، وسراب خادع مقنع بكل ما نعي وما لانعي من أبهة

المفـردات، هـناك حـيث المتضادات تولد الحقيقة على شواطئ النفوس الملائكية الندية بنقاوة الفجـر، وتفـتحات قلـوبها شـفافية عبيرية بلا حدود، وارتسامات وجودها المنغمس ببنفسج روائع

مصداقية الحياة، هناك حيث معترك الوهم والتناقضات، مملكة نورانية لاتنتهي وأبهة حقـيقة متـسامية في أوج السماء وروح ملائكية مسافرة على أجنحة الحياة في الق الحياة، إنها رسـالة الحـب في معـترك الـشك وظلمة الأرواح في الوجوه المقنعة، إنها أبجديات الوجود في روض مزهـرة في وردة يانعـة في قـصيدة تـرتعش إلهاماً وعشقا للحياة، فهلا بسطت يا وردة الحـب اجنحـتك الملائكية حتى اسكن عين شمسك في اشراقات الحروف حقيقة على سطور اللاحقيقة في صفحات الحياة.

أتون الحديد الصامد

تمضي الأيام تترى، وتخادعك رياحها باللين والسلام، تداعبك، تبعث فيك نشوة السعادة والأمل البسام، وتولد فيك ارتخاءات القط عند لحظة السكون والخمود الهادئ لكنه الهدوء الخادع الساكن الذي يتولد منه انفجارات الأحداث التي تصدع الفكر ...الأيام تطعن ذاكرة الوفاء في قلبك، تدمي روحك بالآسي وغدر الخيانة، والأقنعة الزائفة، وتقديس الأنا الهسترية في الذوات المسعورة التي تمضي متعالية مهووسة .... للطعن لإذابتك بلا وجود ... لأبقائك في نهاية المطاف جثة هامدة بلا حراك لكن الوعي ما يزال يقظا، ما يزال فيه أنفاس الحياة و تتلمس من أتونه طاقات كامنه للميلاد من جديد وستشهد إبراقه اللامع لا ريب في الأفق القادم، لكنه بعد حين قليل، وزوال اثر العاصفة على جسدي الدامي النازف .... لكنه بعد حين قليل، بعد تقبل مرارة الهزيمة، وتمكين الجسد ليؤول جديدا مقاوما، والقلب إرادة صعبة تولد في آتون الحديد الصامد نهاري.. شمسي لا بد أن يولد في الأفق الجديد لا بد أن يولد من جديد في الأفق البعيد القريب.

جنان بهجة الأرواح

في لحظات السكون، تتحد مشاعرك مع الكون، وتتلاقى حالات التناجي في أسرارها النورانية، وكأن الكون قلبك النابض بالحياة، ركأن رسالة الهموم والأعباء تغادرك متسارعةعبر هالات نقية بهية، حيث لا فرصة لها في مآل إقامة الحال، فيكون عندئذ التبادل الحار الدافيء، والتلاقي الحر المحلق، الذي ينشر شذاه بين أرواحنا؛ وردة صداقة كونية متلألئة، وانفاس ميلاد عبيري النكهة في تحايا السلام، يحمل معه سلة أسرار مخبئة في الذات، تاجها طاقة إيمانيةذهبية تحلق في عنان السماء .... تمنحك البشر في العطاء.

وقوة المراس في دفع الألآم
ونورانية ماسية في جمال الأرواح
وحماسة نادرة في علو الهمة وإرادة الإصرار

تمضي في فلكها البسام، حيث وسادتك لجمات السماء، فترى الأفاق في عينها
حبا في بث رسالة الخير للأنام، وتسكن بطن بدرها فتولد في بريق لمعان إبداع والكمال، فتسافر اكثر فأكثر وفي كل حرف مخيلة في لغة الكون الوضاء
هناك هدية سلام الأرواحومدارج بناء الذات في بساتينها الماسية
حيث تخط قلم رحلتها على بساط مدرسة الكون الفياضة بدروس البذل والعطاء
والتألق البهي في عوالم الصفاء النازك، وبهجة الأرواح
رحلة عبيرية لا تعرف فيها شوك الآلآم واعتصار المعاناة في الأرواح
رحلة كونية ... تشهد ميلادك النضر في العطاء
فهلا لامس شغاف قلبك ذلك الحديث الماسي في مذكرات الأسفار
وكنت البادئ في ذلك الترحال البسام ....

أوراق بغداد الغائبة

الورقة الأولى

أجتمع القوم، كل يبحث عن جذر الآخر، ليفتك به، يمزقه فتناً، يشرذمه إرباً، يرقص مهووسا على جراحه، فيجلس بعد ذلك ادمي عروبة الانتصارات متلذذا بواجهة الظهور البهي في مراسيم الاحتفالات المجنونة، لكن هناك لحظة تفسد عليه نشوته المخموره، انه يعاني التوحد في ذاته، ووحشة البقاء، لأن الذئب قادم لا محالة، والموت قريب تباعاً؛ في متواليات هيام مصاص الدماء القادم لا محالة إلى ديارنا العامرة بالمسرات.

الورقة الثانية

صبية وديان الذهب، تلملم شتاتها، تغلق نوافذ بيتها، في الوقت الذي يلاعب صفير الرياح بابها المنكسر، المشرع بجنون، ما زالت جالسة على قارعة الطريق تردد تمائم الهذيان، وتنتظر الوأد القريب الجديد، في الآن القريب.

الورقة التائهة

جبل ذهبي صامد، وكنت وما زلت الكهف الغائر في الأعماق، المجهول في هوية توقعات الحال، وسأبقى ما حييت، دماً وروحاً، تاريخاً وذكريات، في وحي كرامة الحال، ومقبرة الغزاة، تلك لوحة صمودي وإن تمادت الأيام، وتجمعت الأرواق لقتلي ...نهبي ... وادي

سأبقى أسطورة عبق الماضي، ومفاجأة الغد الآتي، وأداة كشف لبشاعة راعي البقر الغازي .....فيما تبقى لي من أوصال جسد باقي.

وردة الفهم والسلام

تتماوج شفاه البحر الساكن، وتعلن ميلاد حراكها مع الرقصات الرشيقة، وتتجاذب متمايلة مع حصى البحر العشبي اللامع، ترسم على صفحة بدرها ألوان قوس قزح في مرأى العين العاشقة، لوردة الفهم المتفتحة في بستان زيانب الحب والسلام، حيث يسكن هناك على أفنان شجرة شامخة طير تلاقي الأرواح، وتمر متسارعة هناك جداول نازكة تحمل في أحشائها عذوبة المناجاة، وتتألق الأنوار محلقة في السماء، حيث عناق السماء لبرد روحانية الأوابة الآيبة .... وهي تتفتح في أكمام وردة استمدت القها من عطر جنان زيانب العراقة والسلام، وحملت في قلبها أسرار أرجوانية مخبئة من ثنايا أكمام أوراقها الماسية، تسلب الأنظار، وقد أشرقت في الوجود شمسا وضاءة من شموس زيانب الفطنة والسلام

هاهي ....

تصافح أرواحنا

وتملأ أكوان وجودنا نورا

وتفتح مغاليق القلوب

وترسم نهج الطريق السديد

وتعانق بزوغ الفجر الجديد

في العمر القادم ...والحلم الساكن

ترفرف على القلوب ببرد اليقين، وتحملها في سفينة السلام حيث تؤاد هناك الظلمة والحيرة، ولا وجود هناك إلا وجود أرواح الحب والإيمان .....

وانسام الشوق الجياش لجنة السلام

رذاذ الورد الأحمر

إهداء إلى آل البيت الأطهار

تتناثر تألقات، تتماوج في السماء، تصنع مملكة من نور، تناجي الصفصاف من بعيد، تبعث الهمسات، في الأجواء الربيعية المنتشية، تشدو بجداول عذبة، على جنباتها الحب والحياة، هناك ولدت الوردة، وهناك في السماء انتثر رذاذها القزحي، وغرد بشدو وردة حمراء، تقطفها أنامل ناعمة، تسكن القلب السرمدي، وتعزف على الأغصان قمرية الزمان.. حباً ... عشقا أفقا حرا تشدو بإبداعها تناثرات نداها على فضاءات قريبة بعيدة وتحاكي في رحلة الزمان لحنا خالدا ابد الزمان فأعشق قهوتها هناك، وأسفارها الملونة، واحمل مع نورس البحار هناك، تذكار تحنان لجذوري الغائبة الحاضرة، وابعث مع أجنحة المساءت حنين قمرية الأحزان وانشد هناك ألا أيها القيد انكسر فقد مللت الاغتراب عن وجودي وتهت بعيدا عن جذوري في الإنغرامس حباً...عبقاً إبداعا فتتعالي آهات الشوق في أعماقي المنكسرة، لديار حرفيّ المقدس، وبساتينه المترعة حكمة ونورانية، وقبلات الإياب هناك على أسواره العتيقة الأصيلة، في سماءات التألقات الملائكية، وأجواء تناثرات الورد الأحمر، على صفحات التذكار، في كرنفالات طهر الأرواح وتناثرات الورد الأحمر بردا وسلاما على صفحات هويتي الجريحة،، في مداد حروف ماتعة عبقة، حيث تنتهي النهايات في اللانهايات، في ارتشافة قهوة عاشق لصفحات أبجديات هويته عبر نوارس الزمان، حيث تعبر مسافات حلم أغلقت أستاره عنوة، ومازال ينتظر قلوب خارقة، تصنع الحاضر في أبهته، وتستشرف أغصان الغد المنتشي في ثوبه المورق القا وجمالا فطنة وإبداعا فهلا كنت الغصن المنتشي في الأستشرافات ورفرفة السنونو على الصفحات المنسية في الأستلهامات

وفي قلب عمان جراح دامية

مقطوعة حزينة من اجتراع الألم، اجتاحت اعماقي خلال تجوالي في شوارع عمان خلال هذا الصباحوقد استعادت عافيتها، وانطلقت للحيوية والنشاط عبر كافة اطياف المجتمع ومؤسساته، اصرارا على الحياة في الحياة، فشعرت كأنما هناك لغة بيني وبين الجدران والطلبة وباحات الألم ومساحات انسام الحبواغصان الشجر ومملكة الطفولة الغافية عند الغيمات، فكانت تناثرات حروفي الحمراء هذه بين ايديكم من قلب عمان معشوقة الحب في فؤادي الصغير الكبير بكم

وفي قلب عمان جراح دامية

تمر على الطرقات، تعبر مساحات العين الدامعة الصامتة، توافقك مشاهد الألم، ومساحات الترقب، واستفهامات السؤال، بين الأمس واليوم حكاية حمراء، وبين الان والغد ستائر منسدلة تحمل الم التذكار والاستبشار بالغد وتجاوز المحنة، وفي مساحات أوراق العزاء على الأعمدة تنعقد لغة اللسان، وترى الوطن في الفرد في دمعة العين الدامية.

تلامس الجدران، تسمع نبضها الحزين وانينها الشديد، وهي ترقب اهتزازها في لحظة موت واحدة، ونيران التصاقها باللحوم البشرية، والعظام على الطرقات، في مشهد دامي واحد.

تخاطب البياض في الثياب، فتلمح من انسامها الطاهرة لغة الخوف بالوأد الأحمر، تسافر عبر عصافير أكاليل الحياة، فتسمع حكاياها النازفة بالدماء، وهي ترتجف من ان تؤول متتابعات حمراء مقيتة في دقات الحياة.

تقف عند الركام وما زال في أعماق تناثراتها رنين هاتف ينتظر روح تحلق في الأجواء تخبر بألف ياء حكاية الدم في الجدران.

تقـف عـند أنفاس الحبر الأخيرة تلمح بكاء طفلة للتو ولدت للحياة في ظل صفحة حمراء.

تخاطب العين في العين والروح في مساحات صدى الأجواء، فتغدو لحظة ملقاة على الطـريق تـرتقب الحياة، في امتشاقة القامة أمام الألم، وتنفسات الأحرار في الحياة، وصبر أولي العزم في الحياة.

إنهـا الأيام واللحظات، ترمينا على شواطئها الحزينة، بين فراق الأحبة وولادة الحلم عـصي الدمـع، ساكن الفؤاد، بشارة الغد في الحياة في تناثرات الحروف إصراراً على الحياة في الحياة.

....

كتـبت هـذه المقطـوعة النثرية في رثـاء أرواح الـشهداء الـذي قـضوا اثر الهجمات الأرهابية التي استهدفت احدى فنادق عمان.

كرسي الإلقاء المشؤوم

إهداء إلى منظمات حقوق الإنسان في العالم اجمع

عند هدير ينابيع ماسية، حيث التقاء الأرواح على منصة إنسانية الشعور، واحساس المساواة البنفسجي، حيث يكلل ماهية تلك الباقة الحالمة، ملوكية العلم وشفافية شذى أدب الإحساس، وثقافة الكلمة، وتعاليات ياسمينات إبداع، في نسيج عبيري يحتضن تلك الباقة في حلم الذاكرة الندي، وانسحاباتها الحالمة المتشية، في أجواء ربيعية مورقة، تتشكل فيها سماءات قزحية، في إحساس إنسانية الأرواح بعذوبة ارتواء ماء الحياة في نكهة المساواة بين الأنام بعد عطش قض المضاجع واشعل الإحساس بنار الرفض. وتنسدل معها استرة متعة الخيال بشعاراته النرجسية فلا اعي ذاتي هناك إلا وقد تكومت روحا غريبة في أشواك الواقع، وغدا حلم الذاكرة مسافراً في متتاليات نهايات اللاشئ من الأشياء، فاعي ذاتي في مساحة متشرذمة من الزمان وقطعة منسية من المكان، تجتاحها ظلمة الأرواح، وضحكات مكبوتة في دنيا الرفض في الأعماق الدفينة المجهولة، وخلف النوافذ تنبت في المساحات البعيدة أشجار الحياةبعيدا عن دينا سادية طبقية، وعلى كرسي الإلقاء في ذلك الركن المشؤوم من الزمان، في وسط تلك المساحة المكبوتة في الفعل والإمكان، روح متشكلة بأطياف الألوان المتضادة على حافة الموت، وعلى محياها شعارات جوفاء بالتحضر وفي الأعماق والحراك نرجسية طبقية، تنبعث سمومها في أجواء الأرواح المختنقة المصطفة بين يديها، فأخرج من واقعي بين يديها إلى صفحات تاريخ مغبر، وعوالم إقطاعيات النبلاء، فلا أجد ملوكية العلم.. أدب الإحساس.. ثقافة الكلمة ولا مشاعر المساواة الإنسانية، فلا أجد هناك إلا متنفذ سوبر ونخبوي سلطوي وثري أحمق وقانون سوفسطائي، وإمراة تثير نزوات تلك الروح بين الحين والأخر على مر اللحظات، فيغدو المتخيل واقعا بين يدي الكرسي المشؤوم، فتشدو روحي مختنقة في أعماقها بدنيا اللاشئ في الأشياءفي هذاالعالم السادي المتخم بالطبقية...

لكمو ملوكية العلم الموهومة في عوالمكم السادية...

فلتهنأوا بأدب الإحساس المنتحر في دنياكم السوفسطائية

ولتتعالوا أصواتكم بقشور الكلمة التي تئن جراحا من رفضكم سرمدا أبدا

ولتمضي أساطير إبداع وهما على شريط تضخم الأنا في ذاكرتكم المتعاظمة

فتجتاحني أعاصير ظلمات لاتنتهيفي تلك المساحة المقهورة والمتخمة بشعارات طبقية، فأخرج من جذوري، وأغدو رمادا من بركان العذابات وأؤول إلى واد مطلق في مملكة ثقافة الصمت وتراتيل مخنوقة في أمسيات الرفض وصباحات ذكريات الاستبداد، فأتصفح بين يدي أوراق منقوشة بماء الذهب تشدو للحقوق والإنسانيات، واستمع لسيمفونياتها البعيدة في ترانيم الحرية، فتنتابني قشعريرة تناقضات مستهجنهوهستريا قهقهات مسعورةلأنني لا أرى من على شرفات الحرية الحالمة إلا مملكة النبلاء وأعاصير الإقطاعيات وسادية مشتعلة في كل الأنحاء.

فتنطق الأوراق بين يدي ملحة من جديد بصباحات الأحرار ومبادئ الرسالات المقدسة وهدير ينابيع ملوكية العلم وسيمفونيات أدب الإحساس وتعاليات أغصان ثقافة الكلمة من جديد، فتغدو الطبقيات وأساطير التنفذ وعاجية انتهاك الإنسانيات وكرسي الإلقاء المشؤومفي زاوية سحيقة من الزمان سرمدا أبداً ما نطقت روح في الأجساد في سمت وردة حمراء متفتحة الأكمام تتصاعد مرفرفة لمجد الأحرار في عليين إنسانية ملهمة تشدو لماس حقوقها على مر الزمان.

أنت الضياء وكلهم عميان

إهداء إلى الأسرى المعتقلين في سجون الظالمين

اجلس على طرقات الزمان المنكسرة، وقد طوتها ظلمات تلو ظلمات، فألمح من تنفسات مغارب الشمس ومشارقها، اشراقات قضبانك الحديدية البعيدة، وقد نبت فيك هناك ألف جناح مشرق بألف شعاع، و امتلأ وجودك بماس اشراقات الحرية والأباء، فأحيا ألف مرة عند كل دفقة روح تولد معك، ويولد معها ألف جناح، واحمل معها تذكار انكسار قلبي ألف مرةعند انكسار كل جناح لك، في أتون ظلمات القيد العتيد، فأناجي دقات الزمان وأرسل معها قلبي الغائب الحاضر؛ فضاءات حب تشدو لك:

إنها انكسارالجدران عابرة

وستبقى روحك حرة ابية

أنت الضياء وكلهم عميان

فأرى روحك هناك تتجاوز الزمان من نافذة قلبي الحزين، وتتجاوز معها ليل الظالمين، وسحبه الدخانية المسعورة، وارى روحك سكنت غيمات السماء، ونادت نداء الأحرار، وانشودة الموت واقفا، فأرى في بحر عينيك السائحة بعيدا، وجودنا الأزرق البهي، ولغة الضياء كله، واسرار الإشراقات في ماسها اللامع، وارى الكون كله سحابة سوداء صامتة، لا فسحة نهار فيها، واحلم واهما بأختراقاتها للسحابة يوما ولو خيطا عابرا، في بطن وجودي الرمادي الداجي، فأهيم في تذكار وجودك البهي، وتنفسات روحك في وجه الصباح، وارها مسيجة أمامي في بريق عيني أم هائمة حزينة، وطفل مشرد باكٍ، وزوجة كسرها باب الزمان؛ فأرتمت في أحضان الألام وحلم الانتظار، واسكن من نار اللوعة عند محراب باك، وقد نالته أيدي الدمار، فلم يبق منه إلا بضع لبنات ساجدات، فأحتضنها في قلبي الصغير، لأجد بردها وسلامها، في عمر اللوعات، وسعير القيود، وعذابات اجترها من حراك الظالمين على جسدي جنونا، فأخرج من جسدي..وجودي الرمادي.. هائمة ...

سائحة ... حالمة بأنفكاك القيد يوما، واندحار جمع الذئاب المسعورة، وزوال ليل الظالمين، وتنفسات الفجر البعيد، فأعلناالانسحاب من أبجديات الحياة، وأسافر بعيدا في ملكوت السموات، واسكن في مهد غيماتها اللؤلؤية؛ لأشهد حضور خيل حرة ابية، على متن قلبها الملائكي فارس الملمات، وراهب الليل الداجي، وعلى وجهها شمس ضاحكة لا تغيب، حيث ينكسر معها القيد، واحتضن معها قلبي الغائب من جديد، واسكن جسدي الحاضر هناك، وارتاد عولم روحي العابقة في العمر حلما واهما، لحظة منتشية، فلا أجد ذاتي عند استلهام اللحظات الحالمة، إلا وقد غبرها الزمان باليأس لوعة من عد لحظاته على الطرقات، فكيف بك يا فارس الزمان وقد سيجتك قضبان الظالمين، واسرتك لحظاتها

فصبرا ...

لا تبالي بالقيد، فاسرك فخار، وانت الروح الباقية فينا، في سفر الكرامة والأباء

وستبقى أنشودة عذبة، نستقى سلسبيلهاغدوة وعشيا، وهي تشدو في حضرة أرواح الأحرار:

سيزول ليل الظالمين
وطاب مقامك الأبي
وسرمدا سأشدو معها
أنت الضياء وكلهم عميان
وسرمدا سأشدو معها
حر أبى تأبى الموت إلا واقفا
ولا بد من الثأر يوما ما
ولو بعد حين

الخاتمة

اختتم نصوصي القصصية والنثرية؛ بكلمات تعمر قلبي على الدوام، ومفادها:

- صل لله لما منحك من نعم.
- وتوجه إليه بالدعاء.
- كي يهديك سواء السبيل.
- واجعل مبادئك ومعتقداتك افعالا لك.
- واجعل كل يوم يوماً عظيماً في حياتك.

ملحق بالنصوص القصصية التي تم اجراء دراسات نقدية حولها

ملحق رقم(١)

حكاية عقل

ياسمينه صالح-الجزائر

-اليوم، طلبك السي النوري للزواج ابتسمت.. لم تنطق ببنت شفة.. ابتسمت فقط.. رماها أبوها بنظرة شزراء، متهكمة.. ابتسامتها تثير غيظه.. ضغط على عصاه الغليظة، وهم واقفا.. زمجر"هو غاضب إذن: «قالتها بينها و بين نفسها. فجأة انتابها إحساس بالرضى.. تساءلت عن العلاقة بين ابتسامتها و غضبه؟ لم تنطق.. كان الصمت بينهما كالجدار من الثلج في عينيها، تجلت فكرة ثابتة، تشبه الحق في الجدال، و في العناد.. و الثورة.

-اليوم، جاء من يطلبك للزواج

غمرها شعور من التقزز و هي تفكر في السي النوري.. كان صديقا حميما لوالدها،و في سنه أيضا.. تزوج للمرة الخامسة منذ سنتين، ليصبح أب للابن العاشر، في شجرة عائلية مكتظة بالخصام و بالحروب السرية بين النساء الخمسة على ارث غامض.. قبل يومين، جاءتها زوجته الخامسة تحذرها منه.. لم تقل لها "أنت جميلة و متعلمة وتستحقين من هو أفضل منه بكثير"و لكنها قالت لها"زواجك منه سيكون الكارثة بيننا " و لم تفهم نوع الكارثة التي تقصدها. .

زيارة تلك المرأة لها ملأتها اشمئزازا، ليس لأنها ترفض فكرة الزواج من رجل يكبرها بعشرين عاما، بل لأن الناس اعتقدوا أنها قد تقبل، فالسي النوري رجل غني، حتى لو كان أب لعشرة أبناء سيتقاتلون عما قريب أمام قسمة الدكان المطوق بالربا و بالديون أيضا..انتابتها رعشة أخفتها خلف تنهيدة مرة.. يـــاه في زمن آخر، كانت تهرب من قدرها إلى دموع تثير فيها انكسارا عجيبا و خضوعا بعدئذ، لكل شيء، و لأي شيء.. و لكن الدموع فخورة اليوم.. تأبى النزول.. تأبى التنازل.. دموعها اليوم واثقة كابتسامتها.. كهذا

البريق الذي يرقص في عينيها.

أبوها رجل.. و صادف أنه قرر نيابة عنها.. لم تساهم بشيء.. منذ البد، كانت القرارات تنهال عليها، فلا تملك سوى الاستجابة والخضوع.. في طفولتها الأولى، قرر تطليق أمها.. أوهمها أن أمها ماتت، واكتشفت فجأة، أنها حية ترزق.. ذات مرة، بينما كانت باتجاه مدرستها، استوقفتها امرأة غريبة ظلت تنظر إليها، ثم.... ضمتها إليها.. بقوة.

غلبتها الدهشة.. حاولت التخلص من تلك الأحضان التي سربت إليها دفء عجيب.

ـ أنا أمك (قالت المرأة)

و لم تصدقها..

ـ أمك ماتت.. ماتت.. ماتت.. (قال أبوها بصوته و عصاه الغليظة).

– أنا أمك.. أمك.. أمك..

الأحضان والإحساس الدافئ و الغريب، تحوّلا إلى رعب شديد.. بكت و انتفضت غاضبة.مستعملة كل قوتها للتحرر من المرأة التي طوقتها بذراعيها.. ضربتها بكلتي يديها، وكانت أمها تتلقى الضربات على وجهها بفرح عجيب.

يومها، تجرأت و سألت والدها عن "أمها التي التقتها في طريق المدرسة.. ثار غاضبا.. ضربها،هدد بقتلها إن هي تحدثت إليها أو عنها، و فهمت الحقيقة..

أمها حية إذن.. تعيش في بيت آخر، مع رجل آخر، و.......... أرعبتها تلك الحقيقة.. تساءلت بحزن: لماذا تركتها كل هذه السنين؟ لماذا لم تسأل عنها.. لماذا لم تنتشلها من حياتها الخائفة والخاضعة؟

امرأة غريبة دخلت البيت.. قال أبوها..

– هذه أمك الجديدة..

لم ترد.. لم تعلق.. صوته/ عينيه/ عصاه اتخذوا القرار الجديد.. لفها الذعر وهي ترى "الجديدة" تدخل الغرفة التي ينام فيها والدها.. تساءلت طويلاً "لماذا تدخل هذه الغريبة غرفة حرم عليها ـ هي ـ دخولها؟ غمرها التساؤل، فأخذها الفضول ـ ذات ليلة ـ لكشف اللغز.. تقدمت على أطراف أصابعها و نظرت من ثقب المفتاح.. أهالها ما رأته..

بعد أشهر معدودات، تغير شكل المرأة الجديدة.. تكور بطنها و انتفخ.. سألتها عن السبب.. لكنها غضبت منها.. اتهمتها بقلة الأدب. هددتها بإخبار أبيها، فخافت.. وصمتت تراقب الأيام و البطن المنتفخة..

- أريد ولدا.. ولدا.. لا حاجة لي بأنثى بائسة.. قال أبوها للداية العجوز..
- اطمئن.. يداي لا تخرجان سوى الذكور..

وخرج الذكر.. رأت التحول يطرأ على أبيها فجأة.. أقام الوليمة.. رقص حتى الصباح، ملوحا عصاه في الهواء طربا و غرورا.. و عندما رآها تراقبه، هجم عليها من ظفيرتها وجذبها إلى غرفة المولود الجديد..

- هذا هو سيّدك.. نظرت إلى الجسم الصغير الذي أشار إليه بإصبعه.. صعقت.. كان شكله مقرفا.. فجأة انتابها إحساس بالحقد نحو أبيها و زوجته، و ذلك الشيء البشع الذي خرج من بطنها.. ثم...

اكتشفت حقيقة مذهلة غابت عنها طويلا.. اكتشفت أنها تتمتع بعقل خاص بها وحدها.. عقل لا يتقاسمها فيه أحد.. عقل يفكر ويسأل ويستنتج.. كان أبوها يفكر ويستنتج ويقرر في الأخير ما عليها أن تقوم به، وقد حاول أن يفهمها كثيرا أن عقلها معطل.. وأن الله هو الذي خلق لها عقل معطل عقابا لها على كل شيء اقترفته أو لم تقترفه.. في المدرسة اكتشفت أنها متفوقة على كل الفصل.. كانت متفوقة على الرغم من عقلها الذي بدا و كأنه معطل كلما وجدت نفسها قبالة قرارات تنهال عليها كالعصا الغليظة.. اكتشفت أن المدرسة هي التي حررت عقلها من التعطيل.. وأنها مدينة للمدرسة بمزيد من التفوق ومن التحرر داخل قدراتها الجديدة على التفكير، وعلى الكلام وعلى اتخاذ القرارات التي تراها

مهمة و حتمية.. لم تعد تغتاظ من أنوثتها.. صارت تتعايش مع واقعها الجديد بسلام داخلي جميل.. أبوها مسكين.. قال عقلها.. لم تعد تشعر بالكراهية نحوه.. صارت تحبه.. وتفهم ما يدور برأسه، وها ابتسامتها المعلقة على شفتيها تفتح والدها على حقيقتها الجديدة و تقنعه أنها تغيرت.. تغيرت حقا..

- هل سمعت ما قلته لك؟(قال أبوها).

- أجل يا أبي سمعت.. و جوابي هو 'لن أتزوج من السي النوري، حتى لو كان آخر الرجال على الأرض لا.. لا يا أبي.. لشد ما كانت الكلمة سهلة و واثقة.. رماها أبوها بنظرة ثائرة، هم ليقول شيئا، رفع عصاه.. ثم.. لم يقل.. نظر إليها مليا، ثم أدار لها ظهره وخرج. إحساسها بالحياة بدأ الآن..(لا) هذه حررت شعوبا بأكملها، والحال أنها تعني لها بداية قررتها بنفسها وهي أخيرا صوتها الذي فقد خوفه و قنوطه.. ابتسامتها قالت كلّ شي..

المصدر:

http://rawasy.net/sabaqueen/storys/storys٠٠٣.htm

ملحق رقم (٢)

مريم لا تعيش مرتين

ياسر عبد الباقي/اليمن

لا يهمنا الضباب الكثير في هذه اللحظة الذي يغطي القرية، حتى بدت وكأنها وشاحاً أبيض يلتف حولها، ما يهمنا هو ذلك النور الذي ينبثق من أعلى الغرفة تتراقص حوله الحشرات الساقطة، لو عبرنا هذه الغرفة أو حاولنا أن نتخيلها ونحن في أعلى التل لوجدناها من الداخل تتلألأ بالمصابيح الصغيرة الملونة والزهور الاصطناعية البسيطة، على جانبي الغرفة جلست النساء الأرض وراح بعضهن يغنين ويطبلن، في مقدمة الغرفة جلس رجل في الخمسين من عمره على كرسي كبير عتيق و كان يصفق لل أطفال الذين راحوا يرقصون أمامه، لكن عيناه الضيقتان لا تمتنعا من النظر إلى الباب أو إلى الكرسي الفارغ الذي بجانبه.

عندما بدأت الطبول والزغاريد تصل إلى مسامعنا بوضوح في أعلى التل أدركنا السبب، دخلت فتاة بثوب أبيض يغطي وجهها خمار بلون ثوبها، بدت مرتبكة تمشي بخطوات ثقيلة خائفة، أسندت نفسها بكتف أبيها حيث كانت عيناه شاخصة إلى الأرض كانة يبحث عن شي ضاع منه، تبعتها أمها بزغرودة طويلة لم تنتهي إلا بجلوس الفتاة على الكرسي المنتظر لها استمر العرس حتى وقت متأخر من رحيل الضباب، سنترك لخيالنا أن يتصور ما حدث بعد ذلك. هو بدأ يخلع ثيابه دون أي تمهيد استرسل في ضحكه حتى سال اللعاب من فمه، هي كانت تقف مرتجفة ثقلت ساقاها عن حملها، رفع عنها الخمار الملتصق بوجهها وتمتم: دموع! دموع الفرح، ثم حملها ورماها على الفراش وحدثها ساخراً: ألم تعلمك أمك!، لم يكن قد نزع الجزء الأسفل من ثيابه لكنه كان مستعداً لذلك، تراجعت الفتاة مذعورة حتى التصقت بجدار الغرفة تكورت وتشبثت بأظافرها حتى أدمت، ظنت أنه لن يصل إليها، مد يده وجذبها نحوه مزق ثيابها، قاومته، بدأت مقاومتها تضعف رويداً رويدا،

دوت منها صرخة عالية قابلتها ابتسامه منه، أقسم البعض من أهالي القرية فيما بعد أنهم سمعوا صرختها ، أغمض عينيه لينام نوم المنتصر في المعركة فانتهزت ذلك، لبست ثيابها الممزقة، هرولت هاربة عائدة إلى منزل والديها، كانت تركض حافية القدمين، برقت أمام الكلاب النابحة التي كانت تخافهم بالأمس القريب، راحت تطرق على الباب بكل قواها، انفتح الباب قليلاً وجاء منه صوت خافت حزين: من؟!

- أبى، قالت ذلك وقفزت إلى صدره باكية: أبى أبقني معك، نزلت والدتها عبر الدرج وبيدها قنديل ، صاحت بقلق عند رؤيتها ابنتها: بنت! ايش جابك؟! ركضت نحو أمها حاولت تقبيل قدميها وقالت متوسلة: أمي.. لا أريد العودة إليه، لم تشفع لها دموعها، كان جواب الأم صارماً واضحاً: عودي إلى زوجك.فهتفت الفتاة بخوف: لكنه آلمني يا أمي!! فنظر الأب إلى زوجته بذهول، لكنه لم يصمد طويلاً فسقطت نظرته إلى الأرض وقال بضعف: ألم تخبري ابنتك شيئا.هزت الأم رأسها:حاولت لكنها لم تنصت لي، لكن الأب لم يقتنع بالجواب فكان يريد أن ينفجر ويصرخ قولي إنها لم تفهمك، لكنه لم يستطع قول ذلك، تابعت قائلة: لقد تزوجت أغنى رجل في القرية، ورمقت ابنتها المرتمية تحت قدميها: أرجعها قبل أن يفتضح أمرها في القرية، فعادت الفتاة تتعلق بوالدتها باكية لكنها دفعتها، وصرخت بها: عيب ،أنت الآن متزوجه و... وفجأة دخل زوج الفتاة وعلى وجهه ابتسامه خفيفة وبيده غطاء الفراش وقد مزج بلون أحمر، هتف ملوحاً به: كنت أعرف أني سأجدك هنا.. اسرعي لوالديك لتخبريهما بأنك أصبحت امرأة قال ذلك وبسط الغطاء على الأرض وزغردت الأم طويلاً وقد أدارت رأسها إلى زوجها كأنها تقول أنظر إلى ابنتك لم تعد طفلة، حاولت الفتاة إخفاء نفسها خلف والدها، فقالت لها والدتها: اذهبي الآن مع زوجك، يقفز الزوج في ساعته ليمسك الفتاة من معصمها بقوة ويشدها خلفه عائداً بها إلى منزله ، وقد همس لها في إذنها:سأجعلك تعيسة طوال عمرك، فظّلت الفتاة الصمت، وجدت أن الصمت أبسط تعبير عن المعاناة والآلام، اقسمت في نفسها أنها لن تتفوه بأي كلمة طول حياتها مع زوجها أو مع والديها الذين تخليا عنها من أجل المال، اعتادا ضربها بسبب أو بدون سبب وملاطفتها أحيانا عند زيارة والديها لها، ذات يوم انفرد الأب بابنته وسألها: ابنتي... ما بك..

أود الآن اسمع صوتك، نظرت إليه بحزن من ثم وضعت رأسها على صدره وأجهشت باكية، مرت عدة أشهر من العذاب كأنها سنوات ، فكان الزوج ينظر كل حين إلى بطنها لعلها تأتي له بمولود كما يريد، ذات يوم قالت له الأم: اصبر عليها، إنها مازالت صغيرة وكل شيء بإرادة الله. فانفجر صارخاً: صغيرة كيف إذا قبلت تزويجها علي، فأخذها إلى المدينة، وعرضها على الطبيب الذي ظن في بداية الأمر بأن الفتاة ابنة الرجل، ولم يسلم أيضا من غضبه، بعد أن فحصها الطبيب أخبره بأنها طبيعية، ولا يوجد شيئ يمنعها عن الحمل وطلب منه أن يفحص هو الآخر لعل العيب فيه، رفض الرجل بشدة قائلاً أن لا عيب فيه، مضت سنة أخرى عاشت خلالها الفتاة حياة تعيسة هزل جسمها وأصاب وجها الجميل الشحوب والجروح، كانت قد فقدت إحدى عينيها وكسر أنفها ذات مرة بقبضة يده عندما رفضت الكلام معه ومنع زيارة والديها عنها. وفي منتصف السنة التالية أخذها إلى طبيب آخر فأكد له ما قاله الطبيب الأول، لكن الزوج لم يصدق واتهم الطبيب بالجهل والتخلف، فعادت إلى القرية وحدها وبيدها ورقة طلاقها، استقبلها والداها بالأحضان والدموع والندم، عاشت بعد ذلك حياة حزينة كئيبة، زادت حالتها سوءا واتخذت من وسادتها طفلاً ترضعه من ثدييها الجافين، خاف عليها والديها وأحضرا لها طبيباً فأخبرهما بأنها في حالة نفسية سيئة جداً قد تؤدي بها إلى الجنون وإنها تحتاج للعلاج في مصحة بالمدينة، وانتشر الخبر سريعاً في القرية وحضرت عجائز القرية لرؤية الفتاة قالت أكبرهن سناً بأن الفتاة قد أصيبت بمس، وأيدتها الباقيات واقترحت إحداهن علاج الفتاة عند شيخ القرية المجاورة لهم، اشتهر بعلاج الناس من الجن ولقب نفسه بعدو الجن، حضر شيخ في الستين من عمره قوي البنية ذا لحية حمراء، يحمل بيده عصاه ومسبحة وكتاباً كبيراً، قال يحدث أم الفتاة بصوت قوي وجهوري: لا تخافي بإذن الله وحده سأشفيها، وأضاف بلهجة مفتخرة: أنا عدو الجن! وتلفت حوله: أين هي؟ خذيني إليها.

كانت الفتاة نائمة حينما دخل وهي قابضة على وسادتها بقوة في صدرها. عجز الشيخ عن إخفاء الذهول والإعجاب من وجهه المتجعد، كانت أمامه فتاة ما زالت تحمل مسحة من الجمال، رطّب شفتيه بلسانه وحك دقته بعصاه وحرك انامل يده على مسبحته

ابتلع ريقه وقال بصوت خافت حتى لا يوقظها: أنا سأشفيها بإذن الله حتى لو طال الزمن، شدد ذلك في لهجته وطلب من الأم وزوجها البقاء خارج البيت مبرراً أن الجني لو خرج منها فقد يسكن في أحدهما، أغلق الشيخ باب الغرفة بالمفتاح ومن ثم وضع كتابه وعصاه ومسبحته على الأرض ونزع عمامته من رأسه، مشى بأطراف أصابعه إلى حيث ترقد الفتاة وعيناه مبهورتان ولمس شعرها بأصابعه الخشنة وطبع قبله خفيفة من شفتيه المتشققتين على جبينها استند بيده على السرير فقفز بثقل جسمه كفتى في العشرين، استيقظت مذعورة فوجدت نفسها في كماشة رجل لا تعرفه، حاولت الإفلات لكنه حاصرها بجسده وراح يقبلها بعنف، صرخت الفتاة خرجت منها حشرجة خشنة غير مفهومة حاول إسكاتها فعظته بيده، رد عليها بصفعة قوية، سمع والد الفتاة صرختها فصرخ بقلق: أيها الشيخ! هذا صوت ابنتي ما بها؟ فهرول الشيخ إلى النافذة بعد أن أصلح ثيابه ولبس عمامته، نظر إلى حيث يقف الأب وأهالي القرية الذين تركوا أعمالهم في الحقول بموسم الحصاد ليشاهدوا الشيخ وهو يخرج الجني، أجابه صائحاً: هذا صوت الجني، وتبادل الأهالي فيما بينهم النظرات بذهول ممزوجة بالرعب، وأضاف بعزم، لتأتي أربعة نسوة لمساعدتي في ربطها، هتف الأب بهلع: لماذا؟! فيرد عليه الشيخ بصوته المعروف: حتى أستطيع أن أقيد حركة الجني، لكزت الأم زوجها قائلة: الشيخ يفهم أحسن منك، سمعها الشيخ وطلب منها أن تحضر معها خير النساء، حمل عصاه ووضع كتابه تحت إبطه وترك أصابعه تتلاعب بمسبحته، وفتح لهن الباب، شعرت الفتاة بالطمأنينة عند رؤيتها والدتها ولاحظ الشيخ ذلك، حاولت الصراخ لكن صرختها كانت مخنوقة غير مفهومة، ظهر والدها من عتبة الباب أرادت أن تستنجد به، لكنها عجزت عن الكلام فلم يخرج منها سوى حشرجة مؤلمة، نكس رأسه إلى صدره وخرج، قام جميعهم الشيخ ووالدتها والنساء الأخريات بتقييدها بالحبال على سريرها، من ثم قال لهم وقد استطاع إخفاء ابتسامة: أحسنتم.. اذهبوا الآن وصلوا من أجلي، التفتت الأم نحو ابنتها قبل أن تغادر وقالت شبه هامسة: ليتني كنت مكانك.. فصراخك يقطع القلب، سمعها الشيخ ورد عليها بانها لن تسمع صراخك بعد ذلك، عندما تأكد من خروجهم من البيت أغلق خلفهن الباب بإحكام ورمى بحاجته الأرض، اقترب منها وبيده عمامته وقال بصمت

خافض ماكر: لقد وعدت والدتك بأن لا تسمع صوتك المزعج، وكمم فمها بعمامته وفرك أصابعه فرحا، نزع ثيابه بسرعة، بإمكاننا أن نتخيل ما كان يفعل الشيخ بالفتاة، استمر يخلع ثيابه لأيام طويلة، ضاق حال والد الفتاة وكان أكثر قلقا على ابنته وسأل الشيخ عنها، وأن علاجها قد طال دون أي تقدم في صحتها، فاصطنع الشيخ الغاضب واتهمه بأنه يشكك بقدرته زاد قائلا بأن الجني الساكن في جسد الفتاة ليس من السهل طرده فذلك يحتاج لصبر طويل للقضاء عليه، ذات يوم حملق الشيخ إلى بطنها بذهول فذعر وحدّث الفتاة بصوت مرتبك: أنت حامل.. سمعت أنك لا تحملي فكيف تحملي الآن، جلس يفكر طويلاً، حتى لمعت عيناه بخبث لبس ثيابه وحمل حاجاته وخرج مهرولاً إلى الخارج، أخذ يصرخ بأعلى صوته: يا أهل القرية.. لقد تمكن منها.. لقد تمكن، ركضنا جميعنا نحوه، سألته بقلق: ماذا حدث؟! أخرجت الجني، فلطم الشيخ وجهة ورد: لا والله أصبحت ملطمة الجن، حاولت بكل جهدي وعلمي لإنقاذ الفتاة، رفع يده إلى السماء وتابع: الله شاهد على ذلك، فشلت.. أنه مارد، تعالت الأصوات وصرخات الأهالي، وسأله أحدهم: هل ماتت الفتاة؟ هز الشيخ رأسه بالنفي، فيسأله والد الفتاة باكياً: بالله عليك ماذا حدث لابنتي؟!! أغمض الشيخ عينه، ساد صمت رهيب في المكان وكأن الطبيعة أيضا شاركتهم صمتهم وصوته يردد: لقد تزوج منها الجني.. وهي حامل الآن. لا أستطيع أن أصف المشهد في هذه اللحظة، لكن عمت الفوضى في المكان والصرخات وتبادل الجميع النظرات المرعبة، لم يعد للشيخ أثر، احتشد كبار نساء القرية حول الفتاة، صاحت إحداهن: انظروا إلى بطنها لم أر مثلها! صاحت أخرى: يجب أن نعمل شيئا ننقذ فيها القرية قبل أن تصبح قرية الجن، قالت أكبرهن سنا: نعمل كما عمل أجدادنا، خيم السكون في الغرفة، ارتسم الخوف في الأم، أدارت الفتاة رأسها إلى الجدار باكية بصمت، تابعت العجوز وكأنها تلقي عليها قنبلة، سنضرب رأسها حتى يخرج الجني، هتفت الأم: لا، وتعالت الأصوات من مؤيدة للفكرة ورافضة لها، لكن العجوز فرضت عليهم فكرتها، نزعت نعلها الجلدي القديم، وقامت بضرب الفتاة على رأسها فصرخت الفتاة متألمة، هتفت العجوز على الفور: سمعتم إنه يتألم، حاولت الأم منعها لكن لم تستطع، عادت بضرب الفتاة بنعلها مرددة: الشيخ المحتال لا يعرف أين الداء، إن تركنا

الجني الآن قد يتزوج بناتنا، لفتت نحو الأخريات وصاحت بهن: ماذا بكن؟ ساعدنني! نزعن جميعهن نعالهن وتسابقن على ضرب الفتاة، بقت الأم واقفة باكية عاجزة عن مساعدة ابنتها، ظهر والدها من عتبت الباب حاول مساعدتها إلا أنه سقط قبل أن يصل إليها، لم استطع رؤيتهن وهن يضربن الفتاة بنعالهن، لكن سمعت إحداهن تقول: ماذا عن ابنها ابن الجني! فترد عليها العجوز: هل تنتظرين مني جواب يا هبله، يجب أن نخرجهما معا... لم أشعر بالسيارة وهي تقطع بي الجبال الوعرة مغادرة القرية، وكانت عيناي زائغتان نحو الأحوال لعلي كنت أحلم.

المصدر:

http://www.ye٢٦.net/vb/archive/index.php/t-٩٥٣.html

ملحق رقم(٣)

اصابع العبد للكاتب محمد عبد الهادي/مصر

انزلق قرص الشمس سريعاً، تقلت "رءوسنا بالصهد تحت" الطقايا" الخوص، استحكمت "زمتة" الظهر، تهدلت أبراج القطن وتدلّت شعيراتها ناصعة البياض علي مصارع اللوز الجاف المفتوح، ألهب تراب الخطوط بواطن أقدامنا الحافية وهو ينثر ناراً من صهد الشمس، أعواد القطن منتصبة أو مائلة أقرب إلي الجفاف منها إلي الحياة، تزدهي بالأبراج، تتناثر منها الأوراق السفلية الجافة البنية وتنحسر الخضرة ووريقات صغيرة قرب البراعم الطرفية، وقفت "الشمس تماماً في قلب السماء الخالية، أرسلت شواظاً من اللهب، مرقت علي سمانات أرجلنا الجافة المخدوشة بـ"قشبر" الأعواد محدثةً سجحات بنية متشابكة علي الجلد السميك، تعلقت خيوط القطن في الفراغ السكن الهامد، جالت في الصمت كسراب خامل، جرى الكلب إلي حافة الترعة، نزل حثيثاً إلي الماء، أغرق شعره وبرّد بدنه في الماء الجاري، لما خرج للشاطئ نفض جسده عدّة مرّات من الماء ثم عرج صوب النخلة تجاه أمي يتقافز سعيداً حولها، أشارت أختي "عبلة" بيدها نحو أمي التي وقفت تحت ظل النخلة، لم يرفع أبي جذعه، اعتدل "مصطفى" ابن عمّي، ابتسمت "زينب" خطيبتي، هللنا سوياً كالأطفال بصوت جوعان:

- "الغدا وصل.. الغدا وصل".

نفضنا الشعيرات البيضاء من صدورنا المنتفخة بها علي حافة الكيس المنبعج المفتوح، لملم أبي الأبراج المتساقطة من علي الأرض، نظفها من الأعواد والوريقات الجافة، كبسها بالكفين العريضتين اللتين غرستا في البطن الناعم..

- "روحوا اتغدُّوا".

قالها أبي بصوت مشروخ، مرقنا بين الخطوط، قفزنا المصارف الجافة المتشققة، "قلعت" بيدي عدّة بصلات خضراء، عرجنا صوب الترعة واغتسلنا بمرح، وأنا أرشق "مصطفى" و "عبلة" برذاذ الماء، وضحك "زينب" لا ينقطع..

كانت أمي ما زالت واقفة تحت نخلتنا العالية العجوز التي نسميها 'أصابع العبد'، تستجمع نظرها الكليل بكفها وتنظر إلينا وتنادينا للغداء، والكلب مرتكز علي رجليه يأكل قطعة من الخبز، تحت الظل فككنا الأحزمة عن خصورنا المجهدة والقيناها، تجمعنا علي الفراش الذي أعدته أمي، ربتت أمي علي كتف 'زينب' وقبلتها، رمقتني 'زينب' بخجل، جاء أبي علي مهل وشرب جرعة ماء أصرها بين أسنانه وجلس أرضاً، أطباق الملوخية التي قطفتها 'عبلة' من بين أعواد القطن والجبن والسلاطة والفلفل والباذنجان والعيش الساخن..، مدَّ أبي يده للطعام وهو ينظر إلينا:

- 'بسم الله.. منتظرين إيه؟'.

* * *

ضنَّتْ النسمة في عز الظهر، تنهد أبي وجفف عرقه بكم قميصه، سرح الخمول في الأبدان وهي تتمطى في الظل، مارس هوايته فألقى أعواد 'الطاب' الخشبية علي وجه الأرض، اتخذت الأعواد تشكيلاً متشابكاً، أمعن أبي النظر فيها، تجهم وبان علي ملمحه الحزن، تطلع إلينا ثم أدار وجهه ورنا تجاه كيس القطن المائل علي رأس الحقل في ضوء الشمس الباهر، أدركتُ علَّة فكره، قلتُ في نفسي لاشك إنه قفز عائداً إلي 'برمهات' المنصرم وهو يقلب باطن الأرض بسلاح المحراث، ونحن نلقط البذور السمراء الزغبية للقطن تحت المضرب القمعي في باطن الثرى علي جوانب الخطوط، ونحن ننتظر أيام العمالة للري وأول الدور وسهر الليل تحت ضوء القمر أو في العتمة مع الساقية، نديرالماء من حوض إلي آخر، ونحن نعزق الحشائش الغريبة ولخربش وجه الأرض بالفئوس، ونحن نرعاه نبتاً أخضر يكبر ويعلو وتتشابك أعواده الغضَّة، ونحن نحرق لطع الدودة ونرش الأرض بالمبيد..، لكن ما باليد حيلة!، وكيس القطن هاهو مائل حزين، والثمن الذي عولنا عليه كثيراً لن ينجزنا هذا العام، سلف البنك والجمعية الزراعية والمقاومة والديون المؤجلة.. ماذا يتبقى؟، وإلي متى يرفض أن أسافر؟، ومتى يجب أن يوافق؟، ما هو الحل يا أبي؟، 'زينب' تنتظرني و'عبلة' و'مصطفى' ينتظران أيضاً، لستُ أول من يسافر يا أبي ولا آخر، العراق، الأردن، ليبيا.. أي مكان، كلهم

سافروا وعادوا بالمال والحقائب المتفخة، ولطخوا وجوه بيوتهم بالجير الأبيض، لماذا أنت خائف؟، أعرف أنك تلعن الغربة ومال الغربة.. لكن ما باليد حيلة..

أدرك ما يقوله لسان حالي، جمع أعواد الطاب مرّة أخرى وألقاها بأمل جديد علي الرمال الباردة، تشكلت الأعواد الخشبية في سوء وكآبة، اضطرم الغضب في دمائه، لم يرفع راسه هذه المرّة، عفّر الأعواد بالتراب، رفع ركبتيه فطقطقت وعقد ساعديه عليهما، جمعت أمي بقايا الطعام وربطتها في الصرّة، مصمصت شفتيها وهي تقول:

- أرم حمولك علي الله.

همّت واقفة ترفع الصرّة علي رأسها ومضت، أخرج علبة دخّانه الصفيح من جيب الصديري، لفّ سيجارة بين أصابعه، أشعلها ونفث دخّانها وحلق فيه، مرق الحزن علي وجوهنا كعدوى خبيثة.

* * *

قلتُ:

- أسافر يابا..

انتفض واقفاً، أسند كفّه علي لحاء النخلة العالية، توترت عبلة وتوقفت عن لعب الأولى مع زينب، أدركتُ أنني نكأت جرحه من جديد..

قالت زينب وهي تشير للسبائط المتدلية تحت الجريد:

- نفسي آكل أصابع العبد.

وقفتُ وتهيأتُ للنخلة، أزاحني بيده غاضباً، قلت النخلة عالية يا أبي، لكنه لفّ المطلاع علي وسطه، تذكرتُ يديه القويتين وهو يلفني تحت إبطه وأنا طفلٌ ضاحك، خلتُ هموم الزمن تتساقط تحت بطني قدميه الخشنتين وهو يتأهب للصعود، العالية طويلة ملساء كصعيدي أمرد يطاول بقامته السماء، يتدلّى الجريد الأخضر من تاجها العالي، يحتضن الأقناء المتدلية، تتدلى السباطات مكتنزة ببلح داكن الحمرة أو أسود ناضج كأصابع العبد مبتورة الأطراف، لا حيّاني ولا بنت عيش ولا سمّاني ولا..، فقط أصابع العبد، الشمس ترتكز فوقها علي السعف اللامع، ترمي الظل أسفلها علي التربة المرتفعة قليلاً، تربة ناعمة

تحنو علي الأجسام المتعبة، تسرح فيها حشرات صغيرة قوتها علي الثرى هو شيص البلح الطري والجاف، تحوم حولها زنابير حمراء شرمة تطن وتزورها كل حين..

كقط عجوز ماكر يتسلق النخلة، يرمي المطلاع، يرمي نفسه خلفه، يركض للعلو الشاهق كعصفور شقي، انحنتْ رءوسنا للخلف تتابعه، اقترب من السباطات، ضحكت 'زينبْ فبدا وجهها أكثر تألقاً وصفاءً، قال 'مصطفْ':

- 'براوة يا عمِّي'.

ابتسمتْ 'عبلةْ بزهو، بدا مع السباطات والسعف كأعواد طابه الخشبي في تشكيل سرابي خادع، اقترب أكثر من السباطة، مالت النخلة العجوز قليلاً، ابتعد ظلها مع وهج الشمس وامتد، ركبنا الخوف وتملكنا الذعر، توقف عن التسلق، حاول أم يمد يده للسباطة التي كانت علي مرمى قصير منه، ظلَّتْ هناك مسافة، مدَّ يده أكثر، حاولتْ أصابعه النحيلة المعروقة أن تلتقي بأصابع العبد الناضجة، لكنها فشلتْ وعجزتْ، رفع جسده لأعلى قليلاً فرفع قلوبنا معه، يا أبى هي الفرس وأنت فارسها، لقد ظلَّت حروناً علي الكل إلاَّ أنت تطوي فرعها الطويل الأمرد كل المواسم، تقدَّم بك العمر وكبرتْ معك، طقطقت النخلة ومالتْ أكثر وامتد ظلها، شهقتْ 'زينبْ وصرختْ 'عبلةْ..

- أنزل يا بأْ.

ناديته بأعلى الصوت وأنا أسمع الطقطقة الخشنة في الجذع الأملس، مرَّت لحظة كالدهر وأنا أراه ينزلق علي لحائها الأملس في ثوانٍ بين يديَّ، نحمله بعيداً، كان يلهث، 'عبلةْ و 'زينبْ تجهشان بالبكاء، رحتُ أتحسس جسده لكنه كان يتطلع للنخلة التي تتهاوى وتميل ببطء وتتحشرج أنفاسها وهي تنام للأبد علي الثرى، وألمح دموعه لأول مرَّة.

* * *

تجمع الناس من الغيطان، أدركنا لأول مرَّة كم كانت أصابع العبد العجوز طويلة جداً، امتد عودها من الجذع حتى رأس الحقل، كان تاجها منكفئ الأقناء مبعثر الشماريخ، يتوسط كيس القطن المنبعج المائل، تناثرت الثمار كأصابع العبد مبتورة الأطراف، ارتجف جسد أبي، أسندته أنا و 'مصطفىْ علي 'المطيَّةْ حتى البيت، شهقت 'أمي وضربتْ صدرها

وعـصرتْ عينـيها بطرف طرحتها، دخلت "عبلة" مع "زينب" وألقيا قفّة بها أقناء النخلة، تناولت ثمـرة ولحقـت بـ "زيـنب" قبل خـرجها، مسحتها في قميصي، قدمتها لها، ازدردتها بصعوبة واغتصبت شفتاها بسـمة واهنة أضاءتْ الوجه المحزون وهي تقول لي:

"خســـارة".

المساء - مارس ١٩٨٦ م، صوت الشرقية - يوليو ١٩٩٠ م.

(جائزة صحيفة المساء ١٩٩٠ م.)

المصدر:

http://www.arabicstory.net /

ملحق رقم (٤)

الجثمان..

بقلم د. ايمن ياسين/ مصر

لطمته الكلمات القصيرة..مات رضيعه بعد أن تنسم عبق الحياة يوما أو بعض يوم..تركه الطبيب إلى موظف مسئول لاستكمال بعض الاستمارات.. أوراق كثيرة بصم عليها لا يدري ما بها.. تنفس الموظف براحة و لملم الأوراق ثم أعطاه أقصوصة صغيرة..إنها إيصال استلام جثمان رضيعه..دلوه على المكان.. دلف إلى الحجرة المبطنة بالقيشاني.. رائحة الموت تثقل الصدور.. رعشة غريبة اجتاحته..أستلم أخر منه القصاصة ثم ذهب إلى أحد الأركان وعاد و سلمه إياه.. وقف جامدا.. حائرا.. لا يدري ماذا يفعل.. عاجله الرجل 'هات حاجه و لفه بيها'.. أوما بغير وعي.. ناوله أحدهم غطاء اطفال بالكاد أحتوي الجسد الضئيل.

مضى إلى الخارج.. لفحه ضوء الشمس.. مرة أخرى ألجمته الحيرة.. ماذا يفعل..؟ تعالى صوت أذان الظهر..تساءل أمن الواجب أن يصلى عليه صلاة جنازة..؟.. دخل المسجد..حار كيف يخلع حذائه و الجثمان بين يديه.. نظر حوله لعل أحدهم يحمله عنه لحظات.. لم يجد بدا من وضعه على الأرض.. خلع الحذاء بسرعة و حمله مرة أخرى..تعمد أن يصلى الظهر عند طرف المسجد ليضعه بجواره.. أستفسر وأجابوه بشرعية صلاة الجنازة حتى على الرضيع.. تناول الأمام عنه اللفافة ووضعها أمامه.. أقام الصلاة مرشدا المصلين أن المتوفى طفل فادعوا لأبويه.. لأول مرة انهمرت دموعه وكأنه شعر بحقيقة مصابه حتى أن الناس جميعا مطالبون بالدعاء له ولزوجته.

انتهت الصلاة..لم يسلم عليه أحد تشاغل الجميع عنه و عن لفافته..لم يبقى سوى الإمام.. أقترب منه.. 'هو أول نصيبك يا بني'..أوما برأسه بالإيجاب.. أقترب الإمام أكثر.. 'والست والدته مش بخير و الحمد لله'.. واصل الإيماء برأسه بالموافقة.. تهلل وجه الإمام.. 'يا

ولـدى لا يعلم الغيب إلا الرحمن.. إنك صغير السن.. وغدا يرزقك العاطى الوهاب بالذرية الـصالحة حتى تمل الأطفال". لم يعرف بما يرد على مجاملة الإمام..بالابتسام أم بالبكاء.. وفى النهاية أسعفته إيماءة جديدة برأسه.

ضـوء الـشمس هـذه المـرة كـان أقـوى و الـزحام أشد..جموع من البشر تزحف فى الـشوارع و خاصة فى هذا الحى الشعبي أمام المستشفى المجانى.. تمسك بقوة بجثمانه خشية أن يفلـت منه من صدمة سائر هنا أو هناك.. خفف القبضة فقد شعر بأصابعه تغوص فى الجسد الـذابل.. خـشى علـيه.. مـرة أخـرى شـعر بدموعه تختلط بحبات عرقه.. لقد مارس شعورا جديـدا علـيه.. بالحـنو و بالخـشية علـى ولـده حتى و لو كان جثة هامدة..برغم أن موضوع الإنجـاب هـذا لم يكـن يـشغله و لا حتـى يفكـر فـيه..بـل لقد فوجئ يوم أن أخبرته زوجته بحملـها.. أسـتثقل الخـبر..لقـد تـزوج بالكـاد.. ولكنه جاملها بابتسامة باهته ونسى الأمر أو تناسـاه تحت وطأة قسوة عمله بدنيا و نفسيا.. يقضى يومه جالسا القرفصاء على أحد أرصفة شـوارع القاهـرة مجـاورا العـشرات وأمامه تنتصب (العده)..لا تهدأ عينه بحثا عن زبون يريد تكـسير بلاط أو هدم حائط.. يجرى عليه مزاحما العشرات.. يحدوهم جميعا ذات الأمل الذي سريعا ما يصرعه اختيار الزبون لواحد أو أكثر.. يعود إلى جلسته حتى يداهمه الغروب معلنا نهاية المحاولة اليومية إلى غد قد يتصادف فيه اختيار الزبون له.

أخـيرا اسـتجابت لـه سيارة أجرة بمجرد التوقف..اتخذ المقعد الأمامى و لفافته على ذراعـه.. سـأله الـسائق مـستنكرا دخوله السيارة قبل إتمام الاتفاق حول (على فين وبكام).. "علـى فـين إن شـاء الله".. أجـاب باقتضاب متجنبا النظر إليه.. "المدافن".. واصل السائق لهجته الاستنكارية.. "أى مدافن..؟المدافن كتير".. أسقط فى يده فجأة أكتشف أن القاهرة الكبيرة بها أكثـر مـن منطقة مدافن.. فى بلدته بل و فى كل القرى المجاورة له.. كلمة مدافن تعنى مكان واحـد فقـط.. ويغـض النظـر عـن مكان المدافن..الأدهى انه لا يعرف أين يدفن جثمانه..؟ ذادت حيرته من ارتباكه.. وللحظة فهم السائق..نظر له بتردد.."هو ده أبنك يا بلدينا..؟".. مرة أخرى هاجت مشاعره بوخزة كلمة أبنك.. تمنى لو أطلق العنان لدموعه بل لصرخاته.. تمنى لـو ارتمـى بـين أحضان السائق منتحبا.. فى هذه اللحظة بالذات تمنى امه.. تمنى أحضانها أو

حتى لمسة من كفها الخشن.. لعن في سره يوم أن ترك بلدته إلى القاهرة الواسعة وحيدا مع زوجته لهثا وراء سراب لقمة الخبز.. وبالفعل في معظم الأحيان كان نصيبه من تلك القاهرة.. فقط لقمة خبز.. أفاق على تمتمة السائق بلا حول و لا قوة إلا بالله.

مضت السيارة تجوب شوارع و أحياء لا يعرفها حتى اجتازت منطقة مدافن.. توقفت.. هم بالخروج منها.. استمهله السائق.. آستنى يا بلدينا..أنت رايح فين.. أستنى دلوقتي ربنا يفرجها.. عاد إلى وضعه منتظرا.. لا يعرف حتى ماذا ينتظر.. إنه فقط ينتظر فرج ربنا.. ياه.. فرج ربنا.. منذ سنوات طوال وهو ينتظره برغم أنه ذاته أسمه فرج ربنا.. لطالما قصت عليه أمه.. أن أبوه صمم على تسميته كذلك.. فقد تزوج ثلاث مرات بحثا عن امرأة تهبه الولد بعد رحلة طويلة مع الإناث.. وعندما أتت له الثالثة بالولد أصر على تسميته (فرج ربنا).. لم يرد تسميته (فرج الله) لأنه أسم شائع.. لقد أراد لولده التميز ولو في الاسم.. ولكن القدر لم يمهله حتى يراه مميزا أو حتى معدما فقد مات في ريعان شبابه تاركا لفرج ربنا.. (العده).

شعر بتنميل في ذراعه..نقل الجثمان للذراع الأخر..من يدري قد يكون هذا الجثمان أسعد منه حظا..قد يكون الرحمن قد كفاه ويلات و شقاء هذه الحياة ولم لا وكل الشواهد تدل على أن فرج ربنا لم يكن سيورثه وبالكاد سوى(العده).

لكزه السائق.. الحمد لله.. مش قلت لك ربنا حيفرجها.. لمح من بعيد جنازة تتجه إلى مدفن قريب منهم.. نزل السائق و فتح له الباب.. تعال.. تعال بسرعة ..مضى خلف السائق متعثرا.. حاول أن يسأل ولكن خطى السائق السريعة خلف الجنازة لم تسعفه..تركه جانبا وذهب إلى أحد حملة النعش مؤكدا لنفسه أنه أقرب أقرباء الميت..أسر في أذنه بكلمات.. وما أن وضع الرجل النعش حتى هرع إليه.. لم يفهم..أقبل عليه متهللا.. ربنا يعوض عليك يا بلدينا..هاته..هات...تردد.. لكزه السائق مرة أخرى أديه له..أديه له..قاوم إحساس داهم بالحسرة والحزن بل وبشيء من التأنيب الذاتي على تفريطه في الجثمان..أخذه الرجل من بين يديه و عاد به إلى المقبرة..اختفى في جبها ثم خرج متربا..أغلقوا القبر..فوجئ بالرجل يعود ويدس في يده ورقة بخمسين جنيه وهو يهلل

مستبشرا..'إن شاء الله أبنك ده حيكون نور ورحمة على التربه كلها'.

بسرعة تم كل شيء..حتى أهل الميت أبتلعهم الطريق.. لم يبقى سواه والسائق والرجل صاحب المال.. أستأذنهم فى غلق المدفن..ربت السائق على كتفه وسحبه للخارج..'مش قلت لك فرجه قريب.. وربك بيقطع من هنا و يوصل من هنا'..سار مطأطئ الرأس.. متحسسا الورقة المالية دون أن يدري أنه قد نسى تحديد مثوى ولده وسط المدافن المتشابهة.

المصدر:

http://www.arabicstory.net /

ملحق رقم(٥)

قصة أحلام فتاة شرقية

يحيى الصوفي/ سوريا

فـرحت نـدى- الفتاة التي لم تتم السادسة عشر بعد- بالرجل الذي تقدم لخطبتها، لم تشاهده بعد ولكنهم قالوا لها بأنه من عائلة كبيرة ومحترمة،... بهي الطلعة مكتمل المواصفات وفي الـثلاثين مـن العمر، ولأنها الأخيرة من تسع بنات لم تشأ أن تبقى بمفردها بعد أن سبقها الثمانـية الأخـريات إلى عش الزوجية بنفس الطريقة، خطبة قصيرة برتيبات عائلية،... تفاهم على النفقات،... لقاءات عدة بين الخطيبين خلال اشهر، تحت اسم الخطبة،...ثم الدخلة،... وكـان أخـر مـن يستـشار في الأمر هي صاحبة العلاقة،...حيث كانت تجري الأمور بطريقة روتينية.؟؟؟

فندى تنتمي إلى عائلة محافظة كثرت البنات فيها وكانت كلمة الفصل للأم ولو انه لا يـبدو كـذلك،... حـيث كانـت تـرتب جمـيع صـفقاتها بعـد أن تدل الطالبين ليد ابنتها على مواضع الضعف لدى زوجها حتى يتم الوفاق والاتفاق بأسرع ما يمكن.؟

وهـذه ليـست خـيانة كمـا يمكـن للـبعض أن يـسميها، لا...لأن الأم لم تكـن سهلة بـناتا،...ولا تسهل الأمر بالعادة إلا للخاطبين الذين يحملون صفة الزوج الذي يستحق ابنتها ويكون قادرا على الانضمام إلى عائلتها كفرد منها يملك كل المواصفات المطلوبة.

ولأنهـا كانت صغيرة جدا ولا تستطيع أن تميز بين رجل بالأربعين أو الثلاثين،! ولا تعـرف عن الرجال شيئا ظنت بأنها محظوظة به فتركت أحلامها الوردية بلقاء فارس أحلامها جانـبا وبـدأت تعـد عـدتها للتأقلم معه كزوجة وست بيت لا أكثر،؟! فشؤون القلب لم يحن أوانها بعد؟ !

لم يخـبروها شـيئا عـن ليلة دخلتها إلا في ليلة زفافها،؟!... فلم تأخذ كلمات النصح والتوجـيه سن اهتمامها الكثير فلقد كانت ملهية مسحورة ببذلتها البيضاء ومجوهراتها وزينتها

وبالضيوف الذين كانوا يحيطونها بالأهازيج والتهاني والهدايا وهم مبتهجون وفرحون بها،... ولم تفطن بعد هذه الليلة الصاخبة إلى أنها ستغادر بيت ذويها إلى بيت أخر، وبأنها ستشارك زوجها- هذا الرجل الجديدة العهد به- منزله وطعامه وشرابه وحتى فراشه؟ !

هي لم تدرك بان المرحلة التالية لحياة إي فتاة تريد أن تنتقل من مرحلة حضانتها من قبل عائلتها إلى مرحلة تأسيس عائلتها الخاصة وتكون هي الحاضنة لها، تشبه إلى حد بعيد الولادة الجديدة؟ ...! أنها انعتاق من ثوب لتحل في ثوب أخر... وانتقال من عالم إلى عالم أخر... تتعرف فيه ولأول مرة على عالم لا تعرفه إلا من خلال أحلامها... وقد لا تجد من كل ما كانت تحلم إلا اليسير... وقد تجد أكثر من حلمها... لان هذا العالم هو عالم يعتمد عليها كليا في رسم ملامحه من كل جوانبها، ويعتمد على مدى تقبلها أو رفضها أو انسجامها مع محيطها... عالم ينجلي الحلم فيه عن الواقع وينقلها من موقع المشاهد للحدث إلى موقع الفاعل فيه، تشعر فيه ولأول مرة بأنها تملك مصيرها بيديها... بان لها شريك في كل شيء فيه، في الصالون، في المطبخ، في الحمام، وفي غرفة النوم والفراش، وبأنه سيشاركها حتى الهواء وفنجان القهوة والوجبة الساخنة... أمالها...أحلامها... طموحاتها... وبأنه أكثر من هذا سيكون الشريك الوحيد الذي سيمنح وجوده وحبه وعطائه ثمرة تحملها في أحشائها وتنبض بالحياة،... فهل كانت حقا مستعدة لهذا الميلاد الجديد والانتقال من الشرنقة التي كانت فيها فاردة جناحيها بكل زهو وكبرياء تصفق بهم نحو الحياة الجديدة التي تنتظرها....هل كانت حقا قادرة على خوض هذه التجربة الفريدة بان تكون مع زوجها شريكة في عش واحد... تبنيه... تزينه وتحميه،...؟

لا يبدو ذلك لأن ولادتها كانت عسيرة وليلتها الأولى معه لم تنجح،... ولأنها اكتشفت فجأة بأنه اقترب منها أكثر من اللازم وبأنه لامس من جسدها وروحها بعض مما حفظته لحبيبها وفارس أحلامها الموعود ولم تكن تعرف بان هذا الزوج الذي تسكن معه هو أخر المطاف من الحلم الذي عشش في خيالها سنين طويلة وبان زوجها هو حلمها،...عشقها،... حبها الذي يجب أن تسكنه فؤادها وقلبها وروحها بعد إن تفرغهم من كل أحلامها،؟؟؟ فلا شريكا للجسد ولا مكان في القلب لأثنين؟؟؟ !!!

وككل الزيجات التقليدية أخذت الحياة مجراها فمضت السنوات العشر الأولى من حياة ندى كلمح البصر ولم تدري إلا وقد أصبحت أم لستة من البنين والبنات، فملئوا عليها حياتها واخذوا منها جل وقتها وكانوا بالنسبة لها كل شيء، وقد راق لها أن تصبح أما لها وزنها وقرارها وكلمتها، وبأنها أضحت لهم الملاذ الآمن من كل مكروه ومصدرا للحنان ولا يعيبها -وقد نضجت واكتملت خبرتها- من أن تمارس دور الطبيبة والممرضة والمعلمة وقد امتلكت في جعبتها السحرية الدواء لكل داء والحلول لكل المشاكل، فوق ما كانت تمتلكه من اهتمام وحب من زوجها وعائلته،... ولم لا فلقد كانت بالنسبة للجميع زوجة مثالية.

فجأة وبعد أول وعكة صحية خطرة ألزمت زوجها الفراش اكتشفت ندى بان زوجها أصبح مسنا في حين هي لازالت في ريعان الشباب،... وبان السنوات الخمس والعشرون التي تفصلها عنه هي أكثر بكثير مما ادعاه عند الاقتران بها؟! وهكذا بدأت تطفو على سطح حياتها سيئات وعيوب لم تكن لتراها، !وأضحت تشعر بوجوده ثقيلا عليها فلم تعد تحتمل صوت تنفسه يلج أذنيها كأزيز النحل، ...ورغم افتراقها عنه في فراش خاص بها إلا أن وجوده إلى قربها في غرفة واحدة أصبح لا يطاق،؟! حتى رائحته الذكية التي كانت تتغنى بها إلى حين أضحت نتنه ولم تنفع كل محاولاتها باستخدام شتى أنواع المنظفات والعطور في إزالتها،... ويديه الناعمتين المدربتين على استثارة مشاعرها وأنوثتها في جلب أقصى ما كانت تتمناه من الحنان والمتعة بدتا وكأنهما أزرع إخطبوط تحيط بها وتطبق على أنفاسها، !... فلم تعد تحتمل أن يضع يده الوحيدة القادرة على الحركة فوق كتفها أو على شعرها مستأنسا مداعبا كما جرت عليه العادة،؟؟؟ خاصة بعد أن أدركت بان ما أصيب به سيلزمه فراشه وبيته وستصبح ممرضته التي تسهر على راحته وصحة بدنه بعد إن كانت ولأكثر من عشر سنوات جاريته ومربية لأولاده،... تذعن لكل مطالبه ورغباته ونزواته التي تحبها والتي لا تحبها فيه،... فأخذت تقسو عليه وتتمهل في تلبية حوائجه وتتصنع عدم سماع توسلاته في استدراك أولادها يعبثون بالأدوية أو المدفأة أو أدوات المطبخ،... وكأنها أرادت أن تنتقم لنفسها من هذا الشر الذي وقع عليها والزمها به كل هذه السنين دون موافقة أو اتفاق أو إرادة أو حب،.... وشعرت ولأول مرة في حياتها بأنها تكرهه وتتمنى موته.؟ !

وشجعها على ذلك زيارات ابن خالتها بحكم إشرافه على تطبيب زوجها، ... ففهمت إطراءه لها على هذه التضحية النبيلة في العناية ببيتها وزوجها على انه تقرب منها وطلب للمودة وعربون وفاء لذكريات طفولتهم البريئة التي لطالما شاركته بها، فأخذت تعلل نفسها بالآمال،... وترسم لنفسها حياة أخرى تمنتها وحب آخر لفارس أحلامها القابع ها هنا في مكان ما من قلبها وعقلها ينتظر متحفزا ومتشوقا لمساتها الناعمة السحرية لتوقظه من ثباته وتخرجه كالمارد من قمقمه،؟!

فأصبحت تتعمد الإخلال بموازين الدواء ومواقيتها ترجو نهاية قريبة له وبداية لحياة أخرى لها،.... ولم تدرك فداحة ما ترتكبه من إثم وخيانة إلا عندما وقعت الكارثة وقضي الأمر وفارق الحياة.

فوقعت عليها كلمات طبيبه الجارحة الثقيلة والمؤلمة كالصاعقة فأثخنت فيها الجراح الغضة والتي لم تندمل رغم بلوغها الثمانين من العمر،... فهي لازالت تلاحقها ولم تشفع لها توبتها ولا صلواتها ولا التضحية العظيمة التي قدمتها لثلاثة أجيال من عائلتها،... بضع كلمات لا أكثر تقبع هنا في عقلها وقلبها ووجدانها،... وتعود لتطن في أذنيها تذكرها بإثمها وموت زوجها وحلمها (كنت معجب بك واحترمك وأجلك لأنك امرأة تتمتعين بجمال وفتنة وعفة الملائكة... ولكن سرعان ما أدركت بان الهالة الإلهية التي كانت تحيط بك قد انطفأت بانطفاء من أشعلها بحبه ووفاءه،... وقريبا ستدركين حجم الخسارة بفقدانك الرجل الوحيد القادر على حبك وحمايتك ودفع الأذى عنك حتى وان كان مقعدا...) وتساءلت في سرها رغم كل ما حل بها من الم،...(ألا يحق لي أن احلم وأتنفس وأحب وأعيش كامرأة،؟ كأنثى،...؟ ! – بكل بساطة – كامرأة انثى؟ !

المصدر:

http://www.arabicstory.net /

ملحق رقم(٥)

حصار

د . أسد محمد/ سوريا

قرر مجلس أمناء البلد بأغلبية عضو واحد بأنهم سيعاقبون زعيمالا يضحك كما يضحكون ولا يتنفس كما يتنفسون، علما أن احد الأعضاء قدم لهم تقريرا مفصلا عن هذا الزعيم، وجاء فيه إنه من أقرب الناس إلينا، وهو مستعد لتلبية مطالبنا بالكامل" لكن عضوا آخر رد عليه بغضب:

-إذا لم نحاصره فمن نحاصر؟

وكان الجواب "فلنحاصره إذا كان لابد لنا من عدو"

قرروا منع السجائر والجبن، والمواد الأولية دون استثناء حتى يجوع ويستمع إلى الأغاني ذاتها التي يستمعون إليها، وقرروا التجسس على مكالماته الهاتفية وتفاصيل حياته اليومية وخصصوا لذلك جهاز أمن كامل مرتبط مع قمر صناعي، وكي يحكموا عليه الحصار سدوا المنافذ الكبيرة والصغيرة عن بلاده، وأظهروا ذكاء في بث بعض الأخبار المضادة له، وتم تذيل هذا الشكل من الحصار تحت شعار "إنه شخص خطير على أمن الوطن" وتحولت هذه إلى فلسفة، جاءت عناوينها بالخط العريض في كبريات الصحف العالمية " تطويع الأنظمة المارقة"..

ردا على هذه القرارات، داعب الزعيم شاربه أمام أعضاء مجلس حكمه، وقال ساخرا:

-لن يتمكنوا من حصاري.

فسأله شخص كان رتب معه هذا السؤال من قبل بدقة:

-يا سيدي، كيف سيكون ردك؟

مباشرة طلب من خادمه الخاص أن يوزع سجائر من ذلك البلد للحاضرين، ثم طلب من مصوره التلفزيوني أن يصورهم، وأمامهم علب سجائر من بلد العدو، رفع أحد الأعضاء إصبعه طالبا الكلام، تجاهله الزعيم، بينما سمح لآخر بإطلاق نكتة، انتهت بجملة "أنا لا أدخن يا سيدي، لكن كرمال عيونك مستعد للتدخين" ضحك الزعيم، فضحكوا دون أن يعرفوا السبب، هز برأسه فهزوا برؤوسهم، وخرجوا..

تفرقوا، وكل واحد يردد:

-يا لها من هزة رأس جبارة!

أظهرت الصحافة المحلية في اليوم التالي أعضاء القيادة وهم تدخنون سجائر "بلد العدو" دون أي تعليق، انزعج المواطنون من هذا المنظر، خاصة من نائب الزعيم الذي يعرفون عنه أنه منضبط ولا يدخن، وهذا أدى إلى شائعات مختلفة، انتهت "إن في الأمر حكمة"، وأحدثت رؤى متباينة لدى الناس حول معنى تدخين النائب في مثل هذه الظروف..

ارتبك الناس، وفي اليوم التالي أرسل جهاز المخابرات الخاص تقريره إلى الزعيم، بأن الناس، فهموا من صور الصحف إنها مقدمة "لاسترضاء العدو"

وجاءهتقريرا آخر من عاصمة العدو "إنه لايوجد أي رد من العدوعلى الصور في صحافتنا المحلية"

ظل أعضاء القيادة خائفين ولميتجرأأي منهم على الاتصال مع الآخر او طرح أي سؤال حتى على نفسه بانتظار الأمر السامي بكيفية التصرف، وبقيت هزة رأس الزعيم هي اللغز الذي أشغلهم..

بعد أيام دعا الزعيم نائبه، فدخل عليه، وجده يتكلم في الهاتف ويضحك، قال النائب في نفسه:

- لابد وأن الأزمة مع العدو قد انتهت..

أنهى كلامه، بجملة:

-لا تقلقي يا سيدتي من الحصار، فكل ما تحتاجينه سيؤمنه لك رجالي..

انتظر النائب أن يكلمه عن آخر المستجدات، لكن الزعيم، كلمه عن مغامراته وفتوته طويلا، اعتقد النائب أنه يخفي سرا بشأن الحصار، طلب منه الانصراف وهو يبتسم، ثم قال في نفسه:

-لقد فهم من سخريتي بأنني لست مبال لهذا العدو.

كان نائبا نائب الرئيس في انتظاره، دخلا عليه، فحدثهما عن آخر رحلاته للخارج، وابتسم ابتسامة عريضة عندما ذكر لهما قصة الفتاة الجميلة التي راقصته.. وبعد نهاية هذا اللقاء.. طلب منهما الخروج، فخرجا، وقال في نفسه:

- لقد فهما الرسالة، بأننا لسنا معنيين بقرارات العدو، لكن لست فاهما بماذا يفكر الزعيم؟!

نقلا نائبا النائب الفكرة نفسها إلى معاونيهما، وهكذا بالتسلسل حتى وصلت الفكرة إلى القاعدة "الوطن في أمن وآمان ولا خوف من الحصار"

جاء التقرير الأمني التالي لسيادته "الناس يثقون بكم وبالروح والدم يفدونكم وهم يبتسمونكما تبتسمون و يضحكون، لكنهم يريدون سجائر من أجل التدخين قدوة بسيادتكم"..

بينما جاء تقرير من عاصمة العدو "العدو لا يبالي بنا"

فقال الرئيس:

-بدأت تكبر كلمة "عدو" إنها إكسير الحياة بالنسبة لي..

ازداد التساؤل بين الناس حول البدائل الممكنة للموارد الضرورية للبلاد وكيفية تعويضها، ظل أعضاء القيادة يتكتمون حول سؤالهم الأساسي "لماذا هز الزعيم رأسه؟"

مضى أسبوع آخر، كان الزعيم قد بدأ ينسى الحصار، وبدأ ينسى معه بقية أعضاء القيادة معنى هزة رأس زعيمهم..

لكن عضو سابق في استخبارات العدو كان قد علق في إحدى المحطات التلفزيونية، وذكر كلمة هزّ في رد على سؤال حول أزمة مضى عليها ثلاثين عاما بين بلاده ودولة أخرى، نقلا لنائب هذا الخبر بسرعة إلى الزعيم، فقال له:

-ماذا تقصد بهز أيها النائب؟

-يا سيدي، أنتم من هز رأسه.

صمت الزعيم، وابتسم..

-فعلا، فعلا..

انتظر النائب أن يضيف شيئا، لكن الزعيم طلب من مصوره الخاص أن يصورهما معا، وينشر الصورة في الصحف كافة..

خرج النائب دون أن يفهم شيئا، وفي اليوم التالي سأله نائباه عن مغذى الصورة المنشورة في رأس صحافة اليوم، لم يجبهما، وبقي الأمر غامضا..

وقال النائب:

-أنا لا أعرف ماذا يخطط الزعيم، ولم يقل لي معنى هزة رأسه.

بعد أيام طلب الزعيم من النائب أن يدخن، فالتزم بالأمر دون أن يعرف السبب، وفسر بعض أعضاء القيادة أنه تحد للعدو وللبرهان أن المنافذ لم تغلق..

بعد شهرين جاء تقرير للزعيم من جهازه الأمني يقول أن معمل الأسمدة توقف بسبب فقدان المخزون من المواد الأولية

ابتسم وقال في نفسه:

- إن خطتي تتحقق، و تترسخ العداوة والكراهية في قلوب الناس ضد ذلك العدو، ولن يجدوا بديلا عن إخلاصهم لي، وتعلقهم بي كمخلص..

طلب من نائبه أن يتدبر أمر المعامل التي تعتمد على مصادر العدو، فقال له:

-يا سيدي، إن مصدر المواد الأولية الوحيد في العالم هو العدو.

صرخ الزعيم، وقال:

-اغلقوا المعمل.

وقال النائب:

- سيغلق من تلقاء نفسه..

اطمأن الزعيم أكثر للكراهية التي تزداد ضد العدو..

بعد ستة أشهر تم إغلاق نصف معامل البلاد، وفي كل مرة، يقول الزعيم:

-تخلصوا من كل ما هو معاد..

جاءه تقرير أمني ليس لدى الناس جبن

سخر، وقال:

-لكن لدي كثير من الجبن..

اتصل مع عشيقته وسألها:

- الا يوجد في السوق جبن؟

-لا أعرف.

-يوجد لديك جبن.

- طبعا، هل نسيت، يؤمن لي رجالك كل ما أحتاجه..

أقفل الخط وقال:

- بما أنه لديها جبن، يعني أن خططهم فاشلة..

كان في هذا الأثناء يقف طابور طويل أمام مؤسسة تموينية خلقه الحصار بانتظار شراء بعض المواد المقننة، دخل رجل مفتول العضلات يحمل مسدسا على جنبه، تجاهل هذا الحشد الكبير من الناس وكأنهم أعداؤه، اقترب من البائع، همس في أذنه، ثم عزل له عشرة صناديق أمام مرأى الناس، خرج رجل من الصف الرابع، اقترب من البائع وسأله:

- لماذا عزلت هذه الصناديق؟

سكت البائع، كرر الرجل سؤاله أكثر من مرة، فأشار له بطرف عينه إلى المسدس، وأجاب الرجل:

- إنها لي..

وهز مسدسه بحركة مقصودة..

فقال الرجل بثقة:

-لا، لن نسمح لك.

- لم أطلب منك السماح.

-هذه المواد التموينية من حقنا..

- من أنتم؟

- نحن أهل البلد.

-(طز) فيكم..

انطلقت أصوات تحد من رجلتان، ثم ثالث ورابع و.. وقالوا بصوت واحد:

- حتى ولو كنت الزعيم نفسه، فهذه المواد من حقنا جميعا ولن نسمح لك بأخذها..

رفع عنصر الأمن مسدسه باتجاه الرجل الذي انقض عليه وأرداه أرضا، أطلق رصاصات عشوائية، أصابت بعض الحاضرين، حدثت فوضى، ضرب الناس المسلح الذي صاح:

-أنا عنصر أمن وستنالون عقابكم أيها الخونة!..

أخذوا منه مسدسه، وأسعفوا الجرحى، وكان البائع أحد المصابين، اضطروا لتشكيل لجنة منهم، ثم وزعوا المواد التموينية بالتساوي بين بعضهم البعض..

قال أحدهم:

- إننا نموت من الجوع بينما يجلس الزعيم على عرشه دون تحريك ساكنا..

وقال آخر:

-يجب أن نعتمد على أنفسنا.

وقال ثالث:

- ذلك البلد ليس بعدونا، وأنا لم أعتدي عليه أبدا، فلماذا يعاقبني؟

وقال رابع:

- ليس الشعب هو من يعاقبنا و إنما قلة من أعضاء حكومته يكرهون الزعيم، فأصدروا حكما جماعيا بمعاقبتنا..

امتزج النقاش مع آلام الجوعواستمر أكثر عنفا في الأيام التالية حتى بدأ يتحول إلى حقد ليس على العدو فقط و إنما على العالم اجمع الذي ترك هؤلاء الناس بين الجوع و الحصار، قال أحدهم:

- نُعاقب لأننا خُلقنا هنا؟

بينما كانت أسئلة الأطفال والتلاميذ أكثر حرجا لآبائهم ومدرسيهم حول أدوات التعليم والدراسة والمستقبل.. كان المجتمع برمته يدخل في عفونة الكراهية التي بدأت تسحق الأرواح والقيم..

اتصلت صديقة الزعيم به، وقالت:

- إن ضابط الأمن الخاص لم يجلب لي حاجاتي لهذه اليوم..

سأل الزعيم عنه، فأخبروه أنه في المشفى، وأنه لن يتمكن لا هو ولا غيره من تأمين حاجات صديقته لأن ما تحتاجه لم يعد موجودا في الأسواق، فأرسل لها الزعيم حاجتها من مخزنه الخاص، اتصل به ضابط الأمن، وقال له: لقد سافرت إلى بلد العدو، فقال الزعيم:

- العاهرة، ألم تتحمل ساعات قليلة دون رفاه؟

اشتكى الضابط المصاب من قلة الأدوية وعدم وفرة لوازم الجراحة الموجودة فقط في بلد العدو، فأرسله الزعيم إلى بلد العدو للعلاج هناك، بينما بترت ساق مواطن و أصيب آخر بتشوه في العمود الفقري بسبب عدم وجود لوازم الجراحة، وعندما عاد المشلول إلى بيته على كرسي متحرك:

-بكى أطفاله، وقالوا بصوت واحد 'إننا نكره العدو المجرم والجبان الذي منع الأدوية والعلاج عن والدنا'

-بينما قالت زوجته:

-فليحاصروا الزعيم الذين يؤمنون له حتى السجائر، بينما نحن نموت من الجوع، فما ذنبنا إن كانوا يكرهونه، لماذا يقتلوننا باسمه..

بينما كانت صورة الزعيم تعتلي صفحة الجريدة وهو يدخن..

وكان اجتماعا في القيادة برئاسة النائب الذي أنهى اجتماعه بجملة 'كلنا نحب الزعيم' هذا هو شعار المرحلة القادمة، ويجب أن نلتف حول قيادته الحكيمة..

بينما ردد بقية أعضاء القيادة في أنفسهم:

لا نعرف ماذا يجري، إنه يتصل مع العدو لتلبية احتياجاته، بينما منع العدو عنا كل شيء..

وقال آخر في نفسه:

- إنها مؤامرة كي يلتف الناس حول الزعيم ضد عدو ما، وينسوا ما يفعله الزعيم بهم من سوء..

اجتاحت الكراهية القلوب، واعتقد الزعيم أنه يوجهها وهو يتلمس أعواد كرسي عرشه، ويردد:

- إنه العدو، العدو الذي خسر الكثير وربحت..

وفي لقاء سري له مع أحد أعضاء مجلس أمناء العدو، طلب منه أن يستمع إلى أغاني بلاده، فأجابه:

- أنا لم أتوقف عن الاستماع إليها..

-نريدك أن تسوقها لدى شعبك..

أجابه الزعيم:

- أوكل هذه المهمة لكم..

قالها ولديه قناعة أن الكراهية لن تسمح لهم بترويج منتجاتهم من جديد..

توسط لديه كثيرا، شعر الزعيم بانتصار ما، وقال:

-لقد لجؤوا إلي من جديد كي أطوع شعبي، يجب أن يتعلموا أنني أفضل وسيلة من أجل تحقيق مآربهم..

المصدر:

ملحق رقم(٦) http://www.arabicstory.net

ملحق رقم(٦)

قنديل الجبل الأوسط

قصة بقلم: د. علي الطرابلسي- تونس

القرية التي ولدت فيها تشبه صبية حسناء تسترخي بين جبال خضراء لامعة. تطل بوجه مشرق على بحر من الفيروز، ويغرق جسدها العاجي في هالة من الخضرة والضوء العسلي الناعم. سأكون محقا لو قلت بأن قريتي هذه لابد أن يكون قد أنشأها فريق من الشعراء جمعتهم الصدفة، ودلهم خفق فراش ملون إلى هذه الروابي الخلابة والسهول الغافية بين أحضان ثلاثة جبال ينسكب من قممها إلى أقدامها عبير الصنوبر، وتنساب من شقوق صخورها اللبنية ينابيع الماء بعريها البدائي كغزلان صغيرة رايشق القرية طريق ترابي عريض تحنو عليه أشجار الكالاتوس بقاماتها المشرئبة وظلالها الوارفة من كل جانب. أحد طرفي الطريق يشكل المدخل الرئيس للقرية، وينتهي عند شاطئ البحر. أما الطرف الآخر فيخترق مزارع العنب، ويتجه بعيدا نحو الجبل الأوسط. كان الطريق الترابي يزدحم خلال موسم قطف العنب بالعربات الخشبية المحملة بالعنب، تجرها خيول بيضاء، تتمايل على مهل، وتتدلى من الجمتها أجراس نحاسية تسكب رنينا عذبا منتظم الإيقاع مع خطواتها الرشيقة. لم أكن أعلم هل ينتهي هذا الطريق عند سفح الجبل، أم يتعرج حوله ليصل إلى جبال بعيدة تطل برؤوسها خلف جبل قريتنا الأوسط. هذه الجبال لم نكن نرى منها سوى ذرى قممها الرصاصية الجرداء تلمع حينما يعتلي صهوتها نور الشمس. لذلك كان أهل القرية يطلقون عليها اسم "جبال الرصاص".

على جانب الطريق، وعند مدخل المزارع توجد شجرة سنديان عملاقة وارفة الظلال، وهي من عجائز الأشجار بالقرية. كنا نتسلق هذه الشجرة، ونقوم من بين أغصانها بمراقبة القرويين بقبعاتهم المصنوعة من سعف النخيل وهم يقطفون العنب تحت قبة زرقاء، فيما النساء بأثوابهن الريفية المزركشة يملأن السلال بالعناقيد الذهبية. لم نكن نتجرأ أن نتقدم

أبعد من السنديانة خوفا من الحرّاس الذين كانت أكواخهم المخروطية المصنوعة من القصب تتوسط مزارع العنب.هؤلاء الحراس كانوا من غير أهل القرية، صارمون، متجهمون، ويثيرون فينا الخوف من التقدم قيد أنملة واحدة بعد شجرة السنديان، حتى لا نسرق عنقودا واحدا من العنب.

رئيس الحراس كان رجلا أسمر اللون، ضخم الجثة، مفتول العضلات، صارم الهيئة، وله ملامح إفريقية جامدة تبدو كقطع الجرانيت. في المرات القليلة التي رأيناه فيها، كان دائما يرتدي معطفا صوفيا 'كاكي' اللون، وينتعل حذاء عسكريا يشبه أحذية الضباط الألمان الجلدية التي تصل إلى تحت الركبة بقليل. كان هذا المارد يعتمر قبعة حمراء، ويتسلح بعصا سوداء غليظة ينتهي طرفها بكرة حديدية ضخمة تسمّى عندنا بـ 'الدبوس'.

لم نكن نعرف الاسم الحقيقي لهذا الرجل، لذلك كنا نناديه 'عم بو دبوس'. لم نكن نراه إلا عند قطف العنب أو أثناء حصاد القمح، وحالما ينتهي موسم جمع الغلال، يختفي ويتحول إلى مجرد شبح يسكن الجبل الأوسط. كان يقيم في كوخ منعزل تغطيه أغصان الصنوبر والصفصاف، ويقع عند سفح الجبل. أخبرنا بهذا كبار القرية. آلاف الأسئلة كانت تطوف برؤوسنا الصغيرة حول هذا الرجل الغامض. كنا نتصوره كالغول، مخيف، قاس... لا يحسن سوى تهشيم الرؤوس بعصاه الغليظة، وإلا فلماذا يحملها معه أينما يذهب؟ لم يكن يختلط بأهل القرية، حتى أننا لا نذكر أن رأيناه يوما يتجاوز مسافة أبعد من بداية مزارع العنب، أو يتخطى شجرة السنديان، وكأن تلك الشجرة كانت تمثل حدا فاصلا بين أطفال القرية وهذا المارد.

ماذا يأكل؟ ربما لا يأكل الطعام كالآدميين، وإلا فلماذا لم نره يقصد دكاكين البقالة بالقرية، أو يذهب إلى سوق المدينة المجاورة. لم يكن بحاجة إلى ملابس جديدة، فنحن لم نشاهده طوال هذه السنين إلا مرتديا نفس المعطف الصوفي الطويل ونفس الحذاء. كان محور حديثنا في الأمسيات المقمرة. حوله حكينا حكايات لا تحصى. أكبر الأطفال ادعى بأن والده أخبره أن هذا الرجل هو شبح لضابط ألماني ذبح عند سفح الجبل أثناء الحرب العالمية الثانية. ولكن هل للألمان بشرة سوداء وملامح إفريقية؟ سألنا، فأتانا الجواب من مدرس القرية

الوحيد بأنهم حمر الوجوه وشعرهم أشقر ناعم. كان هذا كاف لوأد فكرة أن "بودبوس" هو شبح للضابط الألماني المذبوح. لكن صاحب الفكرة أصر على أن الأشباح ومخلوقات آخر الليل يمكنها أن تتقمص شكلا مغايرا لما كانت عليه في هيئتها الآدمية الأولى. تظاهرنا بتصديقه، ونحن ندرك بأنه ربما اخترع تلك الحكاية الكاذبة من عنده.

مازلت أذكر ذلك الصيف الذي قررت فيه أنا وثلة من أطفال القرية بعد انتهاء موسم قطف العنب، أن نتبع الطريق الترابي المتجه ناحية الجبل الأوسط. في ذلك الوقت اختفى كل الحراس وغادروا القرية بعد انتهاء مهامهم. كنا نأمل من هذه المغامرة البريئة أن نحدد نهاية الطريق، ولكن الأهم من هذا هو أن نرى بأم أعيننا كوخ الغول الحجري، ونكتشف بعض أسرار حياته الغامضة، ونستجلي رائحة الرهبة المقدسة التي كانت تحيط بها.

عند الصباح بدأنا الرحلة بخطى وئيدة مترددة حتى وصلنا إلى شجرة السنديان. تجمعنا هناك ثم توقفنا. نظرنا إلى بعضنا البعض وكأننا ننتظر من سيبدأ بالخطوة الأولى نحو هذا العالم المجهول الذي لم تطأه أقدامنا الصغيرة من قبل. لم يتقدم أحد. قتلنا التردد، حتى أننا فكرنا في إلغاء المغامرة، لولا أن أحدنا اقترح بأن نجري قرعة لمن سيبدأ بالخطوة الأولى. قبلنا بذلك، والكل يدعو الله بداخله الا يكون هو الأول. وقعت القرعة عليّ. ارتعشت قدماي، أصابهما خدر خفيف. احمر وجهي. تسارعت دقات قلبي. أغمضت عيني، وأصحابي يحدقون فيّ بذهول وإشفاق، ثم خطوت الخطوة الأولى، الثانية... بيد أني حينما التفت إلى الوراء بعد أن ابتعدت لبضة أمتار، أدركت أنّ أترابي قد تخلفوا عن اللحاق بي. حينئذ صرخت فيهم بصوت امتزج فيه الخوف بالغضب: "يجب أن لا تخلوا بقواعد اللعبة. هيا تقدموا أيها الجبناء!". عند ذلك رأيت أرجلهم النّحيلة وأقدامهم الصغيرة تتدافع خلفي وتتقافز كصغار الماعز.

قطعنا مسافة ميلين. تراقصت ظلالنا القصيرة الشاحبة بين السهول والمنحدرات، حتى تجاوزنا نهاية فدادين العنب، ثم بدأنا نقترب من سفح الجبل ونستنشق عبير الصنوبر. عندئذ أخذت خطواتنا تتباطأ وبدأنا نشعر بشيء من الرهبة والخوف، حتى أنه أننا كنا كلما أحدث الهواء صفيرا، أو فرت بعض الطيور وصفقت بأجنحتها بين الأغصان، نقترب من بعضنا البعض، نتجمع في دائرة صغيرة، ونلتصق كسرب من كتاكيت عارية مذعورة، تنقطع

أنفاسنا، نلوذ بالصمت... حتى نستجمع عزمنا من جديد، ثم تواصل الأقدام الحافية رحلتها.

لم نكتشف شيئا بعد، ولكن كانت المناظر الخلابة تحيط بنا من كل جانب، والزهور البرية تعطر الفضاء مبتسمة بثغور حمراء وبنفسجية وصفراء، جعلتنا نتوقف مرارا لنقطف باقات شذية ونشمها في نشوة...

واصلنا السير حتى نال منا التعب، واختلط عرقنا بسحابات بيضاء من غبار الطريق، فقررنا أن نستريح قليلا. انكمشنا تحت ظل شجرة صنوبر. ساد سكون مريب. أخذنا ننظر إلى بعضنا البعض في صمت، نلتفت يمنة ويسرة، نمسح المكان بنظراتنا الوجلة، حتى همس أحدنا بأنه يرى شيئا من خلال فجوات الأشجار الكثيفة. ارتعشنا، تكدسنا خلفه. شخصت أبصارنا نحو ذلك المكان. لاح لنا شبح أحجار بيضاء مرصوفة بعناية. اقتربنا بحذر مثل سلاحف صغيرة، وكأننا نخشى أن يُسمع وقع أقدامنا. أمعنا النظر حتى أمكننا رؤية كوخ صغير مطلي بالجير الأبيض، نمتْ بين أحجاره الأعشاب الطفيلية، ويتوسط سفحا شديد الانحدار تغطيه الحشائش الكثيفة. على جنبات المنحدر تناثرت بيوت خشبية صغيرة لتربية النحل، وبجانب الكوخ نبتت شجيرات لوز ورمّان، وبين جذوعها الدقيقة كان قطيع صغير من الأغنام يلتهم الأعشاب في صمت. فغرت أفواهنا. همس أحدنا: "لابد أن يكون هذا هو كوخ بودبوس". تبادلنا نظرات تساؤل حائرة، ثم أجمعنا على ذلك. تجمعنا خلف الأشجار في صمت لم يبدّده إلاّ حفيف أوراق الأغصان وزقزقة عصافير الغابة. أخذنا نحدق بتركيز، فيما خيالنا يركض في كل جنبات المنحدر، وعيوننا الزائغة تستجلي غرابة المكان. مضى وقت طويل، ونحن متجمدون هناك كتماثيل حجرية صغيرة، حتى أيقظنا من غفوتنا صوت تدفق من الخلف كهدير الموج: "ماذا تفعلون هنا؟" لم يزد على ذاك. تجمدنا في أماكننا. شخصت أبصارنا. تبخرت الدماء من أجسادنا...

مرت لحظات صمت طويلة قبل أن نتجرأ على اختلاس نظرات سريعة نحو مصدر الصوت، وكأننا نستيقظ لتونا من حلم مفزع. كان "بودبوس" الغول نفسه، بشحمه ولحمه، بهيئته، بملابسه، بعصاه، يحمل بين يديه حملا أبيض اللون، ويداعب رأسه في رفق وحنان. هل

كان يتعقبنا؟ هل انشقت عنه الأرض؟ الآن تأكدنا أن قصة شبح الضابط الألماني المذبوح لم تكن خيالا، لم تكن كذبا، وإلا كيف يمكن لهذا الرجل الصارم المخيف كما تخيلناه دوما أن يحمل بين يديه حملا صغيرا ويربت عليه بحنو؟ تدفق الصمت والفراغ والخوف أكثر من ذي قبل، حتى خيل إلينا أننا نغرق في ظلام دامس لولا أن أيقظتنا قهقهته المدوية، والتي رددت صداها جنبات الغابة. صاح فينا: 'أنتم الآن ضيوفي. هيا اتبعوني!'.

أيقنا بالهلاك. فكرنا بالفرار، ولكن أقدامنا الصغيرة الخائرة لم تعد تسعفنا بذلك، شلّت من الخوف، فتبعناه مثل قطيطات مطيعة ونحن نرتعد، ونحدق إلى بعضنا البعض بنظرات خاوية. وحين وصلنا إلى باب الكوخ المرصّع بحلقات معدنية حمراء، لم يبقَ من أنفاسنا سوى القليل.

فتح الباب المتهالك فأصدر أزيزا حادا، ثم طلب منا الجلوس. عامت الرؤيا بأعيننا. تملّكنا خوف جارف. وظلت أجسادنا ترتجف بعنف ونحن نجلس مثل كويرات لحم مجمدة ومتلاصقة تتصبب عرقا وننتظر من سيكون أول ضحية يلتهمه هذا الغول. دخل الكوخ. اختفى لفترة ليست بالقصيرة، ثم عاد بعد قليل بجرار فخارية صغيرة مزخرفة، وبدأ بتوزيعها علينا قائلا في رفق: 'هذا عسل الزعتر الجبلي، عندما تذوقونه ستجدونه لذيذا. هذا أطيب ما لدي'. ثم جلس فوق العشب قبالتنا مستسلما لنشوة مباغتة وهو يتفرس في وجوهنا الشاحبة بعينين صافيتين يتلألأ فيهما ضوء هادئ. ثم اقترب منا وهمس وهو يبتسم ويحدق إلى الفضاء الصافي: 'يا أبنائي اللطفاء، لا تخافوا! أنا لست شريرا. هدؤوا من روعكم!'. ثم صمت للحظات حتى تدفقت الدماء إلى وجوهنا الشاحبة من جديد، وبدأ خوفنا يتلاشى، وأخذ يقص علينا قصته...

(... شاب يتيم من الجنوب مفعم بالحيوية حمل جناحين خفقا بدفء الشمس وعينين سكن فيهما نقاء الصحراء، عندما هاجر بحثا عن حضن دافئ وأرض خضراء. عبر مدنا وفيافي كثيرة، واجتاز صحارى وعرة قاحلة، حتى ألقت به عصا الترحال بين أحضان هذه الجبال الشامخة؛ تماما كما لو أنه وجد كنزا ثمينا. استقر به المقام هنا. بنى كوخه من حجارة الجبال. شرب من ينابيعها الصافية. اقتات من بذور الأرض وثمارها، وعرف طيب

العيش. ولكن ما أن طاب له المقام، حتى بدأ الظل الأزرق وبياض الأقدام الفاحشة وبصمات الأيدي الحمراء وزفرة البارود تتمدد على الأرض الخضراء، وتشوّه وجهها الخصب. عندئذ لم يجد العم بودبوس ملاذا وحضنا وأهلا سوى أنفاس الوطن الساخنة، ورجالا من ذهب صعد معهم إلى قمم الجبال الشامخة، وتركوا الحفر الآسنة للذباب والبعوض. قاتلوا، صبروا، صمدوا، واستمرت الحرب سنينا، وطال الانتظار، حتى انسلخ الظلام وهوت سلاسل العبودية في بحر سحيق. عندئذ عاد إلى جباله كنسر طليق يستنشق الهواء نقيا، يرد الماء صفوا، يأكل مما تزرع يداه، ويعيش سعيدا زاهدا في كل شيء ما عدا الحرية...).

كان يتكلم بعاطفة صادقة، وكان صوته العميق والهادئ يحملنا على الإصغاء في صمت. أذهلتنا قصته الرائعة. أعادت لنا الشعور بالأمان الطفولي اللذيذ، ورسمت بفرشاتها صورة بديعة بدا فيها العم "بوديوس" (أبو القاسم) شاعرا وشجرة خضراء قوية لم تلتهمها النار الشقراء، أو ينخرها طاعون الخيانة. أدركنا وهو يتحدث بحماس ودفء أننا لسنا أمام شبح، بل نرى إنسانا حرًا من لحم ودم وأحاسيس نبيلة. حكى لنا عن تفاصيل أخرى من حياته، ثم صوب بصره نحو الغيوم البيضاء المتصاعدة رافعا يديه وكأنه يناجي السماء ويشكر الله. بعد أن أكمل قصته، ضحك بصوت مدو، ثم نهض من مكانه ومشى خطوات قليلة نحو باب الكوخ. فتح الباب على مصراعيه، فظهرت في صدر الغرفة الوحيدة، وتحت نور خافت حميم تسلل من كوة النافذة، صورة كبيرة لفرحات حشّاد. وقف في الباب، ابتسم، وقد بدا جسده المنتصب الذي غمره النور كطود متوهج، ثم استدار وأشار للصورة وهمس بصوت دافئ: "آه يا أبنائي الأعزاء، تونس رجالها من ذهب صافي، ما يحبوا يسكنوا إلا في الجنة، وفي وقت الشدّة ما تلقى إلا الراجل وخوه".

ثم همّ بدخول الكوخ، فحملنا جرار العسل، احتضناها وانطلقنا صوب ينابيع الماء وصوته يلاحقنا بين جنبات الطريق، فيما كانت الشمس خلف الغيوم ترسل خيوطا صفراء متلألئة بين فروع الأشجار الكثيفة وتضيء الغابة بقناديل خافتة.

- فـرحات حـشّاد (رحمه الله) هو زعيم نقابي ومناضل تونسي كبير قاوم الاستعمار الفرنسي في تونس إلى أن اغتيل واستشهد سنة ١٩٥٢.

- الـيد الحمراء: عصابة فاشية إرهابية فرنسية اغتالت الكثير من المناضلين في تونس والجزائر أثناء حرب الاستقلال.

- العلم الفرنسي يتكون من اللون الأزرق والأبيض والأحمر

المصدر:

http://www.arabicstory.net /

ملحق رقم (٧)

حين تكلم الموت في داخلي

ايمان الوزير/ فلسطين

لن أطيل في سرد حكايتي...فكل ما فيها مرّ علقم تركت جراحا في قلبي قبل جسدي...كان ذلك يوم حصار المدينة...حين امست مدينة أشباح.. أصوات الحياة فيها دُفنت تحت ضربات الاباتشي....لا تسألوني متى زاركم الزمهرير فقد تلاشت من ذاكرتي كل مقاييس الوقت.

ذلك اليوم كان مزمجرا اكتوت به أسراب الطيور.. وأشجار الزيتون... وأحجار المنازل..وكانت المقاومة وحدها تجوب الطرقات... وتعتلي صهوة الأماكن... على حين ارتعدت الأزقة من هول القصف.. تدفع بالمقاومين للاحتماء بالملاجئ... فاختبأت أنا ورفاقي السبعة في قبو منزل في عمق المدينة قال رفيقي الأول: آه لو كنتُ أمتلك طائرة أباتشي..

رد الثاني بابتسامة صفراء: إحلم...ثم احلم ثم احلم وسجل حلمك على أرصفة المدينة..إنها تستوعب الدماء والأشلاء والركام وحتى احلامك أيضا!

عادت الأباتشي تخمد أصواتنا...تعانق أنفاسنا المتصاعدة...كان علينا أن نفكر فيما بعد..ماذا سنفعل؟ لم يكن التفكير بالموت يجول بخاطرنا...رغم أنه يقبع معنا...فقد كان تفكيرنا في فسحة طريق نمضي خلالها...شعرنا دون أن يكلم بعضنا بعضا بأن الصورايخ الأخيرة تنذرنا بضيق الحلقة واتساع فوهة البركان.. في لحظة هدوء سبقت العاصفة...جاء صوت ثالثنا عميقا بعمق القبو الذي يحتوينا: ما العمل يا شباب علينا أن نفكر في الخروج..ونقارعهم وجها لوجه.

نطق صديقي أبو الهول وكنا نسميه كذلك لقلة كلامه: وجها لوجه! وهل لهؤلاء وجه نراه..هم إما خلف دبابة أو خلف أباتشي... رفع قائد سريتنا رأسه وقال: سنتركهم

يقصفون ولن نرد حتى يظنوا أن خطتهم نجحت بقتلنا..فيقتحمون المكان كعادتهم بحثا عن أسير أو جريح ليعالجوه على طريقتهم..عندها سنعالجهم نحن على طريقتنا كأشباح الموت...

عاد الصمت ملِكا من جديد..يحوم حول الأنفاس المتصاعدة...يدندن معها معزوفة حلم يتسع لمساحة قبونا الذي لا يختلف عن القبر كثيرا..لم يكن حلمنا سوى طيف من حلم في لقاء صيد صهيوني قبل أن يبتلعنا الطوفان...

كنّا ورفاقي نعلم المصير ولكننا نرجوه أن يصبر قليلا لنتوّج للمكان نقش صمود... كنّ

نقرأ المشهد الأخير لأدوارنا في الرواية الكبيرة..ونعلم جيدا أن تلك الرواية لم تنته ولن نكون نحن آخر من يكتب سطورها...لأنها الرواية الوحيدة التي لا يكتبها كاتب واحد..ولا يضع خاتمتها قلم واحد...بل أقلام وأنفاس..وأرواح وسواعد تبني ما لا يراه الآخرون عن بعد ! ربما لن يفهمني أحد..ولكني سأكمل قصتي... ضحك الخامس وقال: أشباح موت أيها القائد... نعم نحن أشباح الموت... نرتديه.. ونسحق ونُسحق.. لتزغرد الأرض وتحتضن أشلاءنا في رحمها وتنبتها من جديد... عاد الصمت سيداً بعد أن سمعنا صوت انفجار شديد بالقرب من قبونا... كنّا على يقين أن لا مجال للتفكير حتى في خطة قائدنا... قبل أن تأتي ثانية الصفر المقدرة لنا أشار سادسنا أنه يجب علينا الانتشار... لكن خطواتنا تعثرت بسيل صواريخ انهالت على قبونا..لم أدري بعدها ماذا جرى!

أفقت على رائحة التراب وصدري يعلو ويهبط....كل ما حولي ظلام دامس... هل أنا في ليل أو نهار...لست أدري.. ماذا حلَ برفاقي السبعة...لست أدري!!

حاولت أن أنصت لعلي اسمع أنات أحدهم دون جدوى...صرخت بصوت عال: واحد...اثنان...يا ثلاثة...يا أربعة...أيها الخامس...يا سادس...يا رفاق!!!

حاولت أن أحرك جسدي لأنهض.. فاكتشفت أني معلق بين حائطين... لقد صار جسدي قطعة نقانق بين شطيرتين تنتظر صهيونيا يلتهمها.....عدت إلى الصراخ من جديد فلـــــــــــم يجـــــــــــبني أحـــــــــــد!!!

لست أدري كم مضى من الوقت وأنا هكذا ساعة أو ساعتان... يوم...يومان... حاولت أن أحرك جسدي الأسير فشعرت بشيء ما في جيبي..ناضلت لإخراجه فإذا هو قلم...

- قلـــــــــــــــــــــــــــــم!!!!!!!

: ماذا أفعل بك الآن، ليتك شربة ماء أو كسرة خبز أو حتى زيتونة

: ماذا أفعل بك وأنت أسير مثلي؟

: هل أكتب بك قصتي لعلي أنسى آلامي؟

: ولكن أين؟

: على الحائط فوقي!!

: نعم على الحائط فوقي.

: ولكن لمن أكتبها؟

: ومن سيهمه أمري ورفاقي السبعة، من سيهتم بنا وقد فشلنا حتى صنع خطوة؟

: سأكتبها لكم..راجيا أن تضيفوها إلى إلياذة شعب جريح بتوقيع من تكلم الموت في داخله.

المصدر:

موقع عرب ٤٨ الإلكتروني.

المراجع

ايمن اللبدي: (٢٠٠٣) انتفاضيات ٣/ ١٣٣ـ ١٣٦، مطبعة اليازجي، دمشق.

تيسير عبد الجبار الألوسي (٢٠٠٥)، الأذن وثقافة الحوار، صحيفة المرصد الإعلامي الحر، العدد ٦٧، ٢٥/ ٨/ ٢٠٠٥.

رابطها: http://www.freemediawatch.org/٦٧-٢٦٠٨٠٥/١٠.htm.

رشـاد ابـو شـاور (٢٠٠٣). مجموعة المـوت غـناء،، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.

رشدي خليفة (٢٠٠٦)، قبور غالية الثمن،، د.م.

روبرت شولز، (د.ت)، عناصر القصة، ترجمة محمود الهاشمي.

سبقاق بوفاتح (٢٠٠٠)، رجل الأفكار، منشورات التبين / الجاحظية،الجزائر..

سمير الشريف (٢٠٠٥)، عطش الماء، أزمنة للنشر والتوزيع. عمان.

شريف الشوباسي(٢٠٠٥)، خرفان بانورج، جريدة الأهرام، السنة الثانية، العدد ٤٣٣٦٥، ٢٩/ أغسطس/ ٢٠٠٥.

فاروق المواسي(٢٠٠٥)، موسم الأريج، صحيفة دروب الإلكترونية، ٣ اغطس ٢٠٠٥.

محمد سعيد الريحاني (٢٠٠٦)، طائر الربيع، د.م.

مـراد وهـبة، ومنـى ابـو سنة (١٩٩٧). مفستو إبداع في التعليم،دار القباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.

مـنير البياتـي (٢٠٠٦)، محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، منير البياتي، دار النفائس، عمان.

المراجع الألكترونية

http://www.alhaqaeq.net//

http://www.alshamsi.net/sh٣r/ashmawee/poem٥.html

http://www.arabicstory.net/

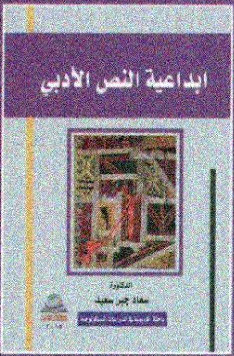
http://www.ye٢٦.net/vb/archive/index.php/t-٩٥٣.html

http://rawasy.net/sabaqueen/storys/storys٠٠٣.htm

http://aslimnet.free.fr/sard/qurbaniates.htm

http://www.fosol.net/b٧er/m/zwaya/٣dd_١٠/z١٥.htm

عالم الكتب الحديث



Creative Literary Text

الدكتورة سعاد جبر سعيد

يتناول الكتاب مساحات تشكل مقاربة بين الأدب واتجاهات متنوعة، ربما لم تنل العناية والأهتمام الكافي من قبل النقاد، وبالأخص مجال المقاربة بين سيكولوجيا السياسة وسيكولوجيا الأدب، وكذلك المحاورة في اطر سيكولوجيا الأدب مع روائع الأدب العالمي، بحيث يتجاوز الكتاب مساحات النصوص في اطر الحركة الأدبية العربية، إلى النصوص العالمية.

ويلامس الكتاب قضايا ثقافية، منها الثقافة والأبداع والأنسنة وواقع العولمة وصدام الحضارات من خلال السخرية بالإسلام، وموقف الحركة الأدبية من ذلك عبر نصوص مختارة، ويناقش قضايا ثقافية تشكل جدليات في الثقافة والأدب عبر ندوات ادبية ثقافية تلامس تلك القضايا وهموم تعتصر الأديب والمثقف العربي.

ويختتم الكتاب محاوراته النقدية عبر نصوص ادبية من كتاباتي في مجال القصة والنثر الفني في ضوء سيكولوجيا الأدب، تشكل مادة اضافية في مساحات رحلة قلمي في سيكولوجيا الأدب، ونافذة ترنو اعماقي فيها لتقديم رسالة ادبية عبرها من جهة، والأمتاع الأدبي من جهة أخرى.

عالم الكتب الحديث
Modern Book's world
للنشر والتوزيع

الأردن - اربد - شارع الجامعة
almalkotob@yahoo.com
www.almalkotob.com

جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع
الأردن - العبدلي مقابل عمارة جوهرة القدس

9 789957 708924

مطبعة حلاوة
Halawa
Printing Press